

المعهد الخيفي للأبحاث والبحوث
بيت المغرب

أزهار الناض في جنات عراك

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

الجزء الثالث

ضبطه وحققه وعلق عليه

عبد الحفيظ شلبي

المدرس بالمدارس الأميرية

أبراهيم الأبياري

المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى السقا

المدرس بجامعة فؤاد الأول

القاهرة

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م



الأصول المعتمدة لأزهار الرياض

ذكرنا في مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة بعض الأصول التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب ، ونذكرها هنا في مفتتح هذا الجزء تذكيرا للقراء ، وهذه رموزها :

١ (ط)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠١٣ تاريخ) . وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

(ت)

للدلالة على القطعة المطبوعة من هذا الكتاب في تونس سنة ١٣٢٢ هجرية ، وقد انتهت باتهاء ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، حيث انتهى الجزء الأول من طبعتنا هذه .

(م)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (برقم ٧٩٤ تاريخ) ، وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول .

(ص)

للدلالة على نسخة عثرنا عليها بعد الفراغ من طبع الجزء الأول ، وهي بخط مغربي واضح ، في ٥٩٣ صفحة من القطع الكبير ، وبها عدة سقطات ، ونرجح أنها كتبت قبل سنة ١١٤١ هـ لوجود هذا التاريخ على آخر صفحة منها بخط بعض مالكيها .

تنبيه :

كل ما جاء في هذا الجزء بين هاتين الحاصرتين [] من غير تنبيه عليه ، فهو من زيادات النسخ الأخرى على نسخة (ط) التي هي الأصل المعتمد للطبع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثالث

من كتاب

أزهار الرياض ، في أخبار عياض

روضة الأقبوان

في ذكر حاله في المفسأ والعنفوان

أقول ، وَمِنَ اللَّهِ أَسْأَلُ التَّأْيِيدَ وَالْعَوْنَ ، وَالْوَقَايَةَ وَالصَّوْنَ :

عَقَدْنَا هَذِهِ التَّرْجُمَةَ الثَّانِيَةَ ، لِبَيَانِ حَالِهِ ، فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ .

فَاعْلَمْ أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى طَرِيقِ الرِّضْوَانِ ، وَجَنَّبَ جَمِيعَنَا مَسَالِكَ الدُّلِّ
وَالهَوَانِ ، أَنَّ حَالَ هَذَا الْإِمَامِ لَا تُغْنِي عَنْهَا عِبَارَتِي الْقَاصِرَةُ ، وَلَا ^(١) تُحِيطُ بِإِشَارَتِي
بِمَنْ عَقَدَ الْفَضْلُ عَلَيْهِ خَنَاصِرَهُ . وَمَا أَجْدُ لِبَعْضِ ذَلِكَ مِثَالًا إِلَّا بِبَعْضِ قَوْلِ
الرَّئِيسِ [الْقَاضِي] الْكَاتِبِ أَبِي يَحْيَى بْنِ عَاصِمٍ ، عِنْدَ مَا عَرَّفَ بِأَبِيهِ [صَاحِبِ
التَّحْفَةِ] ، وَقَالَ ^(٢) فِيهِ مَا نَعَصَ :

مَوْلَايَ الْوَالِدُ يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، إِنِ بَسَطْتُ الْقَوْلَ ، وَعَدَدْتُ الطَّلُولَ ،
وَأَحْكَمْتُ الْأَوْصَافَ ، وَتَوَخَّيْتُ الْإِنْصَافَ ؛ أَنْقَذْتُ الطُّرُوسَ ، وَكُنْتُ كَمَا

(١) فِي م : « وَكَيْفَ » (٢) فِي م : « فَقَالَ » .

يقول الناس في المثل: « مَنْ مَدَحَ الْعَرُوسَ ^(١) ». وإن أَضْرَبْتُ عَنْ ذَلِكَ صَفْحًا ،
وَأَثَرْتُ غَضًا [مِنَ الْبُنُوءِ] وَسَفْحًا ^(٢) ، فَلَبِثْنَا صَنَعْتُ ، وَلَشَدَّ مَا أُمْسَكْتُ
المعروفَ وَمَنَعْتُ ، وَلَكَمْ مِنْ حَقِّقِ الْبُوءَةِ أَضَعْتُ ، وَمِنْ ثَدَى الْمَعَقَّةِ رَضِعْتُ ،
وَمِنْ شَيْطَانٍ لَعَمَصَةِ الْحَقِّ أَطَعْتُ ، وَلَمْ أُرِدْ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ؛ وَإِنْ [٥٠٠]
تَوَسَّطْتُ وَاقْتَصَرْتُ ، وَأَوْجَزْتُ وَاخْتَصَرْتُ ، فَلَا الْحَقَّ نَصَرْتُ ، وَلَا أَفْنَانَ
البلاغة هَصَرْتُ ، وَلَا سَبِيلَ الرُّشْدِ أَبْصَرْتُ ، وَلَا عَنِ هَوَى الْحَسَدَةِ أَقْصَرْتُ .

هذا ؛ وَلَوْ أَنِّي أَجْهَدْتُ أَلْسِنَةَ الْبَلَاغَةِ فَجَهِدْتُ ، وَأَيَقُظْتُ عُيُونَ الْإِجَادَةِ
فَسَهَدْتُ ، وَاسْتَعَرْتُ مَوَاقِفَ عُكَاظَ عَلَى مَا عُهُدْتُ ، لَمَا قَرَّرْتُ مِنَ الْفَضْلِ
إِلَّا مَا بِهِ الْأَعْدَاءُ قَدْ شَهِدْتُ ، وَلَا اسْتَقْصَيْتُ مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا مَا أَوْصَتْ بِهِ الْفِتْنَةُ
الشَّائِنَةُ خَلَفَهَا الْأَبْتَرُ وَعُهُدْتُ ؛ فَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَالِمَ السَّكَالِ ، وَرَجُلَ الْحَقِيقَةِ ،
وَقَارًّا لَا يَخْفُ رَاسِيَةً ، وَلَا يَغْرَى كَاسِيَةً ، وَسُكُونًا لَا يُطْرَقُ جَانِبُهُ ، وَلَا
يُرْهَبُ غَالِبُهُ ، وَحِلْمًا لَا تَزِلُّ حَصَاتِهِ ، وَلَا تَهْمَلُ وَصَاتِهِ ، وَانْقِبَاضًا لَا يُتَعَدَّى
رَشْمُهُ ، وَلَا يُتَجَاوَزُ حُكْمُهُ ، وَنَزَاهَةً لَا تَرْخُصُ قِيمَتُهَا ، وَلَا تَكْلِينُ غَزِيمَتُهَا ؛
وَدِيَانَةً لَا تُحَسِّرُ أَذْيَالُهَا ، وَلَا يَشْفُ سِرْبَالُهَا ، وَإِدْرَاكَ لَا يُفْلُ نَصْلُهُ ، وَلَا
يُذْرِكُ خَصْلُهُ ، وَذِهْنًا لَا يَخْبُو نُورُهُ ، وَلَا يَنْبُو مَطْرُورُهُ ^(٣) ، وَفَهْمًا لَا يَخْفَى فَلَقُهُ ،
وَلَا يُلْحَقُ [طَلَقُهُ ، وَصَدَقًا لَا يَخْلَفُ مَوْعِدُهُ ، وَلَا يَأْسُنُ مَوْرِدُهُ ، وَحِفْظًا
لَا يُسْبِرُ غَوْرُهُ ، وَلَا يَذْبُلُ تَوْرُهُ ، بَلْ لَا يُطْرَقُ] ^(٤) بَحْرُهُ ، وَلَا يُعْطَلُ نَفْرُهُ ،

(١) هذا جزء من مثل ، ذكره على سبيل الاكتفاء ، لوضوح معناه وشهرته . وتعامه

كما في مجمع الأمثال للبيداني : « مَنْ يمدح العروس إلا أهلها » . قال : يضرب في

اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض ، وعجبهم بأنفسهم .

(٢) سفحا : مصدر سفح الماء إذا أراقه . يريد : إهدار البتوة وتناسي واجبها .

(٣) المطرور : المحدد . (٤) الزيادة عن الديباج المذهب لابن فرحون .

وتحصيلاً لا يُفْلِت قنيصُهُ ، ولا يَسْأَمُ حريصُهُ ؛ بل لا يُحَلِّ عِقَالُهُ ، ولا يَصْدَأُ صِقَالُهُ ؛ وطلباً لا تَتَّحِدُ^(١) فنونه ، ولا تَتَّعَيْنُ عُيُونُهُ ، بل لا تُحْصِرُ معارفُهُ ، ولا تُقْصِرُ مصارفُهُ .

انتهى المقصود منه ، وبعض كلامه أردت لا كله ، إذ هو اللائق بوصف القاضي أبي الفضل عياض إمام الملة .

قال الملاحى : كان القاضي عياض - رحمه الله تعالى - بجزء علم ، للملاحى في عياض ، وهضبة دين وحلم ، أحكم قراءة كتاب الله [تعالى] بالسمع ، وبلغ من معرفته الطول والعرض ، وبرز في علم الحديث ، وحمل راية الرأي ، ورأس [في] الأصول ، وحفظ أسماء الرجال ، وثقّب في علم النحو ، وقيد اللغة ، وأشرف على مذاهب الفقهاء ، وأنحاء العلماء ، وأغراض الأدباء . انتهى كلام الملاحى .

وقال ابنه القاضي أبو عبد الله بن عياض رحمه الله :
لأبيه أبي عبد الله

نشأ أبى على عفة وصيانة ، مرضى الحال ، محمود الأقوال والأفعال ، موصوفاً بالنبل والفهم والحدق ، طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، معظما عند الأشياخ من أهل العلم ، كثير المجالسة لهم ، والاختلاف إليهم ، إلى أن برع أهل زمانه ، وساد جملة أقرانه ؛ فكان من حفاظ كتاب الله تعالى ، مع القراءة الحسنه ، والنغمة العذبة ، والصوت الجهوري ، والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه ؛ وكان من أئمة الحديث في وقته ، أصوليا متكما ، فقيها ، حافظا للمسائل ، عاقدا للشروط ، بصيرا بالأحكام ، نحويا ، ريانا من الأدب ، شاعرا مجيدا ، كاتبنا بليغا ، خطيبا ، حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حسن المجلس ،

(١) في الديباج المذهب لابن فرحون : « لا تنحد » .

نبيل النادره^(١) حُلُو الدُعابه ، صَبُورا حَلِما ، جَمِيل العِشره ، جَوادا سَمِحا ،
كثير الصدقه ، دَهوبا على العمل ، صَلِيبا في الحق ، وبلغ في التفنن في العلوم
ما هو مشهور ، وفي العالم معلوم .

قال ابنه وابن خاتمة في مزية المزية :

لاينه وابن خاتمة
في ذكر شيوخه

وأخذ عن أشياخ بلده سَبْتَة ، كالفاضي أبي عبد الله بن عيسى ، والخطيب
أبي القاسم ، والفقهاء أبي إسحاق بن الفاسي ، وغيرهم . ثم رحل إلى الأندلس ،
وكان خروجه من سَبْتَة يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأولى سنة سبع وخمس مئة ،
فوصل إلى قرطبة يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة بعدها^(٢) ، فأخذ بها عن
ابن عتاب ، وابن حمدين ، وابن الحاج ، وابن رُشد ، وأبي الحسين بن
سراج ، وأبي الحسن بن مَغِيث ، وأبي القاسم بن النّحاس ، وأبي بحر الأسدي ، [٥٠٧]
وأبي القاسم بن بَقِيّ ، وأبي الوليد هشام بن أحمد بن العوّاد ، وغيرهم من
أعلام قرطبة . ثم خرج منها إلى مُرْسِيّة يوم الاثنين لخمس بقين من الحرم ،
سنة ثمان من التاريخ ، فوصل مُرْسِيّة يوم الثلاثاء الثالث من صفر بعده .
كذا قال ولده ، وهو أعرف .

وقال ابن خاتمة في مزية المزية : إنه وصل مُرْسِيّة في غرة صفر ، فوجد
الحافظ أبا عليّ الصّديّ مخفيا — قال ابن خاتمة : وكان اختفى قبل ذلك بأيام ،
لنّبذِه خُطّة القضاء من غير أن يُعْفَى — ووجد الرّحّالين إليه قد نفدت نفقات
بعضهم ، ومنهم من ابتدأ كتابا لم يُتِمّه ، فأخذ أكثرهم في الرجوع إلى
مواطنهم ، وتربّص بعضهم ، فسكث هو بقيّة صفر وشهر ربيع الأول لا يقعُ
له على خبر ، سوى الظنّ بكونه هنالك ، وقابل أثناء ذلك بأصوله ، وكتب منها

(١) في الأصول : « النادر » . (٢) في ط : « بعده » .

ما أمكن ، على يد خاصة من أهله ؛ ولا يُشَكَّ أنَّ تصرُّفه في ذلك لم يكن إلا بأمره^(١) ، إلى أن وصل كتابُ قاضى الجماعة أبى محمد بن منصور ، بحلِّ القاضى أبى على عن القضاء .

قال ابنه : ووصل كتابه أيضا إلى أبى مُعلِّم له بذلك ، إذ كان يكرُم عليه ، وعلم برحلته إليه ، فخرج أبو على من اختفائه ، وجلس للتسميع ، فسمع عليه كثيرا ، ولازمه ، وكان له به اختصاصٌ ، فحصل له سماع^(٢) كثير ، فى أمد يسير .

قال ابن خاتمة : سمع عليه الصحيحين ، والمؤتلف والمختلف ، ومُشْتَبِه النسبة لعبد الغنى^(٣) ، والشَّهاب^(٤) للقضاعى ، وغير ذلك ؛ وكتب عنه فوائد كثيرة ، وعارض بأصوله ، وأجاز له [جميع رواياته] .

قال ابنه رحمه الله : حكى أبى أبو الفضل عياض رحمه الله أنَّ القاضى أبا على الصَّدِّقى رحمه الله قال له : لولا أن الله يسرَّ خروجي بلطفه ، لكنتُ غرمت^(٥) أن أشعرك بموضع يقع عليه الاختيارُ من بلاد الأندلس ، لا يؤبَّه لسكراني فيه ، فتدخلُ إليه ، وأخرجَ مختفيا إليه بأصولي ، فتجد ما ترغب ، لما كان فى نفسى من تعطيل رحلتك ، وإخفاق رغبتك .

ولقى فى رحلته هذه جماعة من أعلام الأندلس ، وأجازه أبو على الجياني^(٦)

(١) يريد : بأمر أبى على الصدفى . (٢) فى م ، ص : « مسموع » .

(٣) هو الحافظ عبد الغنى بن سعيد الأزدى القدسى المتوفى سنة ٤٠٩ هـ .

(٤) هو كتاب الشهاب ، فى المواعظ والآداب ، فى علم الحديث . ذكره الفلقشندي فى

صبح الأعشى ، عند الكلام على أنساب قضاة ، ونسب للقضاعى المصرى المتوفى

سنة ٤٥٤ هـ . (٥) فى ط : « لزمت » .

(٦) هو الحسين بن محمد بن أحمد الفسائى المعروف بالجياني توفى سنة ٤٩٨ هـ .

وشرّيح وابن^(١) شـبرين ، وغيرهم من أعلام غرب الأندلس ؛ وأجازه أيضا أبو جعفر بن بشتغير ، وابن الأدقر ، وأبو زيد بن منتال ، وغيره من أعلام شرق الأندلس .

قال ابن خاتمة :

وفي رحلته هذه دخل المريّة ، وبها لقيه القاضي أبو جعفر بن مضاء .
قال ابنه : ووصل بلدّه بعد هذه الرحلة ليلة السبت سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وخمس مئة ، وأجلسه أهل بلدّه للمناظرة عليه في المدوّنة ، وهو ابن اثنين وثلاثين عاما ، وبعد ذلك ييسر أجلس للشورى ، ثم ولي القضاء عام خمسة عشر وخمس مئة ، لثلاث بقين من صفر ، فسار فيها أحسن سيرة ، محمود الطريقة ، مشكور الحالة ، أقام جميع الحدود على ضروبها ، واختلاف أنواعها ، وبني الزيادة الغربية في جامع سبتة ، التي كمل بها جماله ، وبني في جبل المينا الرابطة^(٢) المشهورة ، إلى غير ذلك من الآثار المحمودّة ، والمسامحة المرضيّة ، فعظم جاهه ، وبعد صيته .

ثم نقل إلى غرناطة ، ووصل إليه الكتاب بذلك في أول يوم [من] صفر عام أحد وثلاثين وخمس مئة ، فنهض إليها ، وتقلد خطة قضائها ، على المعتاد من شيمته السنيّة ، وأخلاقه المرضيّة ، مشكورا عند جميع الناس ،^(٣) لكن تاشفين ضاق به ذرعّه ، وغص بمراقبته ، وصد أصحابه عن الباطل ، وخدّمته عن الظلم ، وتشريدّم عن الأعمال ، فسعى في صرفه عن قضاء غرناطة ، فصرف بعد انفصاله عنها زائرا أهله ، وترك ابن أخيه الزاهد أبا عبد الله رحمه الله ، على الأحكام

(١) الكلام من قوله : « شبرين » إلى قوله « الأندلس » : ساقط من نسخة ط .

(٢) يريد بالرابطة : الرباط ، وهو المكان يربط فيه المتعبدون .

(٣) الكلام من قوله : « لكن » إلى قوله : « الأحكام » : ساقط من نسخة ط .

وذلك في رمضان المعظم ، عام اثنين وثلاثين وخمس مئة .

نحو قف . سبته ثمانية ، في آخر عام تسعة وثلاثين وخمس مئة ، قدّمه
 إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فابتهج أهل بلده بذلك ، فسار
 فيه نيرة التي عهدوا منه ، ثم بادر بالمسابقة إلى الدخول في نظام الموحدّين ،
 والاعتصام بحبلهم المتين ، فأقرّه أمير المؤمنين ، أدام الله أمره ، على ما كان
 عليه ، وصرف أمور بلده إليه . وخاطبه بالتنويه ، وحظي عنده ، وشكر
 بداره وسبقه . ثم رحل إليه ، فاجتمع به بمدينة سلا ، عند توجهه إلى محاصرة
 مرّاكش ، فأوسع له ، وأجزل صلته ، ولقي منه برّا تاما ، وإكراما عاما ،
 وانصرف على أحسن حال ، إلى أن ثارت الفتنة .

[٥٠٩]

انتهى كلام ولده ، وسنذكر بقيته في محله ، إن شاء الله .

وقال الشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمن الغرناطي ، المعروف بابن القصير ،
 رحمه الله : لما ورد علينا القاضي عياض غرناطة ، خرج الناس للقائه ، وبرزوا
 تبريزا ما رأيت لأمر مؤر مثله ، وحزرت أعيان البلد الذين خرجوا إليه
 ركباً^(١) ، نيّفا على ميثي راكب ، ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة ،
 وخرجت مع أبي رحمه الله [تعالى] في جملة من خرج ، فلقينا شخصا بادي
 السيّادة ، مُنبئاً عن اكتساب المعالي والإفاده . قال : وكان ورودُه علينا يوم الخميس
 لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثلاثين وخمس مئة . انتهى .

وانظر قوله سنة ثلاثين مع ما تقدم لولده ، من أن ولايته قضاء غرناطة
 سنة إحدى وثلاثين ، فلا أدري أيهما أصوب ، إلا أن يقال إن أحدهما تحريف
 من الناسخ . والله أعلم .

(١) كذا في م ، ص . وفي ط : « ركبانا » .

ثم إنى رأيت في الإحاطة ، أنه تولى قضاء غرناطة عام أحد وثلاثين ، فتبين أن ذلك هو الصواب . ورأيتُ مثله في غير موضع ، فبان أنه لا تحريف فيه . ويبقى النظرُ في الآخر المنقول عن عبد الرحمن بن القصير ، وقد نقله ابن جابر الوادى آشى عن عبد الرحمن المذكور كما حكيتُهُ ، سنة ثلاثين ، فالله أعلم .

ثم قال عبد الرحمن المذكور : ولما استقرَّ عندنا كان مثلَ التمرة : كلما ليكت زادت حلاوه ، ولفظه عذب في كل ما صرَّف من الكلام ، للنفس إليه تتوق وله طألوه ، وكان بَرًّا بلسانه ، جوادا ببنيانه ، كثير التخشع في صلاته ، [٥١٠] مواصلا لصلاته ، وقد جَمَعْنَا ^(١) من سيره جَمَلًا في الكتاب الذى جمعنا فيه مناقب من أدرَكنا ، من أعيان عصرنا ونُبّهانه ، وذكرنا له ما يُفخر برونقه وبهائه ؛ وكان مع براعته في علوم الشريعة خطيبا ، في تحبيره للخطب وفي لفظه ، ظاهرة الخشوع عند التلاوة وفي لحظه ، سريع العبّره ، مُدِيمًا للتفكير والعبّره ، كاتبًا إذا نثر ، ناظرًا ^(٢) إذا شعر .

انتهى . نقله ابن جابر وغير واحد كابن رُشيد .

وقال في أوّله مانصه : قال أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الأزدي : ولّى عندنا ببلدنا غرناطة ، حرمها الله تعالى ، الفقيه الأجلّ ، الحافظ الأحفل ، القاضي الأكرمُ الأفضل ، الإمامُ الخطيب المصقع ، الأديب الأبرع ، أبو الفضل عياض . انتهى .

ونقلت من خط بعض تلامذة ابن رُشيد ، وهو الفقيه محمد بن البردعيّ ما نصه :

وعبد الرحمن هذا قد سألت عنه شيخنا المذكور — يعنى ابن رُشيد — فقال

(١) في م ، س : « بينا » . (٢) في ط : « ناظقا » .

لى : لم يُعرّف به أحدٌ من أهل الصّلات . قلت : ولا الملاحئ أيضا .
انتهى ببعض اختصار .

وكان الإمام القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله كثيرَ الإنصاف ؛ ومما يدل على إنصافه الحق^(١) وتواضعه ، ما حكاه عبدُ الرحمن المذكورُ آنفا ، إذ قال : دخلتُ مجلسَ القاضى أبي الفضل عياض ، رحمه الله تعالى ، إذ كان قاضيا عندنا بغرناطة ، وبه جماعةٌ من الطلبة والأعيان ، يسمعون تأليفه المسمّى بالشفا ؛ فلما وصل القارئ إلى هذه الكلمات : « وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطُ » ، قرأه ثلاثيا ، وكذلك كان فى الأم^(٢) التى كان يقرأ فيها ، فقلت للقاضى ، وَصَلَ اللهُ توفيقه : هذا لا يجوز فى هذا الموضع . فقال : ماتقول ؟ فقلت : إنما هو أقسط ، لأن المراد فى هذا الموضع « عَدَلَ » ؛ فالفعل منه رباعى ، كما قال [الله] تعالى : [٥١١] « وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » . وأما قَسَطَ فإنما هو « جازَ » ، كما قال تعالى : « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » . فتمعّجَبَ ، وقال لمن حَضَرَ : إن هذا الكتاب قد قرأه علىَّ من العالم ما لا يحصى كثرة ، ولا أقف على مُنتهى أعدادهم ، وما تنبّه أحدٌ لهذه اللفظة . وفاة بلسان الإنصاف ، وشكرَ بفضلِهِ ، وأبلغَ ببراعة علمه فى تحسين المناقب والأوصاف ، وأورثنى ذلك عنده كرامة [كبيرة] ومبرّه ، ولم^(٣) تزل مستمِرة ، وصنع من المكارم أجزلَ صنيع وأبرّه ؛ رحمه الله من طوّد علم ، وهَضَبَ فضل وحِلَم ، وتغمّده وإيَّانا برحمته ، ونفعه كما نفع^(٤) فى الدنيا والآخرة بعلمه . انتهى .

(١) كذا فى ط ، س ، وفى م : « انصافه بالحق » .

(٢) فى م : « الإمام » .

(٣) فى م : « لم » . مجردة من واو العطف .

(٤) كذا فى ص . وفى ط ، م : « فعل » .

قلت : وقد رأيت نسخةً من الشفا بخط هذا الشيخ عبد الرحمن المذكور ، وحكى هذه المسألة في الطرة^(١) بخطه ، كما نقلته^(٢) حرفا حرفا ، إلا قوله : « المسمّى بالشفا » فإنه لم يقله . وألفيت في آخر هذه النسخة بخط الفقيه محمد بن البردعي المتقدم الذكر ، تلميذ ابن رُشيد الفهرّي ، عند ما ذكر هذه الحكاية ، ما نصه :

التعريف بابن
القصير

وعبد الرحمن هذا هو كاتب هذه النسخة ، وقد عاناها أحسن مُعانة ، إلا الكُرّاسة الأخيرة ، فإنها ليست بخطه ؛ وقد ذكر هذه الحكاية في بعض طُرّره المتياسرة ، حيث وقعت اللفظة المذكورة منه ، وأثبتها هنالك بخطه ، كما أثبت غيرها ، مما يدل على علمه وتفننه في المعارف . وقد سألت عنه شيخنا أبا عبد الله المذكور — يعني ابن رُشيد — فقال لي : لم يُعرّف به أحدٌ من أهل الصّلات . قلت : ولا الملاحى أيضا .

انتهى ما ألفيته بخط ابن البردعي ، وقد نقلت بعضه قبل هذا بأسطر ، وأعدته هنا لارتباط بعضه ببعض ، والله الموفق .

قلت : ما ذكره ابن رُشيد وتلميذه ابن البردعي ، من أن عبد الرحمن المذكور لم يُعرّف به أحدٌ من أهل الصّلات ، قصور واضح . وكذا قول ابن البردعي إن الملاحى لم يذكره ، فقد ذكره الملاحى وأبو جعفر بن الزبير في صلة الصلة ، وكنّاه أبا جعفر ، لا أبا القاسم ، ولا أبا زيد ، كما كنّاه ابن جابر وغيره مما ذكرنا^(٣) .

(١) الطرة : حاشية الكتاب .

(٢) كذا في ط ، م . وفي ص : « نقلتها » .

(٣) هذه العبارة : « وغيره مما ذكرنا » : زيادة عن ص .

ونصُّ ما في صلة ابن الزبير : عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدى^(١) ، من أهل غرناطة ، يكنى أبا جعفر ، ويُعرفُ بابن القصير ، من بيت سُورَى وِجَلالة ؛ رَوَى عن أبيه القاضي أبي الحسن أحمد بن أحمد ، وعن عمه أبي سروان عبد الملك بن أحمد ، وعن أبوي الحسن بن دُزَي وابن الباذش ، وأبي الوليد بن رُشد ، وأبي إسحاق إبراهيم بن رَشِيق الطُّلَيْطَلِي ، نزيل وادي آش ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي الحسن بن موهب ، وأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ، وأبي عبد الله بن أبي الخصال ، وأبي الحسن يونس بن مغيث ، وأبي القاسم بن وَرْد ، وأبي بكر بن مسعود الخُشَنِي ، وأبي القاسم بن بَقِي ، وأبي الفضل عياض بن موسى وغيرهم ، وكان فقيها مشاورا ، رفيع القدر ، جليلا بارع الأدب ، عارفا بالوثيقة ، نقادا لها ، صاحب رواية ودراية ، تَقلب ببلاد الأندلس ، وأخذ الناس عنه بِمُرسِيّة وغيرِها ، ورحل إلى مدينة فاس ، فأخذ الناسُ عنه [بها] ، ثم رحل إلى إفريقيّة ، وولى قضاء تَقْيُوس ، ببلاد الجَرِيد ، بمقربة من تَوَزَّر ، ثم ركب البحر قاصدا الحج ، فمُوتَ في شهيدا في البحر ، قتلته الروم بِمُرسِي تونس ، مع جماعة من المسلمين ، صُبح يوم الأحد ، في العَشر الوَسَط من شهر ربيع الآخر ، سنة ست وسبعين وخمس مئة .

[٥١٣] وله تواليفُ وخطب ورسائل ومقامات ، وجمع مناقب من أذَرَ كهُ من أهل عصره ، واختصر كتاب الحِيل لابن خاقان الأصبهاني ، وغير ذلك ، وألف برنائجاً يضم رواياته . ذكره أبو القاسم بن الملجوم في برنائه ، وروى عنه ، واستوفى خبره ؛ وذكره الملاحى ، وذكره الشيخ في الذيل ، فيمن اسمه أحمد ،

(١) في الديباج لابن فرحون : « عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ، ويعرف بابن القصير » .

وغلطه في ذلك الكنية ، ثم ذكره فيمن اسمه عبد الرحمن ، وظن أنهما رجلا . انتهى كلام صاحب الصلة .

قلت : وأعلّ الحامل لابن رُشيد وتلميذه على هذا القصور ، اعتمادها على الكنية ، التي هي أبو زيد وأبو القاسم ، كما سبق ، وقد عرفت أن صاحب الصلة قد كناه بأبي جعفر فقط ، فلعلهما لم يقفا على ما ذكرناه من التعريف به أصلا ، أو وقفا على أوله ، حين رأيا صاحب الصلة كناه بأبي جعفر ، ظنا أنه غيره ، ولم يُمعنا النظر في الترجمة إلى آخرها . وإلى الله مرجع العلم . ثم إن الغلط في أمره وقع قبلهما لصاحب الذيل ، كما قاله ابن الزبير . والله سبحانه أعلم بالصواب .

[قلت] : وقد ذكرتُ في هذا الموضوع بعضَ فوائد عبد الرحمن المذكور ، المكتوبة بهامش الشفا ، الذي بخطه ، فراجعته في ترجمة [تأليف] عياض ، عند ذكر كتاب الشفا .

وقال الفقيه الأجل ، الراوية العدل ، الزاهد الصالح ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال رحمه الله ، في ذكر القاضي أبي الفضل عياض في صلته ، ما نصه :

لابن بشكوال
في عياض

عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، من أهل سبته ، يُكنى أبا الفضل ، قديم الأندلس طالبا للعلم ، وأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين ، وأبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج ، وعن شيخنا أبي محمد بن [٥١٤] عتاب ، وغيرهم ، وأجاز له أبو علي الفسّاني ما رواه ، وأخذ بالمشرق^(١) عن القاضي أبي علي حسين بن محمد الصّدقي كثيرا ، وعن غيره ، وعن بلقاء الشيوخ ، والأخذ

(١) يريد بالمشرق هنا : « شرق الأندلس » .

عنهم ، وجمع من الحديث كثيرا ، وله عنايةٌ كبيرةٌ به ، واهتمامٌ بجمعه وتقييمه ، وهو من أهل التفنن في العلم ، والدكاء واليقظة والفهم ؛ واستقصى ببلده مدة طويلة ، فجمدت سيرته فيها ، ثم نُقلَ عنها إلى قضاء غرناطة ، فلم يطل أمده بها ، وقدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة ، وأخذنا عنه بعض ما عنده . وسمعته يقول : سمعت القاضي أبا علي حسين بن محمد الصدقي يقول : سمعت الإمام أبا محمد التيمي ببغداد يقول : ما لكم تأخذون العلم عتاً ، وتستفيدونه منا ، ثم لا تترحمون علينا ! فرحم الله جميع من أخذنا عنه ، من شيوخنا وغيرهم .

ثم كتب [إلى] القاضي أبو الفضل بخطه ، فذكر أنه وُلِدَ في منتصف شعبان من سنة [ست] وسبعين وأربع مئة ؛ وتوفي رحمه الله بمرأ كش ، مغرباً عن وطنه ، وسُط سنة أربع وأربعين وخمس مئة . انتهى كلام ابن بشكوال في الصلة ؛ وذكرته كله وإن كان بعضه قد تقدم ما يُغني عنه ، وبعضه يأتي ، لأنه كلامٌ ارتبط بعضه ببعض .

ورأيت في كتاب « المَرْقَبَةُ العُلَيَا ، في الأقضية ^(١) » للقاضي الخطيب للنباهي في عياض أبي الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي الغرناطي ، رحمه الله ، بعد أن ذكر كلام صاحب الصلة السابق ، ما نصه :

قلت : وسكن القاضي أبو الفضل هذا بمالقة مدة ، وتموّل بها أملاكاً ، وأصله من مدينة بسطة ، ذكر ذلك حفيده ، في الجزء الذي صنّفه في التعريف [٥١هـ] به وبتواليه ، وبعض أخباره وخطبه ، تَعَمَّدَ الله وإيانا برحمته ، انتهى .

(١) تقدم اسم هذا الكتاب في الجزء الثاني (ص ٧ من هذه الطبعة) « المَرْقَبَةُ العُلَيَا ، في مسائل القضاء والفتيا » .

لابن خافان في
عباض

وقال صاحب المطمح والقلائد في وصف القاضي عياض ما نصه :

« جاء على قدر ، وسبق إلى نيل المعالي وابتدّر ، فاستيقظ لها والناسُ
نِيام ، وورد ماءها وهم حِيام ؛ وجَلّى من المعارف ما أشكل ، وأقدم على ما أُخْجِمَ
عنه سواء ونكل ، فتحلّت به للعلوم نُحُور ، وتجلّت له منها حُور ، « كَانَهُنَّ
الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ » ، « لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ » قد أَلْحَفَتْهُ
الأصالة رداءها ، وسَمَتَهُ أُنْدَاءُهَا ، وألَقَتْ إليه الرياسة مَقَالِيدَهَا ، ومَلَكَته
طَرِيفُهَا وتَلِيدُهَا ، فبَذَلَ على فِتَائِهِ الكُهُول ، سُكُونًا وحِلْمًا ، وسَبَقَهُمْ معرفة
وعِلْمًا ، وأزْرَتْ مُحَاسِنَهُ بالبدر اللَّيْلِيَّاح ، وسَرَتْ فضائله مَسْرَى الرِّيَّاح ، فَنَشَوَتْ
لُعْلَاهُ الأَقْطَار ، ووَكَّفَتْ تحكّمي نَدَاهُ الأَمْطَار ؛ وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة ،
واختصاصه بهذه الرُّتبة الرفيعة ، يُعْنَى بإقامة أَوْدِ الأَدَب ، وَيَنْسِلُ إليه أَرْبابُهُ
من كل حَدَبٍ » .

قال ابن جابر : هكذا وصفه صاحب المطمح . انتهى .

تعقيب لابن جابر
على كلام ابن
خافان

وهذا يدل على أن [بعض] ألقاظ المطمح [كألقاظ القلائد ، لأن هذا
الذي نقله ابن جابر عن المطمح] ، هو بعينه في قلائد العقيان ، وزاد بعد قوله :
« من كل حَدَبٍ » ما نصه : [إلى] سكون ووقار كما رَسَا الطَّوْد ، وجمال
مجلس كما حَلِمَتِ الخَوْد ؛ وعَفَافٍ وَصَوْنٍ ، ما علما فسادا بعد السكون ؛ وبهاء ،
لورائه الشمس ما باهت بأضواء ؛ وخَفَرٍ ، لو كان للصبح ما لاح وأنسفر . انتهى .
وقد رأيت بعض أوراق من المطمح ، بخزانة الكتب من الجامع الأعظم
بتهلستان ، حرسها الله ، أعني الخزانة الوُسْطَى ، التي فوق محراب الصَّحْن ،
وهي التي يجلس^(١) بها الأشراف ، أحفاد الشيخ الإمام ، عَلم الأعلام ، [٥١٦]

تعقيب للمؤلف
على المطمح
ومؤلفه

سیدی اَبی عبد الله الشریف التلمسانی ، رحمه الله ، شارح مُجمل الخُونَجی ،
وصاحب التالیف الشهیره ، المبرّز علی علماء المعقول والمنقول ، وعادة هؤلاء
الأشراف أن یجلسوا بها یوم الجمعة ، بعد الصلاة وقبلها ، فوجدت ألفاظه — أعنی
المطمح — كألفاظ القلائد ، من غیر فرق ، غیر أنه فی المطمح ذکّر رجلا لم
یذکّرهم فی القلائد ، فظهر من مقتضى ذلك أن المطمح إنما زاد علی القلائد فی
الرجال ، [وأما] ما اتفقا علیه فلفظهما فیهِ واحد .

وذكر غیر واحد من الأئمة أن المَطْمَح ثلاثُ نسخ : کبری ، ووُسْطی ،
وصُغْری . وأصل تسميته : «مطمح الأنفس ، ومُسْرَح التَّائُس» ^(١) فی ذکر أعیان
الأندلس ^(١) .

ولعلنا نذكر فیما یأتی من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، التعریف
بصاحب المطمح والقلائد المذكور ، وهو الفتح بن عبید الله ، السکاتب المعروف
بابن خاقان ، فی موضع هو أنسب من هذا ، والله سبحانه المستعان ، نسأله سبحانه
أن یبسّر علینا کل مرام ، ویتممّذ بالعفو ما ارتکبنا ^(٢) من إصرار وإجرام ^(٣) ،
بجاه أشرف الخلق ، ووسیلتهم إلی الحق ، سیدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم ، علیه من الله أفضلُ صلواته ، وأزکی سلامه ، وعلی جمیع إخوانه
المرسلین والنبیئین ، وعلی آله ، وأصحابه ، وأشیاعه ^(٤) ، وأنصاره ، وأزواجه ،
وذریته ، وذوی محبته ، وأهل بیته الطاهرین ^(٥) .

وكان القاضی أبو الفضل عیاض — رحمه الله — حسنَ الإلقاء للمسائل ،

(١ — ١) فی ابن خلیکان والنسخة المطبوعة فی مصر : « فی ملح أهل الأندلس » .

(٢) فی م : « ویتممّذنا بالعفو عما اقترناه » .

(٣) فی م ، ص : « واجترام » .

(٤) کذا فی ط ، ص . وفی م : « وأتباعه » .

(٥) فی ط : « الطاهر » .

كثير التحرير للنقول^(١) ، وقد انتفع به من العلماء من^(٢) لا يحصى ، كأبي زيد عبد الرحمن بن القصير ، المتقدم الذكر .

ومن أخذ عنه ورَوَى عنه القاضي الشهير أبو جعفر ، أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي رحمه الله ، وقد قدّمنا أنه لقيه بالمرية .

[٥١٧]

وقاره وسمته وكان القاضي أبو الفضل رحمه الله وقورا ، ذاسمت حسن ، وهدي مُستحسن ، وربما تقع منه دُعاة ، كما تصدر من الفضلاء أمثاله .
ومن دعابته ما حكاه ولده ، قال :

قال بعض أصحابنا : صنعت أبياتا تغزلت فيها ، والتفتُ إلى أبيك رضى الله عنه ، ثم اجتمع بي ، فاستنشدني إياها ، فوجت ، فعزم عليّ ، فأنشدته :
أيا مُكثِرًا صدّي ولم آتِ جفوةً وما أنا عن فعل الجفاء براضي
سأشكو الذي تولى من سوء عشرة إلى حكم^(٣) الدنيا وأعدل قاضي
ولا حكمٌ بيني وبينك أرتضى قضاياه في الدنيا سوى ابن عياض
قال : فلما فرغت حسن وقال : ومتى عرفتنى قواديا فلان ، على طريق المداعبة ، رحمه الله ، ورضى عنه وأرضاه .

وعنايته بالتقييد وكان القاضي أبو الفضل رحمه الله كثير الاعتناء بالتقييد والتحصيل .

قال ابن خاتمة : كان لا يُبلغ شأوه ، ولا يُدرك مداه ، في العناية بصناعة الحديث ، وتقييد الآثار ، وخدمة العلم ، مع حسن التفنن^(٤) فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيه ، إلى اضطلاع بالآداب ، وتحقيقه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة والعربية .

(١) في م ، م : « للنقول » . (٢) في ط ، م : « ما » .

(٣) في ط ، م : « أحكم » . (٤) كذا في ط ، م . وفي م : « اليقين » .

وبالجملة فكان جمال العصر ، ومفخر الأفق ، وينبوع المعرفة ، ومعدن الإفادة ، وإذا عُدَّت رجالات المغرب ، فضلا عن الأندلس ، حُسِبَ فيهم صدرا . انتهى . وإنما يَعْرِفُ الفضل لأهل الفضل [ذووه] أهل الفضل .

تعظيمه للسنة

وكان رحمه الله مُعَظِّمًا لِلشَّئَةِ ، عالما عاملا ، خاشعا قانتا ، قوالا للحق ، لا يخاف في الله تعالى لومة لأثم . وكان رحمه الله معتنيا بضبط الألفاظ النبوية [٥١٨] على اختلاف طرقها ، وكتابه « المشارق » أَرْكَى شاهد على ذلك ، ولقد كان بعض من لقيته من صالحاء عصرنا وعلمائه يقول : لا أحتاج في كتب الحديث إلا للمشارق ، فإذا كان عندي ، فلا أبالي بما فقدت منها ، أو كلاما هذا معناه . وسنذكر إن شاء الله تعالى بعض ما قيل في كتاب المشارق ، في محله من هذا الموضوع .

ذكاؤه ومواهبه

وكان رحمه الله حاضرَ الجواب ، حادَّ الذهن ، متوقِّدَ الذكاء ، جامعا للفنون ، آخذا منها بالخط الأوفر .

حسن خطه

وكان القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله بارع الخط المغربي ، وقد وقفت على خطه رحمه الله ، فرأيت خطا رائقا ، وكان سريع الوضع ؛ ويدل على ذلك كثرة أوضاعه ، وكتب مع ذلك كتباً كثيرة بيده .

حسن عبارته

وكان رحمه الله حسنَ العبارة ، لطيفَ الإشارة ، وتأليفه شهادة بذلك ، وله في الفقه المالكي " اليد الطولى ، وعليه المعول في حل ألفاظ « المدونة » ، وضبط مشكلاتها ، وتحرير رواياتها ، وتسمية رواتها . وتحقيق ذلك أنه جمع بين شرح المعاني وإيضاحها ، وضبط الألفاظ ، وذكر من رواها من الحفاظ .

[صناعة التأليف بالمغرب]

ولقد وقفت في بعض التعاليق لأجد المتأخرين على كلام في صناعة

التأليف ، رأيت أن^(١) أجلبه جميعه ، لما فيه من ذكر بلاغة القاضي عياض ، ونصه :

لتدريس المدونة
اصطلاحان

وقد كان للقدماء ، رضى الله عنهم ، في تدريس المدونة اصطلاحان : اصطلاح عراقي ، واصطلاح قرّوى . فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدونة كالأساس ، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس ، ولم يعرّجوا على الكتاب بتصحيح الروايات ، ومناقشة الألفاظ ، ودأبهم [٥١٩] القصد إلى أفراد المسائل ، وتحرير الدلائل ، على رسم الجدليين ، وأهل النظر من الأصوليين . وأما الاصطلاح القرّوى فهو البحث عن ألفاظ الكتاب ، وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب ، وتصحيح الروايات ، وبيان وجوه الاحتمالات ، والتنبيه على مافي الكلام من اضطراب الجواب ، واختلاف المقالات ، مع ما أنضاف إلى ذلك من تتبع الآثار ، وترتيب أساليب الأخبار ، وضبط الحروف ، على حسب ما وقع في السماع ، وافق ذلك عوامل الاعراب أو خالفها . فهذه كانت سيرة القوم رضوان الله عليهم ، إلى أن عمّ التكاسل ، وصار رسم العلم كالمساحل . ويحقق ما قلناه تصرف التونسي^(٢) في تعاليقه اللطيفة المنزّعة ، واللخمى^(٣) في تبصرته البارة الختام والمطلع ، إلى غير ذلك من تأليف القرّوين وتعاليق المحققين ، من شيوخ الإفريقيين .

وقد سلك القاضي عياض في تنبيهاته مسلكا جمع فيه بين الطريقتين

فضل عياض
في التأليف

(١) في م : « وأنا » بدل : « رأيت أن » .

(٢) هو أبو القاسم بن حمز القيروانى ، كان فقيها نظارا وله تعليق على المدونة . توفي في الخمسين والأربع مئة (انظر مقدمة ابن خلدون في الكلام على علم الفقه وابن فرحون في الديباج) .

(٣) هو أبو علي الحسن بن محمد اللخمى ، له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة . توفي سنة ثمان وتسعين وأربع مئة (عن الديباج) .

والمذهبيين ، وذلك لقوة عارضته ، نفعه الله بذلك ، وأعاد علينا من بركانه .
انتهى .

موازنة بين
المشاركة
والأندلسيين

وقال في هذا التعليق في موضع آخر ما نصّه :
وأغلبُ تأليف المشاركة الإيجاز ، لتمكن ملكتهم من التصرف ، مثل
كتاب ابن الحاجب ، في فروعه وفي أصوله ، والخونجى في المنطق ، وغيرها ، وإن
كان الغالب على جُلِّ أئمة المشاركة الإطناب ، مثل الغزالي والإمام الفخر وغيرها .
وأما أهل الأندلس فالغالب عليهم فيهِ قِصَّةُ البلاغة ، في حسن رَصْف الكلام
وانتقائه ، مثل عبارة القاضي عياض في تأليفه ، التي لا تسمح القرائح بالإتيان
[٥٢٠] بمثلها ، والنسج على منوالها .

وانتهت صناعة التأليف في علماء المغرب ، على صناعة أهل المشرق ،
لشيخ شيوخ العلماء في وقته ، ابن البناء الأزدي المراكشي^(١) ، في جميع
تصانيفه ، أوجب ذلك براءة نسبه من البداوة ، وملكته في التصرف ، التي
هي نتيجة تحصيله .

المتأخرون من
علماء المغرب

ولم يظهر من علماء فاس شيء من التأليف المرتجلة ولا الملمخصة ، إلا ما كان
سبيله النسج بها على ما هي عليه فقط ، كما^(٢) في تأليف المدونة المنسوبة للشيخ
[أبي الحسن^(٣)] ، وهي التي اعتنى بها طلبته ، وبنوها على ما قيّدوا عنه من
فوائد المجلس ، وذلك كله في العشرة الرابعة من المئة الثامنة . ثم تلاهم طلبّة

(١) هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي ، أبو العباس المراكشي ، المشهور بابن البناء .
ولد سنة ٦٥٤ هـ ، وتوفي ببلده سنة ٧٢١ هـ . (عن الديباج لابن فرحون) .

(٢) في الأصول : « لا » ولا يستقيم بها المعنى .

(٣) هو علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصنير (بصيغة التصغير) . توفي
عام ٧١٩ هـ . (عن الديباج) .

الشيخ الجزولي^(١) على الرسالة ، وتعددت تلك التقايد أيضا ، ونُسبت للشيخ ، وإنما له فيها ما قيّد عنه في المجلس . واختلف نظر الشيخين بحسب تعدد السلكات^(٢) ، فقيّد كل طالب ما سمع . فلا يقال في هذه تأليف ، لكونها منسوخة من أما كن معزوة .

موازنة بين
التونسين
والفاسيين

والعلة في ذلك كون صناعة التعليم ، وملكة التلقّي ، لم تبلغ فاسا كما هي بمدينة تونس ، اتصلت إليهم من الإمام المازري^(٣) ، كما تلقّاها عن الشيخ اللخمي ، وتلقّاها اللخمي عن حُذّاق القرويين ، وانتقلت ملكة هذا التعليم إلى الشيخ ابن عبد السلام^(٤) ، مفتى البلاد الإفريقية وأصقاعها ، المشهود له برُتب التبريز والإمامة ؛ واستقرت تلك الملكة في تلميذه ابن عرفة^(٥) رحمه الله ، وفي الشيخ ابن الامام التلمساني^(٦) . ونَجِب من طلبة ابن الإمام تلميذه الإمام أبو عبد الله الشريف^(٧) ، شارح الجُمَل ، وانتهت طريقته لولده أبي يحيى

[٥٢١]

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي صاحب تقايد الرسالة المشهورة ، الفقيه الحافظ . توفي سنة ٧٤١ هـ (عن الابتهاج لأحمد بابا) .

(٢) يراد بالسلكات عند المغاربة : المرات التي يقرئ فيها الشيخ تلاميذه الكتاب ؛ المرة : سلكة .

(٣) هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الصقلي . توفي (سنة ٥٣٦ هـ) عن ثلاث وثمانين سنة .

(٤) هو محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير قاضي الجماعة بتونس ؛ له تقايد ، وشرح مختصر ابن الحاجب شرحا حسنا . ولد سنة ٦٧٦ هـ وتوفي سنة ٧٤٩ هـ . (عن الديباج لابن فرحون) .

(٥) هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي . ولد سنة ٧١٦ هـ . وتوفي سنة ٨٠٣ هـ . وله تقييده الكبير في مذهب مالك في نحو عشرة أسفار .

(٦) للامام أبي زيد محمد بن عبد الله التلمساني ابنان ، هما أبو زيد عبد الرحمن توفي سنة ٧٤٣ هـ ، وأبو موسى عيسى ، توفي سنة ٧٤٩ هـ ، وهو المراد هنا (انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٦) من هذا الجزء .

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني . ولد سنة ٧١٠ هـ وتوفي سنة ٧٧١ هـ .

المفسر العالم . واستقرت أيضا طريقة ابن الإمام ، في تعليمه سعيد بن محمد العُقْباني^(١) ، وانتهى ذلك إلى ولده شيخنا أبي الفضل قاسم العُقْباني^(٢) ، رحمهم الله جميعا .

قال ابن خلدون ، ولمن ذكرنا من أهل المئة الثامنة انتهت طريقة التعليم ، ومَلَكَه التَّلَقُّ . يعنى بذلك الشريف والعُقْباني رحمهما الله ، قال : لكونهما ألفا التصانيف البعيدة ، وزاحما رتبة الاجتهاد من غير منازع .

قلت : وكذلك بلغ رتبة التبريز في تحصيل العلم ، كل واحد من ولديهما ، الفقيه السيد أبو القاسم بن سعيد ، والفقيه الأوحد السيد أبو يحيى الشريف^(٣) ، إذ بلغا درجة الإمامة والفتيا . وأما الإمام ابن عرفة ، فانتفع به جماعة ، فكان أصحابه كأصحاب سُحنون^(٤) : أئمة في كل بلد ، فمنهم أيضا من بلغ درجة التأليف ، ووقع الاتفاق على إمامته ، وتقدمه وسمو رتبته ، كشيخنا الإمام الحافظ المحصل ، أبي القاسم [بن] ^(٥) أحمد البرزلي ، مفتي البلاد الإفريقية ، ومؤلف كتاب الأسئلة الحاوي للنوازل والفتاوى . ومنهم شيخنا الإمام الحافظ المجتهد ، صاحب التصانيف المفيدة ، أبو عبد الله محمد بن مرزوق ، له « المنزاع النبيل ، في شرح مختصر خليل » ، و « شرح التهذيب »^(٦) ، وغير ذلك من المسائل العلمية .

(١) هو سعيد بن محمد بن محمد العُقْباني التلمساني ، ولد سنة ٧٢٠ هـ وتوفي سنة ٨١١ هـ .

(٢) هو قاسم بن سعيد بن محمد توفي سنة ٨٥٤ هـ . يكنى أبا الفضل وأبا القاسم .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني . ولد سنة ٧٥٧ هـ ، وتوفي سنة ٨٢٦ هـ .

(٤) هو عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون ، الفقيه المالكي المشهور . ولد سنة ١٦٠ هـ وتوفي سنة ٢٤٠ هـ . (٥) التكملة عن البستان وتذليل الديباج .

(٦) كتاب « التهذيب » لأبي سعيد البراذعي ، من علماء القيروان ، لخص فيه مختصر المدونة والمختلطة لابن أبي زيد القيرواني ، واعتمده المشيخة من أهل إفريقية ، وأخذوا به ، وتركوا ما سواه . (عن مقدمة ابن خلدون) .

قلت : إنما أقتصرت على ذكر هذين الشيخين الإمامين ، لما لهما على من المشيخة ، ولشهرتهما بالتأليف ، التي تقوم مقام الشاهد لما قلته ، حتى نبعد عن شبهة التعصب .

وأما من نجب من تلامذة شيخ شيوخنا ابن عرفة ، وتمكن من ملكة [٥٢٢] التعليم ، فخلق بطول عددهم^(١) ، فمنهم من أدركناه ، وأخذنا عنه ، وأجازنا مروياته ؛ و [منهم] من لم ندركه ، نفع الله بجمعهم ، وأعاد علينا من بركاتهم . قلت : هنا انتهت ملكة الفقه من علماء القيروان عن المازري ، إلى من ذكرنا ، ثم إلى من لقينا .

وأما ملكة العلوم النظرية ، فهي قاصرة على البلاد المشرقية ، ولا عناية لحدائق القرويين والإفرقيين إلا بتحقيق الفقه فقط . ولم يزل الحال كذلك إلى أن رحل الفقيه ابن زيتون^(٢) إلى المشرق ، فلقى تلاميذ الفخر بن الخطيب ، ولازمهم زمانا ، حتى تمكن من ملكة التعليم ، وقدم إلى تونس ، فانتفع به أهلها ، وانتهت طريقته النظرية إلى تلميذه ابن عبد السلام المذكور ، واستقل تلميذه ابن عرفة بعده بتلك الطريقة ، وكذلك أبو عيسى^(٣) موسى ابن الإمام التلمساني المذكور ، ولهذا تجد أثر العلوم النظرية بتلمسان .

ضعف العلوم
لنظرية بالمغرب

قال الإمام ابن خلدون وغيره من أئمة التاريخ .
لم نشاهد في المئة الثامنة من سلك طريق النظائر بفاس ، بل [في] جميع هذه الأقطار ، لأجل انقطاع ملكة التعليم عنهم ، ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة ،

(١) في م : « عزوم » .

(٢) هو أبو القاسم القاسم بن أبي بكر الشهير بابن زيتون ، الفقيه التونسي ولد سنة ٦٦٦ ، وتوفي سنة ٧٣٠ هـ .

(٣) في الأصول هنا وفيما سيأتي : « أبو عمران موسى » ، وهو تحريف (انظر الديباج ، ونيل الابتهاج ، والبستان) .

بل قُصِرَتْ همهم على طريق تحصيل القرآن ، ودرس « التهذيب » فقط . نعم أخذوا شيئاً من مبادئ العربية من أهل الأندلس ، القادمين عليهم من سبّية وغيرها ، باستدعاء ملوك بني مرّين . قال : ولهذا لم يتصدر من الفاسيين من يُقَرى « الكتاب »^(١) كما هو مُتداول بين أهل الأندلس ، مثل ابن أبي الربيع والشّلوّيين وغيرها ، لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس ، بسبب رحلة علمائهم إلى تلقّيه من أربابه بالشرق ، كما ارتحل أعلامهم إلى بغداد في تحصيل الفقه عن الأبهري^(٢) ، وكذا يحيى بن يحيى عن مالك ، وغير واحد ؛ وكذلك علوم الحديث وغيره . كرحلة الإمام الحافظ أبي بكر بن العربي .

ولما كمل غرض أبي عنان ، كبير [ملوك] بني مرّين ، من بناء مدرسته المتوكّلية بفاس ، وكان بعيد الصّيت في علوّ الهمة ، قال انظروا من يُقَرى بها الفقه ، فوقع الاختيار على الشيخ الصّرّصريّ الحافظ ؛ ولما جلس بها واتسع صيته ، وجّه إليه أبو عنان المذكور من يسأله في^(٣) مسائل « التهذيب » ، التي انفرد بإتقانها وحفظها ، وطالبه بتحقيق ذلك وإتقانه ، وحسُن تلقّيه ، ولا أدري المنتخب له : هل هو أبو عيسى موسى ابن الإمام المذكور آنفاً ، أم السيد الشريف أبو عبد الله شارح « الجمل » ، المتقدّم الذّكر ، أو هما معا ، فطالبا به بتحقيق ما أوردّه من المسائل عن ظهر قلب ، على المشهور من حفظه ، فانقطع انقطاعاً فاحشاً ؛ ولما أخبره ذلك نزل عن^(٤) كرسيّه ، وانصرف كئيباً ، في

(١) يريد كتاب سيبويه في النحو .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري ، صاحب التصانيف في شرح مذهب مالك والاحتجاج له والرد على من خلفه ، سكن بغداد وحدث بها عن جماعة ، وتوفى بها سنة ٣٩٥ هـ .

(٣) كذا في م ، س . وفي ط : « عن » .

(٤) كذا في م . وفي ط ، س : « من » .

غاية القبض ، ولما اشتهر ذلك عنه ، وجّه إليه أبو عِنان الملكُ المتقدم الذكر ، فلما مثل بين يديه آنسه وسكّنه ، ثم قال له : أنا أمرت بذلك ، كي تعلم ما عندك من العلم ، وما عند الناس ، وتعلم أن دار الغرب هي كعبة كل قاصد ، فلا يجب أن تتشكل على حفظك ، وتقتصر على ما حصل عندك ، ولا يمنعك ما أنت فيه من التصدّي ، عن ملاقة من يرِد من العلماء ، والتنزّل للأخذ عنهم ، ولا يقدح ذلك في رُبّتك عندنا ، إن شاء الله .

لخصت هذه الحكاية من تاريخ القيسيّ ، فانظرها .

قلت : وعكس هذا وقع لفقهاء فاس في أواسط المئة الثامنة ، لما شرّق السلطان أبو الحسن رحمه الله ، وانتهت به درجة الاستبداد والاستقلال ببلاد إفريقية ، فظهر فقهاء المغرب ممن صحبه ، على فقهاء تونس ، لحفظهم كتاب « التهذيب » عن ظهر قلب ، وزعيم فقهاء المغرب حينئذ الرجل الصالح ، أبو عبد الله السّطّي رحمه الله ، ونفع به ، إلى أن جاءت نوبة الشيخ ابن عبد السلام ، وعقد مجلسه بحضور السلطان المذكور ، ومن معه من الفقهاء والنحاة والكتّاب والرؤساء ، وتوجّهت مطالبة فقهاء المغرب له ، فكان رحمه الله على ما وصفه به من أرّخ الواقع ، كأنه بحر تلاطمت أمواجه ، فكان يقطعهم واحدا بعد آخر ^(١) ، وتلميذه ابن عرفة كذلك ، إلى أن قال وليّ الله المنصف ^(٢) ، أبو عبد الله السّطّي للسلطان : يا عليّ ، كذا يكون التحصيل ، وكذا يُقرأ الفقه ، ولو لم يكن بتونس إلا هذا الإمام لكان بها ^(٣) كل خير ! فلا بدّ من ملازمة هذا لهذا المجلس ، حتى ينتفع به أصحابنا ، وننتفع بطريقه . وذلك هو السبب في التنويه بالشيخ ابن عبد السلام رحمه الله ، على أنه كانت رغبته فيما عند الله إلى أن مات .

بين علماء
فاس وتونس

(١) في ص : « واحدا بعد واحد » .

(٢) كذا في ص ، وفي سائر الأصول : « المنصف » . (٣) في ص : « لها » .

تنشيط الشيخ
تلامذته
بالحكايات

قلت : وإنما ذكرت هذه القضايا تنشيطاً للناظر ، وتحميضا للذاكر ، ولم
نزل نسمع من أئمتنا ومن ذكركنا ، في مجالس دروسهم ، ما يشبه ما ذكرناه من
آثار السلف ، لما في ذلك من تقوية باعث الطالب على كيفية التحصيل والدرك ،
والجد في إدراك أسبابه ، وأخذ العلم من أربابه ، والولوج إليه من بابه .
وكان الإمام المازري رحمه الله كثير الحكايات في المجلس ، ويقول :
هي جند من جنود الله ، حتى كان لا يُخْلِي^(١) مجلسه منها .

دفع القصور عن
بعض علماء
المغرب
وتلامذتهم

تبيين : إياك أن تظن القصور بمن تصدّي للتعقيد على « التهذيب » ، من
طلبة الشيخ أبي الحسن ، وكذا من تلامه من طلبة الشيخ أبي زيد عبد الرحمن
الجزولي ، ويقرّع سمعك ما أفتى به الشيوخ ، ومن له في العلم الرسوخ ، أن
تقايد « التهذيب » و « الرسالة » لا يعوّل عليها في الإقراء ، ولا يؤثّق بشيء
منها في الفتيا ؛ وأن من عوّل عليها في الإقراء يرد المرتب^(٢) .

فاعلم شرح الله صدرك ، أن القوم كانوا أهل صلاح وورع ، وجدّ في طلب
الفقه ، وإفراط حرص ومثابرة على درس « التهذيب » ، وحفظ ما تعلّق به من
النصوص فقط ، فبنى كل واحد في تقييده على ما سمعه من الشيخ ، ماناسب
اجتهاده ونظره ، من تقايد الفقهاء ، مثل ابن يونس ، والأخمي ، والتنبيهات ، وابن
رُشيد ، واختلف رأيهم في ذلك ، فمنهم الموجز ، ومنهم المُطنّب ؛ وباب الفتيا
باب احتياط ، فلا بد للعفتي من مباشرة الكتب المروية^(٣) ، والأمهات الأصلية ،
ولا ينبغي له الاقتصار على الواسطة ، إذ لا يؤمن من خلل أو تصحيف ، لفقده

(١) في ط ، ص : « لا يخلو » .

(٢) كذا في ط ، ص . وفي م : « يرد الرب » ، وفي كلتا الروايتين غموض .

(٣) في ص : « المدونة » .

ملكة التأليف ، وإنما الغالب على طباعهم تغفل البداوة ، فقدح^(١) ذلك في صناعة التصنيف ، وكيفية التأليف ، والقوم أهل دين متين كما وصفنا ، فلا يقدر ذلك في مراتبهم ، ولا يتعلم مناصبهم .

ووجه ثام : ذكر أهل الأصول في باب الاجتهاد [أن] مجهول الحال لا تقبل فتياه كالراوى ، وإن أصاب كل واحد ؛ ولا يخفى عليك وقوع مثل هذا لأصحاب تلك التقاييد .

ووجه ثالث : مَبْنَى ما أفتى به العلماء من عدم التعويل على شيء منها في [٥٢٦] الإقراء والفتيا ، هو والله أعلم ، لما اشتملت عليه من ذكر الشيء وضده ، على أسلوب واحد ، وقد وقفت على ذلك في جُل تلك التقاييد ، وهو أن المقيّد يجمع للخلاف المذهبي ما ليس فيه ، بل هو خارج المذهب ، وقد وقع ذلك في مواضع غير واحدة من تلك التقاييد ، كما نقل بعضهم الخلاف في التنقل في الصحراء قبل صلاة العيد ، وليس كذلك ، بل الخلاف فيما إذا صَلَّيت في المسجد ، وأما في الصحراء فلم يقل به إلا الشافعي . ومثل ذلك ما وقفت عليه في حكم السواك ، قال المقيّد على كلام الشيخ في باب جُمْل من الفرائض : اختلف في حكم السواك على قولين : فقل إنه واجب ، وقيل سنة ؛ فأنت ترى هذا الخلاف ، ولم يقل بوجوده إلا أهل الظاهر ، عملاً بصيغة ظاهر الحديث الوارد في ذلك . وكذلك وقفت على الخلاف في غُسل الجمعة ، فقال المقيّد : اختلف فيه : فقل فرض ، وقيل سنة . وقد علمت أيضاً قول أهل الظاهر بوجوده ، عملاً بظاهر الحديث . وكذا الغُسل : هل هو للجمعة أو لليوم ؟ فقال المقيّد : اختلف في ذلك على قولين ؛ وقد علمت قول أهل الظاهر ، وأنه لليوم ، حتى لو اغتسل بعد الصلاة لأجزأه .

(١) كذا في ص ، م . وفي ط : « ولا يقدر » .

وكذا وقفت على القول ببطلان صلاة من أسقط الخُشوع من صلاته ، على القول بفرضيته ، ولم يقل بذلك إلا أهلُ التصوف . وكذا القول بوجوب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل ، وقد علمت نصوص أهل المذهب في هذه المسائل . ومن هذا في تلك التقاييد ما لا يحصى كثرة لمن تأملها ؛ وفيما ذكرنا كفاية ، فلعل هذا هو سبب نقد^(١) العلماء في مجموع تلك التقاييد . والله أعلم .

[٥٢٧]

تنبيه : احذر أيها الناظر ، شرح الله صدرى وصدرك ، أن يقع في نفسك أن عجز هؤلاء السادات عن صناعة التأليف ، والحِذْق في التصنيف ، وعدم الاقتدار ، على الترجيح والاختيار ، وعدم القيام بمواد مدارك المحققين والنظار ، يوجب قدحا في مناصبهم ، أو وضا في مراتبهم ، فتكون ممن أساء الظن بالسلف ، وعرض نفسه إلى الهوى في مهاوى التلف ، بل أوجب ذلك ما أصلناه وقدمناه ، من أن القوم كانوا أهل عمل ودين متين ، وجري على سنن السلف الأقدمين الصالحين العاملين ، فشغلهم ما أخذوا فيه من كد العمل ، وإثقال التقلل والمجاهدة ، وتجرى الحلال ، والزهد والإفلال ، عن تتبع مواد التحقيق ، إلى فقد الملكة النظرية من هذا القطر ، وانقراضها منه منذ زمان إلى عصرنا هذا ؛ وما حكوه من عدم الترتيب ، وقلة العزو الأقوال ، حال من صرف عنايته لتقييد العلم من حيث هو ، ولم يتكلف ذكر مشهور ، ولا ما عليه الجهور ، أو يكون اعتمد في تقييد ما قيد على ما سمع من الشيخ في السلكات ، فيعذر على هذا ولا يُفند . والتقييد المعزو للشيخ أبي الحسن أقل تكلفا لا محالة ، إلا أنه لا يخفى ما فيه من ضعف الاختيار ، عند التحقيق والاستبصار .

أعاد الله علينا من بركاتهم ، ونفعنا بهم .

(١) كذا في ط ، ص . وفي م : « تقييد » .

وما ذكرته في هذا الأستطراد مَسَّت الحاجةُ إليه ، كما مَسَّت حاجةُ أئمة الحديث ، على جلالتهُم ووَزعهم ، إلى تَبَيُّن الضعيف والمُجَرَّح ، وتَدْوِين أخبار الضُعفاء ، ومن نُسِب إليهم وَهم أو تدليس أو وَهَن ، وهذا لَوْلا مَسِيس الحاجة ، لم يَنْبَغ أن يُلْتَفِت إليه ، والله الموفق بفضله .

ثم قال هذا العالم في موضع آخر :

تَبَيُّن : ولا يُعْتَرَض على ما وقع للشيخ ، من الحكاية التي حدثنا بها شيخنا الإمام البرزلي رحمه الله ، قال : لما قَدِمَ الفقيه القَبَّاب ، حافظ مدينة فاس ، وزعيم فقهاءها في عصره ، يريد أداء فريضة الحج ، فاجتاز بحضرة تونس ، فحضر مجاس شيخنا ابن عرفة ، هو وَمَنْ كان معه من الفقهاء ، فاستطرد الشيخ رحمه الله الكلام إلى أن قال : وكثيرا ما نجد في تقييد الشيخ أبي الحسن : « يؤخذ من هذه المسألة » ، فلا أدري صورة ذلك الأخذ ما هو ؟ هل هو من طريق الأستقراء ، أو الاستنباط ، أو القياس ، أو المفهوم ؛ وكلُّ قسم من هذه الأقسام يَفْتَقِر إلى شرط ، ولا شيء من ذلك ؟ فقال القَبَّاب لأصحابه بعد انصرافهم : علمتم ما تحصّل بأيدينا من الفقه ، وصحَّ عندكم أن الملكة التامة في التحصيل والتصرف ، إنما هي في قُوَى أهل تونس ومن يليهم من أهل المشرق ، وأن قصارى ما عندنا وعند مشايخنا إنما هو حِفْظ النصوص ، وإبقاؤها^(١) على ما هي عليه ، وأن ملكة القرويين انتقلت إلى الإفريقيين .

فهذا الواقع من الشيخ ، ليس هو بالمعارض لما وقع في جوابه ، من اعتبار المفهوم ، وإنما هو بحث في شرط المفهوم ، وكيفية الاستنباط خاصة ، فاعلم ذلك .

تَبَيُّن : لا يقع في ذهنك قصورُ الشيخ في قوله : « يؤخذ من هذه المسألة » ، وأنه خَفِيَ عليه كيفية الأخذ . فاعلم ، أرشدك الله ، أن الشيخ أبا الحسن ، كان إمام

لكة العلم في
محل تونس

ة الشيخ أبي
سن في العلم

وقته في فقه المدونة ، وهو المستقل برياستها بعد شيخه الفقيه راشد ، ما أخذ عنه حتى ظهرت على يديه الكرامات الخارقة ، في شفاء أصحاب العِلل المزمنة وغير ذلك ، ولم ينظر في الفقه حتى أتقن علم الفرائض ، وفنون البلاغة ، وتلقى ذلك من أربابه ، وارتحل ، وانتقل إلى تازا ، فلابزم أهل اللسان ، وفُرسان المعارف وقتاً طويلاً ، ثم اعتكف على قراءة « التهذيب » ، ولازم الفقيه راشداً ، [٥٢٩] واقتصر عليه ، وكان الفقيه راشد لا يُنفذ بمدينة فاس حُكماً ، ولا جواباً في نازلة ، حتى يُحضّره ، ويعتني به ، فلم تُخطِ فراسته فيه ؛ وكان لا يحجّر عليه في القراءة ، بل يقرأ من « التهذيب » من أى مكان شاء ، وقد صدقت فراسته فيه ، فكان في ميزان حسناته يوم القيامة .

واستيفاء التعريف بالشيخ ، وذكر محنته بالقضاء ، وسبب عزله ، وذكر وفاته ، يخرجنا عن الاختصار .

انتهى ما مَسَّت الحاجة إليه من كلام هذا المتأخر ؛ ونقلت أكثره بلفظه ، تبرّكاً بعبارة ، التي تلوح عليها أمارات الصالحين ، وبالله التوفيق .

ولنذكر كلاماً من هذا المعنى ، فنقول :

قال الإمام أبو عبد الله الأبي رحمه الله تعالى في شرح مُسلم ، عند كلامه على قوله صلى الله عليه وسلم : « أَوْ عَلِمَ يُنْتَفِعَ بِهِ بَعْدَهُ » :

كان شيخنا أبو عبد الله ابن عرفة يقول : إنما تدخل التواليف في ذلك إذا اشتملت على فائدة زائدة ، وإلا فذلك تخسير للكاعد . ونعني بالفائدة الزائدة على ما في الكتب السابقة عليه ، وأما إذا لم يشتمل التأليف إلا على نقل ما في الكتب المتقدمة ، فهو الذي قال فيه : إنه تخسير للكاعد ، وهكذا كان يقول في مجالس التدريس ، وإنه إذا لم يكن في مجلس التدريس التقاط

زائدة من الشيخ ، فلا فائدة في حضور مجلسه ، بل الأولى لمن حصلت له معرفة بالاصطلاح ، والقدرة على فهم ما في الكتب ، أن ينقطع لنفسه ، ويلزم النظر ؛ انتهى .

ونظم في ذلك أبياتا ، وهي :

إذا لم يكن في مجلس الدرس نُكْتَةٌ بتقرير إيضاحٍ لمشكل صورة
وعزو غريب النقل أو حلّ مُقْفَلٍ أو أشكالٍ أبدته نتيجة فكرة [٥٣٠]
فدع سَعْيَهُ وانظر لنفسك واجتهد ولا تتركْ فالتَّركُ أقبحُ خَلَّةٍ

وكنت قلت في جواب أبياته هذه :

يَمِينًا بَمِنْ أَوْلَاكَ أَرْفَعُ رَتَبَهُ وزان بك الدنيا بأحسن زينة
لِمَجْلِسِكَ الْأَحْظَى الْكَفِيلُ بِكُلِّ مَا على حُسْنِ ما عنه المحاسنُ جَلَّتْ
فَأَبْقَاكَ مَنْ رَقَّكَ لِلنَّاسِ رَحْمَةً وللدن سَيْفًا قَاطِعًا كُلَّ بَدْعَةٍ

وإني في قَسَمِي هذا لَبَّازٌ ، فلقد كنت أَقْيَدُ من زوائد إلقائه ، وفوائد إقراءه ، على الدُّوَلِ الخمس ، التي كانت تُقْرَأُ بمجلسه ، وهي : التفسير ، والحديث ، والدُّوَلِ الثلاث التي بالتهذيب ، نحو الرَّقَّتَيْنِ كل يوم ، مما ليس في كتاب ، فاللهُ المسئول أن يُقَدِّسَ رُوحَهُ ، فلقد كان الغاية ، وشاهد ذلك ما اشتملت عليه تواليفه من ذلك ، وناهيك بمختصره في الفقه ، الذي ما وُضِعَ في الإسلام مثله ، لضبطه فيه المذهب : مسائل وأقوالا ، مع الزيادة المسكَّلة ، والتنبيه على المواضع المشكِلة ، وتعريف الحقائق الشرعية . انتهى كلام الأبي .

ورأيت بخط بعض الأكابر ما نصّه : المقصود بالتأليف سبعة : شيء لم يسبق إليه فيؤلف ، أو شيء ألف ناقصا فيُكَمَّلُ ، أو خطأ فيُصَحَّحُ ، أو

مُشْكِلٌ فَيُشْرَحُ ، أَوْ مُطَوَّلٌ فَيُخْتَصَرُ ، أَوْ مُفْتَرَقٌ فَيُجَمَّعُ ، أَوْ مَنْشُورٌ فَيُرْتَبَ .
وقد نظمها بعضهم فقال :

أَلَا فَاعْلَمَنَّ أَنَّ التَّالِيفَ سَبْعَةٌ لِكُلِّ لَبِيبٍ فِي التَّصْصِيحَةِ خَالِصِ
فَشَرَحْ لِإِغْلَاقٍ وَتَصْحِيحٍ مُخْطِئٍ وَابْدَأْ حَبْرٍ مُقَدِّمٍ غَيْرِ نَاكِصِ
وَتَرْتِيبُ مَنْشُورٍ وَجَمْعُ مُفْتَرَقٍ وَتَقْصِيرُ تَطْوِيلٍ وَتَتِمُّ نَاقِصِ

وَأُفْقِيتَ بِخَطِّ شَيْخِنَا ، الْإِمَامِ الْقَاضِي سَيِّدِي عَبْدِ الْوَاحِدِ الْوَشْشَرِيِّ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، مَا نَصَّهُ : ^(١) أُلْفِيتَ بِخَطِّ وَالِدِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَلَى طُرَّةٍ مِنْ هَذَا
الْحُلِّ ، أَعْنَى كَلَامِ الْأَبِيِّ السَّابِقِ ، مَا نَصَّهُ ^(١) :

قلت : من هنا يُعْلَمُ أَنَّ إِطْلَاقَ اسْمِ الْمُدَرِّسِ عَلَى الْمُقْتَصِرِ عَلَى نَقْلِ تَقَايِيدِ
الرِّسَالَةِ وَالْمُدَوَّنَةِ ، مِنْ غَيْرِ فَتْشٍ وَلَا تَنْزِيلٍ ، وَلَا كَشْفٍ وَاسْتِظْهَارٍ بِغَيْرِهَا :
بِجَازٍ ، لَا حَقِيقَةَ ؛ وَهَذَا الْوَصْفُ كَادَ أَنْ يَعْصِمَ أَهْلَ الْوَقْتِ أَوْ عَمَّهُمْ ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ
الْعَظِيمُ الْمَغْفِرَةُ مِنَ التَّطَفُّلِ ، وَتَعَاظِي مَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ .

وَقَالَ أَيْضًا : تَأَمَّلْ هَاهُنَا الثَّنَاءَ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَرَفَةَ ، أَسْكَنَهُ اللَّهُ دَارَ السَّلَامِ ، وَعَلَى تَأْلِيفِهِ ، لَا سِيَّامَا مَخْتَصِرَهُ الْفِقْهِيَّ ، الَّذِي
أَعْجَزَ مَعْقُولُهُ وَمَنْقُولُهُ الْفُجُحُولُ ، خِلَافًا لِبَعْضِ الْقَاصِرِينَ مِنْ طَلَبَةِ فَاسٍ ، فَإِنَّهُمْ
يَقُولُونَ : مَا يَقُولُ شَيْئًا ، يُطْفِئُونَ نُورَ اللَّهِ ، وَيَحْتَقِرُونَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ ، وَمُسْتَنْدِهِمْ
فِي ذَلِكَ - بَزْعُهُمْ - حِكَايَةُ تُؤَثِّرُ عَنِ الشَّيْخِ الْحَقِّقِ ، أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَبَّابِ ،
لَا رَأْسَ لَهَا وَلَا ذَنْبَ ، وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا أَرَاهُمْ فِي هَذَا إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتْهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّاقِيمِ

تعليق
للوشرشي على
كلام الأبي

ثناء الأبي على
توآلف أستاذة
ابن عرفة

ولقد حبس ملوك المغرب ، رضوان الله عليهم ، بخزانتى القرويين
والأندلسيين ، من هذا الديوان المبارك نسخا عديدة ، ثم لا يُعْرَجُ عليها للمطالعة
في هذا الوقت أحد من طلبة الحضرة ، شتاء ولا صيفا ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،
بخلاف ما قيّد عن الشيخ الجزولى ، وأبى الحسن الصغير ، فإنك تجدهم
يزدحمون عليها في كل زمان ، وخصوصا فصل الشتاء ، لا يلحق الآخر منها
ورقة واحدة ، مع كثرة عددها بحيث ذكر ، بل تجدهم يتنافسون في اقتنائها ،
بالأثمان العظيمة المُجْحِفَة ، ومن ملك منهم المسبّع من الجزولى ، وتقييد
اليحمدى عن أبى الحسن ، أو حصلت له عناية بنقلها ، فهو عالم العالم [٥٣٢]
بأسره ، وحائز مذهب إمام دار الهجرة على التام ، والقائم بأمره . ولقد كان
الحسن الملبى عندهم في أعلى طبقة من الفقه والتفقه ، لقيامه على مُسَبِّح الجزولى
نقلا ، ولقد شاهدتهم يتساقطون كالفرش ، على نسخة من الجزولى بخزانة
القرويين ، زعموا أنها بخط أبى على الحسن المذكور ، وهى مشحونة بالتصحيح ،
تُعْمَى البصر والبصائر ، نوّر الله قلوبنا بذكره ، وعمر ألسنتنا بشكره ، ووفقنا
لما فيه رضاه عنا .

اتهى ما أُلْفِي بخط الشيخ^(١) سيدى أحمد الونشريشى ، رضى الله عنه .
أقول : ولقد أحسن بعض الأكابر من طلبة ابن عرفة ، رحمه الله تعالى ،
إذ يقول فى مدح مختصره المذكور^(١) :

لبعضهم يمدح
مختصر بن
عرفة فى الفقه

إذا ما شئت أن تُدْعَى إماماً فخذُ فى دَرْسٍ مختصر الإمامِ
تنالُ به السعادةَ والمعالى وتضحى ظاهراً بين الأنامِ

كتابٌ قد حَوَى من كلِّ علمٍ كِبستانٍ سَقَى غِيثَ الغَمامِ
فَدَغَ عَنْكَ السَّامَةَ وَاذْرُسْنَهُ وَعَنْ عَيْنِكَ دَغَ طَيْبِ النَّمَامِ
وَحَلَّ بُدْرَهُ جِيدَ الْمَعَالِي تَفَزُّ بِالْخُلْدِ فِي أَعْلَى مَقَامِ

بين القباب
وابن عرفة

وما أشار إليه الشيخ الونشريسي من قوله : « ومُستندهم في ذلك — بزعمهم — حكايةٌ تُؤَثَّرُ عن القَبَابِ ، لا رأس لها ولا ذَنَب » ، أشار به إلى ما يزعمون عن الشيخ القَبَابِ ، وقد نقلها شيخنا الإمام سيدي أحمد بابا ، أبقاه الله في تكميله لديباج ابن فرحون ، ونصّه :

ويقال إنه لما حج اجتمع في تونس بابن عرفة ، فأوقفه على ما كتب من مختصره الفرعوى ، وقد كان شرع في تأليفه ، فقال له القَبَابُ : ما صنعت شيئا . فقال له ابن عرفة : وإمّة ؟ قال : لأنه لا يفهمه المبتدى ، ولا يحتاج إليه المنتهى . فتغيّر وجه ابن عرفة ، ثم ألقى عليه مسائل أجابه عنها القَبَابُ . ويقال إن كلامه هو الحامل لابن عرفة على أن بسط العبارة في أواخر المختصر ، وبين الاختصار ، والله أعلم . انتهى كلام شيخنا أبقاه الله .

إيراد للسلطان
أبي عنان على
بعض الفقهاء

قلت : رأيت بخط ابن داود الأندلسي ثم التلمساني ، ما نصّه : وجدت بخط الرّاملي^(١) ما نصّه : حدثنا الشيخ ابن عرفة رضي الله تعالى عنه ، عن الشيخ القَبَابِ الفاسي ، عن الآبلي ، قال : أورد السلطان أبو عنان على فقّهائهِ الجِلَّةِ ، في قول عائشة رضي الله عنها ، في حديث مسلم : « فتَوَقَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما يُقْرَأُ : « خَمْسُ رَضَعَاتٍ يُحَرِّمُن » . انظره في مسلم . قال : يلزم على هذا الخُلْفُ في خبرها ، رضي الله تعالى عنها ، أو عدم حفظ القرآن ،

[٥٣٣]

وكلاهما محال . قال : فسكت الحاضرون بأجمعهم . قال : فقلت : القرآن على قسمين مُتَحَدِّى به ، وهو المعجز ، وغير مُتَحَدِّى به ، والأوّل هو المحفوظ ، بخلاف الثّاني ، بدليل هذا الحديث . قال : فقبّله الحاضرون كلّهم .

ولنورد هنا تمام الحكاية : وهذا يحتاج إلى دليل . وشّعه الأستاذ أبو سعيد ابن لبّ غاية التشنيع ، وقال : كَوْن القرآن على قسمين : قسمٌ معجز مُتَحَدِّى به محفوظ ، يصلّى به ؛ وقسمٌ بخلاف ذلك ، يحتاج إلى دليل ، ولا يوجد . انتهى . ولو قيل : إنه لم يبلغها النسخ ، كما أجابوا به في حديث ابن مسعود ، في حديث سورة : « واللّيل إذا يغشى » ، لكان أبين وأحسن . وذكر ابن الخطيب القسطنطيني أنها في أسئلة مجموعة ، منسوبة إلى السلطان أبي عنان ، رحم الله تعالى الجميع . انتهت الوجادة . ونقلتها بطولها ، لما فيها من الفائدة . والمسألة اعتاد الكلام عليها في « مُرتقى الوُصول ، إلى بناء الفروع على الأصول » ، للسيد أبي عبد الله الشريف ، فراجعها منه . انتهى كلام ابن داود رحمه الله .

قلت : وبالجملّة فإمامة الشيخ ابن عرفة لا تُنكَر ولا تُجحد ، ومعرفته [٥٣٤] بالفنون ، وتبرّزه على أهل عصره ، مما يُعترف به كلّ مُنصف لو دُعِيَ أوّحد ، ولله دُرّ صاحب « الشقائق النعمانية » ، في علماء الدولة العثمانية » ، حيث صرّح بأن ابن عرفة فاق أقرانه في فقه المالكية بالمغرب ، آخر الثامن . ونصّ كلامه ، عند ما ترجم لصاحب القاموس :

ترجمه: الفيروز آبادي ، عن الشقائق النعمانية

هو المولى الفاضل ، تجدّ الدين أبو الطاهر ، محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزيّ .

كان رحمه الله تعالى ينتسب إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، صاحب

امامة الشيخ بن عرفة لا تجحد

التعريف به

نسبه

التَّنبِيه ، و ر ب م ا ي ر ف ع ن س ب ه إ لى أ بى ب ك ر الصِّدِّيق ، ر ضى الله عنه ، و كان ي ك ت ب
ب خط ه : « الصِّدِّيق » .

د خ ل ب ل ا د الروم ، و ات صل ب خ د مة الس ل ط ان با ي ز ي د بن الس ل ط ان م ر ا د ،
و ن ا ل ع ن د ه ر ت بة و ج ا ه ا ، و أع ط ا ه الس ل ط ان م ا ل ا ج ز ي ل ا ، و أع ط ا ه الأ م ي ر ت ي م و ر
خ م سة آ ل ا ف د ي ن ا ر ، ن م ج ا ل الب ل ا د ش ر ق ا و غ ر ب ا ، و أخذ ع ن ع ل م ا ه ا ،
ح تى ب ر ع ف ي الع ل و م ك ل ه ا ، [لا] س ي ا الح د ي ث و الت ف س ي ر و الف ق ه . و ل ه ت ص ا ن ي ف
ك ث ي رة ، ت ت ي ف ع لى أ ر ب ع ي ن مُصَنَّف ا ، و أ ج ل مُصَنَّف ا ت ه « الل ا م ع المُع ل م العُج ا ب ،
ال ج ا م ع ب ي ن المُح ك م و العُباب » ، و كان ت م ا م ه ف ي س ت ي ن م ج ل دة ، ن م ل خ ص ه ا
ف ي م ج ل د ت ي ن ، و س م ي ذ لك الم ل خ ص ب « الق ا م و س الح ي ط » ، و ل ه ت ف س ي ر الق ر ا ن
الع ظ ي م ، و ش ر ح الب خ ا رى و الم ش ا ر ق ، و كان لا ي د خ ل ب ل دة إ ل ا و أ ك ر م ه
و ا ل ه ا ، و كان س ر ي ع الح ف ظ ، و كان ي ق و ل : لا أ ن ا م ح تى أ ح ف ظ مِث قى س ط ر ، و كان
ك ث ي ر الع ل م و الأ ط ل ا ع ع لى الم ع ا ر ف الع ج ي بة ؛ و ب ا ل م ج لة كان آ ية ف ي الح ف ظ
و الأ ط ل ا ع و الت ص ن ي ف .

وُلِد ر ح م ه الله ت ع ا لى س نة ت س ع و ع ش ر ي ن و س ب ع م ئة ب ك ا ر ز ي ن ، م ن أ ع م ا ل
ش ي ر ا ز ، و ت و ف ي ق ا ض ي ا ب ر ي د ، ف ي ب ل ا د ال ي م ن ، ل ي لة العِش ر ي ن م ن ش و ا ل ، س نة
س ت أ و س ب ع ع ش رة و ث م ا ن م ئة ، و دُف ن ب ت ر بة الش ي خ إ س م ا ع ي ل الج ب ر ت ي .

[٥٣٥] و هو آ خ ر م ن م ا ت م ن الرؤ س ا ، ال ذ ي ن ا ن ف ر د ك ل م ن ه م ب ف ن ف ا ق ف ي ه أ ق ر ا ن ه ،
ع لى رَأ س الق ر ن الث ا م ن ، و م الش ي خ س ر ا ج ال د ي ن الب ل ق ي نى ، ف ي الف ق ه ع لى م ذ ه ب
الش ا ف عى ؛ و الش ي خ ز ي ن ال د ي ن الع ر ا قى ف ي الح د ي ث ؛ و الش ي خ س ر ا ج ال د ي ن ا ب ن
الم ل ق ن ، ف ي ك ث رة الت ص ا ن ي ف و ف ن الف ق ه و الح د ي ث ؛ و الش ي خ ش م س ال د ي ن الف ن ا رى ،
ف ي الأ ط ل ا ع ع لى ك ل الع ل و م الع ق ل ية و الن ق ل ية و الع ر ب ية ؛ و الش ي خ أ ب و ع ب د الله بن

رحلته وبعض
توابعه وصفاته

ميلاده ووفاته

هو آخر من مات
من الرؤساء

عَرَفة ، في فقه المالكية بالمغرب ، والشيخ مجد الدين الشيرازي ، في اللغة .
رحمهم الله تعالى أجمعين رحمة واسعة .

انتهى ما قصدته من كلام صاحب « الشقائق النعمانية » ، في علماء الدولة
العثمانية » .

قيل : ولوزاد ولي الدين بن خلدون في التاريخ وطبائع العالم ، لحسن ، والله
تعالى أعلم .

استدراك ابن
خلدون

قلت : وإذا جرى ذكر صاحب القاموس ، فلا بأس أن نورد ترجمته ،
على أنتم ممّا ذكره صاحب « الشقائق النعمانية » ، وربما وقع التخالف ، فنقول :

ترجمته ثانية للفيروز آبادي ، همه الضوء اللامع للسخاوي

قال بعض حُفَظَ المِشَارِقَة ، وهو الإمام السخاوي في كتابه « الضوء اللامع »^(١) :
هو محمد بن يعقوب ، بن^(٢) إبراهيم ، بن عمر ، بن أبي بكر ، بن أحمد ،
ابن محمود ، بن إدريس ، بن فضل الله ، بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم
الكارزيني^(٣) ، المشهور بمولانا الشيخ مجد الدين ، الفيروز آبادي ، اللغوي الشافعي .
ولد في ربيع [الآخر]^(٤) سنة وعشرين وسبع مئة بكارزين ، فنشأ بها ،
وحفظ القرآن وهو ابن سبع ، وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثمان ، فأخذ
الأدب واللغة عن والده ، ثم عن القوام عبد الله بن محمود [بن النجم]^(٤) ،

(١) نقل المؤلف ترجمة صاحب القاموس عن الضوء اللامع باختصار في بعض العبارات .

(٢) في الضوء اللامع : « ... يعقوب بن محمد بن إبراهيم » . وفي مقدمة تاج العروس :

« ... يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم » .

(٣) كذا في شرح القاموس مادة : « كرز » . وفي الأصول : « الكازروني » .

وفي القاموس وشرحه : « وكارزين ، بكسر الراء كما هو المشهور ، ومثله
ضبطه الصاغاني ، وضبطه السمعاني بفتحها : بلد بفارس ... وبه ولدت ...

وأن من قال كازرين أو كازرون فقد أخطأ » .

(٤) ما بين الحاصرتين : عن الضوء اللامع .

وغيرهما من علماء شيراز ، وانتقل إلى العراق ، فدخل واسطاً وبغداد ، وأخذ عن الشَّرف عبد الله بن بككتاش^(١) ، وهو قاضى بغداد ، ومدرّس النظامية بها ، وولي^(٢) به تداريس وتصادير ، وظهرت فضائله ، وكثُر الأخذ عنه ، فكان ممن أخذ عنه الصَّفديّ . [ثم دخل القاهرة]^(٣) و [لقي بها]^(٤) البهاء بن عقيل ، والجمال الأسنوى ، وابن هشام . وأخذ عن علمائها ، وجال في البلاد الشرقية والشامية^(٥) ، ودخل الروم والهند ، ولقي جمعا من الفضلاء ، وحلّ عنهم شيئا كثيرا ، تجمّعهم مشيخته ، تخرج الجَمال بن موسى المراكشي ، وفيه أن [من]^(٦) مروياته الكتب الستة ، وسُنن البيهقي ، ومُسند أحمد ، وصحيح ابن حبان ، ومصنّف ابن أبي شَيْبَةَ ، وغير ذلك ، غير^(٧) مشايخ عديدة ، وجم غفير .

- (١) ورد هذا الاسم مضطربا في الأصول . وقد صوبناه عن مقدمة تاج العروس .
- (٢) في العبارة اضطراب بسبب سقطه قبل قوله « وولى » . ولعلها من قلم الناسخ . ونحن نثبت هنا العبارة الساقطة كما وردت في الضوء اللامع ، ليتصل بعض الكلام ببعض : « وعمل عنده معيها سنين ، ثم ارتحل إلى دمشق ، فدخلها سنة خمس وخمسين ، فسمع بها من التقي السبكي ، وأكثر من مئة شيخ ، منهم ابن الحَبَّاز ، وابن القيم ، ومحمد بن إسماعيل بن الحموي ، وأحمد بن عبد الرحمن المرداوي ، وأحمد بن مظفر النابلسي ، ويحيى بن علي بن محلي بن الحداد الحنفي ، وغيرهم ، ببعلبك ، وحماة ، وحلب . وبالقدس من العلائي ، والبياني ، والتقي القلقشندي ، والشمس السعودي ، وطائفة . وقطن به نحو عشر سنين » .
- (٣) جاء قوله : « ثم دخل القاهرة » بعد كلمة « ابن هشام » الواردة بعد . وقد أثبتناها في هذا الموضع عن الضوء اللامع ، ليستقيم الكلام .
- (٤) زيادة عن الضوء اللامع يستقيم بها الكلام .
- (٥) في الأصول : « والشامية » . والتصويب عن الضوء اللامع .
- (٦) زيادة عن الضوء اللامع .
- (٧) قول المؤلف : « غير مشايخ عديدة ، وجم غفير » : غير متصل بما قبله . وظاهر أنه تنمة لكلام له عن مشايخ المترجم به ، سقط من الناسخ . ويوضح هذا ماورد في ذلك في الضوء اللامع ، نقلا عن الجمال المراكشي : « إن من مشايخه من أصحاب الفخر بن البخاري ، والتجيب الحراني ، وابن عبد الدائم ، والشرف الديباضي ، الجم الغفير ، والجمع الكثير ، من مشايخ العراق والشام ومصر وغيرها » .

ثم دخل زبيد في رمضان سنة ست وتسعين ، بعد وفاة قاضي الأقضية باليمن كله ، الجلال الرئمي^(١) ، شارح «التنبيه» ، فتلقاه الأشرف إسماعيل [بالقبول]^(٢) ، وبالغ في إكرامه ، وصرف له ألف دينار ، سوى ألف أخرى أمر ناظر^(٣) عدن أن يُجهّز بها ، واستمر مقياً في كنفه على نشر العلم ، وكثّر الانتفاع به ، وأضيف إليه قضاء الدين كله في ذى الحجة سنة سبع وتسعين ، بعد ابن عجّيل ، فارتفق بالمقام في تهامة ، وقصد الطلبة ، وقرأ السلطان فمّنّ دونه عليه ، فاستمرّ بزبيد مدة عشرين سنة ، وهي بقية أيام الأشرف ، ثم ولده الناصر [أحمد]^(٢) . وكان الأشرف قد تزوج ابنته لمزيد جمالها ، ونال منه برّاً ورفعة ، بحيث إنه صنّف كتاباً وأهداه له على أطباق ، فلأها له دراهم ؛ وفي أثناء هذه المدة قدِم مكة مراراً ، وجاور بالمدينة والطائف ، وعمل بها ما تَرَحَّسَ ، وكان يُحِبُّ الانتساب إلى مكة ، ويكتب بخطه : «الملتجئ إلى حرم الله تعالى» ، ولم يدخل بلداً إلا وأكرمه متولّياً ، وبالغ في تعظيمه ، مثل شاه منصور بن شجاع ، صاحب تبريز ، والأشرف صاحب مصر ، [والسلطان بايزيد خان بن عثمان ، متولى الروم ، وابن أويس صاحب بغداد] ، وتمرّنك ، وغيرهم .

واقفني كتباً كثيرة ، حتى نُقِلَ عنه أنه قال : اشتريت بخمسين ألف [٥٣٧] مثقال ذهباً^(٢) كتباً . وكان لا يسافر إلا وفي صحبته منها أحمال ، ويخرجها في كل منزل وينظر فيها . وصنّف كتباً كثيرة ، منها : «بصائر ذوى التمييز ، في لطائف الكتاب العزيز» ، مجلدان ، و«تنوير المقباس ، في تفسير ابن عباس»

كتبه ومؤلفاته

(١) كذا ذكره في شرح القاموس مادة «ريم» وفي الضوء اللامع . وورد هذا الاسم في الأصول محرّفاً .

(٢) زيادة عن الضوء اللامع .

(٣) في الأصول : «صاحب» . وما أثبتناه عن الضوء اللامع ، والبدر الطالع .

أربع مجلدات ، و « تيسير فائحة الإهاب ، في تفسير فائحة الكتاب » ، مجلد كبير ،
و « الدر النظيم ، المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم » ، و « حاصل كورة الخلاص ،
في فضائل سورة الإخلاص » ، و « شرح خطبة الكشف » ، و « شوارق
الأسرار العلمية » ، في شرح مشارق الأنوار النبوية » أربع مجلدات ، و « منح
البارى ، بالسبيل الفسيح الجارى ، في شرح صحيح البخارى » كمل رُبع
العبادات منه في عشرين مجلدا ، و « الإسعاد ، بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد » ،
ثلاث مجلدات ، و « النفحة العنبرية ، في مولد خير البرية » ، و « الصَّلَاتُ والبُشَرُ
في الصَّلَاة على خير البشر » ، و « الوصل والمُنَى ، في فضل مِنَى » ، و « المغانم
المطابقة ، في معالم طابة » ، و « مُهَيِّجُ الغرام ، إلى البلد الحرام » ، و « إنارة الحجّون
لزياره الحجّون » ، عمله في ليلة ، و « أحاسن الطائف ، في محاسن الطائف » ،
و « فصل الدرة من الحرزة » ، في فضل السلامة على الحِزْبَةِ » ، قريتان بالطائف ،
و « روضة الناظر ، في ترجمة الشيخ عبد القادر » ، و « المِرْقَاة الوفيّة ، في طبقات
الحنفية » ، و « البلغة ، في تراجم أئمة النُحُو واللغة » ، و « الفضل الوفي » ، في
العدل الأشرفى » ، و « نزهة الأذهان ، في تاريخ أصبهان » ، و « تعيين العُرفَات ،
للمعين على عَيْنِ عَرَفَات » ، و « مُنْمِية الشُّوْل ، في دعوات الرسول » ، و « التَّجَارِيح
في فوائد متعلقة بأحاديث المصائب » ، و « تسهيل طريق الوصول ، إلى الأحاديث
الزائدة على جامع الأصول » ، و « الأحاديث الضعيفة » ، و « الدر الغالى ، في
الأحاديث العوالى » ، و « سِفَرُ السَّعَادَةِ » ، و « المتفق وضعها ، المختلف صنعها » ،
و « اللامع المُعَلِّم العُجَاب ، الجامع بين الحُكْم والعُباب ، وزيادات امتلأ بها

[٥٣٨]

(١) السلامة : قرية من قرى الطائف ، بها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي
جانبه قبة فيها قبر ابن عباس وجماعة من أولاده ، ومشهد للصحابية ، رضى الله
عنهم . والحِزْبَةُ (كمنبة) : قرية بالطائف أيضا .

الوطاب» ، قدّر تمامه في مئة مجلد ، يقرب كل مجلد منه من صحاح الجوهري^(١) ،
أكمل منه خمس مجلدات ، و« القاموس المحيط ، والقابوس الوسيط » ،
و« مقصود ذوي الأبواب ، في علم الأعراب » ، مجلد ، و« تحبير الموشّين ، فيما
يقال بالسين والسين » ، تتّبع فيه أوهام المجلد لابن فارس ، في ألف موضع ،
و« المثلث الكبير » في خمس مجلدات ، و« الروض المسلوف ، فيما له أسمان إلى
الألوف » ، و« تحفة القامعيل ، فيمن يُسمّى من الملائكة والناس إسماعيل » ،
و« أسماء السّراح ، في أسماء النّكاح » ، و« الجليس الأنيس ، في أسماء
الحندريس » مجلد ، و« أنواء الغيث ، في أسماء اللّيث » ، و« تزييق الأسل ،
في تصفيق العسل » في كُرّاسين ، و« زاد المعاد ، في وزن بانث سُعاد » ،
وشرّحه في مجلد ، و« التحف الطرائف ، في النّكت الشرائف » ، وغير ذلك
من مختصر ومطول .

وقال التقى الكرماني : كان عديم النظير في زمانه نظماً ونثراً ، بالفارسيّ
والعربيّ ، جال البلاد ، واجتمع بمشايع كثيرة ، وأقام بدهلك^(٢) مدة عظيمة
سلطانها ، وجاور بمكة عشر سنين ، وصنّف بها القاموس ، في مجلدات ، فأمره
والدى باختصاره ، فاختصره في مجلد ضخم ، وفيه فوائد عظيمة ، واعتراضات
على الجوهريّ ؛ وسافر إلى الهند والروم ، وعظّمه سلاطينها ، واجتمع بتمرّلك ،
فعظّمه ، وأنعم عليه بمئة ألف درهم .

وقال الخزرجي في تاريخ اليمن : إنه لم يزل في ازدياد من علو الجاه والمكانة ،
ونفوذ الشفاعات والأوامر على القضاة في الأمصار .

• الكرماني
عليه

ناء الخزرجي
عليه

(١) في م والبدر الطالع : « كل مجلد منه يقرب من صحاح الجوهري » .

(٢) كذا في الضوء اللامع ، وهي جزيرة في بحر اليمن ، حرسى بين بلاد اليمن
والحبشة . وفي الأصول : « دِهْلى » . ولعله تحريف .

ورام في عام تسعة وتسعين الوصول إلى مكة ، شرّفها الله ، فكتب إلى
السلطان ما مثاله :

[٥٣٩] « ومما تُنهيهِ إلى العلوم الشريفة ، ضعف العبد ، ورقة جسمه ، ودقة بنيته ،
وعلوّ سنّه ، وقد آل أمره إلى أن صار كالمسافر الذي تحزّم وانتقل ، إذ وهنَ
العظم والرأس اشتعل ، وتضعضع السنّ ، وتقفقع السنّ ، فما هو إلا عظام
في جراب ، وبنيان [قد] أشرف على الخراب ، وقد ناهز العشر التي تسميها
العرب دَقَاقَةَ الرَّقَاب ؛ وقد مرّ على المسامع الشريفة غير مرّة في صحيح
البخاريّ ، قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا بلغ المرء ^(١) ستين سنة فقد
أعذر الله إليه ، فكيف مَنْ يُنَيّف على السبعين ، وأشرف على الثمانين ؟ ولا
يجمل بالمؤمن أن يمضي عليه أربع سنين ، ولا يتجدّد له شوق [وعزم] ^(٢) إلى
بيت رب العالمين ، وزيارة سيد المرسلين . وقد ثبّت في الحديث النبويّ ذلك ؛
والعبد له ستُّ سنين ^(٣) عن تلك المسالك ، وقد غلب عليه الشوق ، حتى جلّ
عمره عن الطّوق ، ومن أقصَى أمنيته ، أن يجدّد العهد بتلك المعاهد ، ويفوز
مرة أخرى بتلك المشاهد ، وسؤاله من المراحل العلمية ^(٤) الصدقة عليه بتجهيزه
في هذا العام ، قبل اشتداد الحرّ وغلبة الأوام ، فإنّ الفصل أطيب ، والريح
أزيب ؛ وأيضا كان من عادة الخلفاء ، سلفا وخلفا ، أنهم كانوا يُبرِدون البريد
لتبليغ سلامهم لحضرة ^(٥) سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فاجعلني ،

(١) كذا في أكثر الأصول والضوء اللامع . وفي ط : « العبد » .

(٢) هذه الكلمة من الضوء اللامع .

(٣) في العبارة نقص ، ولعلّ تمامها : « بعيدا عن » بزيادة « بعيدا » أو كلمة بمعناها .

(٤) في الضوء اللامع : « الحسنية » .

(٥) في الضوء اللامع : « إلى حضرة » .

جعلني الله فداك ، ذاك البريد ، فلا أتمنى شيئا سواه ولا أريد .

شوقى إلى الكعبة الغراء قد زادا فاستحِمِ لي القُلُص الوخّادة الزادا
واستأذنِ الملكَ المنعمَ زيدَ غُلاّ واستودعِ اللهَ أصحابا وأولادا
فلما وصل كتابه إلى السلطان ، كتب على طُرّته ما مثاله :

« إن هذا الشيء ما ينطق به لسانى ، ولا يجرى به قلماى ، فقد كانت اليمين
عمياء فاستنارت ، فكيف يمكن أن نتقدم وأنت تعلم أن الله قد أحيا بك
ما كان ميتا من العلم ؟ فبالله عليك إلا ما وهبت لنا بقية هذا العمر . والله
يا مجد الدين ، يميننا يارّة ، إنى أرى فراق الدنيا ونعيمها ، ولا فراقك أنتَ
اليَمَنَ وأَهله .

قال الفاسى : له شعر كثير ، ونثره أعلى ، وكان كثير الاستحضار
لمستحسنات الشعر والحكايات ، وله خطّ جيد مع السرعة ، وكان كثير الحفظ ،
حتى يقال إنه قال : ما كنت أنام حتى أحفظ مثنى سطر ؛ وكانت له دار بمكة
على الصفا ، عملها مدرسة للأشرف صاحب اليمين ، وقرّر بها مُدرّسين وطلمبة ،
وفعل بالمدينة كذلك ، وله بمنى دور ، وبالطائف بُستان ، وقد سارت الركبان
بتصانيفه ، لا سيما القاموس ، فإنه أُعْطِيَ قَبُولاً كثيرا .

اء الفاسى عليه

قال الأديب المفلق نور الدين على بن محمد العفيف^(١) المكي الشافعى لما
قرأ عليه القاموس :

ور الدين على
يمدح كتابه
القاموس

مُذْ مَدَّ مَجْدُ الدينِ فى أيامه^(٢) من فيض^(٣) أنجر علمه القاموسا
ذهبت^(٤) صحاح الجوهري كأنها سحر المدائن حين ألقى موسى

(١) كذا في الأصول وتاج العروس . وفي الضوء اللامع : « بن العليف » .

(٢) في بعض النسخ : « واحد عصره » . وفي بعضها : « فى أرجائنا » .

(٣) كذا فى م . وفى سائر الأصول والضوء اللامع وتاج العروس : « بعض » .

(٤) فى بعض النسخ : « أضحت » .

من شعر المترجم

ومن شعره مما كتبه عنه الصَّالِح الصَّفْدِيُّ ، رحمهما الله :

أَحْبَبْنَا الْأُمَاجِدَ إِنْ رَحَلْتُمْ وَلَمْ تَرَعُوا لَنَا عَهْدًا^(١) وَإِلَّا
نُودِّعُكُمْ وَنُودِّعُكُمْ قَالُوا لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنَا وَإِلَّا

تاريخ وفاته

وكان يرجو وفاته بمكة [المشرفة] ، فما قَدَّرَ [الله] له ذلك ، بل تُوفِّيَ
بزَبيد ، وقد ناهز التسعين ، وهو مُتَمَتِّعٌ بحواسه ، وذلك ليلة العشرين من شَوَّال ،
سنة سبعة عشر وثمان مئة ، تغمده الله تعالى برحمته ، وأُسْكِنَهُ فسيح جنّته .
انتهى ملخصاً من الضوء اللامع للسَّخَاوِي ، رحمه الله .

للفيومي يمدح
القاموس

ولأبي عبد الله الفيومي يمدح القاموس المذكور :

لِلَّهِ قَامُوسٌ يَطِيبُ وَرُودُهُ أَغْنَى الْوَرَى عَنْ كُلِّ مَعْنَى أَزْهَرِ
لَفْظِ الصَّحَّاحِ بِلَفْظِهِ وَالْبَحْرِ مِنْ عَادَاتِهِ يُبْلِقُ صِحَّاحَ الْجَوْهَرِ

وللواسطي في
رموز القاموسوقال عبد الرحمن^(٢) بن معمر [الواسطي] في رموزه :

[٥٤١]

وَمَا فِيهِ مِنْ رَمَزٍ بِحَرْفِ خُمْسَةٍ^(٣) فِيمِ الْمَعْرُوفِ ، وَعَيْنِ لِمَوْضِعِ
وَجِيمِ لِمَجْمَعِ ، ثُمَّ هَاءُ لِقَرْيَةٍ وَلِلْبَلَدِ الدَّالِ الَّتِي أَهْمَلْتُ فَعِ

وله يمدح
القاموس

وَأَنشَدْنَا فِيهِ لغيره ، سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا شَيْخَ الشُّيُوخِ ، وَخَاتَمَةَ أَهْلِ التَّائِبَاتِ
وَالرُّسُوحِ ، مُلْحِقَ الْأَحْفَادِ بِالْأَجْدَادِ ، الْمُبَرِّزَ عَلَى النَّظَرَاءِ وَالْأَنْدَادِ ، مُفْتَى
يَلْمِزُ النَّاسَ وَأَصْقَاعَهَا ، وَمُعْتَمِدَ أَهْلِ أَقْطَارِهَا وَبِقَاعَهَا ، عَمُّنَا سَيِّدِي سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ
الْمُقَرِّيَّ ، صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ شَايِبَ رِضْوَانِهِ ، آمِينَ :

(١) كَذَا فِي الضَّوْءِ اللَّامِعِ وَإِنْبَاءُ الْغَمْرِ وَفِيهَا سَيَّاتِي فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ . وَفِي الْأَصُولِ
هَذَا : « وَدَا » .

(٢) فِي م : « عَبْدُ اللَّهِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَقَدْ نَسَبَ هَذَا الْبَيْتَانِ أَيْضًا إِلَى مُؤَلِّفِ
الْقَامُوسِ (انْظُرْ تَاجَ الْعُرُوسِ فِي الْمَقْدِمَةِ) .

(٣) رَوَايَةُ هَذَا الشَّطْرِ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ : « وَمَا فِيهِ مِنْ رَمَزٍ خُمْسَةِ أَحْرَفٍ » .

ألا ما لهذا في اللغات مُشابهة فما هو إلا كاسمه زاخراً بجر
أحاط بما يحوى سواء وفاقه بمبدع لفظ مع لغات بها كثر
جزى الله خيراً من تصدّى لجمعه وآتاه فضلاً زاد ما اتصل الدهر
قلت : هذه الأبيات اتقى الدين الواسطى ، نظمها نُجاء الكعبة المشرفة .
وأنشدنى أيضاً ، رحمه الله ، وكتبهما بخطه :

وما جاء في القاموس رمزاً فسته : لموضعهم عين ، ومعروف الميم
وجبَّ جمع الجمع ، دال لبـلدة وقريتهم هاء ، وجمع له الجيم
انتهى .

قلت : ومن أغرب ما منح الله تعالى المجد مؤلف القاموس المذكور ، أنه
قرأ بدمشق بين بابى النصر والفرج ، تُجاه بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، على
ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن جَهَبَل ، صحيح مسلم في ثلاثة أيام ، وتبيَّح فقال :
قرأتُ بحمد الله جامع مُسَلِّم بجوف دمشق الشام جوفاً للإسلام
على ناصر الدين الإمام بن جَهَبَل بحضرة خُفاطٍ مشاهير أعلام
وتمَّ بتوفيق الإله بفضله قراءة ضبط في ثلاثة أيام
فُسبحان الماسح الذى يؤتى فضله من يشاء .

شعر المترجم وقد
قرأ صحيح مسلم

ترجمته ثالثة للمفروز ابارى ، عن انباء العُمَر لابن هجر

وبعد أن كتبت هذه الترجمة ، وقفت على كلام تلميذه الإمام ابن حَجَر
في « إنباء العُمَر ، بأنباء العُمَر » ، فأوردته هنا ، وإن كان مخالفاً في بعض المواقع [٥٤٢]
لما قدمته ، إذ لا يخلو من فائدة ، ونصّه :

محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عُمر الشَّيرازى ، الشيخُ العلامة ،

مجد الدين أبو الطاهر الفيروزابادي ، كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « التنبيه » ، ويذكر أن بعد « عمر » أبا بكر بن أحمد [بن أحمد] بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق . ولم أزل أسمع [مشاهير] مشايخنا يطعنون في ذلك ، مستنديين إلى أن [الشيخ] أبا إسحاق لم يُعقب .

ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة ، فادعى بعد أن ولي قضاء اليمن بمدة طويلة ، أنه من ذرية أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه . وزاد إلى أن رأيت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه : « محمد الصديق » ؛ ولم يكن مدفوعاً عن معرفة ، إلا أن النفس تأتي قبول ذلك .

وُلد الشيخ مجد الدين سنة تسع وعشرين وسبع مئة بكارزين ، وتلقاه مولده ورحلته ببلاده ، وسمع بها من محمد بن يوسف الزرندى المدني صحيح البخاري ، وعلى بعض أصحاب الرشيد بن أبي القاسم ، ونظر في اللغة ، فكانت جل قصده في التحصيل ، ففهر فيها ، إلى أن تميز وفاق أقرانه ، ودخل الديار الشامية بعد الخمسين ، فسمع بها ، وظهرت فضائله ، وكثر الآخذون عنه ، ثم دخل القاهرة ، ثم جال في البلاد الشمالية والشرقية ، ودخل الهند ، وعاد منها على طريق اليمن ، قاصدا مكة [المشرقة] ، ودخل زبيد ، فملاقاته الملك الأشرف إسماعيل بالقبول ؛ وكان ذلك بعد وفاة جمال الدين الزيمى^(١) ، قاضى الأقضية باليمن كله ، فقرره الأشرف مكانه ، وبالغ في إكرامه ، فاستقرت قدمه بزبيد ، واستمر في ذلك إلى أن مات . وقدم هذه المدة مكة [مرارا] ، وأقام بها وبالطائف ، ثم رجع وصنف القاموس المحيط في اللغة ، لا مزيد عليه في حسن الاختصار ، وميز فيه

(١) في الأصول هنا : « الذهبي » ، وهو تحريف . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢) من هذا الجزء .

زياداته على الصَّحاح ، بحيث لو أفردت لكانت قدرَ الصحاح وأكثر ، في عدد الكلمات ، وقرئ عليه . وكان أولاً أبتدأ بكتاب كبير في اللغة ، سماه : « اللامع » [٥٤٣] المعلم العُجاب ، الجامع بين المُحكَّم والعُباب ، وكان يقول : لو كَمَل لكان مئة مجلد . وذكر عنه الشيخ بُرهان الدين الحلبي ، أنه تتبَّع أوهام الجمل لابن فارس في ألف موضع ، وكان مع ذلك يعظَّم ابن فارس ، ويُثني عليه .

كتبه وإسرافه

وقد أكثر الجاورة بالحرمين [الشريفين] ، وحصلَ دنيا طائلة ، وكتبها نفيسة ، لكنه كان كثير التبذير ، وكان لا يسافر إلا ومُحبته عِدَّة أحمال من الكتب ، ويُخْرِج أكثرها في كل منزل ، ينظر فيها ، ويعيدها إذا رحل ، وكان إذا أُملى باعها . وكان الأشرفُ كثير الإكرام له ، حتى إنه صنَّف له كتاباً ، وأهداه له على أطباق ، فملاها له دراهم ، وصنَّف للناصر كتاباً سماه : « تسهيل الوصول ، إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول » ، و « الإصعاد ، إلى رتبة الاجتهاد »^(١) في أربعة أسفار ، وشرع في شرح مُطَوَّل على البخاري ، [ملاءه] بغرائب المنقولات ، وذكر لي أنه بلغ عشرين سِفرًا . إلا أنه لما اشتهرت بالين مقالة ابن عربي ، ودعا إليها الشيخُ إسماعيلُ الجبرتي^(٢) ، وغاب على علماء تلك البلاد ، صار الشيخُ مجدُّ الدين يُدْخِل في شرح البخاري من كلام ابن عربي في الفتوحات ، ما كان سبباً لشين^(٣) الكتاب [المذكور] .

ولم أكن أتهم الشيخ بالمقالة المذكورة ، إلا أنه كان يحب المدارة . وكان الناشريُّ فاضلُ الفقهاء بزَبيد ، يبالغ في الإنكار على إسماعيل ؛ وشرح ذلك يطول . ولما اجتمعتُ بالشيخ مجد الدين ، أظهر لي إنكار مقالة ابن عربي ، وغَضَّ

(١) تقدم اسم هذا الكتاب كاملاً ، وهو : « الإصعاد بالإصعاد ، إلى درجة الاجتهاد »

ثلاث مجلدات . (٢) اقرأ ترجمته في البدر الطالع للشوكاني (ج ١ ص ١٣٩) .

(٣) في م : « لنبد » .

منها ، ورأيتَه يصدِّق بوجود رَتَن^(١) الهِنْدِيّ ، وينسَكر على الذَّهَبِيّ قَوْلَه في المِيزان إنه لا وجود له . قال الشيخ مجدُّ الدين : إنه دخل قريَّتَه ، ورأى ذُرِّيَّتَه ، وهم مُطبِّقون على تصديقه ؛ وقد أوضحت ذلك في ترجمة « رَتَن » من كتاب الإصابة . [٥٤٤]

بعض مؤلفاته

ومن تصانيفه : « شوارق الأسرار ، في شرح مشارق الأنوار^(٢) » ، و« الروض المسُوف ، فيما له أسمان إلى الألف » ، و« تحبير الموشَّين ، فيما يقال بالسَّين والشَّين » . وكان يقول : ما كنت أنام حتى أحفظ مِنِّي سطر ، ولم يُقدِّرْ له قَطُّ أنه دخل بلدة إلا وأكرمه متولَّيها ، وبالغ في إكرامه ، مثل شاه شُجاع ، صاحب تبريز ، والأشرف صاحب مصر ، والأشرف صاحب الين ، وابن عثمان صاحب التركية ، وأحمد بن أويس صاحب بغداد ، وغيرهم ، ومثَّله الله بسمِّه و بصره إلى أن مات .

شيوخه

سمع الشيخ مجدُّ الدين من ابن الخبَّاز ، وابن القيم ، وابن الحموي ، وأحمد ابن عبد الرحمن المرذوقي ، وأحمد بن مطر النابلسي ، والشيخ تقي الدين السبكي ، ويحيى بن علي بن مُجَلِّي بن الحداد ، وغيرهم ، بدمشق في سنة نيف وخسين ؛ وبالقدس من العلَّائي ، والبياني^(٣) ؛ وبمصر من القلانسي ، ومظفر الدين ،

(١) هو رتن بن عبد الله أو ابن كربال البترندي الهندي ، ويقال فيه رطن (بالطاء بدل التاء) : شيخ معمر ، خفي خبره دهرًا طويلًا ، إلى أن ظهر على رأس القرن السادس ، فادعى صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه روى عنه أحداث . وهو شيخ دجال بلا ريب ، قيل إنه توفي سنة اثنتين وثلاثين وست مئة (عن الإصابة لابن حجر) .

(٢) في كشف الظنون : « شوارق الأسرار العلية ، في شرح مشارق الأنوار النبوية » . وكتاب المشارق هذا الذي شرحه الفيروزابادي : للإمام رضي الدين الصغاني المتوفي سنة ٦٥٠ هـ . ويسمى « مشارق الأنوار النبوية ، من صحاح الأخبار المصطفوية » . وللقاضي عياض كتاب يسمى مشارق الأنوار أيضا في غريب الحديث ، وسيأتى ذكره بعد في كلام المقرئ على تواليفه .

(٣) في ص : « من العلامة البياني » .

وناصر الدين التونسي ، وابن نباتة ، [والفارقي ، والعَرَضي ، والعزبن جماعة ،
وبمكة من خليل المالكى ، والتقى الحرازى] ؛ ولقى بغيرها من البلاد جمعا جمعا
من الفضلاء وحمل عنهم شيئا كثيرا ، وخرج له الجمال المرأ كُشِي مَشِيخة ،
واعتنى بالحديث .

اجتمعتُ به برَبِيد ، وفي وادى الخصب ، وناولنى جُلّ القاموس ، وأذن لي
مع المناولة أن أرويه عنه ، وقرأت عليه من حديثه عِدَّة أجزاء ، وسمعت منه
المُسَلَّس بالأولية لسماعه من السُّبُكى ، وكتب لي تقريرا على بعض تخريجاتي ،
أبلغ فيه ، وأنشدني لنفسه في سنة ثمان مئة بيتين ، كتبهما عنه الصلاح
الصفدى ، في سنة سبع وخمسين بد مشق ، وبين كتابتهما عنه ووفاته ستون سنة ،
رحمه الله :

أَخْلَانَا الْأَمَاجِدَ إِنْ رَحَاتِمَ وَلَمْ تَرْعَوْا لَنَا عَهْدًا وَإِلَّا
نُودِّعْكُمْ وَنُودِّعْكُمْ قُلُوبًا لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنَا وَإِلَّا

وفاته مات [رحمه الله تعالى] في ليلة العشرين من شوال وهو ممتنع بحواسه ، [٥٤٥]
وقد ناهز التسعين .

انتهى كلام ابن حَجَر في ترجمته سنة سبع عشرة وثمان مئة ، من « إنباء
العُمَر ، بأنباء العُمَر » .

ووجدت في بعض المقتيدات بخط بعض الفضلاء ، ممن يُوثق بدينه وعلمه من
أهل عصرنا ، مانصه :

سُئِلَ شيخ الإسلام الشيخ مجدُ الدين الفيروزابادى ، رضى الله عنه ، صاحب
كتاب القاموس في اللغة ، بما نصّه :

مدح
الفيروزابادى
لابن عربى

ما يقول^(١) سيدنا ومولانا شيخ الإسلام في الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي ، كالفُتوحات والفُصوص ، هل تحل قراءتها وإقراؤها ومطاعتها ؟ وهل هي [من]^(٢) الكتب المسموعة المقررة أم لا ؟

فقال رضى الله عنه : الذى أقول وأتحققه ، وأدين الله تعالى به : أن الشيخ محيي الدين ، كان شيخ الطريقة : حالا وعِلما ، وإمام التحقيق : حقيقة ورسما ، [ومحيي رسوم العارفين فعلا واسما] :

إذا تغلغل فكر المرء في طرفٍ من بحره غرقت فيه خواطره
فهو بحرٌ لا تُكدرُهُ الدلاء ، وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء ، كانت
دَعَوَاتِهِ تَخترق السَّبْع الطَّباق ، وتفتقر بركاته فتملأ الآفاق ، وإني أصفه ،
وهو يقينا فوق ما وصفته ؛ وناطق بما كتبته ، وغالب ظنى أنى ما أنصفته :

وما عَلَى إِذَا مَا قَلت مُعْتَقَدِي^(٣) دَعِ الْجَهولَ يَعُدُّ^(٤) العَدْلَ عُدْوَانَا
واللهِ واللهِ العظيم وَمَنْ أَقَامَهُ حُجَّةً لِلدِّينِ بِرَهَانَا
إِنَّ الَّذِي قَلتَ بَعْضُ مَنْ مَنَاقِبُهُ مَا زِدْتَ إِلَّا لَعَلِّي زِدْتَ نَقْصَانَا
وأما كتبه ومصنفاته فهي البحار الزواجر ، ما وضع الواضعون مثلها . انتهى .
وباقى الجواب سقط^(٥) ، سهل الله كماله .

(١) أورد المؤلف هذا الكلام في ترجمة محيي الدين بن عربي ، من كتابه نفع الطيب ، مع بعض اختلاف ، نقلا عن كتاب : (الاغتباط ، بمعالجة ابن الحياط) للفيروزابادى .

(٢) « من » ساقطة من عبارة نفع الطيب .

(٣) كذا في ط ، م ونفع الطيب . وفي ص : « مقتديا » .

(٤) في م ، ص : « يظن » .

(٥) عثر المؤلف على بقية الجواب ، وذكره في ترجمة ابن عربي ، بالجزء الأول من كتاب نفع الطيب .

التعريف بمحي
الدين بن عربي

قلت : ولما جرى ذكر الشيخ بن عربي الحاتمي ، فلا بأس ^(١) من أن نُلمَّ ببعض حاله ، فنقول :

قال ابن خاتمة :

[٥٤٦]

محمد بن علي بن محمد الطائي بن عربي الصوفي ، من أهل إشبيلية ، وأصله من سبتة ، يُكنى أبا بكر ، ويعرف بابن عربي ، وبالحاتمي أيضا .
أخذ عن مشيخة بلده ، ومال إلى الأدب ، وكتب لبعض الولاة بالأندلس ، ثم رحل إلى المشرق حاجا ، فأدّى الفريضة ، ولم يُعد بعدها إلى الأندلس ، وسمع الحديث من أبي القاسم الخرساني وغيره ، وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبي الحسن ابن أبي نصر ، في شوال سنة ست وست مئة ، وكان يحدث بالإجازة العامة عن أبي طاهر السلفي ، ويقول بها ، وبرّاع في علم التصوف ، وله في ذلك تواليف كثيرة ، منها : « ملاك التأويل ، في حقائق التنزيل » ، و « الجذوة المقتبسة ، والخطوة المختلصة » ، و « كتاب المعارف الإلهية » ، و « كتاب الإسرا ، إلى المقام الأسرى » ، و « كتاب مواقع النجوم ، ومطالع أهلة أسرار العلوم » ، و « كتاب عنقاء مغرب » ، في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب » ، وكتاب في فضائل شيخه عبد العزيز [بن] أبي بكر القرشي المهدوي ، والرسالة الملقبة « بمشاهد الأسرار القدسية ، ومطالع الأنوار الإلهية » ، [في] كتب أخر عديدة .
وقدم على المريّة من مُرسيّة مُستهلّ شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمس مئة ، وبها ألف كتابه الموسوم ، بمواقع النجوم .

قال الأستاذ أبو جعفر : ولا نُسلم له جميع مقالاته وموضوعاته ، وإن كان لعلوه في الإعراب ، قد تسكّم من وراء حجاب ، وتحصّن من الرمّز ، بسند

رأى ابن خاتمة
في ابن عربي

مَنيع الحِرْز ، ففي الإشارة الراجحة الدليل ، ما يقوم مقام العبارة الواضحة السبيل .
وقد حكى لى بعض ثقات أصحابنا ، عن لقي من كبار شيوخ أهل العلم ، أنه
[٥٤٧] كان يظنُّ عليه ، ويرميه بوهنٍ في دينه ، وينسُبه إليه ، والله أعلم بحقيقة ذلك ،
إذ كل كلام يغلب ^(١) المجازُ والاستعارة عليه من غير قرينة ، فهو متشعب المسالك .
وعلى الجملة ، فهو الذى جرَّأ على نفسه ، لما خذه المظلمة المدارك ، المشوشة على السالك .
قال ابن الأَبَّار : وقد آقيه جماعة من العلماء والمتعبدین ، وأخذوا عنه ، وتوفَّى
بعد الأربعين وست مئة .

ذكره ابن الأَبَّار ، وقال : أفادنى بعضُ أصحابنا أنه أجاز إجازة عامة لمن
أحب الرواية عنه . انتهى كلام ابن خاتمة .

والذى عند كثير من الأخيار من أهل هذه الطريقة ، التسليم لهم ، ففيه
السلامة ، وهو أحوط من إرسال العنان ، وقول يعود على صاحبه باللامنة .
[وما وقع لأبى حَيَّانَ وابن حَجَرٍ في تفسيره ، من إطلاق اللسان في هذا
الصَّدِّيقِ وأنظاره ، فذلك من فَلَاسٍ ^(٢) الشيطان . والذى أعتقده ولا يصح غيره ،
أن الإمام ابن عربى ، ولى صالح ، وعالم ناصح ، وإنما فَوَّقَ إليه سهام الملامنة ،
من لم يفهم كلامه .

على أنه دُسَّت في كتبه مقالات يحل قدره عنها ، وقد تعرَّض من المتأخرين
ولى الله الربَّانى ، سيدى عبد الوهاب الشرعانى ^(٣) ، نفعنا الله تعالى ببركته ،

(١) كذا في ص . وفي ط ، م : « يقبل » .

(٢) الفلس والإفلاس : أن تطلب الشيء فتخطىء موضعه .

(٣) هو الشيخ الصالح عبد الوهاب بن أحمد بن على الشرعوى ، نسبة إلى ساقية أبى
شعرة ، قرية من ضواحي مصر ، توفى سنة ٩٧٣ هـ . (عن تاج العروس) .
وفي الأصول : « الشرعانى » وهى نسبته المشهورة على ألسنة العامة . أقرأ له في
الدفاع عن ابن عربى كتاب : « السكبريت الأحمر » ، في بيان علوم الشيخ الأكبر
وانظر ما نقله المؤلف من كلامه في نفح الطيب ، في ترجمة ابن عربى .

لتفسير كلام الشيخ على وجه يليق ، وذكر من البراهين على ولايته ما شرح صدور أهل التحقيق ، فليطالع ذلك من أرادَه ، والله ولي التوفيق .

[التمجيد والمجودون]

قلت : وإذ قد تقدم أمر التجديد أواخر القرن الثامن ، فيما جلبناه في التعريف المنقول آنفاً^(١) ، ناسب أن نذكر نظم [إمام] الدنيا جلال الدين السيوطي ، المسمى « بتحفة المهتدين »^(٢) ، بأسماء المجدين ، ونضه :

نظم للسيوطي
في المجدين

الحمد لله العظيم المنّة المانح الفضل لأهل الشنّة
ثم الصلاة والسلام نلتمس على نبيّ دينه لا يندرس
لقد أتى في خيرٍ مشتهر رواه كل حافظ معتبر
بأنه في رأس كل مئة يبعث ربنا لهذا الأمة
منّا عليها عالماً يُجدد دين الهدى لأنه مجتهد

قلت : اختلف الناس في المراد بالمجدد ، فقليل من العلماء ، وقيل من الأولياء ، وقيل من الملوك ، ولكل حجة مذكورة في محلها . وسمعت شيخنا الإمام بقرية الناس ، سیدی أحمد بابا السودانی الثنبُکّتی ، أبقی الله جلّاله ، وأدام عمرته ، وحفظ خلاله ، يقول إن ذلك يكون في كل قطر بحسبه ، وليس من شرطه أن يعم الدنيا أو غالبها ، والله أعلم .

آراء في المراد
بالمجدد

ولأجل ذلك قال أبقاه الله في رجزه في هذا المعنى ، حيث ذكر المجدين .

قال في العاشر ما نصه :

(١) يشير المؤلف إلى ما نقله من التعريف بصاحب القاموس ، عن كتاب « الشقائق النعمانية ، في علماء الدولة العثمانية » .

(٢) كذا ورد اسم هذا الكتاب ضمن مجموعة خطية (مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٥ مجاميع) . وفي الأصول : « بتحفة المجتهدين ... الخ » .

وعاشرُ القُرُون فيه قد أتَى مُحَمَّدٌ إِمَامُنَا وهو الفَتَى
يعنى به الشيخ العلامة سيدى مُحَمَّدًا بَغِيْعٌ^(١)، رحمه الله . ولا خفاء أن هذا
منه أبقاه الله بناءً على اعتبار كل قطر على حِدَةٍ ، إذ هذا الشيخ الذى جزم بتجديده ،
إنما هو فى صُتْعٍ تُنْبِكُتُ^(٢) وجاغو . وأما فى بلاد المغرب وغيرها فلا ؛ وهو مخالف
لما عند السيوطى فى هذا النظم ، كما تراه قريباً . والله تعالى أعلم بالصواب .
ونرجعُ إلى كلام الإمام الجلال السيوطى ، رحمه الله تعالى ، قال :
فكان عند المئة الأولى عُمَرُ خَلِيفَةُ العَدْلِ بإجماع وَقَرُ
والشافعى كَان عند الثانية لما له من العلوم السارية
وإِبْنُ شَرِيح ثالث الأئمة والأشعرى عَدَّة مَن أُمَّه
والباقِلَانِي رابعٌ أو سَهْلٌ أَوْ الإسْفَرَايْنِي خلافاً [قد] حَكَّوْا
والخامس الحَبْرُ هو الغَزَالِي وَعَدَّة ما فيه من جِدَالِ
والسادس الفخرُ الإمامُ الرَازِي والرافعى مَثَلُهُ يُوازى
والسابع الرَاقِي إلى المَراقِ ابْنُ دَقِيقِ العِيدِ باتِّفاقِ
والثامنُ الحَبْرُ هو البُلْقِينِي^(٣) أو حافظ الأَنام زَيْنُ الدِّينِ^(٤)

(١) كذا ضبطه الشيخ أحمد بابا فى : « الابتهاج ، بتذليل الديباج » .

(٢) تنبكت (بضم ، فسكون ، ثم موحدة مضمومة ، وكاف ساكنة) : مدينة فى أقصى المغرب . (انظر تاج العروس) .

(٣) البلقيني : نسبة إلى بلقينة (بضم الياء وكسر القاف أو فتحها) بلدة بمصر بالمغربية .

(٤) هو الحافظ الكبير عبد الرحيم بن الحسين الزين العراقى ، السكردى الأصل ، شيخ المحدثين فى المئة الثامنة . ولد بمصر سنة ٧٢٥ ، وتخرج به كثير من أعلام المحدثين بمصر والشرق ، كالإمام بن حجر العسقلانى ، وابن حجر الهيئى . وقد جمع أطراف الثقافة العربية والإسلامية ، وصار أُوحد وقته فى علوم الحديث ؛ وله فيها الألفية التى ذاعت شهرتها ، وتخرج أحاديث الأحياء ، وغير ذلك كثير . توفى سنة ٨٠٦ هـ كما فى البدر الطالع للشوكافى ، أو سنة ٨١٩ كما فى هامش طبقات الحنفية لمحمد عبد الحى الملىكنوى الهندى .

وَعَدَّ سَبْطَ الْمَلَيْقِ الصُّوْفِيَّةِ لَوْ وَجِدَتْ مِثْمَهُ وَفِيَّةُ
والشرط في ذلك أن تَمْضِيَ الْمِثْمَةُ وهو على حياته بين الفِئَةِ
يُشارُ بِالْعِلْمِ إِلَى مَقَامِهِ وينصرُ السَّنةَ فِي كَلَامِهِ
وَأَنْ يَكُونَ جَامِعًا لِكُلِّ فَنٍّ وَأَنْ يَعْمُ عَلَيْهِ أَهْلُ الزَّمَنِ
وَأَنْ يَكُونَ فِي حَدِيثٍ قَدْ رُوِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمُصْطَفَى وَهُوَ قَوِي
وَكُونَهُ فَرْدًا هُوَ الْمَشْهُورُ قَدْ نَطَقَ الْحَدِيثُ وَالْجُمْهُورُ
وَهَذِهِ تَاسِعَةُ الْمَثِينِ قَدْ أَنْتَ وَلَا يُخْلَفُ مَا الْهَادِي وَعَدَّ
وَقَدْ رَجَوْتُ أَنَّ الْمَجْدَدُ فِيهَا فَفَضْلُ اللَّهِ لَيْسَ يَجْدُدُ
وَأَخِرُ الْمَثِينِ فِيهَا يَأْتِي عَيْسَى نَبِيُّ اللَّهِ ذُو الْآيَاتِ
يُجَدِّدُ الدِّينَ لِهَذِي الْأُمَّةِ وَفِي الصَّلَاةِ بَعْضُنَا قَدْ أُمَّهُ
مُقَرَّرًا لَشَرْعِنَا وَيَحْكُمُ بِحُكْمِنَا إِذْ فِي السَّمَاءِ يَفْلَمُ
وَبَعْدَهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُجَدِّدٍ وَيُرْفَعُ الْقُرْآنُ مِثْلَ مَا بُدِيَ
وَتَكْثُرُ الْأَشْرَارُ وَالْإِضَاعَةُ مِنْ رَفْعِهِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ
وَأَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا عَلَّمَا وَمَا جَلَا مِنْ الْخَفَاءِ وَالْعَمَى
مُصَلِّيًّا عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْآلِ مَعَ أَصْحَابِهِ الْمُكْرَّمَةِ

[٥٤٩]

انتهى .

ولیکن هذا آخرَ هذه الترجمة . والله وليُّ التوفيق ، لارب غيره ، ولا

معبود سواه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

٣

روضة البهار

في ذكر جملة من سيوفه الزين فصارهم أظهر من شمس النهار

أقول معتمداً على ذى الطول ، الذى بيده القوة والحوّل :

أردنا أن نذكر في هذه الترجمة مشاهير شيوخ القاضى [الإمام] أبى الفضل عياض ، رحمه الله ؛ وقد قدمنا فى الترجمة قبل هذه أسماء بعضهم على سبيل الإجمال ، حيث جرّ الكلام إليها ، وهذا هو محلها ، وقد تكفل رحمه الله بذكرهم ، فى كتابه الذى سماه بالغنية ، وقد ذكر فيها نحو المئة .

وقال ابنه رحمه الله : انتهى عددُ أشياخه الذين ذكرهم فى فهرسته ، من سمعه أو أجازة ، واليسيرُ منهم لقيه وجالسه ، ولم يسمع منه ، إلى مئة شيخ . انتهى .

وقد ذكر كثيرًا من أحوالهم فى « الغنية » ، ولم تحضرنى نسخةٌ منها الآن بفاس ، لأنى تركت التى عندى بتمسان ، ولم أجدها منها بفاس نسخة ؛ وكل ما أذكره هنا من التعريف ببعض أشياخه ، فهو منقول من غيرها ، وقد يتفق لفظه مع ما فيها .

[شيوخ عياض]

فمن جملة أشياخه رحمه الله تعالى :

القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد (الجد) ، ذكره ابن بشكوال ، فقال : قاضى الجماعة بقرطبة ،

وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها ، يُكْنَى أبا الوليد .

رَوَى عن أبي جعفر بن زَرْقٍ الفقيه ، وتفقه معه ، وعن أبي مَرْوَانَ بْنِ سِرَاجٍ ، وأبي عبد الله محمد بن خَيْرَةَ ، وأبي عبد الله محمد بن فَرَجٍ ، وأبي عَلِيٍّ الْغَسَّانِيَّ ، وأجاز له أبو العباس الْعُذْرِيَّ ما رواه ؛ وكان فقيهاً عالماً ، حافظاً للفقه ، مقدماً فيه على جميع أهل عصره ، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيراً بأقوالهم ، واتفاقهم واختلافهم ، نافذاً في علم الفرائض والأصول ، من أهل الرياسة في العلم ، والبراعة والفهم ، مع الدين والفضل ، والوقار والحلم ، والسمعة الحسن ، والهدى الصالح .

شيوخه وعلمه

سمعت الفقيه أبا مروان عبد الملك بن مَسْرَةَ يقول : شهدت شيخنا القاضي أبا الوليد يصوم يوم الجمعة دائماً ، في الحضر والسفر . ومن تواليفه كتاب « المقدمات لأوائل كتب المدونة » ، و « كتاب البيان والتحصيل ، لما في المستخرجة من التوجيه والتعليم » ، و « اختصار المبسوط » ، و « اختصار مشكل الآثار » للطحاوي ، إلى غير ذلك من تواليفه . سمعنا عليه بعضها ، وأجاز لنا سائرها ، وتقلد القضاء بقرطبة ، وسار فيه بأحسن سيرة ، وأقوم طريقة ، ثم استعفى عنه فأعفى ، ونشر كتبه وتواليفه ، ومسانله وتصانيفه ، وكان الناس يلجئون إليه ، ويعوّلون في مهماتهم عليه ؛ وكان حسن الخلق ، سهل اللقاء ، كثير النفع لخاصته وأصحابه ، جميل العشرة لهم ، حافظاً لعهودهم^(١) ، كثير البر بهم ، وتوفى عفا الله عنه ليلة الأحد ، ودُفِنَ عَشِيَّ يوم الأحد ، الحادي عشر من ذي القعدة ، سنة عشرين وخمس مئة ، ودُفِنَ بمقبرة العباس ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم ، وشهده جمع عظيم من الناس ، وكان الثناء عليه حسناً جميلاً . [٥٥١]

رعه ومؤلفاته
ومولده ووفاته

ومولده في شوال سنة خمسين وأربع مئة .

وقد كان أيام حياته توجه إلى المغرب ، إثر الكائنة التي كانت بين المسلمين والنصارى ، بالموضع المعروف بالربنيول^(١) ، وذلك في منتصف شهر صفر عام عشرين وخمس مئة ، فاستخار القاضي أبو الوليد في النهوض إلى المغرب ، مُبِينًا لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، ما الجزيرة عليه ، فوصل إليه ، فلقبه أكرم لقاء ، وبقي عنده أبرًا بقاء ، حتى استوعب في مجالس عديدة ، إيراد ما أزعجه إليه ، وتبين ما أوفده عليه ، فاعتقد ما قرره لديه ؛ وانفصل عنه ، وعاد إلى قرطبة ، فوصلها آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وعلى أثر ذلك أصابته العلة التي أخرجته ، إلى أن أفضت به إلى قضاء نحبه ، ولقاء المرتقب من محتوم لقاء ربه ، وتبارى الأدباء والشعراء في تأبينه ؛ وحق لهم ذلك ، رضى الله عنه وأرضاه .

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض :

الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي القرطبي ، الشهير بابن الحاج ، قاضي الجماعة بقرطبة . روى عن أبي جعفر أحمد بن زرق الفقيه ، وتفقه عنده ، وقيد الغريب واللغة والأدب عن أبي مروان عبد الملك ابن سراج ، وسمع عن أبي عبد الله محمد بن فرج الفقيه ، وعن أبي علي الغساني وغيرهم . وكان من جلة الفقهاء ، وكبار العلماء ، معدودًا في المحدثين والأدباء ، بصيرًا بالفتيا ، رأسًا في الشورى ، وكانت الفتيا في وقته تدور عليه ، لمعرفته وثقته وديانته ، وكان مُعْتَنِيًا بالحديث والآثار ، جامعًا لها ، مقيّدًا لما أشكل من معانيها ، ضابطًا لأسماء رجالها وزواتها ، ذا كرا للغيرب والأنساب ، واللغة

(١) كذا في الأصول ، ونظنه محرفًا ، ولم نجد ما يصوبه .

والإعراب ، وعالما بمعاني الأشعار ، والسَّير والأخبار . قال ابن بَشْكُوَال : قيد العلم عُمرَه كُلَّهُ ، وعُنِيَ به عناية كاملة ، ما أعلم أحدًا في وقته عُنِيَ كهنايته ، قرأت [٥٥٢] عليه وسمعت ، وأجازني بخطه ؛ وكان له مجلس بالجامع بقرطبة ، يُسَمِّعُ الناس فيه ، وتقلَّد القضاء بقرطبة مرتين ، وكان في ذاته لِينًا صابِرًا ، طاهرًا حليماً متواضعاً ، لم يُحَفَظْ له جَوْرٌ في قضِيَّة ، ولا ميل بهوى ، ولا إصغاء إلى عناية^(١) ، وكان كثير الخضوع والذكر لله تعالى ، ولم يزل آخرَ عمره يتولَّى القضاء بقرطبة ، إلى أن قُتِلَ ظالماً بالمسجد الجامع بقرطبة ، يوم الجمعة وهو ساجد ، لأربع بَقِين من صفر ، من سنة تسع وعشرين وخمس مئة ، ومولده في صفر سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . وكتابه في نوازل الأحكام ، المتداول لهذا العهد بأيدي الناس : من الدلائل على تقدمه في المعارف وبراعته . تغمدا الله وإياه برحمته .

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله :

القاضي الشهير الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أحمد بن العَرَبِيِّ المَعافِرِيِّ الإشبيليِّ ، رحل إلى المشرق مع أبيه يوم الأحد ، مستهلَّ شهر ربيع الأول ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، فدخل الشام ، ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطُّرُوشِيَّ ، وتفقَّه عنده ، ورحل إلى الحجاز في موسم سنة تسع وثمانين ، ودخل بغداد مرَّتين ، وصحب أبا بكر الشاشيَّ ، وأبا حامد الطوسيَّ الغَزَّالِيَّ ، وغيرهما من العلماء والأدباء ، فأخذ عنهم ، ثم صدر عن بغداد ، ولقي بمصر والإسكندرية جماعة ، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين ، وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير ، لم يدْخُلْ به أحد قبله^(٢) ، ممَّنْ كان له رحلة إلى المشرق ،

أبو بكر بن
ربي المَعافِرِي

(١) في ط : « غابة » . (٢) كذا في ابن خلكان نقلا عن الصلة لابن بشكوال .

والذي في الأصول « لم يدْخُلْ به أحد قبله » .

ولذا نُقِلَ عنه أنه قال : كُلُّ من رَحَلَ لم يَأْتِ بِمَثَلٍ ما أَتَيْتُ به أنا والقاضي أبو الوليد الباجي ، أو كلاما هذا معناه . أو قال : لم يَرَحَلَ غَيْرِي وغير الباجي ، وأما غيرنا فقد تعب ، أو نحو هذا ، مما لم تحضرني عبارته الآن .

[٥٥٣] وكان من أهل التفنن في العلوم ، متقدما في المعارف كلها ، متكلما في أنواعها ، حريصا على نشرها . واستُغْفِرَ بمدينة إشبيلية ، فقام بما قُلِّدَ أحمدَ قيام ، وكان من أهل الصرامة في الحق ، والشدة والقوة على الظالمين ، والرِّفْقِ بالمساكين ، ثم صُرِفَ عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثه .

قال المحدث أبو القاسم خَلَفَ بن عبد الملك بن بَشْكُوَال : قرأت عليه بإشبيلية ، وسألته عن مولده ، فقال لي : وَلِدْتُ ليلة الخميس لثمان بَقِين من شعبان سنة ثمان وستين وأربع مئة ؛ وتُوفِّيَ رحمه الله بالعدوة ، ودفن بمدينة فاس في ربيع الآخر ، سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة . انتهى .

وقال ابن بَشْكُوَال أيضا في حقه :

هو الحافظ المستبحر ، خَتَمَ علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحُفَظَها . انتهى . ومن تكملة المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأَبَّار ، عن أبي عبد الله بن مجاهد الإشبيليِّ الزاهد العابد : أنه لازم القاضيَ أبا بكر بن العربيِّ نحوًا من ثلاثة أشهر ، ثم تخلف عنه ، فمِيلَ له في ذلك ، فقال كان يُدَرِّسُ وبلغته عند الباب ، ينتظر الركوب إلى السُّلْطان . انتهى .

وذكره الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبَيْرِ في صِلَته ، وقال فيه : رحل مع أبيه أبي محمد عند انقراض الدولة العبَّادية إلى الحج ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وسُنَّه إِذْ ذَاكَ نحو سَبْعَةِ عَشَرَ عاما ، فَلَقِيَ شيوخَ مِصْرَ ؛ وعدَّدَ أناسا ، ثم قال : وقَيَّدَ الحديث ، وضبط ما رَوَى ، واتسع في الرواية

من كلام ابن
بشكوال عنه

شئ عنه من
صلة ابن الزبير

وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام ، على أئمة هذا الشأن ، وعاد إلى بغداد بعد دخولها ، وانصرف إلى الأندلس ، فأقام بالإسكندرية ، فمات أبوه بها أول سنة ثلاث وتسعين . ثم أنصرف إلى الأندلس ، فسكن بلدة إشبيلية ، وشوَّور [٥٥٤] فيه ، وسمع ودرَّس الفقه والأصول ، وجلس للوعظ والتفسير ، وصنف في غير فنِّ تصانيف مليحة ، حسنة مقيدة ، وولى القضاء مدة ، أولها في رجب من سنة ثمان وعشرين ، فنفق الله به ، لصرامته ونفوذ أحكامه ، والتزم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، حتى أودى في ذلك ، بذهاب كتبه وماله ، فأحسن الصبر على ذلك كله ، ثم صُرف عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثه ، وكان فصيحاً حافظاً ، أديباً شاعراً ، كثير المُلح ، مليح المجلس .

ثم قال : قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى — وقد وصفه بما ذكرته — ثم قال : ولكتيرة حديثه وأخباره ، وغريب حكاياته وروايته ، أكثر الناس فيه الكلام ، وطعنوا في حديثه ، وتوَقَّيَّ مُنْصَرَفَهُ من مَرَاكُش ، من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة ، بعد دخول مدينة إشبيلية ، فحُجِسُوا بمراكش نحو عام ، ثم سُرِّحُوا ، فأدرَكته منيته بطريقه ، على مَقَرَّة من فاس بمرحلة ، وحمل مَيِّتاً إلى مدينة فاس ، فدُفِنَ بها ، بباب الجيسة .

قال : وروى عنه الجُمُّ الغفير . فمن جُمْلَةٍ من رَوَى عنه من علماء المئة الخامسة ، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى ، وأبو جعفر بن الباذِش ، وطائفة . انتهى .

قال القاضي أبو الحسن بن الحسن النَّبَاهِي في كتاب « المرقبة العليا » ، في القضاء ^(١) « والفتيا » بعد أن ذكر ما قدَّمناه ، مانصه : والصحيح في القاضي أبي بكر

فاته وقبره

(١) تقدم في بعض مواضع من هذا الكتاب مكان كلمة : « القضاء » . « مسائل القضاء » ، « الأفضية » .

أنه إنما دُفن في خارج باب المحروق من فاس ، وما وقع من دَفْنِه بباب الجيسة ، وَهُمْ مِنْ ابن الزُّيَرِ وَغَلَطَ ، وقد زُرناه وشاهدنا قبره بحيث ذكرناه .
أرضاه الله ، وغفر لنا وله . انتهى .

قلت : وقد سبق ابن الزُّيَرِ إلى ذلك القاضي أبو الفضل عياض في الغنية ، فإنه قال : دُفن خارج باب الجيسة . واعتذر عنه بعض الأكابر ،^(١) بأن باب المحروق لم يكن إذ ذاك مُتَّحَ^(٢) ، لأنه من بناء أمير المؤمنين الناصر بن أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ، ولا شك أن ذلك متأخر عن زمان عياض قطعاً ؛ ويبقى الإشكال في كلام ابن الزُّيَرِ ، التآخر زمانه عن ذلك .

[استطراد وتحقيق]

[بين الشيخين : ابن غازي والوانشريشي]

وبعد ما كتبت هذا هنا ، وقفتُ على تأليف لطيف ، صغير الجِرم ، كثير العلم ، للشيخ الإمام [العالم] أبي عبد الله محمد بن غازي رحمه الله [تعالى] ، ألم في آخره بالمسألة المذكورة ، فرأيت أن أُورِدَه بطوله ، لما اشتمل عليه من القوائد ، وإن كانت أجنبيَّة عما نحن فيه ، ولكن لا يخلو من فوائد جمّة ؛ وختمته بهذا الغرض الذي ذكرناه ، وخاطب به الشيخ الحافظ الإمام سيدي أحمد بن يحيى الوانشريشي المولد ، التلمساني المنشأ والقراءة ، الفاسي القبر والدار آخر عمره ، بل أوسط عمره ، وسماه : « بالإشارات الحسان ، المرفوعة إلى حَبْر فاس وتلمسان » . يعنى بحبر فاس وتلمسان : الشيخ الوانشريشي المذكور ؛ وقد كتب بطرُّره الشيخ الوانشريشي المذكور زوائد ، هأنا أذكرها في محلها ، تميماً للغرض ، ونصّه :

(١-١) في الأصول : « بأن باب المحروق لم تكن إذا ذاك فتحت » . والغاربة يؤثنون الباب .

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حقَّ حمده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيّه وعبدّه .

إلى السيد الفقيه ، العالم ، المحقق ، المدرّس ، المفتي ، الصّدّر ، الحُجّة ، الكبير ، الخطير ، الأحظي ، الملاحظ ، الأختل الأكل ، أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي يحيى الوائشريشي ، حفظ الله سبحانه وتعالى كماله ، وبلغه في الدارين آماله ، من محبته طبعاً وشرعاً ، أضلاً وفرعاً ، وتراً وشفعاً ، إفراداً وجماعاً ، محمد بن أحمد بن غازي ، سمح الله سبحانه [وتعالى] له ، مسلماً عليكم أكل [٥٥٦] السلام ، مخصصاً لكم بمحض البر والإكرام .

سيدي ، متى صار النهر يُستمدُّ من السّاقية ؟ وكيف عاد السّيح^(١) يفتقر إلى السانية ؟

* في طاعة الشمس ما يُغنيك عن زحل *

* ليس التكحل في العينين كالكحل *

كتبت ، كتب الله لك السعادة ، وبلغك منها الحُسنى والزيادة ، تُشارك محبكم في أمرٍ سعيدٍ بُرداً بإسكات عمر بن عبد العزيز ، أو إخراجه من المسجد ، هل كان ذلك في خلافته ، أو في إمرته بالمدينة^(٢) ؟ ومن بُردُ هذا ، ومن عَرَفَ به ؟ ومن قال بإسلام أبي طالب غير المسعودي ؟ ومن أبو العباس العشاب ، الذي نقلَ عنه ابنُ عرفة في فصل الاستثناء من كتاب الطلاق ؟ ومن الآبئ المِصرى ؟ وهل ألفَ أحد في التعريف برجال أهل السّنة والمعتزلة ؟

سؤال

الوائشريشي
لابن غازي عن
مسائل من العلم

(١) السّيح : الماء الجاري الظاهر . (٢) في م : « إمرته على المدينة » .

فَتَوَزَّعَ فِكْرُكُمْ مَحْبِكُمْ فِي إِيرَادِكُمْ^(١) شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِسْعَافِ رَدِّكُمْ^(٢) ، وَلَوْ بِالتَّشْدُقِ وَالْهَذَرِ .

قضية سعيد بن
المسيب مع عمر بن
عبد العزيز

١ — أما قضية سعيد بن المسيب بن حزن ، مع عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، المذكورة في سماع القرينين من صلاة العتبية ، فليس عند محبكم في طرده ، إلا ما فسّر به القاضي أبو الوليد بن رشد : أنه من جواره ، لا من المسجد جملة ؛ فإن وقفتُم على تفسير أحدٍ له بالإخراج من المسجد ، فلکم الفضل في إفادتنا به . ثم لا مريّة أن سعيداً مدنيّ ، وأن عمر كان عاملاً على المدينة ، إلى أن عُزِلَ عنها سنة ثلاث وتسعين ، حسباً هو في ترجمة مالك من المدارك ، عن مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . وفي جامع الموطأ للمالك ، أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة ، التفت إليها فبكى ، ثم قال : يا مزاحم ، أتخشى أن نكون ممن نَفَتِ المدينة^(٣) ؟ قال أبو عمر^(٤) : ذكر أهل السّير أن خروج عمر مع مزاحم موله من المدينة ، كان في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، وذلك أن الحجّاج كتب إلى الوليد : إن عمر بن عبد العزيز بالمدينة كهف لأهل النفاق ، وأهل البغضاء والعداوة لأمير المؤمنين . فجأ به الوليد : إني أعزّله . فعزّله ، وولى عثمان بن حيان المُرْتَمِيّ ؛ وذلك في شهر رمضان المذكور . فلما صار عمر بالسَّوَيْدَاءِ قال لمزاحم : يا مزاحم ، أتخاف أن نكون ممن نَفَتِ المدينة ؟

وقال ميمون بن مهران : ما رأيت ثلاثة مجتمعين خيراً من عمر بن

(١) في ص : « المراد » . (٢) في ص : « ودم » .

(٣) في كلام عمر مع موله مزاحم إشارة إلى الحديث النبوي : « لا تقوم الساعة حتى

تنفي المدينة شرارها كما ينفي السكير خبث الحديد » . رواه مسلم .

(٤) هو أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي الأندلسي الحافظ المشهور .

عبد العزيز ، وابنه عبد الملك ، ومولاه مزاحم . انتهى .

قلت : مات ابنه ومولاه المذكوران قبله مطعونين ، ومات هو مسموما .
ذكر ذلك أبو نعيم الحافظ في « حلية الأولياء » . وكان ميمون بن مهران كاتبه ،
رضي الله سبحانه [وتعالى] عنهم .

وأفضت الخلافة إلى عمر باستخلاف [سليمان] ^(١) النهم إياه ، فاستقر
بالشام ، دار خلافة قومه بنى أمية ، إلى أن قبض ودُفِنَ بدير سمنان .
قال ابن الخطيب في شرح رَقَمَ الحُلل : من عمل حَمَص ، في أخريات رجب ،
سنة إحدى ومئة . وقبره مشهور ، يغشاه الناس . انتهى .

وقال الشاعر يرثيه رضي الله عنه :

أقول لما نعى الناعون لى عمرًا لا يبعدن قوام الحق والدين
قد غيب الرامسون اليوم إذ رمسوا بدير سمنان قسطاس الموازين

وفي رواية : « جُربان الموازين » . أنشدهما أبو نعيم في الحلية . ورأيت في نسخة
منها « جُربان » بالياء آخر الحروف ^(٢) ، وأظنه تصحيفا ، لأن مصدر جَرَى جَرَيان

بفتح الراء ، والوزن يأباه ، مع ما فيه من القلق من جهة المعنى ؛ وصوابه ، والله [٥٥٨]
[تعالى] أعلم ، « جُربان » ، بضم الجيم ، وإسكان الراء ، وبالياء ثانية الحروف ^(٢) ،
وأظن أن منه اللفظ الذي في صَرَفَ العُتْبِيَّة ، فيمن له على رجل دينار ، فأعطاه به
نصفين وازنين ؛ قال : لا خير فيه إلا أن يكون للدينار جُربان : معيارٌ عنده .
قال القاضي أبو الوليد بن رشد : جُربان ، أى وزن معلوم . وفي صحاح الجوهري :
الجَرِيب ، من الطعام والأرض : مقدار معلوم ، والجمع أَجْرِبَةٌ وجُربان . انتهى .

(١) هو سليمان بن عبد الملك ، كان مشهورا بالثبوت وكثرة الأكل . وكان موته من

أكلة أكلها . (انظر مروج الذهب والعقد الفريد) .

(٢) يريد حروف الهجاء ، لا حروف الكلمة .

وبين التفسيرين فرق ، ولسكنهما حول حقيقة واحدة يُدَنِّدَان . وإن كان عند سيدنا في تحقيق هذا اللفظ غير هذا ، فعسى أن يفيدنا به .

فإذا تقرر سُكُناه بالمدينة أيام العِمالَة ، ثم بالشام أيام الخِلافة ، فالأظهر أن طَرْدَ سعيد إياه كان أيام العِمالَة ، حيث كان ثاوياً بالمدينة ، لقوله في الرواية : كان عمر بن عبد العزيز يخرج من الليل ؛ أراه [في] آخره ؛ وكان ظاهره في المثابرة ، ومُظَنَّتْهَا الإقامة ، لولا أن شيخ الحقيقة ، وإمام الطريقة ، القاضي أبا الوليد بن رُشد قال : لم يَهَبْهُ لمكانه من الخِلافة ، لجزالته وقوته في الحق ، وقلة مُبالاته بالأئمة . فاقترضى كلامه أن ذلك كان وهو خليفة لا وهو عامل . فإن صح ذلك ، فيحتمل أن يكون جاء يزور المدينة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، في أيام خلافته ، وأقام فيها للعبادة . وربما يتعين هذا ، بأن النافلة في البيوت أفضل لغير الغُرباء ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقد ذكر قول ابن رُشد هذا مُحَبِّسَكُم ما في صحيح البخاري ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : جاء جدِّي حَزَنٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : حَزَنٌ . قال أنت سهيل . فقال : ما كنت أُغَيِّرُ أسماءَ سَمَّاني به أبوأي . قال سعيد : فما زالت الحُزُونَةُ فينا بعد . انتهى . [٥٥٩]

وإصلا بته في ^(١) الحق ، وشدَّته على الدين ، امتحنه عبد الملك بن مروان ، وضربه بالسياط ، وألبسه المُسوح ، وتُبَّانًا من شعر ، ونهى عن الجلوس إليه . وذلك أيام استعماله هِشام بن إسماعيل على المدينة ، وهو صاحب المد الشامي ^(٢)

(١) في ط : « على » .

(٢) كذا في م ، وهو منسوب إلى هِشام بن إسماعيل المخزومي على غير قاعدة النسب . والذي في سائر الأصول : الهشام . أجرى النسب على لفظه ، ولا يستقيم مع قوله بعد : « وتغييرات النسب الخ » .

لا الدينار الهاشمي ، خلافا لمن نسب له ، وإلا قيل الشامي ^(١) أيضا ، وتغييرات النَّسَب مقصورة على السماع ، وبالله تعالى التوفيق .

قال عبيد الله أحمد بن محمد المقرئ لطف الله به : وجدت بخط الإمام سيدي أحمد الوائشري في طُرَّة : قول الإمام ابن غازي : « ولصلايته في الحق ... الخ » مانصه :

قلت : ذكر أبو العَرَب ^(٢) في كتاب المِجَن ، أنه لما أراد عبد الملك بن مَرْوان أن يكتب العهد لابنه الوليد ، قيل له لا يتم لك هذا الأمر إلا بآبِ المُسَيَّب ، فاكتب له . فكتب إليه أن يبايع ، فرد إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نبايع لخليفتين ، فإن أردتها لابنك ، فاخلع نفسك ، وإلا فلا . فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة ، هشام بن إسماعيل الخزومي : إن لم يبايع فاضربه مئة سوط ، فاضربه مئة ، وحلق رأسه ولحيته ، وكساه ثبانا من شعر ، ونادى عليه ، وطيف به إلى الليل ، فأغلقت الدُور ، وكثر البكاء والتحسر ، وما سمع يومئذ بالمدينة إلا نائحة أو هاتف ، لما انتَهَكَ من حرُمته . وكان أيضا قبل ذلك ضربه جابر ^(٣) بن الأسود على البيعة لابن الزبير . انتهى . ابن الحذاء : وكان جابر بن الأسود والي المدينة لابن الزبير ، فدعاه إلى البيعة لابن الزبير ، فاضربه ستين سوطا . ودعاه هشام بن إسماعيل أيضا إلى البيعة للوليد وسليمان بالعهد ، فلم يفعل ، فاضربه ستين سوطا ، وطاف به في المدينة ، في ثبَان من شعر . انتهى .

[٥٦٠]

(١) في ط ، ص : « الهاشمي » والتصويب عن م فكل ما ينسب إلى هشام هذا ، يقال

فيه : « الشامي » على غير القياس ، كما تقدم .

(٢) أبو العرب : هو محمد بن أحمد بن تميم التميمي القبرواني الفقيه المحدث المؤرخ .

توفي سنة ثلاث وثلاث مئة . (٣) في الأصول : « حسان » . ورواية ابن الحذاء

المذكورة بعد هذا الخبر : « جابر » . وهي موافقة لما جاء في المعارف لابن قتيبة .

قال بعض الشيوخ: إن كان استناد ابن المسيب في إبايته من البيعة للوليد حديث: «إذا بُويع خَلِيفَتَيْنِ فاقتلوا الآخرَ منهما»^(١)، فإنما الحديث في البيعة للخليفَتَيْنِ، يُفَرَّقُ الثاني جماعة الأول، ويشق العصا. وإن كان النهي في غير هذا الحديث، فهو أعلم بما استند إليه. قال: وأما امتناعه من البيعة لابن الزبير، فإن البيعة حينئذ كانت انعقدت لبني أمية بالشام، وكان مذهب ابن المسيب كمذهب الأكثر، في منع القيام على من انعقدت له البيعة ثم ظهر فسقه. وانظر هذا مع قول مالك: ابن الزبير أحقُّ بها من مروان وابنه عبد الملك. انتهى ما ألفيته على هذا الحل، بخط [الشيخ العلامة] الوائشر يشي. ووجدت أيضا بخطه ما نصّه:

تنبيهات

الأول — ولد أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب الخزومي، لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب. وتوفي بالمدينة، قال يحيى بن سعيد: سنة إحدى أو اثنتين وتسعين؛ وقال الواقدي: سنة أربع وتسعين؛ وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء، لكثرة من مات منهم؛ وقال المدائني ويحيى بن معين: سنة خمس ومئة.

الثاني — قال غير واحد: عمّال عبد الملك بن مروان: الحجاج بالعراق، وأخوه محمد باليمن، والمهلب بخراسان، وهشام بن إسماعيل بالمدينة، وابنه عبد الله بمصر، وموسى بن نصير بالمغرب، ومحمد بن قُلان بالجزيرة. قال ابن خلكان: وكل واحد من هؤلاء ظلوم غشوم.

[٥٦١]

الثالث — هشام بن إسماعيل المذكور هنا، هو ثالث آباء أبي هشام،

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

محمد بن مَسْلَمَةَ الفقيه المدني ، صاحب مالِك . قال الشيرازي : وكان مالِك إذا دخل على الرَّشيد ، دخل بين رجلين من بني مخزوم : المغيرة عن يمينه ، وابن مَسْلَمَةَ عن يساره .

وهشام هذا هو الذي نُسِبَ إليه مَذْهَبُ هشام ، المذكور في الوضوء والظَّهَار ،
(١) والذي يُدعى عنه ذِكْرُهُ في الرقيق في خطبته (١) ، وانظر شدة إنكار ابن العربي
اعتبار مَذْهَبِهِ في آية الظَّهَار ، من أحكامه تطالع . انتهى ما ألفت بخط الوائشريشي .
وقد سَنَحَ لي أن ما ذكره الشيخ ابن غازي عن ابن رُشد ، من أن طَرَدَ
سعيد بن المسيَّب عمر بن عبد العزيز ، إنما كان في خلافته ، لا يتم [إلا] على
القول بأن وفاته — أعني سعيدا — كانت على رأس المئة أو بعدها ، وأما على
قول الأكثر إنه بعد التسعين سنة أو سنتين أو أربع ، فلا يصح قطعاً ؛ فتدبره .
ومن العجائب [إغفال الشيخين : ابن غازي والوائشريشي له . وإلى الله
منتهى العلم .

لمقرى في وفاة
ابن المسيَّب

ولنرجع إلى [تكميل كلام الشيخ ابن غازي في التأليف المذكور ،
ونضه : وأما بُرْد فليس عند مُعْظَم قَدْرِكُمْ أَكْثَرُ من أنه مولى سعيد ، كما أن
زيد بن حارثة وسَفِينَةَ وأبا رافع وشُقْران : موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وبلال بن رباح مولى أبي بكر ، ويَزِيدُ فَمَوْلَى عمر بن الخطاب ، وحمُران مولى
عثمان بن عفان ، ونافع مولى ابن عمر ، وكُرَيْب وعكرمة البربري مولى ابن
عبَّاس ، ومُزَاحِم مولى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله تعالى عنهم . وقد صرح
بذلك الحافظ أبو نُعيم ، قائلًا في ترجمة سعيد من الجَلِيَّة ، عن بُرْد مولى سعيد
ابن المُسيَّب : ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد . انتهى .

بردمولى بن
المسيَّب

[٥٦٢]

(١ — ١) كذا وردت هذه العبارة في الأصول ، وفي الديباج المذهب لابن فرحون ،
في ترجمة محمد بن مسلمة الفقيه .

ولم أجد عند أبي جعفر العَقِيلِي ولا عند أبي يحيى الباجي ، ولا عند ابن أبي
أَحَدَ عَشَرَ ، الذي جمع بينهما ، مَنِ اسمه «بُرْد» ، وذلك والله أعلم لأحد وجهين :
إما أنه لم يَتَكَلَّم فيه أحدٌ بِجَرَحٍ ^(١) ، أو لكونه لا رواية له . ولا يُعْتَرَض هذا
بوقوعه في سَنَدِ الحِلْيَةِ المتقدم ، إذ ليس بمرفوع . وقد ذكروا بعض من اسمه بُرِيد
وَبُرَيْدَة ، لوقوعهما في أسانيد المرفوع ، وتكلم بعض الأئمة فيهما ببعض الجَرَح ؛
وبالله العصمة ، لا رب غيره .

وأبو عبد الله بن أبي أَحَدَ عَشَرَ المذكور : هو من أهل المَرِيَّة ، وقد عدّه
صاحب بُغْيَةِ الراغب في أشياخه ، وعرف به تعريفا كافيا .

القول في إيمان
أبي طالب

٢ — وأما أبو طالب فليس عند معظم مَنْصِبِكُمْ في شأنه غيرُ ما تضمنته
الصَّحاح من قوله آخر كلامه عند الموت : « على ملة عبد المطلب » ؛ وحديث
الضحاح الذي يَغْلِي منه دماغه ؛ وقوله : « لولا أن تعيّرني النساء على المغازل ،
لأقررت بها عينك » ؛ وما نزل فيه من قوله تعالى : « ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ » ؛ وقوله سبحانه : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ » ، وقوله جلّ وعلا في أحد التأويلين : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » .
وأنشد في تفسيرها الثعلبي والزَّخَشَرِيُّ له يخاطب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَاللّٰهُ لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَأَبْشُرْ بِذَلِكَ وَقَرَّ مِنْهُ عِيُونَا
وَدَعْوَتِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكَنتَ ثَمَّ أَمِينَا

(١) في المعارف لابن قتيبة في ترجمة سعيد بن المسيب ما نصه : « ورد مولاه . وقال له :
يا برد ، إياك أن تكذب على كما يكذب عكرمة على ابن عباس . وقال : كل حديث
حدثكموه برد ، ليس معه غيره مما تنكرون ، فهو كذب » .

وَعَرَضَتْ دِينَنَا لَا مُحَالَةَ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَنَا [٥٦٣]
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارِي سُبَّةٍ لَوْجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِيدِنَا
وَقَدْ فُسِّرَ الطَّبِيبِيُّ فِي فُتُوحِ الْغَيْبِ غَرِيبَهَا .

وَبِحَسَبِ مَا تَقَرَّرَ مِنْ حَالِهِ أَوْرَدَ عُلَمَاؤُنَا ، الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ ،
السُّؤَالَ عَلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَعَلَّهُ تُنْفَعُهُ شِفَاعَتِي » ، مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَمَا تُنْفَعُهُمْ
شِفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » ؛ وَأَنْفَصَلُوا عَنْهُ بِمَا فِي كَرِيمِ عِلْمِ سَيِّدِنَا .

وَأَمَّا عَبْدُ الْمَطْلَبِ الَّذِي قَلَّدَهُ ، فَمِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ ؛ وَلِلْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ
فِي كِتَابِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، كَلَامٌ مَلِيحٌ عَلَى أَهْلِ الْفَتْرَةِ ، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى :
« إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وَقَدْ حَدَّثَ مُحَبِّبُكُمْ غَيْرُ وَاحِدٍ ، عَنِ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ
الْعَبْدُوسِيِّ ، أَنَّهُ كَانَ يُلَهِجُ بِحَدِيثٍ ، وَقَفَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ [غَيْرُ وَاحِدٍ ،
عَنِ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ] ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ ، حَتَّى آمَنَّا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِكْرَامًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ
الْعَبْدُوسِيُّ يَسْتَحْسِنُهُ وَيُسَرُّ بِهِ كَثِيرًا .

القول في إيمان
أبوي النبي

وَقَدْ أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِلنَّمِيرِيِّ السَّلَوِيِّ :

وَإِنْ ابْنُ طَلَّاحٍ رَوَى أَنَّ أَحْمَدًا رَأَى أَبَوَيْهِ بَعْدَ ذَوْقِ الْمَنِيَةِ
فَأَحْيَاهُمَا رَبُّ الْعِبَادِ فَأَمَّنَا بِهِ ثُمَّ عَادَا مُكْرَمَيْنِ لِقُرْبَةٍ
وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْسَعُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ ، [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ وَعَظَّمَ] :
لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرُهُ آيَاتُهُ عِظَمًا أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ .

قول المسعودي
في إيمان أبي طالب

وأما قول المسعودي في أبي طالب ، فما استفاده محبكم إلا من كتبكم ، أبقى
الله لنا بركاتكم .

قال جامع هذا الموضوع ، عبيدُ الله أحمدُ بن محمدِ المقرئ ، وفقه الله :
[٥٦٤] وجدت على هذا المحل من كلام الشيخ ابن غازي في الطرّة ، بخط الإمام
سيدي أحمد الوائشريشي رحمه الله ، ما نصّه :
قال القاضي أبو عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني ، المعروف بالأبّي^(١) ،
في إكمال الإكمال له ، ما نصّه :

الشَّهِيلِيّ : ورأيت في بعض كتب المسعودي : وقيل إنه مات مؤمناً^(٢) . ولا
يصحُّ ، لما تقدم من الآي والأحاديث .

ولا يُحتجُّ لذلك بما في السّير من قول العباس : « والله لقد قال أخى [الكلمة]
التي أمرته بها يا رسول الله » ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لم أسمعهما . ولو أن
العباس شهد بذلك بعد إسلامه قبلت شهادته ، لأن العدل إذا قال : سمعت ،
وقال الأعدل : لم أسمع ، أخذ بقول من أثبت ، لأن عدم السماع قد يكون لسبب .
فإن قلت : قد ذكرت أن السّير تدل على أنه كان مصدّقاً بقلبه ، وقدمت الخلاف في
صحة إيمان من صدّق بقلبه ولم ينطق بلسانه ، فهل يدخل في إيمانه ذلك الخلاف ؟
قلت : لا يدخل ، لأنه صرّح بالنقيض في قوله هو : « على ملة عبد المطلب » .
انتهى ما ألفيت بخط الوائشريشي .

ولنرجع إلى تنعيم كلام ابن غازي .

٣ — قال رحمه الله : وأما أبو العباس العشاب ، الذي عُرف بابن طلحة ،

أبو العباس
العشاب

(١) نسبة إلى أبة (بضم أوله ، وتشديد الباء) : مدينة بإفريقية .

(٢) في مروج الذهب للمسعودي ، عند الكلام على ديانات العرب في الجاهلية ، ذكر

عبد المطلب ، وأن من الناس من يرى أنه كان مؤمناً .

فلا يعرفه مُجِلُّ سيادتكم إلا من كلام ابن عَرَفَة ، وكأنه مؤرّخ .
قال أحمد المقرئ وفقه الله : أَلْفِيتُ على طُرّة هذا الحل ، بخط سيدي أحمد
الوانشريشي رحمه الله ، ما نصه :

قلت : أبو العباس العَشَّاب ، المعروف بابن طَلْحَة في كتاب الطلاق ، (وقد
وُهِم فيه ، وعُرِف في ترجمة مواقع الشهادات بابن الخَبَّاز النحوي) : هو أحمد بن [٥٦٥]
محمد بن إبراهيم المرادي المعروف بالعَشَّاب . قال ابنُ مرزوق الخطيب في فهرسة
شيوخه : هو من أعظم مَنْ لَقِيتُ بشعر الإسكندرية ، وأكثرهم تحصيلا ، قرأت
عليه بعض موطأ الإمام ، وكتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، وكتاب
التيسير ، وكتاب التفسير من تأليفه ، جمع فيه بين تفسير ابن عطية ، وتفسير
الزمخشري ؛ وقرأت عليه أوائل الكتب الستة بأسانيد فيها . ويَحْمَلُ عن
أعلام ، منهم أبو القاسم بن البراء ، والشيخُ العارف أبو العباس أحمد بن عثمان بن
أحمد بن عَجَلان القيسيّ الإشبيلي ، وأبو عمرَ عثمان بن سُفْيَان المعروف بابن
الشيقي ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ ، المعروف بابن الحَجَّام ،
وأبو العباس بن الغَمَّاز ، وعبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصَّدْفِي ،
وأبو القاسم بن زَيْتُون ، وأبو علي بن عَيْبِل .

انتهى ما أَلْفِيتُ على هذا الحل ، بخط الشيخ سيدي أحمد الوانشريشي .

وانرجع إلى تكميل كلام ابن غازي .

قال رحمه الله : نعم ، ابن طلحة الذي عُرِف به ^(١) : هو شيخُ محمود الأعرج
الزمخشري ، قرأ عليه كتاب سيبويه بمكة ، شرفها الله تعالى ، سمعت ذلك من
شيخنا الأستاذ سيدي أبي عبد الله الكبير ، برّده الله تعالى ضريحه . وقد عَرَفَ

ابن طلحة
اليابري

صاحب الخريدة بالزُّنخشرى ، وهو بخزانة جامع الأندلس . وفي اعتقاد محبكم أن ابن طَلْحَة هذا النحوى ، خلافُ الفقيه صاحب المدخل ، وأن حَظَّهُ من مسألة الاستثناء اللسانُ دُونَ الفقه . فإن صح عند سيدنا أنه هو ، فليفدنا به متطوِّلاً مأجوراً مشكوراً .

قال أحمد المقرئ وفقه الله :

[٥٦٦] وجدت على طُرَّة هذا الحل ، بخط سيدي أحمد الوائشري رحمه الله ، مانصه :
 قلت : بل هو هو ، وهو عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابرى ، نزل إشبيلية ، أبو بكر وأبو محمد ، الأولى أشهرها . روى عن جماعة من الأعلام ، نزل مكة شرفها الله ، وكان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله ، ماهراً في النحو ، حافظاً للتفسير ، قائماً عليه ، ذا كرا للقصص المتعلقة به ، وذلك كان الغالب عليه ، وحلَّق به للعامة بإشبيلية وغيرها ، فكانت العامة تنثال على مجلسه . وله مصنفات ، منها في التفسير كتاب كبير ، ومنها في الفقه وأصوله ، وشرَّح صدر رسالة الشيخ أبي محمد ، ومنها ردُّ على ابن حزم ، ومنها كتاب في الفقه على مذهب مالك ، سماه سيف الإسلام ، ومنها كتاب سماه المدخل إلى هذا الكتاب ، واستوطن مصر وقتاً ، ثم رحل إلى مكة ، فجاور فيها ، إلى أن توفَّى بها رحمه الله . وكان حياً سنة ستِّ عشرة وخمسِ مئة ، وكانت له معرفة تامة بكتاب سيديويه ، وبسببه ارتحل إليه الزُّنخشرى من خوارزم ، لقراءته عليه . انتهى .

من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك :

وذكر الشيخ أبو حَيَّان في باب القسم ، أن الزُّنخشرى رحل من خوارزم إلى مكة قبل العشرين والخمسِ مئة ، لقراءة كتاب سيديويه ، على رجل من أصحابنا من أهل الأندلس ، يعرف بأبي بكر بن طلحة اليابرى ، وكان مجاوراً بها ، علماً

بالكتاب وغيره ، وله تصانيف تُقرأ عليه .

قلت : وتوفي فخر خوارزم ، أبو القاسم محمود ، سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة .
وقطعت إحدى رجله بسبب الثلج ، ولم يكن لريبة ، والله أعلم .
انتهى ما وجدت بخط الشيخ الوائشريشي على هذا المحل .

ابن طلحة آخر

[٥٦٧]

ولنرجع لسكلام الإمام ابن غازي .

قال رحمه الله : وثم ابن طلحة آخر ، وهو مُحاطب أحد بني رغبوش .
[بقصيدة] مديحية زائفة الروي ، هائية الوصل ، حسبما ذكره ابن عبد الملك
في تكملة .

الآبلي المصري

٤ — وأما الآبلي المصري ، فلا إخاله طرّق اسمه سمعي إلا من جهتمكم ، فإنكم
ذكرتموه لي في غير هذا الوقت ، وقد سألتُ الفقيه المحقق سيدي [أبا] عبد الله
الغوري ليلة عن ضبط باء الآبلي الذي كنى الرّحال : أبا الضّم أم بالكسر ، فكأنه
ترجّح فيه ، ثم مال إلى الضّم^(١) .

أخبار أهل
السنة والمعتزلة

٥ — وأما رجال أهل السنة والمعتزلة ، فلا علم لمحبّكم هل صُنف فيهم أم لا .
نعم ، ربما سمعت أو رأيت بعض حكاياتهم في المناظرة ، كمنظرة الشافعي حفصا
الفرد ، بعد ما أنشده الشافعي يتوعده متمثلا :

« ستعلم يا يزيد إذا التقينا بشطّ الزاب أيّ فتى أكون »^(٢)

وذكرها أبو نعيم في الحلية ؛ ومناظرة القاضي أبي بكر بن الطيّب الباقلاني
ابن المؤدّب ، إذ أخرج ابن المؤدّب فولا فرمى به ، يُعرّض بالباقلاني ، فأخرج

(١) آبل (كصاحب) : أربعة مواضع بالشام . وآبل (كأنك) بلد بالأندلس ،
ولا ندرى إلى أيهما نسب .

(٢) رجعنا إلى ترجمة الشافعي في حلية الأولياء لأبي نعيم ، فوجدنا الشافعي تمثّل بالبيت
المذكور في مناظرة بشر المريسي ، في حضرة الرشيد ، لا في مناظرة حفص الفرد .

الباقلاني سَوَّطاً فرمى به ، يُعَرِّضُ بابن المؤدِّب ؛ والحكاية ظريفة ، ذكرها صاحب بغية الراغب ، في ترجمة أبي عبد الله البغدادي .

قال أحمد المقرئ وفقه الله : وجدت بخط الوائشر يشي بطُرة هذا الحل مانصه :
أبو عبد الله هذا هو أبو بكر^(١) بن مجاهد ، والله أعلم . انتهى .

ولنرجع إلى كلام ابن غازي .

قال رحمه الله : ونصّها :

قال فَنَّا خُسْرُو يوما لوزرائه : هؤلاء الْمُثْبِتَةُ ، أما لهم ناصر ؟ فقال له القاضي ، قاضي الجماعة بشر بن الحسين : ليس لهم ناصر ، وإنما هم قوم رَعاع ، أتباع ، حَشَوِيَّة ، لا يعرفون النظر ، وإنما هم أصحاب روايات وأخبار ؛ والمعتزلة هم فُرسان المناظرة والجدل . فقال فَنَّا خُسْرُو : محال أن يكون مذهب

[٥٦٨]

قد طَبَّقَ الأرض وليس له ناصر . فقال له بشر بن الحسين : سمعت أن رجلين بالبصرة ، أحدهما شيخ ، والآخر شاب . فأما الشيخ فهو أبو بكر^(١) محمد بن مجاهد ، وأما الشاب فهو أبو بكر بن الطيب . فأرسل إليهما الأمير فناخسرو وخمسة آلاف درهم فضة طيبة . فقال أبو بكر^(١) بن مجاهد هؤلاء قوم ظَلَمَةٌ فسَنَهُ ، لا يحل لي أن أظأ بَسْطَهُمْ ، وليس غرضه منا إلا أن يقال إن مجلسه مشتمل على أصحاب الحَايِر ، ولو كان ذلك لله تعالى ، لكانت أموره جارية على السَّداد ، وأنا لا أحضر عند قوم هذه صفتهم . قال أبو بكر بن الطيب : فقلت له : هكذا قال عبد الله ابن كلاب والحارث بن أسدِ المحاسبي : إن المأمون ظالم فاسق ، ولا نحضر مجلسه ، حتى سيق أحمد بن حنبل إلى طَرَسُوس ، ولما مات المأمون ضربه المعتصم

(١) هذا وهم من الشيخ الوائشر يشي ، لأن أبا عبد الله بن مجاهد المتكلم غير أبي بكر ابن مجاهد شيخ القراء ، وسيأتى تفصيل لهذا الموضع بعد قليل .

بالسياط ؛ ولو نصره لكان أولى ، لأن الرجل كان يدعى أن أهل السنة ليست لهم حجة على قولهم ، وإنما عرضهم رياسة العامة ، ودفن الحق ؛ ولو مضوا إلى المعتصم ، وبيّنوا له أن الذي يدعى عليه زور وبهتان ، لأرتدع المعتصم ، ولكن أسلموا أحمد بن حنبل لابن أبي ذؤاد القاضي ، فجري على أحمد ما جرى ، وهم ينظرون . وكذلك أنت سلكت مسلكهم ، حتى يجرى على الفقهاء ما جرى على أحمد بن حنبل : وهأنا خارج .

فقال له ابن مجاهد : إذا شرح الله صدرك لذلك ، فافعل .

قال القاضي أبو بكر بن الطيّب : نفرت إلى شيراز ، فلما دخلت المدينة استقبلني ابن خفيف ، في جماعة من الصوفية وأهل السنة ، فلما جاسنا في موضع كان ابن خفيف يُدريس فيه أصحابه اللّمع ، للشيخ أبي الحسن الأشعري ، قال له [٥٦٩] القاضي أبو بكر : تماد على التدريس كما كنت ، فقال له ابن خفيف : أصلحك الله ! إنما أنا بمنزلة المتيّم عند عدم الماء ، فإذا وجد الماء فلا حاجة إلى التيمم . فقال له القاضي : جزاك الله خيرا ، وما أنت بمتيمم ، بل لك حظ وافر من هذا العلم ، وأنت على الحق ، والله ينصرك .

قال القاضي أبو بكر : فقلت : متى الدخول إلى فناخسرو ؟ فقالوا لي : يوم الجمعة لا يُحجّب عنه صاحب طيّلسان . فدخلت والناس قد اجتمعوا ، والمالك قاعد على سرير مُلكه ، والناس صفوف على يسار الملك ، وفوق الكلّ قاضي القضاة بشر بن الحسين ، وكان يدخل مع الوزراء في وزارتهم ، ويصنعي الملك إلى رأيه في أمر الدولة .

قال القاضي أبو بكر : فلما رأيت ذلك كرهت أن أتقدم على الناس ، وأتخطّى رقابهم ، من غير أن أرفع ، ولم تدعني نفسي أن أقعد في أخريات الناس ،

وكان عن يمين الملك المجلسُ خالياً ، ولا يقعد هناك إلا ملك أو وزير عظيمُ المنزلة ، فضيئتُ وقعدتُ عن يمينه ، بمجْداء قاضى القضاة ، فوجدوا من ذلك ، وفزعوا واضطربوا ، لأنه كان عندهم من الجنائيات العظام ، وما كان فى المجلس مَنْ يَعْرِفُنِي إلا رجل واحد ، فقال للقاضى : أطال الله بقاء سيدنا ! هذا هو الرجل الذى طلبه الملك مولانا . فقال قاضى القضاة : أطال الله بقاء مولانا ! هذا هو الرجل الذى كتبتُ فيه ، وهو لسانُ المُثَبِّتة . فنظر إلى العِلَّمان الذين بين يديه والحُجَّاب ، فطاروا من بين يديه ، ثم قال لهم : اذكروا له مسألة . وكان فى المجلس رئيسُ البغداديين من المعتزلة ، وهو الأحذب ، وما كان فى زمانه أفصحُ منه ، ولا أعلمُ منه عندهم ؛ فأما البصريون فحضر منهم خلق كثير ، أقدمهم^(١) أبو إسحاق النَّصِيبِيّ . فقال الأحذب لتلاميذه : سلوه : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه أو^(٢) ليس له ذلك ؟ فقال الرجل للقاضى : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقون أو ليس له ذلك ؟ فقال له القاضى أبو بكر : إن أردت بالتكليف القول المجرد ، فالقول المجرد قد توجه ، لأن الله تعالى قال : « قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا » ، ونحن لا نقدر أن نكون حجارةً ولا^(٣) حديدًا ؛ وقال تعالى : « أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » ؛ فطلبهم بما لا يعلمون ؛ وقال تعالى : « وَيُذْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ » . وهذا كله أمر بما لا يقدر عليه [الخلق] ؛ وإن أردت التكليف الذى نعرفه ، وهو ما يصحّ فعله وتركه ، فالكلام متناقض ، وسؤالك فاسد .

فأخذ الأحذبُ الكلامَ وقال : أيُّها الرجل ، أنت سئلتُ عن كلام مفهوم ،

(٢) فى الأصول : « أم » .

(١) فى ص : « قدمهم » .

(٣) فى ص : « أو » .

فطرحته في الاحتمالات ، وليس ذلك بجواب ؛ والجواب — إذا سُئِلَتْ : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقون — أن تقول : نعم ، له أن يكلف ، أو ليس له أن يكلف . فَعَدَلْتُ عن الجواب ، إلى ما ليس بجواب ؛ وهذا اضطرابٌ شديد . قال القاضي : فلما لم يُوقِّرْني ، ولم يخاطبني بما يليق ، قلت له : أيها الرجل ، أنت عائم ورجلاك في الماء ؛ إني طرحت الكلام في الاحتمالات ، فلم تعدل أنت إلا لعجز أو لعمى ، فإن كان معك كلام في المسألة ، وإلا تكلم في غيرها . [٥٧١] فقال الملك للأحدب : هذا قد بين الاحتمالات ، وتلا عليك الآيات . ثم إنني ما جمعتكم إلا للاستفيد ، لا للمهاترة ، ولا لما لا يليق بالعلماء . ثم التفت إلي ، وقال لي : تكلم على المسألة . فقلت :

ما لا يُطاق على ضربين : أحدهما لا يُطاق للعجز عنه ، والآخر لا يُطاق للاشتغال عنه بضده ، كما يقال : فلان لا يطيق التصرف ، لاشتغاله بالكتابة ، وما أشبه ذلك ؛ وهذا سبيل الكافر : إنه لا يطيق الإيمان ، لأنه عاجز عن الإيمان ، لكنه لا يطيقه لاشتغاله بضده ، الذي هو الكفر ؛ فهذا يجوز تكليفه بما لا يُطاق .

وأما العاجز فما ورد في الشريعة تكليفه ، ولو ورد لكان صواباً ؛ وقد أثني الله تعالى على من سأله ألا يكلفه ما لا طاقة له به ، لأن الله تعالى له أن يفعل في ملكه ما يريد .

ثم تجاوز الأحدب إلى غيره من الكلام ، ومال الملك إلى قول القاضي أبي بكر .

قال القاضي : ثم سألت النّصيب عن مسألة الرؤية : هل يرى الباري سبحانه بالعين ؟ وهل تجوز الرؤية عليه أو استحيل ؟ وقال : كل شيء يرى

بالعين ، فيجب أن يكون في مقابلة العين . فالتفت الملك إلى القاضي أبي بكر ، وقال له : تكلم أيها الشيخ في المسألة .

فقال القاضي : لو كان الشيء يُرى بالعين لوجب أن يكون في مقابلة العين ، على ما قال . ولكن لا يُرى الشيء بالعين . فتعجب الملك من ذلك ، والتفت إلى قاضي القضاة ، فقال : إذا لم يُر الشيء بالعين ، فبأي شيء يُرى ؟ [فقال : يسأله الملك . فقال : أيها الشيخ ، فبأي شيء يُرى إذا لم ير بالعين] ؟ فقال أبو بكر : يُرى بالإدراك الذي في العين . ولو كان الشيء يُرى بالعين ، لكان يجب أن تَرى كل عين قائمة^(١) ؛ وقد علمنا أن الأجهَر عينه قائمة ولا يرى شيئا .

فزاد الملكُ تعجبا ، وقال للنصيبى : تكلم . فقال النصيبى : إني لم أعلم أنه يقول هذا ، ولا بنيت إلا على ما نعرف ، وظننت أنه يُسلم أن الشيء يُرى بالعين . فغضب الملك وقال : ما أنت مثل الرجل ، لأنك بنيت المسألة على الظن . ثم التفت إلى وقال : تكلم . فقلت : العين لا تَرى ، وإنما تَرى الأشياء بالإدراك الذي يحدّثه الله تعالى فيها ، وهو البصر ، ألا ترى أن المحتضّر يَرى الملائكة ونحن لا نراهم ؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يَرى جبريل عليه السلام ولا يراه من يحضّره ؟ والملائكة يَرى بعضهم بعضا ولا نراهم نحن ؟ والدليل على جواز رؤية الباري تعالى ، أنه ليس فيها قلب للحقائق ، ولا إفساد للأدلة ، ولا إلحاق صفة نقص بالتقديم تعالى ، فوجب أن يكون كسائر الموجودات ، لأنه تعالى موجود ، والشيء إنما يُرى لأنه موجود ، لأن المرئي لم يكن مرئيا لأنه جنس ، لأننا نرى سائر الأجناس المختلفة ، ولا لقيام معنى بالمرئي ، لأننا نرى الأعراض التي لا تحتل المعاني ، وقد ثبت بالنص

(١) العين القائمة : التي ذهب بصرها والحدة صحيحة .

وجوب رؤية الحق سبحانه في الدار الآخرة . ثم طَوَّل الكلام .
 قال : ولم يزل فنا خسرو يتقرَّب إليه ، وينزل عن سرير ملكه ، حتى
 صار بين يديه ، لما استعذَّب من كلامه .
 فلما فرغ من المسألة ، قيل للغاربي صاحب المنطق : تكلم معه ، فتَلَجَّلَجَ
 في كلامه ، واقشعر ، وقال : إنما أنا صاحب أَصْطُرْلاب ، ما قدَر هؤلاء
 وهم فُرسان الكلام : الأحذب و بُرْغوث وغيرهم ، على جداله .
 فخرج القاضي أبو بكر ، وأمر الملك بإزاله والجرية عليه ، وقال : والله
 ما كنت إلا مُفَكِّراً بأيُّ لون من القتل أَقْتَلُهُ ، إذا لم يَسْتَحِقَّ مكانه ؛ وأما
 الآن فقد ظهر لي أنه أحقُّ بِمَكَانِي هذا ، ولكنِّي مُبْتَلًى بِالْمَلِكِ . انتهى .

* * *

تسمية أهل السنة
 المثبتة والحجيرة

والمراد بالمُثَبِّتَةِ هنا : أهل السُنَّةِ ، والزُخْشَرَى يسميهم المُجْبِرَةَ ، وقع له ذلك
 في أما كنَّ من الكَشَافِ ، منها في تفسير قوله تعالى : (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْأَخْلَاقُ
 وَالطَّيِّبُ) ، وفي قوله سبحانه : (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) . ولصاحب
 « الانتصاف »^(١) ، من الكَشَافِ « ولصاحب « فتوح الغيب »^(٢) في الرد عليه ، [٥٧٣]
 عند تفسير الآيتين ، كلام حَسَن ، ينبغي الوقوف عليه . وسمَّى أهل السُنَّةِ
 المُجْبِرَةَ ، لاعتقاده قُرب مذهبهم من مذهب الجَبْرِية ، [لا]^(٣) سيما وقد قال
 بعض أئمة أهل السُنَّةِ : « وبالجبر أقول ، والله المستعان » .

(١) هو ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي ، بين في كتابه
 « الانتصاف » هذا ما تضمنه الكشاف من الاعتزال وغيره . توفي سنة ٦٨٣ هـ .
 (عن كشف الظنون) .

(٢) هو شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي ، صاحب الحاشية على الكشاف المسماة
 « فتوح الغيب » ، في الكشاف عن قناع الريب . توفي سنة ٧٤٣ هـ (عن
 كشف الظنون) .

(٣) زدنا « لا » قبل « سيما » لإشاراً لأفصح الأساليب .

بعض من قال
بالجبر وبالجملة

وقد حدثنا شيخنا الأستاذ سيدي أبو عبد الله الكبير ، عن شيخه
أبي عبد الله العكرمي ، وكان لسننا ، أنه كان كثيرا ما يقول : إمامان عظيمان
قالا بالجبر من أئمتنا : القاضي أبو بكر بن العربي ، والفخر بن الخطيب ؛ كما أن
إمامين عظيمين من أئمتنا ، نُسب إليهما القول بالجملة ، وهما أبو محمد بن أبي زيد ،
وأبو محمد بن عبد البر ؛ وجنح لذلك ابن المراتب في تفسير البخاري ، وهو ديوان
كبير بخزانة جامع الأندلس .

أبو بكر بن
مجاهد

ثم عند محبتكم تردد في أبي بكر بن مجاهد هذا ، هل هو شيخ أئمة الإقراء ،
الذي يعتمد عليه أبو عمرو الداني في « إيجاز البيان » وفي التمهيد كثيرا .
وقال فيه الجعفي إنه المسبغ الأول . صنف كتاب السبعة على رأس الثلاث
مئة . وقال أبو علي الأهوازي : هو الذي أخرج يعقوب من السبعة ، وجعل
الكسائي مكانه . وهو الذي قال له الشبلي : أين تجد في القرآن العزيز ، أن
الحبيب لا يعتد بحبيبه ؟ فقال : لا أدري . فأشار إلى قوله تعالى : (قُلْ فَلِمَ
يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ) حسبا بسطه القاضي أبو الفضل عياض في ترجمة الشبلي
من « المدارك » . وفي ظني أن اسم المقرئ موسى ^(١) ، وقد سمي هذا هاهنا
محمدا ^(٢) ، فليسيدنا الفضل في تحقيق ذلك لنا ، في كتاب طبقات القراء لأبي

(١) أبو بكر بن مجاهد هو : أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، شيخ القراء في
عصره ، وهو المسبغ الأول للقراء السبعة . توفي سنة ٣٢٤ هـ (انظر تاريخ الخطيب :
الترجمة رقم ٢٥٨٠ ؛ و « نهاية الدراية في طبقات القراء » لابن الأثير : الترجمة
رقم ٦٦٣ ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي في سنة ٣٢٤ هـ .

(٢) أجل ، هو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد ، أبو عبد الله الطائي ،
البصري ثم البغدادي أحد شيوخ المالكية ، وصاحب أبي الحسن الأشعري ،
وناصر مذهب أهل السنة . غلب عليه علما الأصول والكلام ، وكان حسن
الدين ، جميل الطريقة . وعنه أخذ القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي
المالكي ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ علم الكلام . وهو الذي راوده الباقلائي على =

عَمَرُو الداني ، ومن تعريف الجَعْبَرِي ، الذي ختم به شرح القصيد ، وها
بخزانة جامع القَرَوِيِّين ، عَمَرَهُ اللهُ تعالى .

التصنيف في
أسماء الرجال

ولله دَرُّ على بن المَدِينِي^(١) حيث قال : أشدُّ التصنيف التصنيفُ في أسماء
الرجال . ولا شك أن هذا موضع لبس ، كابني نافع وابني زياد ، ممن اتَّحد [٥٧٤]
أسمه ، وتعدَّد مسماه ، وكالأبهري والصالحى في عكسه^(٢) .

تتمة القول
في أبي بكر
ابن العربي

ورحم الله الشيخ الفقيه سيدي أبا محمد عبد الله العبدوسى^(٣) ، فقد حدثني
عنه الثقة أنه كان يُمثَّل هذا المَعْرِض الذي نحن بصَدَدِهِ ، بقضية القاضي أبي بكر
ابن العربي ، فإن كثيرا من الناس ينكرون أن يكون هو المدفون خارج باب
الحروق ، ويقولون إنما هو مدفون خارج باب الجيسة ؛ واغترؤوا في ذلك بظواهر
التواريخ . [وذلك أن القاضي أبا الفضل عياضا ذكر في « الغنية » أنه دُفن
خارج باب الجيسة . قال : وجوابه أن باب الحروق لم يكن فُتِح في ذلك الوقت ،
وإنما فُتِح على رأس ست مئة سنة ، فكان ذلك الخارج كله يُنسب لباب
الجيسة . ثم يدفع في صدر هذا الجواب ما في بعض هذه التواريخ] أنه دُفن على
مقربة من حارة الجَذْمَى . قال : وجوابه أن الجَذْمَى كانوا هناك قديما ، حتى
تضرر أهل فاس بسكنائهم على رأس مائتهم ، فنُقِلوا إلى موضعهم اليوم .

= الخروج إلى شيراز لمناظرة المعتزلة بمحضرة فنا خسرو ، كما أفاده المَقْرَى في أزهار
الرياض ، لا أبو بكر بن مجاهد شيخ القراء ، المذكور في الحاشية (رقم ١
ص ٨٥) لأن ابن مجاهد المَقْرَى ليس معاصرا للباقلائي ، بل هو متقدم الوفاة ،
كما سبقت الإشارة إليه .

(اطلب ابن مجاهد المتكلم على طريقة الأشعرى ، في تاريخ بغداد للخطيب — الترجمة
٢٦١ — وفي : الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرحون ، وهو في طبقات
المالكية) . (١) هو أحد شيوخ محمد بن إسماعيل البخارى .

(٢) يريد أن الأبهري والصالحى : نسبتان لأبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري ،
الفقيه المالكي البغدادي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ .

(٣) في ط : « أبا محمد عبد الله بن محمد العبدوسى » .

ثم يرد على هذا أنا نجد عند باب الجيسة إلى جنب حارة الجذمي قبر رجل يسمى بابن العربي ، يقصده الناس بالزيارة كثيرا ، فلعله هو . قال : وجوابه أن ذلك رجل آخر ، يدعى أيضا بابن العربي ، كان موقتاً في القرويين .

قلت : ويزاد فيه أن الفقيه هو أبو بكر ، وهذا الذي خارج باب المحروق اشتهر بأبي يحيى . وجوابه أنهما كنيستان مترادفتان على مسمى واحد ، وبالله سبحانه وتعالى التوفيق .

وقد هدى محبتكم [هنا] وهجر ، وأهدى التمر لأهل هجر ، وجلب المنبر ، إلى البحر الأخضر ، فلکم الفضل في الإغضاء ، والتجاوز والإمضاء .

و [كتب] ^(١) في أوائل ذي الحجة الحرام خاتم عام سبعة وثمانين وتسع مئة ، عرفنا الله خيرَه ، ووقانا ضيره . والسلام الكريم يَخْصُ مقامكم العلى ، ومنصبكم السمى ، وأهليكم وذويكم ، ومن هو منكم وفيكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته . انتهى التأليف العجيب ، للشيخ العلامة أبي عبد الله بن غازي رحمه الله .

ووجدت في آخره ما نصّه : الحمد لله . وكذلك يسلم على كريم مقامكم ، خديمكم أحمد بن محمد بن غازي ، قاصدا بتوالى كتبه التبرك بكم ، ملتصقا منكم الدعاء . أفاض الله علينا من بركاتكم ، ونفعنا بمحبتكم ، بحاجه النبي عليه السلام . انتهى .

وأوردت جميعه لما قدمته ، والله تعالى المنجذ المعين .

قلت : وقد وقفت على كلام لبعض الأقدمين [ينفي الاحتمال] في أمر ابن العربي المذكور . ونصّه : توفي ابن العربي مُنصرَفَه من مَرَّاكش ، بموضع

(١) زدنا هذا اللفظ لأن العلامة ابن غازي يؤرخ هنا كتب رسالته ، فلعله سقط من

قلم الناسخ .

في حاشية كتاب
ابن غازي

[٥٧٥]

نفي الاحتمال في
أمر أبي بكر
ابن العربي

يعرف بأغلان ، على مسيرة يوم من فاس ، غربا منها ، فاحتُمِلَ مَيِّتًا إلى فاس في اليوم الثاني من موته ، وذلك يوم الأحد السابع من ربيع الأول ، سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة ، ودفن بأعلى مدينة فاس ، خارج القَصْبَةِ ، بتربة القائد مظفر ، وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن الحجَّاج ، رحمه الله . انتهى .

وقدَّمنا عن ابن بَشْكُوَال أنه توفي في ربيع الآخر من هذه السنة ،
فالله أعلم .

وقد ذكر بعضُ من شرح الشفا أن ابن العربي توفي سنة اثنتين وأربعين .
قلت : هو غيرُ صحيح إن شاء الله ، وإنما الصحيحُ ما قدمته .

ومن صلاية الإمام أبي بكر بن العربي ، رحمه الله ، أنه حَكَمَ في زامر بِمَقْبَأَشْدَاقِهِ ، حسبما نقله صاحب المعيار وغيره .

مثال من صلاية
ابن العربي في
القضاء

ومن بديع نظمه ، رحمه الله :

مثال من شعره

أَتَتْنِي تَوْبَتِي بِالْبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا وَبَتَانِيهَا
تَقُولُ فِي نَفْسِهَا حَسْرَةً أَتَبْكِي بَعِينَ تَرَانِي بِهَا
فَقُلْتُ إِذَا اسْتَحْسَنْتُ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ جَفَوْنِي بِتَعْذِيرِهَا

وقال رحمه الله : دخل عليَّ ابن صارة^(١) وبين يَدَيَّ نارٌ قد علاها رَمَادٌ ،

إجازته بينا
لابن صارة

فقلت : لتقل في هذا ، فقال :

شابت نواصي النار بعد سَوَادِهَا وَتَسْتَرَّتْ عَنَّا بِشَوْبِ رَمَادٍ

ثم قال لي ابنُ صارة : أجز . فقلت :

شابت كما شَبْنَا وَزَالَ شَبَابُنَا فَكُنَّا كَمَا كُنَّا عَلَى مِيعَادٍ

(١) ابن صارة الشنتيربي : يكتب (بالصاد) و (بالسين) .

ارتجاله الشعر في
مجلس الدرس

وحكى غيرُ واحد أن القاضي أبا بكر بن العربي رحمه الله ، بينما هو جالس في محل درسه إذ دخل شابٌ من المُلمَّمين ويده رُمح ، فهزَّه ، فقال القاضي [٥٧٦] أبو بكر رحمه الله :

يَهْزُ عَلَى الرَّمْحِ ^(١) ظُبِي مُهْفَفٌ لَعُوبٌ بِالْبَابِ الْبَرِيَّةِ عَابُثٌ
فَلَوْ كَانَ رَمَحًا وَاحِدًا لَا تَقِيَّتُهُ وَلَكِنَّهُ رَمَحٌ وَثَانٌ وَثَالٌ
وقد اختلف حُذَّاق الأندلس من أهل الأدب في معنى الرمح الثاني والثالث ،
وأكثرهم يقول : هما القَدُّ واللَّحْظُ ، والله أعلم .

ولما ذَكَرَ [الإمام] ابنُ العربي المذكور رحمه الله في كتاب « قانون التأويل » وصفه البحر ثرا
ركوبه البحر في رحلته من إفريقية ، قال :

وقد سبق في علم الله أن يَعْظُمَ علينا البحر بزَوْله ، وَيُغْرِقَنَا في هوله ، نَخْرُجُنا
من البحر ، خُرُوجَ المَيِّتِ من القبر ، وانتهينا بعد خُطْبِ طويل ، إلى بيوت بني
كعب بن سليم ، ونحن من السَّعْبِ ، على عَطَبٍ ، ومن العُرَى ، في أَقْبَحِ زِيٍّ ،
قد قَذَفَ البحر زِقَاقَ زيت ، مَزَقَتِ الحِجَارَةُ مَنِيَّتَهَا ^(٢) ، ودَسَمَتِ الأَدَهَانُ
وَبَرَّهَا وِجْدَتَهَا ، فاحتزمنها أُرْزًا واشتملناها لُفْعًا ^(٣) ، تَمَجُّنَا الأبصار ، وتَحَدُّنَا
الأنصار ، فعطفَ أميرُهم علينا ، فَأَوَيْنَا إِلَيْهِ فَأَوَانَا ، وأطعمنا الله تعالى على يديه
وسقَانَا ، وأَكْرَمَ مَثْوَانَا ، وكسانا بأمرٍ حقيرٍ ضعيفٍ ، وفنٍّ من العلم ظريف .

بعض ما صادفه
في رحلته من
ثمرات الأدب

وشرحه : أنا لما وقفنا على بابهِ أَلْفِينَاهُ ، يدير أعوادَ الشاه ، ففعل السامِدُ
الَّلاه ، فدنوت منه في تلك الأطمار ، وسمح لي بِيَاذِقَتِهِ ، إذ كنت من الصغر في

(١) في م : « يهدني بالرمح » بدل : « يهز على الرمح » .

(٢) منيَّتها : جلدتها .

(٣) لفع : جمع لفاع (بوزن كتاب) ، وهو ما يتلفع به .

حد يُسمح فيه للأغار، ووقفت بإزائهم، أنظر إلى تصرُّفهم من ورائهم، إذ كان علقِ بنفسى بعضُ ذلك من بعض القِراية في خُلسِ بَطالة، معَ غلبة الصَّبوة والجهالة، فقلت للبياذقة: الأميرُ أعلم من صاحبه، فلمحُونى شَزْراً، وعظُمت في أعينهم بعد أن كنتُ نَزْراً، وتقدَّم إلى الأميرِ مَنْ نقل إليه الكلام، فاستدنانى، فدنوت منه، وسألنى: هل لى بما هم فيه بَصَر؟ فقلت لى فيه بعضُ نظر، سيبدو [٥٧٧] لك ويظهر. حرَّك تلك القطعة، ففعل، وعارضه صاحبه، فأمرته أن يحرك أخرى، وما زالت الحركات بينهم كذلك تتراى، حتى هزمهم الأمير، وانقطع التدبير، فقالوا: ما أنت بصغير. وكان فى أثناء تلك الحركات قد ترنَّم ابن عم الأمير مُنشداً: وأحلى الهوى ما شكَّ فى الوصل رَبُّهُ وفى الهجر فهو الدهرَ يرجو ويتقي فقال: لعن الله أبا الطيّب! أَوْ يَشْكُ الربُّ؟!

فقلت له فى الحال: ليس كما ظنَّ صاحبك أيُّها الأمير، إنما أراد بالربِّ هاهنا الصاحب. يقول: أَلذَّ الهوى ما كان الحب فيه من الوصال، وبلوغ الغرض من الآمال، على ريب، فهو فى وقته كلُّه على رجاء لما يُؤمِّلُه، وثقاة لما يُقطع به، كما قال:

إذا لم يكن فى الحب سُخْط ولا رِضا فإينَ حلاوات الرسائل والكتُب
وأخذنا نُضيف إلى ذلك من الأغراض، فى طَرَفِ الإبرام والانتقاض، ما حرَّك منهم إلى جهتي داعي الانتهاض، وأقبلوا يتعجبون منى، ويسألوننى كم سِنى؟ ويستكشفوننى عَنى، فبَقَرْتُ لهم حديثى، وذكرت لهم نَجِثى، وأعلمت الأمير بأن أبى معى، فاستدعاه، وقمنا الثلاثة إلى مَشاء، نخلع علينا خِلَعه، وأسبل علينا أَدَمعه، وجاء كلُّ خِوان، بأفنان الألوان.

ثم قال بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من إكرامه:

فانظر إلى هذا العلم الذي هو إلى الجهل أقرب ، مع تلك الصُبابة اليسيرة من الأدب ، كيف أُنقذَنا من العطَب ؟ وهذا الذي يرشدكم إن غفَلتم إلى الطلب .
وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر . انتهى مختصرا .

والزَّوْل : العَجَب . ونَجِيثُ الخَبَر : ما ظهر من قبيحه ، يقال : بدا نجيث القوم : إذا ظهر سرهم الذي كانوا يخفونه . قالها الجوهري .

إفادة : قال الإمام بن غازي رحمه الله :

[٥٧٨] في هذه الرحلة : لقي ابن العربي شيخه دَانِشْمَنْد^(١) الأكبر ، وهو إسماعيل الطوسي ، ودَانِشْمَنْد الأصغر ، وهو أبو حامد الغزالي الطوسي . ومعنى « دَانِشْمَنْد » بلغة الفرس : عالم العلماء ؛ وكان شيخنا الأستاذ أبو عبد الله الصغير يحكي لنا عن شيخه أبي محمد عبد الله العبدوسي أنه بلغه أن الفرس يفخمون « ميم » دَانِشْمَنْد . والله تعالى أعلم .

قال ابن العربي في قانون التأويل : وَرَدَ عَلَيْنَا دَانِشْمَنْد ، يعني الغزالي ، فنزل برِباط أبي سعد ، بإزاء المدرسة النظامية ، مُعْرِضاً عن الدنيا ، مُقْبِلاً عَلَى اللَّهِ تعالى ، فَمَشِينَا إِلَيْهِ ، وَعَرَضْنَا أُمْنِيَّتَنَا عَلَيْهِ ، وَقُلْنَا لَهُ : أَنْتَ ضَالَّتُنَا الَّتِي كُنَّا نَنْشُدُ ، وَإِمَامُنَا الَّذِي بِهِ نَسْتَرْشِدُ . فَلَقِينَا لِقَاءَ الْمَعْرِفَةِ ، وَشَاهَدْنَا مِنْهُ مَا كَانَ فَوْقَ الصُّفَةِ ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ الَّذِي نُقِيلُ إِلَيْنَا ، مِنْ أَنَّ الْخَبَرَ عَلَى الْغَائِبِ فَوْقَ الْمَشَاهِدَةِ ، لَيْسَ عَلَى الْعَمُومِ ، وَلَوْ رَأَاهُ عَلَى بْنِ الْعَبَّاسِ^(٢) لَمَا قَالَ :

إِذَا مَا مَدَحْتَ أَمْرًا غَائِبًا فَلَا تَغْلُ فِي مَدَحِهِ وَاقْصِدِ

(١) دَانِشْمَنْد : Danishmand) معناه في الفارسية : المتقف أو الماهر ، أو الحكيم ، أو الذكي . انظر (Persian English Dictionary) تأليف (Stengass) .

(٢) هو علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر العباسي .

فَأَنَّكَ إِن تَقُلْ تَقُلُ الظَنُّ نُ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبَدِ
فَيَصْفُرُ مِنْ حَيْثُ عَظَمَتْهُ لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الْمَشْهَدِ

انتهى .

وقال بعض من عرّف به ، أغنى بابن العربي رحمه الله ، ما نصه :
عَلَّمَ الْأَعْلَامَ ، الطاهر الأثواب ، الباهر الأبواب ، الذي أنسى ذكاء إياس^(١) ،
وترك التقليد للقياس ، وأنتج الفرع من الأصل ، وغدا في يد الإسلام أمضى
من النصل ، سقى الله به الأندلس ، [بعد] ما أجذب من المعارف ، ومدّ عليها
منه الظلّ الوارف ، فكساها رونق نبلة ، وسقاها ريق وبله ، وكان أبوه أبو محمد
بإشبيلية بدرا في فلكها ، وصدرا في مجلس ملكها ، واصطفاه مغمّداً بنى عبّاد ،
اصطفاه المأمون لابن أبي دُواد ، ولآه الولايات الشريفة ، وبوّأه المراتب المنيفة ،
فلما أقرت حُصص^(٢) من مُلكهم وُخلت ، وألقهم منها وتخلّت ، رحل به إلى [٥٧٩]
المشرق ، وحلّ فيه محل الخائف الفرق ، فجال في أكنافه ، وأجال قداح
الرجاء في استقبال العز واستئذافه ، فلم يستردّ ذاهبا ، ولم يجد كعمّده باذلا
واهبا ، فعاد إلى الرواية والسماع ، وما استفاد من إجاله تلك الأطماع ، وأبو بكر
إذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب ما دوّح ، وفي روض الشباب زهر ما صوّح ،
فألزمه مجالس العلم رائحا وغاديا ، ولأزمه سائقا إليها وحاديا ، حتى استقرت به
مجالسه ، واطّردت له مقاييسه ، فجّد في طلبه ، واستجدّ به أبوه مُنخرق أربه ،

يف ابن خاقان
المطمح بابن
العربي

(١) هو إياس بن معاوية قاضي البصرة لعمر بن عبد العزيز ، المعروف بالزكاة والفقّه .

(٢) المراد بها : لإشبيلية من مدن الأندلس . سكن بها أهل حمص الشام عند الفتح ، فسموها بها .

ثم أدركه حَمَامُهُ ، ووارته [هناك] ^(١) رِجَامُهُ ، وبقي أبو بكر متفرّدا ، وللاطلب
متجرّدا ، حتى أصبح في العلم وحيدا ، ولم تجد عنه الرياسة مَحِيدَا ، ففكرَ إلى
الأندلس ، فخلّها والنفوسُ إليه مُتَطَلِّعَةٌ ، ولأنبائه مُتَسَمِّعَةٌ ، فناهيك من خُطوة
لَقِي ، ومن عِرْزَةٍ سُقِي ، ومن رِفْعَةٍ سَمَا إِلَيْهَا وَرَقِي ، وحسبك من مفاخرَ قَلْدَها ،
ومن محاسنِ [أنس] ^(٢) أثبتّها فيها وخلدّها .

وقد أثبت من بديع نظمه ما يهزُّ أعطافا ، وتردّه الأوهام ^(٣) نطافا .

فمن ذلك قوله يتشوّق إلى بغداد ، ويخاطب أهل الوداد :

أَمِنْكَ سَرَى وَاللَّيْلُ يَخْدَعُ بِالْفَجْرِ	خَيَالُ حَبِيبٍ قَدْ حَوَى قَصَبَ الْفَخْرِ
جَلَا ظَلَمَ الظُّلَمَاءُ مُشْرِقُ نوره	وَلَمْ يَخْبِطُ ^(٤) الظُّلَمَاءُ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَلَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ الْبَسِيطَةَ مَسْحَبَا	فَسَارَ عَلَى الْجُوزَا إِلَى فَلَكٍ يَجْرِي ^(٥)
وَحَثَّ مَطَايَا قَدْ مَطَاها بِـرُزّه	فَاوْطَأَهَا قَسْرًا عَلَى قَنَّةِ النَّسْرِ
فَصَارَتْ ثِقَالًا بِالْجَلَالَةِ فَوْقَهَا	وَسَارَتْ عَجَالًا تَتَّقِي أَلْمَ الزُّجَرِ
وَجَرَّتْ عَلَى ذَيْلِ الْمَجَرَّةِ ذَيْلَهَا	فَمِنْ ثَمَمٍ يَبْدُو مَا هُنَاكَ لِمَنْ يَسْرِي ^(٦)
وَمَرَّتْ عَلَى الْجَرَبَاءِ ^(٧) تُوَضِّعُ فَوْقَهَا	فَأَثَارُ ^(٨) مَا مَرَّتْ بِهِ كَلَفَ الْبَدْرِ
وَسَافَتْ أَرْجَحَ الْخُلْدِ مِنْ جَنَّةِ الْعُلَى	فَدَعَ عَنْكَ رَمْلًا بِالْأَنْعِيمِ يَسْتَذِرِي

(١) زيادة عن نفح الطيب ، ومطمح الأنفس . والإشارة بهناك إلى الإسكندرية حيث توفي والده .

(٢) زيادة عن نفح الطيب ، ومطمح الأنفس .

(٣) في نفح الطيب « الأفهام » .

(٤) في المطمح : « نخض » .

(٥) هذا الشطر في المطمح : « فطار على الجوزاء في فلك يسرى » .

(٦) في المطمح : « يجرى » .

(٧) في نفح الطيب والمطمح : « الجوزاء » .

(٨) في ص ، م : « بآثار » .

فما حَذِرْتُ قيساً ولا حَيْلَ عامِرٍ ولا أَضْمَرْتُ خوفاً لقاءَ بني ضَمَرٍ
سَقَى الله مِصرًا والعِراقَ وأهلها وبغدادَ والشَّامَيْنِ مُهْمِلَ القطرِ [٥٨٠]
[انتهى] .

وما أَقْرَبَهُ من نَفْسٍ [الْفَتْح] ، صاحب القلائد والمطمح ، ولعلَّ هذا من
كلامه في المطمح^(١) . والله أعلم .
وقد طال الكلام ، ولكن لا يلحقنا في مثله الملام .

ومن تأليف الإمام أبي بكر بن العربي المذكور ، كتاب « القَبَس » ، في شرح
موطأ مالك بن أنس » ، وكتاب « ترتيب المسالك » ، في شرح موطأ مالك » ،
وكتاب « أنوار الفجر » [في تسعين سفرًا] ، وكتاب « أحكام القرآن » ،
وكتاب « عارضة الأخوذي » (بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة ، وفتح الواو ،
وكسر الذال المعجمة ، وآخره ياء مشددة) على الترمذی ، وكتاب « مرافق
الرُّؤف » ، وكتاب « الخلافات » ، وكتاب « نواهي الدواهي » ، وكتاب
« سراج المريدين » ، وكتاب « المُشْكَلَيْنِ » : مشكل القرآن والسنة ،
وكتاب « الناسخ والمنسوخ في القرآن » ، وكتاب « قانون التأويل » ،
وكتاب « النيرين » ، في الصحيحين » ، وكتاب « سراج المهتدين » ،
وكتاب « الأمد الأقصى ، بأسماء الله الحُسنى وصفاته العليا » ، وكتاب في الكلام
على « مُشْكَل حَدِيثِ الشُّبُوحَاتِ وَالْحُبَابِ^(٢) » ، وكتاب « العقد^(٣) الأكبر » ، للقاب
الأصغر » ، و « تبیین الصحيح » ، في تعيين الذَّبِيح » ، و « تفهیل التفصیل » ،

بعض تأليف
ابن العربي

(١) وجدنا هذا التعريف كله في مطمح الأنفس لابن خاقان .

(٢) اقرأ الحديث في شرح القاموس مادة (سبح) . (٣) في م : « الفقه » .

بين التعميد والتهيل ، ، ورسالة « الكافي » ، في أن لا دليل على النافي » ،
 وكتاب « السُّبُعَايَات » ، وكتاب « المسلسلات » ، وكتاب « التوسط في
 المعرفة بصحة الاعتقاد ، والرد على من خالف أهل السنة من ذوى البدع
 والإلحاد » ، وكتاب « شرح غريب الرسالة » ، وكتاب « الإنصاف » ،
 وكتاب « مُلْجِئَةُ الْمُتَفَقِّهِينَ ، إلى معرفة غوامض النحويين » .

نضرة وجوه
 أهل الحديث

ورأيت في بعض الجامع ما نصه : قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله :
 قال علماء الحديث : ما من رجل يطالب الحديث إلا كان على وجهه نَضْرَةٌ ،
 لقول النبي صَلَّى الله عليه وسلم : « نَضَرَ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ، فأدّاها كما
 سمعها » الحديث .

قال : وهذا دعاء منه عليه السلام لِحَمَلَةِ علمه ، ولا بد بفضل الله مِنْ
 [٥٨١] نيل بَرَكتِهِ .

شعر للعزفي
 في ذلك

وإلى هذه النَّضْرَةُ أشار أبو العباس العزفي رحمه الله بقوله :
 أهلُ الحديثِ عِصَابَةُ الحَقِّ فَازُوا بدعوة سيدِ الخلقِ
 فوجوهُهُمْ زُهُرٌ مُبَضَّرَةٌ لَأَلَاؤُهَا كَتَاتِقُ البَرَقِ
 يَا لَيْتَنِي مَعَهُمْ فَيَدْرِكَنِي مَا أَدْرِكُوهُ بِهَا مِنَ السَّيْقِ [انتهى] .

ومن أسيّاح القاضي عياض رحمه الله

أبو عبد الله بن
 حمد بن
 شيوخ عياض

القاضي أبو عبد الله بن حمد بن التَّغْلَبِي ، وهو محمد بن علي بن محمد بن
 عبد العزيز بن أحمد التَّغْلَبِي ، بمشاة من فوق ، وغين معجمة ، منسوب لتغلب ؛
 بكسر اللام وفتحها (١) .

(١) يريد بكسر اللام وفتحها عند النسب . أما اسم القبيلة فبكسر اللام .

ميلاده ووفاته

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعَ مِئَّةَ ؛ وَمَاتَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ بَقِينَ مِنْ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسَ مِئَّةَ ؛ وَدُفِنَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ .

وقال في حقه صاحبُ القلائد :

حَامِيَ ذِمَارِ الدِّينِ وَعَاضِدُهُ ، وَقَاطِعُ ضَرَرِ الْمُعْتَدِينَ وَخَاضِدُهُ ، مَلَأَكَ لِلْعُلُومِ زِمَامًا ، وَجَعَلَ الْعُكُوفَ عَلَيْهَا لَزَامًا ، خُفْيَا رُسْمَهَا ، وَأَعْلَى اسْمَهَا ، وَخَاصِمَتِ الْمُلْحِدِينَ مِنْهُ أَلْسُنُ لُدٍّ ، وَتَهَدَّاتُ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ أَغْصُنُ مُلْدٍ ، وَكَفَّ أَيْدَى الظَّالِمِينَ ، فَلَمْ تَسْكُنْ لَهُمْ اسْتِطَالَهُ ؛ وَأَرْهَفَ خَوَاطِرَ الْمُجْتَهِدِينَ ، فَلَمْ تَسْنَحْ لَهُمْ بَطَالَهُ ؛ فَاصْبَحَ أَهْلُ مِصْرِهِ بَيْنَ دَارِسِ عِلْمٍ ، وَلَابِسِ حِلْمٍ ، وَآيَسِ ظُلْمٍ ؛ نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ كَثِيرِ الرَّغْيِ لِأَهْلِ الْمَعَارِفِ ، مُؤْوٍ مِنْ بَرٍّ إِلَى ظِلِّ وَارِفٍ ؛ أَعَمَّ الْوَرَى مِنْهُ ، وَأَعْظَمَ خَلْقَ اللَّهِ مِنْهُ ؛ أَقَامَ وَأَقْعَدَ ، وَأَذْنَى وَأَبْعَدَ ، وَأَنْحَسَ وَأَسْعَدَ ؛ فَتَقَلَّصَتْ بِهِ الظَّلَالُ وَفَاءَتْ ، وَحَسُنَتْ بِهِ الْأَيَّامُ وَسَاءَتْ ؛ وَأَعْمَلَ لِلضَّرِّ وَالنَّفْعِ لِسَانَهُ وَيَدَهُ ، وَشَغَلَ بِالرَّفْعِ وَالْوَضْعِ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ، وَعَمَرَ بِهِمَا فَسْكَرَهُ وَخَلَدَهُ ؛ حَتَّى هَدَّ الْجِبَالَ الشَّوَامِخَ ، وَاجْتَثَّتِ الْأُصُولُ الرُّوَاسِخَ .

ما قاله ابن خاقان في حقه

[٥٨٢]

وَمَا أَدَارَ ابْنُ الْحَاجِّ مِنْ خِلَافِهِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ مَا أَدَارَ ، وَاتَّفَقَ هُوَ وَمَنْ وَاطَّأَهُ عَلَى مَا فَسَخَتْهُ الْأَقْدَارُ ، اسْتُشِيرَ فِي الْخَلْعِ فَمَا أَسَاغَهُ ، وَأَرْبَعَ ضَيْرُهُ^(١) فَلَمْ يَكُنْ فِيمَنْ رَاغَهُ ، وَعُرِضَ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا هَابَهُ ، وَوَالَى فِي نَقْضِ مَا أَبْرَمَ مَوْهَ جَيْمِنَتِهِ وَذَهَابَهُ ، وَسَمَحَ^(٢) فِي ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، وَقَنَعَ مِنْ غَدِهِ بِذِكْرِ أَمْسِهِ . فَلَمَّا انْجَلَتْ ظِلْمَاؤُهُ ، وَتَحَلَّتْ بِنَجُومِ ظَفَرِهِ سَمَاؤُهُ ، أَغْرَى بِالْمُطَالِبِينَ اهْتِضَامَهُ

(١) في الأصول : « خيره » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

(٢) كذا في « قلائد العقيان ، للفتح بن خاقان » . وفي الأصول : « وسما » .

وحيفه ، وسرى إليهم مكره سري قيس لحمل وحذيفه^(١) ، وأعلن لمن أسره
إغراءه [ولم يُنظر بالمكروه نظراءه ، فأخل منهم أعلاما ، وأورث نفس الدين
منهم آلاما ، وألبسهم ماشاء] ذما من الناس وملاما ، فدجت مطالع شموهم ،
وخلت مواضع تدريسهم^(٢) ، فأصبحوا ملتحفين^(٣) بالمهانة ، متشوقين إلى الإهانة ،
يرؤوهم الروح والغدو ، ويحسبون كل صيحة عليهم هم^(٤) العدو ، ويدعروهم
طروق النوم الأجفان ، وينكرهم الثابت العرفان ، فقد فقدوا حُبورا ، وعادت
منازلهم قبورا ، إلى أن نُفس مُحَنَقهم بعد أحوال ، وخلا أفتهم من تلك الأحوال^(٥) ،
فتنشقوا ريح الحياة ، وأشرقوا من تلك الظلمات ، بعد أن أحال البؤس نعيمهم ،
وأخذ الحام زعيمهم .

وكان رحمه الله مُتَضِح [طريق]^(٦) الهدى ، منفسح الميدان في العلم
والندى ، مع أدب كالبحر الزاخر ، ونثر كالذر الفاخر ، وقد أثبت منه ما تعذب
مقاطفه ، وتلين معاطفه .

فمن ذلك فصل راجع به ابن شَماخ :

عمر بابك ، وأخصب جنابك ، وطاوعك زمانك ، ونعم بك أوانك
وسقى ديارك غير مُفسدٍها صوبُ الربيع وديمة تهيمى

فما درج لسبيله من كنت سلالة سليله ، ووارث مُعرسه ومقبيله ، وما خام

(١) يريد أنه انتقم من أعدائه كما انتقم قيس بن زهير العبسي من حل بن بدر وأخيه
حذيفة يوم الهبابة ، وهو من أيام حرب داحس . (انظر أيام عبس وذبيان في
العقد الفريد لابن عبد ربه) .

(٢) كذا في ط ، ص والقلائد . وفي م : « رئيسهم وصرهم » موضع كلمة :
« تدريسهم » . (٣) في هامش ص : « ملتحفين » .

(٤) في القلائد : « هو » .

(٥) كذلك في القلائد . وفي الأصول : « الأحوال » .

(٦) زيادة عن قلائد العقيان .

وَضَرَعَ ، فخرٌ رَمَى عن وَتَرٍ قوسك وَنَزَعَ ، ولم يَهْلِك هالك ، ترك مثل
مالِك ، فتركت المهاد ، وَأَلَفَتِ الشَّهَادَ ، وَتَقَيَّلَتِ الآبَاءُ والأجداد ، فَأَسْرَجْتُ
في ميدان الحمد بُرْاقًا ، اتخذ [الريح] ^(١) خافيةً وساقًا ، فاختل من شعاب الحمد
صُغْعًا ، أثار به نَقْعًا ، ودَوَّمَ في أفق السماء ، تدويم فرخ الماء ، حتى كأنه على
قمة الرأس ابنُ ماء ، فحق ^(٢) لباهر فضلك أن يطول ، فيقول :

لا بقوى شَرُفْتُ بل شُرُفُوا بي وبنفسي فخرْتُ لا بجوددى
أو يتنزَّل فيتمثل :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ ^(٣) يوما على الأحساب نَشْكُل
نَبِيٍّ كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
كَمْ مَتَاعٍ شَاوَ طَلَعَكَ ، سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ شَقَّ غُبَارِكَ ، واقتفاء مناهج آثارك
فَمَا أَدْرَكَ ، وَطَلَحَ بَعِيرُهُ وَبَرَكَ .

فصل آخر منها وفي فصل منها :

بيننا وسائل ، أحكمتها الأوائل ، ماهى بالأنسكاث ، والشائج الرثا ،
من دونها عهد ، جنّاه شهد ، أَرَجُ عَرَفَ النسيم ، مُشْرِقُ جبين الأديم ، رائق
رقعة الجلباب ، مُقْتَبِلُ رِداء الشَّبَابِ ، كاصِّباح المُفْجَبِ ، تروق أساريه ،
وتلقاك قبل اللقاء تباشيره .

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ وَنُورِهَا إِذَا مُتْنَا بَيْنِنَا

(١) زيادة عن فلائد العقيان .

(٢) في الفلائد : « فأخلق » .

(٣) كذا في الأصول . وفي الفلائد : « لسنا وإن كرمت أوائلنا » .

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض

الفتية الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله .

قال صاحب القلائد في حقه :

شيخُ العلم وحاملُ لوائه ، وحافظُ حديثِ النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب
سمائه ، شَرَحَ الله لتَحْفُظَه صدره ، وطاول به عمره ، مع كونه في كل علم وافرَ
النصيب ، مُيَاسِرًا بالمعلَى والرقيب ، رحل إلى المشرق لأداء الفَرَض ، لا بس
بُرْدٍ من العمر الغصّ ، فروى وقيد ، ولقى العلماء وأشدّ ، وأبقى تلك المآثر وخلد .
نشأ في نَبْتة^(١) كريمة ، وأرومة من الشرف غير مرُومه ، لم يزل فيها على وجه الزمان
أعلامُ عِلْمٍ ، وأربابُ مُجد ضخم ، قد قيدت مآثرهم السكتب ، وأطلعهم
التواريخ كالشهب ، وما برح الفتية أبو بكر يتسّم كواهل المعارف وغواربها ،
ويُقيّد شوارد المعاني وغرائبها ، لاستضلاعه بالأدب الذي أحكم أصوله وفروعه ،
وعمرَ بُرْهَة من شببته رُبوعه ، وبرز فيه تبرز الجواد المستولى على الأمد ،
وجلّى عن نفسه به كما جلّى الصّقالُ عن النّصلِ الفَرْد ، وشاهدُ ذلك ما أثبتهُ
من نظمه الذي يروق جملةً وتفصيلاً ، ويقوم على قوّة العارِضة دليلًا .

[٥٨٤]

فمن ذلك قوله يُحدّر من خلطاء الزمان ، ويُنبّه على التحفظ من الإنسان ، قال : أمثلة من شعره

كُنْ بِذَنْبٍ صَائِدٍ مُسْتَأْنَسًا وَإِذَا أَبْصَرْتَ إِنْسَانًا فَقِرْ
إِنَّمَا الْإِنْسَانُ بِحَرِّ مَالِهِ سَاحِلٌ فَاحْذَرُهُ إِيَّاكَ الْغَرَرُ
وَاجْعَلِ النَّاسَ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ ثُمَّ كُنْ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ حَذِرٍ

وله في الزهد :

(١) في الأصول : « بئمة » ولعلها محرفة عما أثبتناه . يقال : فلان حسن النبتة ، أى
الحالة التي ينبت عليها ويربى . انظر تاج العروس .

أُيْهِهَا الْمَطْرُودُ مِنْ بَابِ الرِّضَا كَمْ يَرَاكَ اللَّهُ تَلْهَوُ مُعْرِضًا
كَمْ إِلَى كَمْ أَنْتَ فِي جَهْلِ الصَّبَا قَدْ مَضَى عَمْرُ الصَّبَا وَانْقَرَضَا
قُمْ إِذَا اللَّيْلُ دَجَّتْ ظُلُمَتُهُ وَاسْتَلَذَّ الْجَفْنُ أَنْ يَغْتَمِضَا
فَضَعَ الْخَدَّ عَلَى الْأَرْضِ وَنَحْ وَاقْرَعَ السِّنَّ عَلَى مَا قَدْ مَضَى

وقال في هذا المعنى :

قَلْبِي يَا قَلْبِي الْمَعْنَى كَمْ أَنَا أُدْعَى فَلَا أُجِيبُ
كَمْ أَتَمَادَى عَلَى ضَلَالٍ لَا أُرْعَوِي لَا وَلَا أُتِيبُ
وَيَلَاهُ مِنْ سُوءٍ مَا دَهَانِي يَتُوبُ غَيْرِي وَلَا أَتُوبُ
وَأَسْفَا كَيْفَ بَرَّ دَانِي دَانِي كَمَا شَاءَ الطَّبِيبُ
لَوْ كُنْتُ أُذِنُ لَكُنْتُ أَشْكُو مَا أَنَا مِنْ بَابِهِ قَرِيبُ
أَبْعَدَنِي مِنْهُ سُوءُ فَعْلِي وَهَكَذَا يُبْعَدُ الْمُرِيبُ
مَا لِي قَدَرٌ وَأَيُّ قَدَرٍ لِمَنْ أَخَلَّتْ بِهِ الذُّنُوبُ

وله في المعنى أيضا :

لَا تَجْعَلَنَّ رَمَضَانَ شَهْرَ فُكَاهَةٍ تُتْلَاهِيكَ فِيهِ مِنْ الْقَبِيحِ فُنُونُهُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَنَالُ قَبُولَهُ حَتَّى تَكُونَ تَصَوْمُهُ وَتَصَوُّنُهُ

وله في مثل ذلك :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مَنِي تَصَاوُنٌ وَفِي بَصَرِي غَضٌّ وَفِي مَقُولِي صَمْتُ
فَحْطَى إِذْنٌ مِنْ صَوْحَى الْجَوْعِ وَالْظَمَا وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صَمْتُ

وله في المعنى الأول :

جَفَوْتُ أَنَا سَا كُنْتُ آلَفٌ وَصَلَّاهُمْ وَمَا فِي الْجَفَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ مِنْ بَاسٍ

بَلَوْتُ فَلَمْ أَحْدَ وَأَصْبَحْتُ آيِسًا وَلَا شَيْءَ أَشْفَى ^(١) لِلنَّفُوسِ مِنَ الْيَاسِ
فَلَا تَعْدُلُونِي فِي انْقِبَاضِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جَمِيعَ الشَّرِّ فِي خُلُطَةِ النَّاسِ
وله يعاتب بعض إخوانه :

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ جِبَالَ رَضْوَى تَزُولُ وَأَنْ وَدَّكَ لَا يَزُولُ
وَلَكِنَّ الْأُمُورَ لَهَا اضْطِرَابٌ وَأَحْوَالُ ابْنِ آدَمَ تَسْتَحِيلُ
فَإِنْ يَكْ بَيْنُنَا وَصْلٌ جَمِيلٌ وَإِلَّا فَلْيَكُنْ هَجْرٌ طَوِيلٌ
وَأَمَّا شَعْرُهُ الَّذِي اقْتَدَحَهُ مِنْ مَرْنَحِ الشَّبَابِ وَعَفَاةِ ، وَكَلَامُهُ الَّذِي وَشَّحَهُ
بِمَآرِبِ الْغَزْلِ وَأَوْطَارِهِ ، فَإِنَّهُ أُنْسِيَ إِلَى مَا تَنَاسَاهُ ، [وَتَرَكَ حِينَ كَسَاهُ الْعِلْمُ وَالْوَرَعَ
مِنْ مَلَابِسِهِ مَا كَسَاهُ] . فَمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

كَيْفَ السُّلُوكُ وَلِي حَبِيبٌ هَاجِرٌ قَاسَى الْفُؤَادِ يَسُومُنِي تَعْذِيبًا
لَمَّا دَرَى أَنَّ الْخِيَالَ مُوَاصِلِي جَعَلَ الشَّهَادَ عَلَى الْجَفُونِ رَقِيمًا
وله أيضا ، رحمه الله :

يَا مَنْ عَهْدِي لَدَيْكَ تَرَعَى أَنَا عَلَى عَهْدِكَ الْوَثِيقِ
إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْمَعَنِي غِرَامِي مِنْ مُخْبِرِ عَالَمٍ صَدُوقِ
فَاسْتَخْبِرِي قَلْبَكَ الْمُعَنَى يُخْبِرُكَ عَنْ قَلْبِي الْمَشُوقِ
[انتهى] .

* * *

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض ، رحمه الله :

الشيخ الإمام النحوى الأديب اللغوى أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد ،

(١) كذا فى الفلأند . وفى الأصول : « أشقى » ، وهو تحريف .

(بكسر السين) البَطْلِيُّوسِيّ ، بفتح الموحدة والطاء المهملة والتحتانية وسكون اللام والواو ؛ نزيل بَلَنْسِيَّة .

ذكره
السيوطي في
البغية

قال السيوطي في الطبقات : كان عالماً باللغات والآداب ، متبحراً فيهما ، [٥٨٦] انتصب لإقراء علم النحو ، واجتمع إليه الناس ، وله يد في العلوم القديمة . ذكره في قلائد العقيان ، وبالع في وصفه .

وكان لابن الحاجّ صاحب قرطبة ثلاثة أولاد ، من أجل الناس صورة : رَحْمون ، وعَزُون ، وحَسُون ؛ فأولع بهم ، وقال فيهم :

أَخْفَيْتُ سُمَيْحِي حَتَّى كَادَ يُخْفِينِي وَهَمْتُ فِي حُبِّ عَزُونٍ فَعَزُونِي
ثُمَّ ارْجَمُونِي بِرَحْمونٍ فَإِنْ ظَمِئْتُ نَفْسِي إِلَى رِيْقِ حَسُونٍ فَحَسُونِي
ثم خاف على نفسه ، فخرج من قرطبة .

مصنفاته كما في
البغية

صنّف : شرح أدب الكتّاب ^(١) ، شرح الموطأ ، شرح سقط الزند ، شرح ديوان المتنبي ، إصلاح الخلل ، الواقع في الجمل ، الحُمل في شرح أبيات الجُمَل ، المثلث ، المسائل المنشورة في النحو . وله كتاب ^(٢) « التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في رأيهم واعتقاداتهم » ، وهو كتاب عظيم . لم يُصنّف مثله ، وغير ذلك . وُلِدَ سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، ومات في رجب سنة إحدى وعشرين وخمس مئة [بَلَنْسِيَّة] ^(٣) .

(١) انفردت من يذكر واو العطف بين أسماء الكتب هنا ، وهي غير موجودة في ط ولا في بغية الوعاة للسيوطي ، جريا على عادته في ذكر كتب المؤلفين .

(٢) من هنا إلى قوله : « لم يصنف مثله » من عبارة المؤلف ؛ وليس من كلام السيوطي في البغية . وعبارة السيوطي : « كتاب سبب اختلاف الفقهاء » . واسم هذا الكتاب في كشف الظنون : « تنبيه على الأسباب الموجبة للاختلاف بين المسلمين » . وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣١٩ هـ باسم « الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم » .

(٣) زيادة عن « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطي .

ومن شعره :

أخو العلم حتى خالده بعد موته وأوصاله تحت التراب رميمٌ
وذو الجهل ميتٌ وهو ماشٍ على التّرى يُظنُّ من الأحياء وهو عديمٌ
ذُكر في جمع الجوامع . انتهى كلام السيوطي في الطبقات .

[ترجمة ابن السيد البطليموسى]

[للفتح ابن خاقان]

ورأيت تأليفاً^(١) بديعاً للفتح ، صاحب القلائد والمطمح ، ضمّنه التعريف بهذا الإمام ابن السيد خاصة ، وهأنا أوردّه بجملته ، لغرابته وفصاحته وبلاغته ، وإن كان فيه بعض ما هو من قبيل الهزل ، الذى الإعراضُ عنه أولى ، وقد جرت عادة الأشياخ بذكر مثل ذلك ، وحسبك ما ذكره الإمام السيوطى آنفاً فى حق ابن السيد . وقد اغتفر الناس المقامات ، مع ما فيها من سخيّف المقالات ، والأعمال بالنيات .

مقدمه تأليف
الفتح

قال ذو الوزارتين الكاتب أبو نصر ، الفتح بن عبيد الله المعروف بابن خاقان ،
رحمه الله :

[٥٨٧]

أما بعد حمد الله الذى جعل الليل لباساً ، وأزال عن قلوبنا شكا والتباساً ؛

(١) ذكر بروكلمان (Brockelmann) ضمن مؤلفات الفتح بن خاقان كتاب ترجمة عبد الله بن محمد بن السيد البطليموسى ، وذكر أن منه نسخة خطية بمكتبة الأسكوريال رقم ٤٨٨ . ومن حسن الحظ أن الكتاب قد نقله المقرئ هنا كاملاً . ويؤخذ من كلام الفتح فى مقدمته أنه جزء من كتاب كبير ألفه فى تراجم عظماء الأندلس ، ثم منعه أمور من إزاعته ، وخاف عليه الدثور ، فاستخرج منه هذه الترجمة الفريدة ، وجعلها عنواناً يدل على الكتاب وقيمته .

(٢) فى : « المجلس » .

وأرانا من الهدى مَنارا ، وجعل لنا من الشجر الأخضر نارا ، وخلقنا أطوارا ،
وأطلع لنا شموسا وأقارا ؛ تدلُّ على حكمته ، ويُستدلُّ بها على مقدار نعمته .

والصلاة على نبيه الذي بعثنا من مرقد الضلالة ، وجلّى عنا غياهب الجهالة ؛
فظهر الرشاد بعد احتجابه ، وتوارى الغيُّ في حجابهِ ، صَلَّى الله عليه وسلم تسليما .

فإني لما فرغت من الكتاب الذي أبديت به للإحسان مَبْسِما ، وجعلته

لحاسن الثناء مَوْسما ؛ وجلوت فيه أباك المفاخر وعُونها ، وخصّصْتُ به نُكْت

المآثر وعُيُونها ، وشَفَعْتُ فيه المحاسنَ وَرَوَقَتُها ، وفَتَقْتُ فيه كَأْتُم البدائع

وشَقَقْتُها ؛ حتى أنت أزهى من الحديقه ، وأبهى من مُلْك الثُّعْنان بين الشقيقه ؛

يتمنى السَّحْرُ أن يَحُلَّها ، والعيون النَّجَلُ أن تُكْحَلَّها ؛ فصارت به لأهل

الأندلس ألسُن مفتخِره ، وانتشرت لمعاليمهم عظام نَخِره ؛ ورأيت فيه فضل

الأواخر على الأوائل ، وجَزَيْتُ به أَمَام سحبان وائل ؛ وملكت بسببه كل

قِياد ، وتركت ورائي قُسَّ إِياد ؛ وكان لي فيه أَمَلٌ ثَناني أن يُجَلِّي ، وعَداني أن

يُنْصَ وَيُتَلَّى ؛ فطويته طي السَّجَلِّ ، ولويته لِي مُحَيَّا الخَجَلِّ ؛ وتركته كالبدر

في السرار ، وأخفيته كما خفي في الغمد ماضى الغرار ؛ والخواطر تهيم به أعظم

هَيْم ، وتستمطره استمطار المَحَلِّ للديم ؛ والنفوسُ تتشوف إليه ، تشوف الضالَّ

المرشد ، والآذان تُصِيخُ إليه ، إصاخة الناشد للمُنشد ؛ وأنا أجعل لِقاحه حِيالا ،

ولا أريه طَيِّفا ولا خيالا ؛ ثم خشيتُ أن يكسوَ الزمان جوهره عَرَضًا ، ويتخذ

الحِذْنان بدره عَرَضًا ؛ فتمتعي من وجه الزمان غُرَّتَه ، وتسقط عن جبين الدهر

دُرَّتَه ؛ ومالِحَ منه عُنوان ، ولا شيم منه ما فيه سُلوان ؛ فتذوب النفوس عليه

[٥٨٨]

كَمَدًا ، وتُخَشِّي عيون الذكاء بعده رَمَدًا ؛ فرأيت أن أستخرج من أخباره

خبرا يدلُّ عليه ، دلالة اللفظ على المعنى ، واللا حظ على المَغْنَى ، وينبئ عنه ، إنباء

النسيم على الزَّهر ، ويشير إليه ، إشارة الشاطئ إلى النهر .

ولما كان الفقيه الأجل ، أبو محمد عبد الله بن السيّد — أدام الله علوه —
تاج مفرّقه ، وهلال أفاقه ، ومهَبّ نفح صوّاره ، [وَحَلَى أنواره] ، وبجلي أنجاده
وأغواره ؛ وكنت قد أحكت نسق أخباره وسرّدها ، وفوّت مُطَرِّفها وبردها ؛
وأطلعتها قرا ، وجملتها سمرا ، إذ هو أزرع علمائنا بحرا ، وأوسعهم نحرا ؛
وأحسنهم خواطر ، وأسكبهم مواطر ؛ وأسيرهم أمثالا ، وأعدمهم مثالا ؛
وأصدقهم لسانا ، وأعمهم إحسانا ؛ وأرفعهم رايه ، وأبعدهم غايه ؛ ومحاسنه أعذب
جماما ، وأصفى غماما ؛ وأظهر إعجازا ، وأحسن صدورا وأعجازا — رأيت أن
أفرد كتابا في أخباره ، وأجرّد ذبّابا في إعظامه وإكباره ؛ ليميّز به فضل
من ضمّنته تصنيفي ، ويُعلم بأخباره ما أودعت في تأليفي ؛ ويُرَى أنه قطرة
من غمام ، ودُرّة من نظام ؛ وصباح يدل على نهار ، ونفح صدر عن حدائق
وأزهار .

والله المولى العون ، والكفيل بالكلاءة والصون ، لا رب غيره .

ثناء ابن خاقان
على ابن السيّد

الفقيه الحافظ ، الإمام الأوحد ، أبو محمد : هو عبد الله بن محمد بن السيّد
البَطْلَيْوَسِيّ ؛ وشبّ ببيضته ، ومنها كانت حركة أبيه ونهضته ؛ وفيها كان
قرّارهم ، ومنها نَمَّ أسهُم وعرازهم ؛ ونُسب إلى بَطْلَيْوَس ، لمولده بها ؛ ومن حيث
كان فقد طبّق الأرض علما ، وملأها ذكاء وفهما .

[٥٨٩]

وأنا أقول : لو أن الأيام ألسنا ناطقه ، وأوصافا متناسقه ؛ تردّد فنون
بيانها ، كالطير تُرَجِّع على أفنانها ، ما جرّت إلى إنصافه ، ولا دَرّت بعض
أوصافه ؛ ولو أني أمددت ببيان سخبان وأيدت تأييد لسان حسان ، وأعارني

ابن صُوحان^(١) الفصاحه ، وعلمني خالد بن صفوان^(٢) إيضاحه ، لما أعربت عن مقداره الرفيع ، ولا أعربت بما أنحوه له من التعظيم والترفع ؛ فكيف بلسان [قد] فُلَّ غِراره ، وبنان قد ذَوَى رَنده وعراره ؛ وخاطر قد ارتقى في لجج الأخطار ، ووُخِزَ بأطراف القَنَا الخطَّار ؛ فما تُدَلِّ له عَصَى إحسانه ؛ ولا تحُلُ النوائب عُقْدة من لسانه ؛ فحسبي أن أقتصر من وصفه على لمحه ، وأعطرَ من عَرَفه بنفحه ، فأقول :

حظه من العلوم
والمعارف

إنه ضارب قِداح العلوم ومُجِيلها ، وغُرّة أيامنا البهيمه وتجميلها ، لو أدركه قَيْس لما قضى للحلم وترا ولا شُفعا ، ولو عاصره ابن العاصي لما ادعى ضُرّا ولا نفعا ؛ حَلَبَ الدهرَ أَشْطَره ، وتلا حروفه وأسطُرَه ؛ وخدم الرِّياسات ، وعلم طُرُق السِّياسات ؛ ونَفَقَ وكَسَد ، ووقف وتوسَّد . وهو اليوم شَيْخُ المعارف وإمامها ، ومن في يديه مِقودها وزِمَامُها ، لَدَيْهِ تُنشدُ ضوالُّ الأعراب ، وتوجد شوارد اللُّغات والإعراب ، إلى مَقَطَعِ دَمِث ، ومنزِع في النفاسة غير مُنتَكِث ؛ ونَدَى خَرَقَ به العوائد ، وأورق عودُه في يد الرائد ؛ وعَفَافِ كَفِّ ، حتى عن الطَّيِّف ، وحكَمَى المُخَرِّمين بالخَيْف ؛ ولقد نزلتُ منه بالتَّقَى الطاهر ، ولقيتُ منه ما لقي عوف بن محمَّل من ابن طاهر^(٣) ؛ ورأيتُ نارَ مكارمه تتأَلَّق ، وبت كأنما على النار الندى والمُحَلَّق ؛ وله تحقُّق بالعلوم الحديثة والقديمة ، وتصرف في طرقها المستقيمة ؛ [٥٩٠] ماخرج بمعرفتها عن مضمار شرع ، ولا نَكَبَّ عن أصل للسنة ولا فرع . وتواليفه

(١) يريد صمصمة بن صوحان من أصحاب علي بن أبي طالب ، وكان من أخطب الناس . (انظر المعارف لابن قتيبة) .

(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهمم المنقري التميمي البصري كان لسانا بينا خطيبا ، عاش إلى قيام دولة بني العباس . (انظر العارف) .

(٣) يشير إلى منزلة عوف بن محمَّل الشيباني عند عبد الله بن طاهر بن الحسين وإلى خراسان للأماون ، وكان من المختصين به ، المقرين إليه .

في الشروحات وغيرها صنوف ، وهي اليوم في آذان الأيام شُذُوف . فمنها « المقتبس » ، في شرح موطأ مالك بن أنس . و « الاقتضاب » ، في شرح أدب الكتّاب . وكتاب « التنبيه على السبب الموجب لاختلاف العلماء ، في اعتقاداتهم وآرائهم ، وسائر أغراضهم وأبحاثهم » ، وغير ذلك مما يشتمل عليه هذا الموضوع ويخفيه ، ويوقف على تفسيره فيه .

وقد أثبت من محاسنه التي تدور جريالاً ، ويصير الخبر بقصتها نيلاً^(١) ، ما يُنشئ ويُسكّر ، ويحمده الوسمى المبكر .

فمن ذلك أنه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطلية^١ ، في المُنْية المتناهية البهاء والإشراق ، المباهية لزوراء العراق ؛ التي يَفْخُ شذاها العطر ، ويكاد من الغضارة يُمطر ، والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوقار وارتهاء ، وحكم العُقار في جوده ونَدَاهُ ؛ والمجلس يشرق كالشمس في الحَمَل ، ومن حواء يبتهج كالنفس عند منال الأمل ؛ والزهر عبق ، وعلى ماء النهر مُصْطَبِحٌ ومُعْتَبِقٌ ؛ والدُّولاب يئن ككناقة إثر حُوار ، أو كشكلى من حرّ الأوار ؛ والجو قد عنبرته أنوارُه ، والروض قد بلّته أنداءُه ؛ والأسد قد ففرت أفواهها ، ونجّت أمواهها ؛ فقال — رحمه الله — يصف الحال :

يا منظرًا إن رمقتُ بهجته	أذكرني حسنَ جنة الخلد
تربة مسك وجو عنبرة	وغيم ندى وطش ما ورد
والماء كاللازورد قد نظمت	فيه اللآلى فواغرُ الأسند
كأنما جائل الحباب به	يلعب في حافتيه بالزرد
تراه يزهى إذا يحيل به الـ	مادر زهو الكتاب بالعقد

[٥٩١]

تخاله إن بدا به قـرا تمّا بدا في مطالع السـعد
كأنما ألبست حـدائقه ما حاز من شـيمة ومن مجد
كأنما جادها فروضها بوابل من يمينه رعد
لا زال في غـزة مضاعفة ميمم الرfid وارى الزند

وله يصف فرسا ، وهو مما أبدع في التمثيل له والتشبيه ، ونبه خاطره فيه
أحسن تنبيهه ، وخلع عليه شـياتٍ لاحقٍ والوجه ؛ وعمه بالحسن وتوج ، ونسبه
إلى الخطار وأعوج^(١) :

وأقب من آل الوجه ولاحق قيد العيوف وغاية التمثيل
ملك النواظر والقلوب بحسنه فتمى ترق العين فيه تسهيل
ذو منخر رجب وزور ضيق وسماوة خضب أرض ممجل
قصرت له تسع وطالت أربع وصفت ثلاث منه للمتأمل
وتراه أحيانا لعزة نفسه يرنو — بلاقبل — بعين الأقبل
وكأنما سال الظلام بمثنه وبدا الصباح بوجه التهلل
وكان راكبه على ظهر الصبا من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

وله يصف فرسا للظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون رحمه الله :
وأدهم من آل الوجه ولاحق له الليل لؤن والصباح حجل
تخير ماء الحسن فوق أديمه فلولاً التهاب الخصر ظل يسيل
كان هلال الفطر لاح بوجهه فأعيننا شوقا إليه تميـل
كان الرياح العاصفات ثقله إذا ابتل منه مخزم وتكـيل

(١) لاحق ، والوجه ، والخطار ، وأعوج : أفراس مشهورة عند العرب
بالتعق والكرم .

إذا الظافر الميمون في متنه علا بدا الزهو في العطفين منه يجول
 فن رام تشبيها له قال مُوجِزًا وإن كان وصف الحسن منه يطول
 هو الفلّك الدوّار في صهواته لبدر الدياجي مَطْلَع وأقول

[٥٩٢]

وله في وصف
 الراح

وما أبدع قوله في وصف الراح ، والحض على النبد للهموم والاطراح ،
 بمعاطاة كئوسها ، وموالاة تأنيسها ؛ ومعاقرة دنانها ، واهتصار ثمار الفتوة
 وأفنائها ؛ والإعراض عن الأيام وأنكادها ، والجري في مَيِّدان الصَّبوة إلى
 أبعد آمادها :

سَلَّ الهموم إذا نبا زمنٌ بمُدَامَةٍ صفراء كالذهب
 مُزِجَتْ فَمِنْ دُرٍّ على ذهبٍ طافٍ ومن حَبَبٍ على لَهَبٍ
 وَكَأَنَّ سَاقِيهَا يثير شَدًّا مِسْكٍ لَدَى الْأَقْوَامِ مُنْتَهَبٍ

ولله هو ! فقد نَدَب إلى المندوب ، وذهب إلى مداواة القلوب ، من التدوب ،
 وإبرائها من الآلام ، وإهدائها كل تحية وسلام ؛ وإبهاجها بأصال وُبُكْر ،
 وعلاجها من هموم وفِكر ؛ في زمن حَلِي عاظمه ، وجُلِّي في أحسن الشّور باطله ،
 ونَفَقَتْ مُحَالَاتِهِ ، وطَبَّقَتْ أَرْضَهُ وسماؤه استحالاته ؛ فليبيّه كاسد ، وذبيّه مستاسد ؛
 وأخفاشُهُ^(١) تَنَمَّر ، وبَغَائِهِ قد استنسر ؛ فلا استراحة إلا في مُعَاطاة حميًا ، ومُواخاة
 وسيم الحَيَا .

ولابن عمار
 في مشاله

وقد كان ابن عَمَّار ذهب مذهبه ، وفضّضه بالإبداع وذَهَبَه ، حين دخل
 سَرَقُسطه ؛ ورأى غباوة أهلها ، وتكاثف جهلها ؛ وشاهد منهم من لا يعلم معنى
 ولا فصلا ، وواصل من لا يعرف قطعًا ولا وصلا ؛ فأقبل على راحه يتعاطاها ،

(١) أخفاش الأرض : ضبابها وقنافذها . والذي في الأصول : « أخفائه » ، ولعلها محرفة
 عما أئبتناه .

وعكف عليها ما تمذاها ولا تخطاها؛ حتى بلغه أنهم نَقَمُوا معاقرة له لقمار، وجالت
السننهم في توبيخه مجال ذى الفقار، فقال :

نَقَمْتُمْ عَلَى الرَّاحِ أُذُنُ شُرْبِهَا وَقَلَّمْتُ فَتَى رَاحٍ وَلَيْسَ فَتَى مَجْدٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْوَغَى سِوَايَ وَمَنْ أَعْطَى الْكَثِيرَ وَلَمْ يُكْثِدْ [٦٩٣]
فَدَيْتَكُمْ لَمْ تَفْهَمُوا السَّرَّ إِنَّمَا قَلَمْتُكُمْ جُهْدِي فَأَبْعَدْتُكُمْ جُهْدِي

ودُعِيَ ليلة إلى مجلس قد احتشد فيه الأنس والطرب ، وقرع السرور نبعه
بالغرب ؛ ولاحت نجوم أكواسه ، وفاح نسيم رنده وآسه ؛ وأبدت صدور
أباريقه أسرارها ، وضمت عليه المجالس^(١) أزرارها ؛ والراح يديرها أهيف
وأوطف ، والأمانى تُجَنَّى وتُقَطَّف ، فقال :

وللمترجم في
وصف مجلس
أنس

يَارُبُّ لَيْلٍ قَدْ هَتَكَتْ حِجَابَهُ بِمَدَامَةٍ وَقَادَةَ كَالْكُوكَبِ
يَسْمَعِي بِهَا أَحْوَى الْجَفُونِ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ وَرُضَابٍ فِيهِ الْأَشْنَبِ
بَدْرَانِ : بَدْرٌ قَدْ أَمِنَتْ غُرُوبَهُ يَسْمَعِي بِبَدْرِ جَانِحٍ لِلْمَغْرِبِ
فَإِذَا نَعَمْتَ بِرَشْفٍ بَدْرٍ غَارِبٍ فَانْعَمْ بِرَشْفَةٍ طَالَعِ لَمْ يَغْرُبِ
حَقٌّ تَرَى زَهْرَ النُّجُومِ كَأَنَّهَا حَوْلَ الْمَجَرَّةِ رَبْرَبٌ فِي مَشْرَبِ
وَاللَّيْلِ مُنْحَنِرٌ يَطِيرُ غَرَابُهُ وَالصَّبِيحِ يَطْرُدُهُ بَبَازٍ أَشْهَبِ

وقال يمدح بعض الأعيان ، وهي قصيدة اشتملت على المحاسن اشتمال الليل ،
وانفردت بالمحسن انفراد سهيل ؛ ودُرَّت فيها أخلاف الإبداع ، وزُرَّت عليها
جيوب الانقطاع ، وأفصح فيها لسان الإحسان ، وسَحَّ عليها عَنَانُ الأفتنان ؛
فجاءت بالإغراب محفوفة ، ولاحت كالخريدة المزفوفة .

وله يمدح بعض
الأعيان

وسمعت السيِّء الاعتقاد، النّبىّ الفهم والانتقاد، الكافر المَلحد، المنافر لمن
يعظم الله ويوحّد؛ الذى ما نطق مُتشرّعا، ولا رُمق مُتورّعا؛ ولا أقر بباريه،
ولا قرّ عن جريه فى ميدان النّبىّ وتباريه؛ يدّعى مدحها، ويقول: إنّه إليه
بعث نَفَحَها؛ وإنّه الذى افتضّ عُذرتها، وقَطَفَ زهرتها. وحاشا لقائلها أن
يمدح بها المذموم، وينضج بكوثرها نَفَحَ سُموم؛ أو يُشرف بها وضيعا، ويُرَضع
نديها من غدا للوم رَضيعا، وهى:

[٥٩٤] أما إنه لولا الشموع المِوامعُ لما بان منى ما تُجِنُّ الأضالعُ
وكم هتكت سِتْرَ الهوى أعينُ المَها وهاجت لى الشوق الديارُ البلاقعُ
خليلى مالى كلما لاح بارق تلظى الحشا وارفض منى المدايعُ
هل الأفق فى جنبى بالبرق لامعُ أم المزن فى جنبى بالودق هامعُ
ففى القلب من نار الشجون مصايفُ وفى الخد من ماء الشئون مِرايعُ
وما حاج هذا الشوق إلا مُهمِّفُ هو البدرُ أو بدرُ الدُجى منه طالعُ
إذا غاب يوما فالقُلوب مغاربُ وإن لاح يوما فالجيوب مطالعُ
يُضرِّجُ خَدَّيه الحياه كأنما بخدَّيه من فتك الجفون وقائعُ
رمانى عن قوس المحاجر لَحظه بسهم غدا من مُهجتي وهو وادعُ
وما زلت من الحاظه مُتوقِّعا ^(١) ولكنّه ما حمّ لا بدّ واقِعُ
يرق فتور اللحظ منه كأنه إلى قلبه من قسوة الهجر شافعُ
كما رق بالآداب طابعُ محمد فحكت لى الأُحباب منه الطبايعُ
رخيم حواشى الطُرف حُلُو كأنما سبجاياه أيامُ الشرور الرّواجعُ

* * *

أبا بكرٍ أَسْتَوْفَيْتَ زُهْرَ محاسنٍ تُنَافِسُهَا زُهْرُ النجومِ الطَّوَالِعِ
 قد حَتَّ زَنَادًا مِنْ ذَكَائِكَ لَمْ يَزَلْ يُنِيرُ فَتَعَشَى الْبَارِقَاتُ اللوامعِ
 وما ذاكَ عَنْ نَيْلٍ لَدَيْكَ رَجْوَتِهِ فَيَصْدُقُ ظَنُّهُ أَوْ يُكْذِبُ طامعِ
 ولا أَنَا مِمَّنْ يَرْتَضِي الشَّعْرَ خُطَّةً فَتَجْذِبُهُ نَحْوَ الْمُلُوكِ المَطامعِ
 ولكنَّ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيْ قَدِ غدا يَجَازِينِي فِيكَ الهَوَى وَيُنَازِعِ
 طَوَى لَكَ مِنْ مَحْضِ الْوِدَادِ كَأَنَّيَا تَبَدَّتْ لَهَا فَوْقَ اللِّسَانِ طلائعِ
 أَأَزْعُمُ^(١) فِي نَظْمِ الْبَدِيعِ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ السَّبْقُ فِيهِ وَالْوَرَى لَكَ تَابِعِ
 وَأَيُّ مَقَالٍ لِي وَقَوْلُكَ سَائِرُ وَأَيُّ بَدِيعٍ لِي وَمِنْكَ الْبَدائعِ
 وقال يَتَغَزَّلُ ، وَتَصَرَّفَ فِيهِ تَصَرَّفَ غَيَّلَانِ مَيَّ ، وَوَصَفَ كُلَّ حَوَاءٍ
 وَحَيَّ ، وَذَكَرَ الْعِشْقَ ، وَارْتَادَ الْإِبْدَاعَ ، حَتَّى عَدَا بِهِ مِصْرَهُ ، فَأَجَادَ مَعَانِيَهُ ،
 وَأَشَادَ مَبَانِيَهُ :

وله يتغزل

تَأَوَّبَهُ مِنْ هَمِّهِ مَا تَأَوَّبَا فَبَاتَ عَلَى جَمْرِ الْأَسَى مُتَقَلِّبَا
 صَرَّتْ مُزْنَ عَيْنِيهِ غَدَاةً تَحْمَلُوا عَوَاصِفُ رِيحِ الشَّوْقِ حَتَّى تَصِيبَا
 دُمُوعٌ هَتَكْنَ السِّتْرَ عَنْ مُضْمَرِ الْجَوَى وَأَبْدَيْنَ مِنْ سِرِّ الهَوَى مَا تَعْيِيَا
 خَلِيلِي مَالِي كُلِّمَا لَاحَ بَارِقُ تَذَكَّرْتُ بَرَقًا بِالْعَقِيقِ وَزَيْنَبَا
 أَوْ نَسُ بِالنَّائِبِ نَوْمًا مُشْرِدًا وَأَطْمَعُ بِالنَّائِبِ^(٢) قَلْبًا مُعْذَبَا
 وَمَنْ لِي بَرَدٍ لِحُلِّ إِذْ جَدَّتْ النَّوَى بِهِ وَبَوَصَلَ الْحَبْلُ أَنْ يَتَقَضَّبَا
 أَنِي كُلُّ حِينٍ أُمْتَرِي غَرْبَ مُقَلَّةٍ أَبَى الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ فَتَغْرِبَا^(٣)

(١) يقال زعم يزعم زعامة (من باب شرف) : بمعنى ساد ورأس .

(٢) في الأصول : « بالنائين » ولعلها محرفة عما أثبتناه ، أو عن كلمة بمعناها .

(٣) يقال : أغرب الساقى : إذا أكثر الغرب ، أى الملاء ، وأغرب المحوض والإناء : ملائها .

إذا عن لي ظني بوجرة شادن
وأزتاح للأرواح من نحو أرضها
ولولا التهاب الشوق بين جوانحي
ألا قاتل الله الهوى كيف قادني
وما كنت أخشى أن أبيت مُعَذِّبًا
وخَذِ الأَليّ دُونَ شَمِّ رِياضِهِ
أَجِـدْكَ لَمْ تُبْصِرْ تَأَلَّى بَارِقِ
إذا ما بدا في الجوّ أَحْمَرُ ساطِعًا
كَأَنَّ الرِّياضَ الحوَّ غِيبَ سَمائِهِ
كَأَنَّ الشَّقِيقَ الغُضَّ والفَجْرُ ساطِعِ
تَمَتَّعَ بِرِيعانِ الشَّبابِ وظلِّهِ
فما العيشُ إلَّا أن تَروحَ وتَغْتَدِي

تَذَكَّرْتُ مَنْ عَنَى الفُؤادَ وَعَذِّبًا
وَتَنَتْنِي عِنايَ لِلصِّبَا نَفْحَةُ الصِّبَا
لأَمْرَعِ خَدَيَ بالثَّمُوعِ وَأَعْشَبَا
إِلَى مَضْرَعِي طَوْعًا وَقَد كُنْتُ مُضْعَبًا^(١)
بَعَذْبِ رُضابٍ مَنْ حَمَى الثَّغَرَ أَشْنَبَا
مِنَ اللَّحْظِ هِنْدِيًّا وَلِلصَّدُغِ عَقْرَبَا
يُجِدُّ نَشاطًا^(٢) فِي ذُرَى الأفقِ أَهْدَبَا
حَسِبْتُ الظَّلامَ آبُنُوسًا مُذْهَبَا
تَرَدِّينَ وَشَيَّ العَبْقَرَى المَخْلَبَا^(٣)
خُدودُ زهاها الحَسَنُ أن تَتَنَقَّبَا
فلا بُدَّ يَوْمًا أن يَبِينَا وَيَذْهَبَا
مُحِبًّا بَرَاهُ سُمَّهُ أَوْ مُحِبًّا

وكتب إلى الكاتب أبي الحسن راشد يستدعيه إلى مجلس قد لاحت
شمسُ مُدَّامِهِ ، وارتاحت نفوسُ نِدَامِهِ ، وتأوَّدتْ تأوَّدَ الغُصُونِ قَدودُ خُدَّامِهِ :

عندى مَشْكُودٍ^(٤) مِنَ الخَمَرِ عَبِقْ

فِيهِ مَنَى مُضْطَبِّحٍ وَمُعْتَمِقِ

يَحْكِي شَذَا المِسْكِ إِذَا المِسْكِ فَتَقِ

كَأَنَّهُ مِنْ خُلُقِكَ الحُلُوْ خُلِقِ

(١) المصعب من الإبل : الفعل الذي لا ينقاد . (٢) هذه الكلمة غير ظاهرة

في الأصول . وهي في ص أقرب إلى ما أثبتناه . (٣) الخلب (كعظم) :

الكثير الوشي . (٤) في الأصول : « مسكود » ، ولا معنى له . ونظنه

محرفاً عما أثبتناه . والمَشْكُود : الممنوح .

بينه وبين
أبي الحسن راشد
وقد دعاه إلى
مجلس أنس

كَأَنَّمَا كَثُوسُهُ تَحْتَ الْفَسَقِ
 فِي رَاحَةِ السَّاقِ نَجْمٌ تَأْتِلِقُ
 تَخْلُهَا وَهِيَ تَلْظِي كَالْحَرَقِ
 أَحْشَاءُ صَبٍّ مُلِثَتْ مِنَ الْحَرَقِ
 تَرَى لَدَى الْمَرْجِ إِذَا الْمَاءُ انْدَفَقِ
 فِيهَا حَبَابًا لَاحَ كَالِدِرِ النَّسَقِ
 وَأَنْتِ أَنْسِي وَالْمُقَدِّي بِالْحَدَقِ
 فَاطْلُعُ طُلُوعِ الْقَمَرِ التَّمِّ اتَّسَقِ
 فِي يَوْمِنَا هَذَا إِذَا الظُّهْرُ نَطَقِ
 يَارَاشِدًا إِذَا دُجِيَ الْغَيَّ غَسَقِ
 وَمَاجِدًا قَدْ حَازَ فِي السَّبْقِ السَّبْقِ
 لِلَّهِ مَعْنَى طَابِقَ أَسْمَاءَ لَكَ حَقِ
 تَوَافَقَا فِيكَ إِذَا الْإِثْمُ انْفَقِ

[٥٩٦]

فراجعہ راشد :

لَبَّيْكَ مِنْ دَاعٍ إِلَى الْعَيْشِ الْغَدَقِ
 فِي سَجَسَجٍ مِنْ ظِلِّهِ غَضُّ الْوَرَقِ
 نُذِيرُ صَفْوُ الرَّاحِ صِرْفًا قَدْ عَتَقِ
 وَشِبْهَهَا لَوْنًا وَطَعْمًا وَعَبَقِ
 وَكَانَ يُجْلَى فِي مُلَاءٍ مِنْ فَلَقِ
 تَحْسُدُهُ فِي حُسْنِهِ بَيْضُ السَّرَقِ

ثم كساه الشَّهْدُ ثوبا من شَفَقٍ
 بل مِنْ إِيَاةِ الشَّمْسِ من غير رَنَقٍ^(١)
 كأنه مِنْ خَدٍّ مَنْ أَهْوَى اسْتَبْرَقَ
 كأنه بِرَيْقِهِ الْعَذْبَ فُتِقَ
 فَبَاءَ يَشْفِي مِنْ جَوَى وَمِنْ حُرَقِ
 أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ أَتَى بَعْدَ الْفَرَقِ
 رَضِيئُهُ مُصْطَبِحًا وَمُعْتَبِقُ
 عَلَى رِيَاضِ أَدَبٍ ذَاتِ أَنْقِ
 أَجْنَيْنَ مَا أَهْوَى وَأَذْهَبِنَ الْقَلَقِ
 عِنْدَ فَتَى نَذْبَ عَيْبَرَى الْخُلُقِ
 مُؤْتَزِرٍ بِالْمَكْرُمَاتِ مُنْتَطِقِ
 إِنْ قَالَ قَدَسُدَّتْ الْوَرَى قِيلَ صَدَقِ

وقال يصف مجلس أنس وتصرف في وصف سُقَاتِهِ ، وإقبال الصُّبْحِ لميقاتِهِ ، وله يصف مجلس
 أنس
 ومَدَحِ الرَّاحِ بِأَحْسَنِ أَسْمَانِهَا ، وطلوع الفجر هازما لدُجَى ليلاتهم وظلماتها ، وإيقاظ
 أصحابه من نومهم ، وترغيبه لهم في اصطباح يومهم :

صَاحِ نَبَّهَ كُلَّ صَاحٍ يَعْطَبِجُ فَضْلَةَ الزُّقِّ الَّذِي كَانَ اغْتَبَقَ
 قَهْوَةً تَحْكِي الَّذِي فِي أَضْلَعِي مِنْ جَوَى الْحُبِّ وَمِنْ لَفْحِ الْحُرْقِ
 بِيَدِي سَاقٍ تَرَى فِي طَوْقِهِ بَدَرَ تَمَّرٍ قَدْ تَجَلَّى فِي غَسَقِ

(١) في ط ، س : « زق » وفي م : « زنق » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .
 والرنق : الكدر .

خَلَّتْهَا إِذْ غَرَبَتْ فِي ثَغْرِهِ شَمْسُهَا أَبَقَتْ ^(١) بِخُدَيْهِ شَفَقُ
أَفْرِغِ الْمَاءَ عَلَيْهَا فَخَسَتْ ذَائِبُ الْإِبْرِيزِ أَوْ ذَوْبَ وَرَقِ
إِنْ مِسْكَ اللَّيْلِ قَدْ أَعْقَبَهُ مِنْ سَنَى الْإِصْبَاحِ كَافُورُ عَبَقِ
فَكَأَنَّ الْفَجْرَ عَيْنٌ فُجِّرَتْ وَكَأَنَّ اللَّيْلَ زَنْجِيٌّ غَرِقُ
وَكَأَنَّ الْأَنْجَمَ الزُّهْرَ مَهًّا رَاعَهُ السَّرْحَانُ صُبْحًا فَافْتَرَقُ

وله في الزهد وقال في الزهد ، وهو غرض قد أكثر القول فيه ، والضراعة لباريه ؛
وراش أنواعه وبرى ، وحلب فنونه ومرى ؛ وذلك مما يدل على ورعه ، وصفاء
منهله في التقى ومشرعه ؛ فكثيرا ما يعلن به ويسر ، ويطلع على لسانه متمما
ولا يستتر :

إِلَهِي إِنْ شَاكَ لَكَ حَامِدُ وَإِنِّي لَسَاعٍ فِي رِضَاكَ وَجَاهِدُ ^[٥٩٧]
وَإِنَّكَ مَهْمَا زَلَّتِ النَّعْلُ بِالْفَتَى عَلَى الْعَائِدِ التَّوَابُ بِالْعَفْوِ عَائِدُ
تَبَاعَدْتَ نَجْدًا وَادَّيْتِ تَعَطُّفًا وَحِلْمًا ^(٢) فَأَنْتَ الْمُدْنِي الْمَتَبَاعِدُ
وَمَالِي عَلَى شَيْءٍ سِوَاكَ مُعَوَّلُ إِذَا دَهَمْتَنِي الْمُغْضَلَاتُ الشَّدَائِدُ
أَغْيِرَكَ أَدْعُو لِي إِلَهًا وَخَالِقًا وَقَدْ أَوْضَحَ الْبَرْهَانُ أَنَّكَ وَاحِدُ
وَقَدِّمًا دَعَا قَوْمٌ سِوَاكَ فَلَمْ يَقُمْ عَلَى ذَاكَ بَرْهَانٌ وَلَا لَاحِ شَاهِدُ
وَبِالْفَلَكَ الدَّوَارِ قَدْ ضَلَّ مَعْشَرُ وَلِلنَّيَّاتِ السَّبْعِ دَاعٍ وَسَاجِدُ
وَالْعَقْلُ عِبَادُ وَلِلنَّفْسِ شَيْعَةٌ وَكُلُّهُمْ عَنْ مَنَهِجِ الْحَقِّ حَائِدُ
وَكَيْفَ يَضِلُّ الْقَصْدَ ذُو الْعِلْمِ وَالنَّهْيِ وَنَهْجُ الْهُدَى مَنْ كَانَ نَحْوَكُ قَاصِدُ ^(٣)

(١) في م : « أبقت » .

(٢) كذا في قلائد العقيان . وفي الأصول : « علما » .

(٣) كذا في الأصول وقلائد العقيان .

وَهَلْ فِي الْآتِي طَاعُوا لَهَا وَتَعَبَّدُوا لِأَمْرِكَ عَاصٍ أَوْ لِحَقِّكَ جَاحِدُ
وَهَلْ يَوْجِدُ الْمَعْلُولُ مِنْ غَيْرِ عَسَلَةٍ إِذَا صَحَّ فِكْرُهُ أَوْ رَأَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
وَهَلْ غِيبَتْ عَنْ شَيْءٍ فَيُنْكَرُ مُنْكَرُهُ وَجُودُكَ أَمْ لَمْ تَبْدُ مِنْكَ الشَّوَاهِدُ
وَفِي كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ دَلَائِلُ مِنَ الصَّنْعِ تُنْبِي أَنَّهُ لَكَ عَابِدُ
وَكُلُّ وَجُودٍ عَنْ وَجُودِكَ كَأَنَّ فَوَاجِدُ أَصْنَافِ الْوَرَى لَكَ وَاجِدُ
سَرَتْ مِنْكَ فِيهَا وَحْدَةً لَوْ مَنَعَتْهَا لِأَصْبَحَتْ الْأَشْيَاءُ وَهِيَ بَوَائِدُ
وَكَمْ لَكَ فِي خَلْقِ الْوَرَى مِنْ دَلَائِلُ يَرَاهَا الْفَقَى فِي نَفْسِهِ وَيُشَاهِدُ
كَفَى مُكَذِّبًا لِلْجَاحِدِيكَ نَفْسُهُمْ تُخَاصِمُهُمْ إِنْ أَنْكَرُوا وَتَعَانِدُ

وقال يمدح الظافر عبد الرحمن بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن ذِي النُّونِ ، وهو ممدوح طابق
وله يمدح الظافر ابن ذِي النُّونِ الممدوح ، ووصف شاكله كالروض والغمام السَّقُوح ؛ فنظم الذَّرَّ بِأَهْيَ جِيد ،
وقلَّد الفخْرَ أَعْلَى تَجِيد ؛ ووضع العَلَقَ فِي يَدَيْ مُمَيِّزِهِ ، وَأَجْرَى الْجَوَادِ فِي مِيدَانِ
مُجَوِّزِهِ ؛ لم يحمله إِلَى غَيْرِ مَوْضِعِ نَفَاقٍ ، وَلَا شَامَ بِهِ نَحِيلَةَ ذَاتِ إِخْفَاقٍ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ
أَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ ، وَأَمْضَى مِنَ اللَّيْثِ ؛ وَأَذْكَى مِنَ الْحُسَامِ ، وَأَهْيَ مِنَ الْبَدْرِ لَيْلَةَ
الْتِمَامِ ؛ حَتَّى خَاضَ هَوًّا لَا يَسْرُ فِيهِ إِلَى صُبْحٍ ، وَسَلَكَ شِعْبًا لَمْ يَنْشُ (١) مِنْهُ
بَرِيحٌ ؛ فَصَافِحَ الْمَنَايَا ، وَطَلَعَ لَهُ غَيْرَ مَعَهُودِ الثَّنَايَا ؛ وَالشَّعْرَ قَوْلُهُ :

[٥٩٨] لَعَلَّكُمْ بَعْدَ التَّجَنُّبِ وَالْهَجْرِ تَدِيلُونَ مِنْ بَعْدٍ وَتَشْفُونَ مِنْ ضُرِّ
فَإِنْ الَّذِي غَادَرْتُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي يَزِيدُ عَلَى مَرَّةِ الزَّمَانِ وَيَسْتَشْرِى
وَلَمْ تُنَبِّحْكُمْ عَنِّي النَّوَى غَيْرَ أَنْكُمْ رَحَلْتُمْ مِنَ الْجَفْنِ الْقَرِيحِ إِلَى الْفِكَرِ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَسْأَلُ عَنْكُمْ وَمَنْزَلَكُمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ

وَأَسْتَعِظُ الْأَيَّامَ فِيكُمْ لَعَلَّهَا
وَأَطْمَعُ مِنْهَا فِي الْوِصَالِ وَلَمْ أَزَلْ
وَيُوحِشْنِي حُسْنُ الزَّمَانِ لِنَآيِكُمْ
وَلَمْ أَنْسَ إِذْ صَدَّتْ كَمَا صَدَّ شَادِنُ
تَمِيسَ كَمَا مَاسَ الْقَضِيبُ عَلَى النَّفَا
وَمَا زِلْتُ صَبَّأًا بِالْغَوَانِي تَصِيدُنِي
وَعِنْدِي أَحْشَاءُ مُلْتِنٍ صَبَابَةٍ
وَلَوْعَةٌ وَجَدَ مَا تُفَيِّقُ وَظَمَاءٌ
وَكَمْ فِي كِنَاسِ السَّمْهَرِيَّةِ مِنْ رَشَا
وَأَهْيَفَ يَثْنِيهِ النَّسِيمُ إِذَا جَرَى
وَسَاحِرَةٌ الْأَلْفَاظِ لَوْ أَنَّهَا دَعَتْ
حَسَرْتُ قِنَاعَ السَّتْرِ فِيهَا وَلَمْ يَكُنْ
وَلِلَّهِ لَيْلٌ بِاللَّوَى أَبْعَدَ الْجَوَى
فَمَا شِئْتُ مِنْ شَكْوَى أَرْقَ مِنْ الْهَوَى
سَرْتُ لَمْ تَمَسَّ الطَّيِّبَ عَجَبًا بِحُسْنِهَا
فَقُلْتُ : عُبَيْدُ اللَّهِ أَوْ نَجْلُهُ سَرَى
كَأَنَّ ضِيَاءَ الصُّبْحِ فِي اللَّيْلِ إِذْ سَرَى
كَأَنَّ مَهًا فِي الْأَفْقِ رِيْعَتْ وَقَدْ بَدَا
كَأَنَّ سَنَى الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ إِذْ بَدَا
وَالْأَفْوَاجُ الظَّافِرُ الْمَلِكُ الْبَحْلِي

تُعِيدُ اللَّيَالِي السَّابِقَاتِ كَمَا أُدْرَى
عَلِمَا بِمَا يُؤْثِرُنَ مِنْ شَيْمِ الْغَدْرِ
وَإِنْ كُنْتُ مَا نُوَسَّ الْجَوَانِحَ بِالذِّكْرِ
غَرِيرٌ مِنَ الرَّبْعِيِّ^(١) أَوْجَسَ مِنْ دُغْرِ
وَتَرَنُوا كَمَا أَغْضَى الشَّرِيفُ مِنَ الشُّكْرِ^(٢)
ذَوَاتُ الثَّنَائِيَا الْغُرَّ وَالْأَوْجُهَ الزُّهْرُ
كَالْحَظَّاءِ أَجْفَانِ مُلْتِنٍ مِنَ السَّخَرِ
لَأَشْنَبَ مَعْسُولَ اللَّمَى طَيِّبَ النَّشْرِ
أَغْنَى يَقِيمُ الْعُذْرَ فِي الْخَلْعِ لِلْعُذْرِ
فَلَوْ شَاءَ مِنْ لَيْنٍ تَخْتَمُ فِي الْخَضِرِ
بِنِعْمَتِهَا مَيْتًا لِلَّيِّ مِنَ الْقَبْرِ
يَطِيبُ الْهَوَى يَوْمًا لِمَنْ دَانَ بِالسَّتْرِ
وَقَرَّبَ نَحْرًا مِنْ مَشُوقٍ إِلَى نَحْرِ
وَمَا شِئْتُ مِنْ نَجْوَى أَلَدٍّ مِنَ الْخُمْرِ
وَقَدْ أَفْعَمَتْ غُرُضَ الْبَسِيطَةِ بِالْعِطْرِ
فَذَكَّرَنِي دَارِينَ أَوْ بَتُّ الشَّجَرِ
بَصِيرَةً إِيْمَانِ سَرَتْ فِي عَمَى كَفَرِ
لَهَا ذَنْبُ السَّرْحَانِ مِنْ وَضَحِ الْفَجْرِ
كَسَا وَرَقَ الْإِصْبَاحِ ذُوبًا^(٣) مِنَ التَّبَرِ
فَجَلَّى ظِلَامَ النَّقْعِ فِي الْجُحْفَلِ الْمَجَرِ

(١) الربيعي : الحديث الميلاد . (٢) في م : « الشكر » . (٣) في م : « ثوبا » .

عجبت لأيامٍ تداعتُ خطوبُها
ولم تذُرْ أنى في حِمى الظافر الرضا
حَلَّتْ جَنَابًا مِنْهُ مَدًّا ظِلَالَهُ [٥٩٩]
جَنَابٌ بَكَتْ فِيهِ غَنَائِمُ جُودِهِ
وَكَمْ نِلَتْ مُذْ أَصْبَحَتْ أَلْتِمُ كَفَّهُ
لَدَى مَلِكٍ مَا لَاحَ ضَوْؤُهُ جَبِينِهِ
وَمُتَقَدِّدِ الْأَرَاءِ لَوْ جَالُ فِي الْوَعَى
وَلَوْلَا اضْطِرَامُ الْبَاسِ فِيهِ غَدَا الْقَنَا
أَرَى عَابِدَ الرَّحْمَنِ رَحْمَةً مِنْ قَسَتْ
وَكَعْبَةَ آمَالٍ كَثِيرًا حَجِيجُهَا
لَهُ مِنْ حِجَاهٍ بِالسَّاحَةِ أَمْرُهُ
فَقَى لَمْ يَشْمُرْ قَطُّ إِلَّا عَنَا لَهُ
وَلَمْ يَعْتَرِكْ بُحْلٌ بِمِيدَانِ عَدْلِهِ
أَبَا عَامِرٍ لَا زَلَّ لِلْمَجْدِ عَامِرًا
وَقَعَتِ الْعِدَا عَنَى بِرَأْفَةِ مَا جَدٍ
وَأَوْسَعَتْ نَعْمَى ضِيقَتْ ذُرْعًا بِحَمَلِهَا
وَلَمَّا ارْتَقَتْ بِي فِي سَمَائِكَ هَمَّتِي
فَحَيَّيْتُ شَمْسَ الْمُلْكِ فِي فَلَاكِ الْعُلَا
أَيْرَجُو ضَلَالًا أَنْ يُنَاوِيكَ حَاسِدٌ
وَأُزْسَى عَمِيدُ اللَّهِ بَيْتَكَ فِي الْعُلَا

لَتَتَلِمَ مِنْ غَرْبِي وَتَقْدَحَ فِي وَفْرِي
أَرَدُّ الْعِدَى عَنَى بِصَمَامَتِي عَمْرُو
عَلَى وَأَعْطَانِي أَمَانًا مِنَ الدَّهْرِ
فَأُضْحِكُنْ رَوْضَ الْمَجْدِ عَنْ زَهْرِ الشُّكْرِ
بِيَمِينَاهُ مِنْ يُنْمُنُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يُسْرِ
بِجَنَحِ الدُّجَى إِلَّا كَفَى مَطْلَعُ الْبَدْرِ
بِخَاطِرِهِ أَغْنَى عَنِ الْبَيْضِ وَالسُّفْرِ
بِرَاحَتِهِ يَهْتَرُ بِالْوَرَقِ الْخَضِرِ
عَلَيْهِ اللَّيَالَى ، أَمِنْ مَنْ رِبْعَ الْفَقْرِ
لَهَا حَرَمٌ فِيهِ مَشَاعِرُ لِلشُّعْرِ
وَمِنْ حِلْمِهِ نَاهٍ عَنِ الْاِفْوَ وَالْهُجْرِ
عِدَاهُ وَسَاقُ الْحَرْبِ مُسْبِلَةُ الْأَزْرِ
وَجَدَّوَاهُ إِلَّا فَازَ جَدَّوَاهُ بِالنَّصْرِ
فَأِنْكَ وَنُسْطَى الْعِقْدِ فِي عُنُقِ الْفَخْرِ
وَعَمْرٍ نَوَالٍ سَرَّ إِذَا سَاءَ ذَا الْغَمْرِ (١)
فَإِنْ خَفَّفَتْ عُمُرِي لَقَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي
غَدَا أَخْصَى فَوْقَ النَّعَائِمِ وَالنَّسْرِ
وَشِمْتُ سَحَابَ الْجُودِ فِي بَارِقِ الْبَشْرِ
وَقَدْ حُزْتُ خَصْلَ السَّبْقِ وَهُوَ عَلَى الْإِثْرِ
وَطَنَبَهُ بَيْنَ السَّمَائِينَ وَالْغَمْرِ (٢)

وأصبحت كالأمون تقفو سبيله
وما علت صبرا حين قللك العُلا
فله ما شادوا وشدت من العُلا
نظمت شتيت الملاك بالعدل والتقى
وجاءك صوم إثر فطر قضيتَه
وأدبر سقم عنك بشر جسمه
سيملا شكري كل قطر تحله
وتبقى لكم بين الصلوع محبة

كأنك موسى تقتفي أثر الخضر
وجاء بأمر من بدائعه أمرى
ولله ما حازوا وما حُزت من ذكر
وقت بحق الله في السر والجهر
بحظين من سعد جزيل ومن أجر
بإقبال نعمي واتصال من العمر
بنشر ثناء عنك أذكى من العطر
ألاقي بها الرحمن في موقف الحشر

وكتب إلى ذى الوزارتين أبي عيسى بن لبون :

وله مدح ابن
لبون

[٦٠٠]

قم نضطبح من قهوة بكر
أنف تناساها الورى حتى
فترى الدنان وما حوت منها
نفحت فقلت المسك أو ما قد
لا شيء يحكي طيبها إلا
مازلت أخبر من محاسنه
وأجن نحو لقائه طربا
فالآن شاهدت الذى يحكى

حتى ترى صرعى من السكر
لم تجر فى بال ولا ذكر
كجوانح طويت على فكر
أحيا أبو عيسى من الذكر
شيم عذاب منه أو شكري
قدما بعرف ليس بالسكر
كالطير إذ جئت إلى وكر
ولقيت فيه الفضل للسكر

وكان أبو عيسى ممن رأس وما شفت ، ووَكَّف جوده وما كَفَّ ؛ وأعاد
سوق البدائع نافقه ، ورفع للآمال راية من الندى خافقه ؛ وأورد هم منها جوده
معيانا ، وزف لهم من مبراته أبكارا وعونا ؛ فلما بلغه قوله هذا وسمعه ، استنبله

تعريف للفتح
باب لبون ومدح
ابن السيدله

واستبدعه ؛ وأحضره إلى مجلسٍ نَامَ عنه الدهرُ وغَفَلَ ، وقام لَفَرَطُ أنسه واحتفل^(١) ؛ قد بانت صُروفُه ، ودنت في الزائرِينَ قُطوفُه ؛ وقال هَلُمَّ بنا إلى الاجتماعِ بِمُذهِبِك ، والاستمتاعِ بما شئتَه ببراعةِ أدَبِك ؛ فأقاموا يُعْمَلُونَ كأَسْهَمٍ ، وَيَصْلُونَ إِيْناسَهُمْ ؛ وباتوا ليلَهُمْ ما طرَقَهُمْ نَوْمٌ ، ولا عَدَاهُمْ عن طيب اللذاتِ سَوَمٌ .

ودخل سِرْقُسطَةُ أيامَ المستعين [بالله] وهى جَنَّةُ الدنيا ، وفِتْنَةُ المَحْيا ؛ ومُنْتَهَى الوصفِ ، وموقفُ السرورِ والقُصفِ ؛ مَلِكٌ نَمِيرُ البِشاشَةِ ، كثيرُ الهِشاشَةِ ؛ ومُلْكٌ يَهْجُ الفِئاءِ ، أَرَجُ الأَرْجاءِ ؛ يَرُوقُ المَجْتَلَى ، ويفوقُ النَجْمَ المَعْتَلَى ؛ وَحَضْرَةُ مُنْسابَةُ الماءِ ، مُنْجَابَةُ السماءِ ؛ يَبْسُمُ زَهْرُها ، وَيَنْسَابُ نَهْرُها ؛ وَتَفْتَحُ خِثْلُها ، وَتَقْضُوعُ صَبَاها وشَمائِلُها ؛ والحوادثُ لا تَعْتَرِضُها ، والسُّكُوثُ لا تَقْتَرِضُها^(٢) ؛ وَنَازِلُها من عُرْسٍ إلى مَوَسِمٍ ، وآمِلُها متّصلٌ بالأمانِ ومُتَمِّسٌ ؛ فَنَزَلَ مِنْها فى مِثْلِ الخَوَزْنِقِ والسَّديرِ ، وَتَصَرَّفَ فِيها بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ ؛ فلم يَخِفْ عَلَى المستعينِ اختِلاله^(٣) ، ولم تَخَفْ لَدِيهِ خِلالُه ؛ فَذَكَرَهُ مُعَلِّمُها بِهِ وَمُعَرِّفُها ، وَأَحْضَرَهُ مُنَوِّها لَهُ وَمُشَرِّفُها ؛ وَقَدْ كانَ فَرَّ مِنْ ابنِ رَزِينٍ ، فَرارَ السُرورِ مِنْ نَفْسِ الحَزِينِ ؛ وَخَلَصَ مِنْ اِعْتِقالِهِ ، خُلُوصَ السَّيفِ مِنْ صِقالِهِ ؛ فَقَالَ يندحه :

مُهمَّ سَلْبُونِي حَسَنَ صَبْرِي إِذْ بَانُوا بأَقْمارِ أَطواقٍ مَطالِها بَانُ
لِئِنْ غادروني بِاللَّوى إِنَّ مَهْجَتِي مَسِيرَةً أَطْعَمَهُمْ حَيْثُمَا كانُوا
سَقَى عَهْدَهُم بِالْخَيْفِ عَهْدَ غِثائِمٍ يَنازِعُها مُزْنٌ مِنَ الدَّمْعِ هَتَّانِ
أَحبابُنا هَلْ ذلِكَ العَهْدُ راجِعٌ وَهَلْ لِي عَنْكُمْ آخِرُ الدَّهْرِ سُلُوانِ

(١) فى م : « ورفل » .

(٢) تَقْتَرِضُها : تَنالُ مِنْها . (عن تاج العروس) .

(٣) اختِلاله : أى سَوءُ حالِهِ .

ولي مقلة عبرى وبين جوانحي
 تسكرت الدنيا لنا بعد بُعدكم
 أناخت بنا في أرض شنت مريّة
 وشمتا بروقا للمواعيد أتعبت
 فسرنا وما نلوى على متعذر
 ولا زاد إلا ما انتشته من الصبا
 رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها
 إلى ملك حابه بالمجد يوسف
 إلى مستعين بالإله مؤيد
 جفقتنا بلا جرم كأن مودة
 ولو لم تفض منا سوى الشعر وحده
 فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا
 ولا نحن ممن يرتضى الشعر خبطة
 ومن أوهمته غير ذلك ظنونه
 خليلى من يعدى على زمن له
 وهل رى من قبل غريق مدامع
 وهل طرقت عين المجد ولم تكن
 فوجه ابن هود كما أعرض الورى
 ففى المجد فى برديه بدر وضيفم
 فؤاد إلى لقياءكم الدهر حنان
 وحقت^(١) بنامن مفضل الخطب ألوان
 هواجس ظن خن والظن خوان
 نواظرنا دهرا ، ولم يهم هتان
 إذا وطن أقصاك آوتك أوطان
 أنوف وحازته من الماء أجفان
 فلا مأوها ضدا ولا النبت سعدان
 وشاد له البيت الرفيع سليمان
 له النصر حزب والمقادير أعوان
 ثنى نحونا منها الأعنة شنان
 لحق لنا برئ عليه وإحسان
 فيوجب المكدي جفاء وحرمان
 وإن قصرت عن شأونا فيه أعيان
 فتم مجال العقال وميدان
 إذا ما قضى حيف على وعدوان
 يفيض بعينه الحيا وهو حران
 لها مقلة من آل هود وإنسان
 صحيفة إقبال لها البشر عنوان
 وبحر وقدر ذو الهضاب وشهلان

[٦٠٢]

من النفر الشُّمِّ الذين أكَفَّهم غِيُوثٌ ولكنَّ الخواطرَ نيرانُ
لُيُوثٍ شرَّى ما زال منهم لدى الوغى هَزَبَرٌ بيميناه من السحر ثعبان
وهل فوق ما قد شاد مقتدر لهم وموْتَمَن بالله لُقيــــــــاه إيمان
ألا ليس نغر في الورى غير نغرم وإلا فإنَّ الفخر زور وبهتان
فيا مستعيننا مُستعانًا لمن نبأ به وطنٌ يوما وَعَضَّتْهُ أزمان
كسوتُك من نظمي قلائد مَفْخَرٍ يباهي بها جِيدُ المعالي ويزدان
وإن قَصَّرتُ عما لبستُ فربما تجاورَ درّ في النِّظام ومَرَّجان
مَعانٍ حكَّتْ غُنْجَ الحِسان كأننى بهنَّ حبيبٌ أو بَطْلَيْوُسَ بَغْدان
إذا غَرَسْتَ كَفالكَ غرسَ مَسْكارمٍ بأرضى أَجنتك الشَّما منه أغصان

ولابن السيد
يمدح ابن رزين
وكان عند وصوله إلى ابن رزين قد رفعه أرفع محلّ ، وأنزله منزلة أهل
العقد والحلّ ؛ وأطلعه في سمائه ، وأقطعه ماشاء من نغائمه ، وأورده أصفى مناهل
مائمه ، وأحضره مع خواصّ نُدَمائمه ؛ وكانت دولته مَوْقِفَ البيان ، ومَقْدِفٌ (١)
الأعيان ؛ ومُحَصَّبَ حِمار الآمال ، وأعذب موارد الأجمال ؛ لولا سَطَوَاتُه الباطشه ،
ونَكَبَاتُه البارية لمهام الرُّزء الرائشه ؛ فقلما سلِمَ منها مُفاد الأموال ، ولا أحدَ
عُقباه معه صاحبٌ ولا وال ؛ فأحمد هو أوَّلُ أمره معه ، واستحسن مذهبه في
جانبه ومَنَزَعَه ؛ ولم يَدَّرْ أن بعد ذلك الشهد شربَ عَلَقَم ، وأن السِّمَّ تحت لسان
ذلك الأرقم ؛ فقال رحمه الله يمدحه :

عسى عَظْفة مِمَّنْ جفاني يُعِيدُها فَتُقْضَى لُباناتى ويدنو بعِيدُها
فقد تُعْتَبِ الأيام بعد عِتَابِها ويُمَحِّى بوصل الغانيات صدودها

(١) في ط : « ومقدف » . وفي م : « ومعدن » . وفي ص : « ومقدب » . ولعل
الكلمة محرفة عما أثبتناه .

وكم للصبا عندى يدُ لستُ جاحدا
لِيالى أُسرَى في لِيالى غدايرٍ
وأهْصِرْ أعْصانَ القُدودِ فَتَنَنِي
فَلَيْلِهِ لَيْلٌ بَتٌ فِيهِ كَأَنِّي
أُبَيِّحُ ثُغُورًا كالثُّغُورِ ودُونِها
تَشابِهَ مِنْها ما حوته مَباسِمُ
فإنْ تَكُ مِنْ تِلْكَ العقودِ ثُغُورُها
وحِراءَ حَلاها المِزاجُ نَحْلَتُها
بَدَتْ في دِلاصٍ مِنْ حَبابٍ وَأَشْرَعَتْ
فما بَرِحَتْ حَتَّى كَأَنَّ شُرُوبَها
تَرى شَرِبَها جُنَجَ الظلامِ كَأَنَّهُمْ
إِذا أَنْكَحُوا مِنْ فِضَّةِ المِاءِ تَبَرَّها
كما أَنْكَحُوا البَدْرَ اسْتَقَامَتْ سَعُودُها
فجاءَ بَعْدَ المَلِكِ لِلْمَلِكِ كوكبا
رَمى جَنَّةَ الأَعْداءِ لما سَمَوْا لها
حَلَفْتُ بَعْلِيا عابِدِ المَلِكِ ذِي الأَها
لئنْ كانَ قَدِ ابْلَتْ هُذَيْلا يَدُ الرَدَى
وَإِنْ رَفَعْتُ كَفاهُ قُبَّةً مَفْخَرِ
فَتَى أَحْرَرَ العَلِيّا ، وحازَ مَدَى النَّدَى
لِها إِنْ كَفَرانَ الأَيادي جُجودُها [٦٠٣]
كواكِها حَلَى المِها وخَدودُها
عَلَى بَرْمَنانِ النَحُورِ نِهودُها
بوجَرَةَ أَغْتالِ المِها وَأَصِيدُها
أَسِنَّةُ الحَاطِظِ قَمَها قُدودُها
عِذابٌ وَلَبَّتْ يَرُوقُ فَرِيدُها
وإِلَّا فَمِنْ تِلْكَ الثُّغُورِ عُقُودُها
عَقِيلَةَ خِذْرِ زَيْنِ بالثَرِ جِيدُها
سِنانَ انْسابِ والسُّكُوسِ جُنُودُها
مِنَ السُّكْرِ صَرَعَى أَنْعَسَتْها حُدُودُها (١)
بِها مُضْطَلُّو نارٍ يُشَبُّ وَقُودُها
أَتَى اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ وَهُوَ وَلِيدُها
هُذَيْلا مِنَ الشَّمْسِ اسْتَقَامَتْ سَعُودُها
لِيَحْمِيَ سَماءَ المَجْدِ مِمَّنْ يَكِيدُها
بِشُهْبِ القَنّا حَتَّى اسْتَشْاطَ مَرِيدُها
وَأَيْدٍ لَهْ كَالْفَطْرِ جَمٍّ عَدِيدُها
فإنَّ عُلاهُ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُها
فإنْ قَنّا عَبدَ المَلِكِ عَمُودُها
فما إِنْ لَهْ مِنْ رُتَبَةٍ يَسْتَزِيدُها

سَرَى بَارِقٌ مِنْ بَشَرِهِ غَيْرُ خُلْبٍ إِلَى أَرْضِ آمَالِي فَأُورِقُ عَوْدُهَا
 وَبَوَّأَنِي مِنْ مَجْدِهِ فِي مَكَانَةٍ سَعُودُ النُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ صَعِيدُهَا
 فَيَأْيِهَا الْمَوْلَى الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ وَقَدِمًا رَجَا طَوَّلَ الْمَوَالِي عَبِيدُهَا
 أَصْحَخْ نَحْوَ حُرِّ الشَّعْرِ مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ بِدَائِمِهِ مَا زَالَ مِنْكَ يُفِيدُهَا
 قَوَافٍ تَرُوقُ السَّامِعِينَ كَأَنَّمَا تُحَلِّي سَجَايَاكَ الْحَسَانَ قَصِيدُهَا
 حَبَّتِكَ الْعُلَا حَقًّا بِمَثْنَى رِيَاةٍ بِهَا اعْتَرَفْتُ سَادَاتِهَا وَمَسُودُهَا
 وَلَوْلَاكَ أُنْخِتَ أَرْضُ شَنْتِ مَرِيَّةٍ مُنَاخَ خُطُوبٍ لَا يُنَادَى وَلِيدُهَا
 وَمَا زِلْتَ يَقْظَانُ الْجُفُونَ لِرَعِيهَا إِذَا أَعْيَنَ الْأَمْلَاكُ طَالَ هُجُودُهَا
 تَكْفُ الْأَذَى عَنْ أَهْلِهَا وَتَحُوطُهَا وَتُبْدِي الْأَيَادِي فِيهِمْ وَتُعِيدُهَا [٦٠٤]

وَقَالَ يَرْنِي الْوَزِيرَ الْأَجَلَّ، أبا عبد الملك بن عبد العزيز، وبنو عبد العزيز
 بهذا الشَّرْقِ، هم كانوا بدورَ غياهم، وصدور مراتبه، وبحور مواهبه؛ نُظِمَتْ
 فِيهِمُ الْمَدَائِحُ، وعظمت منهم المنائح؛ ونفقت عندهم أقدار الأعلام، وتدفقت
 لديهم بحار الكلام؛ وخدتمهم الدنيا وبنوها، وأمنتهم الأيام ولم يأمَنوها؛
 فَرَّقَتْ جُوعَهُمْ، وأخَلَّتْ رُبُوعَهُمْ، وَنَثَرَتْ سُلُوكَهُمْ، وَمَزَّقَتْ مُلْكَهُمْ؛ وَهَدَّتْ
 مُشَيْدَ بَنَانِهِمْ، وَاحْتَلَّتْ الْحَوَادِثُ فِي فَنَائِهِمْ؛ وَبَقِيَ أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا آخِرَهُمْ،
 فَأَحْيَا مَفَاخِرَهُمْ؛ وَكَانَ بَدْرَ هَذَا الْأَفْقِ وَشَمْسَهُ، وَرُوحَ هَذَا الْقُطْرِ وَنَفْسَهُ؛ أَبَدَى
 لَذَلِكَ السَّيِّئَ لَمَعًا، وَأَعَادَ مِنْ تِلْكَ الْعُلَا جَمْعًا؛ إِلَى أَنْ دَبَّ إِلَيْهِ الْجَمَامُ، وَاسْتَسَرَّ^(١)
 بَدْرُهُ بَعْدَ التَّمَامِ؛ وَالْقَصِيدَةُ:

فَوَادِي قَرِيحٍ قَدْ جَفَاهُ اضْطِبَارُهُ وَدَمْعِي أَبَتْ إِلَّا أَنْسَكَابَا غِرَارُهُ

يُسَرُّ الْفَقَى بِالْعَيْشِ وَهُوَ مُبِيدُهُ وَيَعْتَرِ بِالدُّنْيَا وَمَا هِيَ دَارُهُ
 فِي عِبَرِ الْأَيَّامِ لِلْعُرَى وَاعْظُ إِذَا صَحَّ فِيهَا فِكْرُهُ وَاعْتَبَارُهُ
 فَلَا تَحْسِبَنَّ يَا غَافِلُ الدَّهْرَ صَامِتًا فَأَفْصَحُ شَيْءٍ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
 أَصْحَاحٌ لِمُنَاجَاةِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ سَيَغْنِيكَ عَنْ جَهْرِ الْمَقَالِ سِرَارُهُ
 أَدَارُ عَلَى الْمَاضِينَ كَأَسَا فِكْهُمُ أُبَيِّحُ مَغَانِيهِ وَأَقْوَتُ دِيَارُهُ
 وَلَمْ يَحْمَهُمْ مَنْ أَنْ يُسَقَّوْا بِكَأْسِهِمْ تَتَنَاوَشُ أَطْرَافَ الْقَنَا وَاشْتِجَارُهُ
 وَغَالَتْ أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ صُرُوفُهُ وَقَدْ كَانَ دَهْرًا لَا يُبَاحُ ذِمَارُهُ
 فَأَصْبَحَ مَجْهُوًّا وَقَدْ كَانَ وَاصِلًا وَأَمْسَى قَصِيًّا وَهُوَ دَانَ مَزَارُهُ
 وَلَمْ أَنْسَ إِذْ أَوْدَى الْحِمَامُ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فَعْلُهُ وَأَذْكَارُهُ
 إِذَا رَقَاتْ عَيْنِي اسْتَهْلَتْ شَتُونَهَا لَمَّا تَمَّ حَزْنٌ قَدْ أَرْنَّ صُورَارُهُ
 تُجَاوِبُ هَذِي تِلْكَ عِنْدَ بَكَائِهَا كَتَرَجِيعِ شَوْلٍ حِينَ حَنَّتْ عِشَارُهُ
 كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَالْمَرْزَنِ يَرْهَبُ صُغْفَرَهُ عَدُوٌّ وَيُرْجَى فِي الْمُحُولِ أَنَّهُمَارُهُ
 وَدُوْحَةٌ عِزٍّ يُسْتَمْطَلُّ بِظِلِّهَا وَرَوْضًا مِنَ الْآدَابِ تُجَنَّى ثِمَارُهُ
 أَمَّا وَعَلَى مَرْوَانَ إِنَّ مُصَابِهِ أَثَارَ أَسَى تَذَكَّى عَلَى الْقَلْبِ نَارُهُ
 فَلَا شُرْبَ إِلَّا قَدْ تَكَدَّرَ صَفْوُهُ وَلَا نَوْمَ إِلَّا قَدْ تَجَافَى غِرَارُهُ
 فَأَيُّ حَيًّا لِلْفَضْلِ أَجْلَى غَمَامُهُ وَنَظْمٍ مِنَ الْعَلَمَاءِ حَانَ انْتِثَارُهُ
 خَوَى الْمَجْدُ مِنْ مَرْوَانَ وَانْهَدَّ طَوْدُهُ وَجَدَّ بِجَدِّ الْمَكْرُمَاتِ عِثَارُهُ
 وَمَا خِلْتُ أَنْ الصُّبْحَ يُشْرِقَ بَعْدَهُ لَعِينٍ وَأَنْ الرُّوضَ يَبْقَى اخْضِرَارُهُ
 فَيَا طَوْدَ عِزِّ زَلْزَلِ الْأَرْضِ هَدُّهُ وَبَذَرَ عُلَا رَاعِ الْأَنَامِ انْكَدَارُهُ
 هَنِيئًا لِلْحَدِّ ضَمِّ شُلُوكِ أَنْ غَدَا عَمِيدُ النَّدَى وَالْجِدِّ فِيهِ قَرَارُهُ
 وَلَمْ أَرْ دُرًّا قَطُّ أَصْدَافَهُ التَّرَى وَلَا بَدْرَ تَمِّ فِي التَّرَابِ مَغَارُهُ
 عَزَاءُ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ وَإِنْ خَلَا مِنْ الْجَدِّ مَغْنَاهُ وَهَدَّ مَنَارُهُ

ففيكم لهذا الصّدعِ آسٍ وجابرٌ وإن كان صعباً أسوهُ وأنجباره
 لكم شرفٌ أرسى قواعدَ بيته أبو بكرٍ الساري إليكم نجاره
 أجلٌ وزيرٍ عطّر الأرضَ ذكره وأخجلَ زهرَ الثّيّاتِ فخاره
 فلو كان للعلماءِ جيدٌ ومِعصمٌ لأصبحَ منكم عِقدُهُ وسواره

ومما يُستغربُ له ويستبدعُ ، ويشاد بذكركه ويسمعُ ، ويُعدُّ مما ابتكر
 معناه واختراعُ ؛ قوله في وصف طول الليل عليه ، كابدَ منه ما عظمَ لديه .

ترى ليلنا شابت نواصيه كبرّةً كما شبتُ أم في الجو رَوْضُ بهارِ
 كأنَّ الليالي السبع في الأفقُ جمعتُ ولا فضلَ فيما بينها لنهارِ

وحضر عند الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون ، رحمه الله ، مجلساً
 رَفَعَتْ فيه المني لواءها ، وخلعت عليه الشمس أضواءها ، وزَفَتْ إليه المَسَرَّاتِ
 أبكارها ، وفارقت إليه الطير أوكارها ؛ فقال يصفه :

77
 ومجلسٍ جَمَّ المَلاهي أزهرًا
 أَلَدَّ في الأجفان من طَمِ الكرى
 لم ترَ عيني مشـهـلـه ولا ترى
 أنفـسَ في نفس وأبهى مَنظراً
 إذا تَرَدَّى وشيهِ المَصَوِّراً
 من حَوَكِ صنعاء وحوك عَنَبَراً
 ونسجَ قُرُقُوبٍ (١) ونسجَ تُسْتَرَا (٢)

(١) قُرُقُوب (بالضم ثم السكون وقاف أخرى ، وبعد الواو الساكنة باء موحدة) : بلدة

متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز ، وكانت من أعمال كسكر (عن معجم البلدان) .

(٢) تُسْتَر (بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء) : مدينة بخوزستان .

[۶۰۶]

خَلْتُ الرَّبِيعَ الطَّلُقَ فِيهِ نَوْرًا
كَأَنَّمَا الْإِبْرِيْقُ حِينَ قَرَقَرَا
قَدْ أَمَّ لَثَمَ الْكَاسِ حِينَ فَعَرَا
وَحْشِيَّةٌ ظَلَّتْ تَنَاقِي جُودَرَا
تَرْضِعُهُ الدُّرَّ وَيَرْفُو حَذَرَا
كَأَنَّمَا مَجَّ عَقِيْقًا أَحْمَرَا
أَوْفَتْ مِنْ رَبَّاهِ مِسْكَ أَذْفَرَا
أَوْعَابِدُ الرَّحْمَنِ يَوْمَا ذُكِرَا
فَنِمَّ مِسْكَ ذِكْرُهُ وَعَنْ بَرَا
الظَّافِرُ الْمَلِكُ الَّذِي مَنْ ظَفِرَا
بِقَرْبِهِ نَالَ الْعِلَاءَ الْأَكْبَرَا
لَوْ أَنَّ كَسْرِي رَأَاهُ^(۱) أَوْ قِصْرَا
هَلَّلَ إِكْبَارًا لَهُ وَكَبَّرَا
تُبْدِي سَمَاءَ الْمَلِكِ مِنْهُ قَرَا
إِذَا حَجَابُ الْمَجْدِ عَنْهُ سَفَرَا
يَأْيَهَا الْمُنْفَى الْمَطَايَا بِالشَّرَى
تُبْغِي غَمَامَ الْمَكْرُمَاتِ الْمُطَرَا

وقال رحمه الله :

يَعْلُو لِسَانِي فِيكُمْ وَمَا أَفْكَ

(۱) كذا في ط ، ص . وراءه : رآه . وفي م : « زاره » .

فَاهْزُرْ بِهِ عَضْبًا إِذَا هُزَّ فَتَكَ^(١)
قَائِمُهُ قَلْبِي وَالْغَمْدُ الْحَنَكُ

وقال يتغزل أيام جَرى في ميدان الصِّبا مُتَهافتًا ، وأبدى له الجوى نَفْسًا خافتًا ؛
وهو من أبدع أنواع الاستعطاف ، وأحسن من النُّور عند القِطاف ؛ خَضَعَ فيه
لمحبوبه وذَلَّ ، وهان له وابتذَل ؛ ورَضِيَ بما سامه من العذاب ، وبذل نفسه في
رَشْفَةٍ من ثنياه العذاب ؛ وتشكَّى من جَوْرِهِ وحَيْفِهِ ، وبكى حَتَّى مِنْ اجْتِنَابِ
طَيْفِهِ ؛ واستدعى رِضاه ، وخلع ثوب التَّناسك ونِضاه ؛ ونحا في استلطافه أرقَّ
مَنْحَى ، وتَصامَّ عن قول من عدَلَّ ولَحَى ؛ وهذا غرض مَن كَوَاهُ الغرام ، وسبيل
من رام من الوصال مَارَام ؛ فما مع الهوى عِزٌّ ولا صبر ، وما هو إلا ذُلٌّ أو قبر .
[والقطعة] :

أبا عامرٍ أَنْتَ الحَبِيبُ إِلَى قَلْبِي	وإن كُنتُ دُهرًا مِنْ عَتَابِكَ فِي حَرْبٍ
أَتُعْرِضُ حَتَّى بِالْخِيَالِ لَدَى الْكَرَى	وَتَبْخُلُ حَتَّى بِالسَّلَامِ مَعَ الرُّكْبِ
كَأَنِّي أَخُو ذَنْبٍ يَجَازِي بِذَنْبِهِ	وما كَانَ لِي غَيْرَ الْمَوَدَّةِ مِنْ ذَنْبِ
فِيَا سَاخِطًا هَلْ مِنْ رَجُوعٍ إِلَى الرِّضَا	وَيَانَا زَحَا هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الْقُرْبِ
وَيَا جَمَّةَ الْفِرْدَوْسِ هَلْ يَقْطَعُ ^(٢) الْعِدَا	بِحَرْيَالِكَ الْخُتُومِ أَوْ مَائِكَ الْعَذْبِ
وَيَا بَائِنًا بَابَ الْعِزَاءِ بَيْنَيْنِهِ	فَأَصْبَحْتُ مُسْلُوبَ الْعَزِيمَةِ وَالْقَلْبِ
أَذَقْنِي بِالْمُعْتَبَى جَنَى النِّعْلِ مُنْعِمًا	فإنَّكَ قَدْ جَرَعْتَنِي الصَّابَ بِالْعُقْبِ
وَكُنْتُ أَرَى الْهَجْرَانَ أَعْظَمَ حَادِثٍ	فَقَدْ صَارَ عِنْدَ الْبَيْنِ مِنْ أَصْغَرِ الْخُطْبِ

(١) كذا في ط . وفي ص : « إذا هز بتك » . وفي م : « إذا أهوى فتك » .

(٢) كذا في الأصول .

أَتَرَكْنِي رَهْنًا بِأَيْدِي حَوَادِثٍ غَدَوْتُ لَهَا نَهْبًا وَمَا كُنْتُ بِالنَّهْبِ
سَأَجْعَلُ عَيْدًا يَوْمَ عَوْدِكَ يَغْتَدِي مُحِيَّاكَ فِيهِ قِبْلَةَ الْهَائِمِ الْعَبِّ
أَقِيمْ لَوَاءَ الْوَضَلِ فِي حُمْلَةِ الصَّبَا بِهِ وَأُضْحَى بِالصَّبَابَةِ وَالْكَرْبِ
لَكَ الْقَلْبُ مَا فِيهِ لَغَيْرِكَ مَنَزَلٍ مَنَحْتُكَه فَاَنْزَلْهُ بِالسَّهْلِ وَالرُّحْبِ

وقال شا كيا مثل هذه الشكوى ، مخبرا بما يلقاه من البلوى :

خَلِيلِي هَلْ تَقْضَى لُبَانَةُ هَائِمٍ أَمْ الْوَجْدُ وَالتَّبْرِيحُ ضَرْبَةُ لَا زِمِ
فَأَنِّي بِمَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ مُغْرَمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بِإِحْسٍ مِثْلُ كَاتِمِ
وَلِي عِبَرَاتٍ يَسْتَهْلُ غَمَامُهَا بِخَدِّي إِذَا لَاحَتْ بَرُوقُ الْمَبَاسِمِ
كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَذُوبُ صَبَابَةً وَأَشْكُو الَّذِي أَلْقَى إِلَى غَيْرِ رَاحِمِ
وَأَرْتَعُ مِنْ خَدْيِهِ فِي جَنَّةِ الْمَنَى وَيَصْلِي فَوَادِي مِنْ هَوَاهُ بِجَاحِمِ
تَقْضَى الصَّبَا وَاللَّهُوُ إِلَّا حُشَاشَةً تَجِدُّدِي عَهْدَ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
كَأَنِّي لَمْ أَقْطَعْ بِصُبْحٍ وَقَهْوَةٍ زَمَانِي وَلَمْ أَنْعَمْ بِأَحْوَرٍ نَاعِمِ
وَلَا بَتُّ فِي لَيْلِ الْغَوَايَةِ لَا مِمَّا لَهُ تَحْتَ أَسْتَارِ الدُّجَى وَهُوَ لَا مِمِّي
إِذَا مَا أَدَارَ الْكَأْسَ وَهَنًا حَسِبْتُهُ يُدِيرُ هَلَالًا طَالَعًا فِي غَمَائِمِ
أَبَا حَسَنِ إِنِّي بُوْدُّكَ مُعْصِمٌ ^(١) فَهَلْ أَنْتَ يَوْمًا مِنْ جَفَائِكَ عَاصِمِي
جَعَلْتُكَ فِي نَفْسِي وَقَلْبِي مُحْكَمًا لِرِضَايَ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَجُورَ حَاكِمِ
أَتَظْلَمُنِي وَدَّيْ وَمَا زَالَ فِيكُمْ قَرِيعٌ عَلَيَّ يُرْجَى لَرْدِ الْمَظَالِمِ
وَقَدْ كَانَ فَصَّ الْفَخْرِ فِي خِنْصَرِ الْعُلَا أَبُوكَ ، وَوُسْطَى فَوْقَ جِيدِ الْمَكَارِمِ

وكم ضمَّ ظهْرُ الأرضِ منكم وبطنُها بدور دُجى من كل أشوس^(١) حازم
وأبْلَجَ فضاها القميصِ حُلا حِل طويل نجاد السيف ماضى العزائم
وما أذهلتنى عن ودادك غيبةٌ قدحت بها نار الأسى فى حيازى
وكم لى فيها نحوكم من تحية أحملها مرضى الرياح النواسم
إذا مرَّ ذكر منك يوما على فى توهَّمته مسكا سرى فى خياشمى
دعانى إليك الشوقُ فاهتاج طائرى ضحى بخواف للهوى وقوادم
ولو أننى فى ملحدى ودعوتى للبستك من تحت الصَّعيد رَمائى
سأضفيك محض الودِّ ما هبت الصبا وما سَجعت فى الأيكِ وُرق الحائم

[٦٠٨]

(٢) وقال أيضا جاريا على عادته من التشبيب ، وسالكا جادته من الخضوع
للحبيب ، إلا أنه اعتذر من الهوى فى المشيب ، وأنكر أخلاق الشبان على الشيب :

خليلى ما للريح أضحى نسيها يذكرنى ما قد مضى ونسيت
أبعد نذير الشيب إذ حلَّ عارضى صَبوت بأحداق المها وسُبيت
ولى سَكَنُ أغرى بى الحزن حسنه جَرى على قتل الحبِّ مُقيت^(٣)
نُلاحظنى العينان منه برحة فأحيا ويقسو قلبه فأموت
فيا مَرَّ أغرى بى التَّقَصُّ واكتسى كالا ووافى سعدة وشقيت
وليت فرقى إذ وليت لها ميم سباه لَمى كالشهد منك وليت^(٤)
وجودى ببرد الوصل ياجنة المني فإنى بحرَّ الوجسد منك صليت

(١) أشوس : متكبر ، وهو من الشوس : النظر بمؤخر العين تكبرا .

(٢) من هنا إلى قوله : « للحبيب » ساقط فى م .

(٣) المقيت : الحافظ للشيء . يريد أنه قادر على قتل من يحبه وإحيائه .

(٤) الليت : صفح العنق .

وكتب إليه الكاتب أبو الحسن راشد بن غريب يستدعيه إلى معاطاة
قهوة ، وساعات سلوة :

لابن عريب
يستدعيه إلى
معاطاة قهوة

طربت إلى شمسية قد تروقت فأربت على الصهباء لونا ورائحه
فلو أن فيها نقطة هندسية لبات بها في ظلمة الليل بأحه
فكن مسعدي يامن سجاياه لم تزل وأخلاقه تغني عن المسك فأحه
فأجابه رحمه الله :

رده على
ابن عريب

طربت فأطربت الخليل إلى الذي طربت له فالنفس نحوك جانحه
وكم أسكرتنا منك من غير قهوة شمائل تغنيننا عن المسك فأحه
فالله أيام بقربك أسعدت غواد علينا بالسرور ورائحه
فساعاتي الطربى لديك قصيرة وصفقة كفي في التجارة راجحه

وقال يصف كتابا ورد عليه من محبوب كان هجره ، ووعد فيه باللقاء وبشره :

وله في وصف
كتاب جاءه من
محبوب

نفسى فداء كتاب حاز كل منى جاء الرسول به من عند محبوب
مبشرا أن ذاك السخط عاد رضا وبدات منه من بعد بتقريب
حسبته ناظرا نحوى بناظره ومهديا لى ما فى فيه من طيب
ظلمت أطويوه من وجد وأنشروه وكاد يبليه تقبيلي وتقليبي
كم قبله لى فى عنوانه عذبت وبردت بالتلظى حر تعذيب
كأنه حين جلى الحزن عن خلدي « قميص يوسف فى أجفان يعقوب »
لو كان ما فيه من موعوده كذبا شفى فكيف بوعده غير مكذوب

[٦٠٩]

وكتب إليه بعض إخوانه متمثلا بقول القائل :

كتب إليه بعض
إخوانه متمثلا

ودادكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عهد

وودى لكم كالآس حُسْنَا وبَهْجَة له خُضْرَةٌ تَبْقَى إِذَا ذَهَبَ الْوَرْدُ
فراجع به هذا الشعر :

رده عليه

لَعَمْرِي لَقَدْ شَرَفْتَ وَدَّى بِشَلْبِهِ وَصَيَّرْتَ لِي فَضْلًا عَلَيْكَ ^(١) وَمَفْخَرًا
صَدَقْتَ : وَدَادُ الْوَرْدِ رَطْبًا وَيَا بَسًا وَإِذَا عَصَرَ الْأَزَاهِرُ أَذْبَرًا
وَوُدُّكَ مِثْلُ الْآسِ لَيْسَ بِنَافِعٍ وَلَا نَافِعٍ إِلَّا إِذَا كَانَ أَخْضَرًا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْوَرْدَ يَكْرُمُ إِنْ ذَوَى وَيُطْرَحُ فِي الْمِيضَةِ آسٌ تَغْيَرًا
أَفْضَلَتْ عَبْدَ السَّوءِ جَهْلًا عَلَى الَّذِي غَدَا فِي الْأَزَاهِرِ الْأَمِيرَ الْمُؤَمَّرَا

وكتب إلى الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخِصَال ، يراجع به عن شعر وله في الرد على
ابن أبي الخِصَال خاطبه به :

بِمَاذَا أَكْفَيْتُنِي نَدْبًا كَسَانِي حَلِيٍّ مِنْ عِلَافٍ بِهَا قَدْ حَبَانِي
وَقَلَّدَ جِيءَ دِيٍّ مِنْ دُرٍّ مَا لَمْ تُقَلِّدْ نَحْوُ الْعَوَانِي
مَحَاسِنُ أَصْبَحَ لِي لَفْظُهَا مُعَارَا وَأَخَذْتُ لِيهِ الْمَعَانِي
فَقُلْ لِلَّذِي حَازَ خَصْلَ الْمَدَى فَلَيْسَ يُبَارِيهِ فِي السَّبْقِ ثَانِي
أَهْـذَى شِمَائِلِكَ الزَّاهِرَا تْ أَهْدَيْتَهَا أَمْ تُغَوِّرُ الْحِسَانَ
أَمْ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ أَطْلَعَتْهَا عَلَى أَفْقٍ بِسَاءِ الْبَيَـانِ
أَمْ الْوَشْيُ مَا نَمَمْتَ رَاحَتَا لَكِ أَمْ الْأَعْيُنُ الْحُورُ جَاءَتْ رَوَانِي
أَمْ الرُّوضُ بَاتَ نَدِيمَ الْغَمَامِ يُسَقِّمُهُ مِنْ غَيْرِ بِنْتِ الدَّنَانِ
يُضَاحِكُهُ عَنْ ثُغُورِ الْبُرُوقِ وَيَشْدُوهُ مِنْ وَعْدِهِ بِالْأَغَانِي
لَيْتَنِي زُفَّ وَدُكَّ نَحْوِي لَقَدْ غَدَا مِنْ فَوَادِي بِأَعْلَى مَكَانِ

[٦١٠]

ومهما أساءت بطول البعادِ خطوبُ فقد أحسنت بالتداني
كأنَّ الزمانَ أتى تائبًا — إلىَّ وأنت اعتذار الزمانِ

ومن شعره الذي يُزرى بزهر الرياض ، وغُنج الأعين المراض ، قوله :

ومما يستجد له

أيا مُمرضا جسمي بأجفانه المَرْضَى سَلَبَتِ الْكَرَى عَنِّي فَهَبَ مِنْهُ لِي الْبَعْضُ
لِيَهْنِكَ غَمَضُ الْعَيْنِ عَمَّنْ تَرَكَتَهُ سَمِيرَ نَجُومِ اللَّيْلِ مَا يَطْعَمُ الْغَمَضُ
أَتَسْخَطُ مِنْ ذُلِّي لِمَزَكٍ فِي الْهَوَى وَأَرْضِي بِخَدِّي أَنْ يَكُونَ لَكُمْ أَرْضَا
قَضَى اللَّهُ أَنْ أَشْقَى وَغَيْرِي بِوَضْلِكُمْ سَعِيدٌ وَمَنْ يَسْطِيعُ رَدًّا لِمَا يُقْضَى

ومما أغرب به وأبداع ، قطعة تنفك منها ست قطع ، وهي :

قطعة له تنفك
منها ست قطع

نَفْسِي الْفِدَاءَ لَجُودِ حُلُوِّ اللَّامِ مُسْتَحْسِنٍ بِصُدُودِهِ أَضْمَانِي
فِي فِيهِ سَمَطًا جَوْهَرٍ يُرَوِي الظَّمَا لَوْ عَلَانِي بِرُودِهِ أَحْيَانِي

ثم زاد في غرابة هذا المنزع ، بأن صنع قطعة تنفك منها تسع قطع ، وهي :

قطعة أخرى تنفك
منها تسع قطع

طِيفُ سَرَى مِنْ خَاطِرِ الْقَلْبِ الدَّوَى فَوْفَى لَنَا بَعْدَاتِهِ وَقَضَى الْوَطْرُ
بَذَّ الْكَرَى عَنْ نَاطِرِ الصَّبِّ الْجَوَى وَشَقَى الضَّنَى بِهَبَاتِهِ وَمَضَى حَذِرُ

وقال يصف تينا أسود مكتبا :

وله في وصف
تين

أَهْلًا بَتِينٍ كَالنُّهْدِ حَوَالِكِ ضَمْنُ مِسْكَ شَيْبٍ بِالْكَافُورِ
وَكَأَنَّ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جِيوبُهَا شَهْدُ يُشَابُ بِسَمْسَمٍ مَقْشُورِ

وَكَاثِمًا لَبِسَتْ لُجَيْنًا مُحَرَّقًا فِيهِ بَقَايَا مِنْ بَيَاضِ سُطُورِ

وله في وصف
حمام

وقال يصف حماما :

أَرَى الْحَمَامَ مَوْعِظَةً وَذِكْرِي لِكُلِّ فِتْنَى أَرِيبٍ ذِي ذِكَاةٍ
يُذَكِّرُنَا عَذَابَ ذَوِي الْمَعَاصِي وَأُحْيِيَانَا نَعِيمَ الْأَتْقِيَاءِ
شَقَا هَجَرَ يَشُوبُ نَعِيمٍ وَصَلَّ وَحَرُّ النَّارِ فِي بَرْدِ الْهَوَاءِ
إِذَا مَا أَرْضُهُ التَّهَبَّتْ بِنَارِ تَبَادَّرَ سَمَكُهُ هَطْلًا بِمَاءِ
كَصَدْرِ الصَّبِّ جَاشَ بِمَا يَلَاقِي فَلَجَّ الطَّرْفُ مِنْهُ بِالْبُكَاءِ
كَأَنَّ لَهُ حَبِيبًا بَانَ عَنْهُ فَبَانَ وَخَانَهُ حُسْنُ الْعَزَاءِ

[٦١١]

وله في الغزل

ومن شعره المطرب ، وتغزله المعجب ، قوله :

أَيَا قَرًّا فِي وَجْنَتَيْهِ نَعِيمٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ جَجِيمٌ
إِلَى كَمِ أَقَامِي مِنْكَ رَوْعًا وَقَسْوَةً وَصَرْمًا وَسُقْمًا إِنَّ ذَا الْعَظِيمِ
وَأَنِّي لِأَنْهِيَ النَّفْسَ عَنْكَ تَجَلُّدًا وَأَزْعُمُ أَنِّي بِالسُّلُوفِ زَعِيمِ
فَإِنْ خَطَرْتُ بِالْقَلْبِ ذِكْرَكَ خَطَرَةً ظَلَلْتُ بِلا أُنْبِ إِلَيْكَ أَهْمِ

ومن مديحه الذي أبدع فيه وأغرب ، وذهب فيه أحسن مذهب ، قوله وله في مدح القادر

يمدح القادر ، رحمة الله عليه :

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنِّي هَائِمٌ تَصَدَّعُ قَلْبِي حَوْلَ وَصْلِكَ حَائِمٌ
فَوَادِكَ قَائِسٌ لَيْسَ لِي فِيهِ رَحْمَةٌ وَيَوْمَ مِنْكَ اللَّحْظُ أَنْكَ رَاحِمٌ
ظَلَمْتَ وَلَمْ تَرْهَبْ مَعْتَبَةً مَا جَنَّتْ جَفَوْنُ لَهَا فِي الْعَاشِقِينَ مَلَاحِمٌ

أظنَّ عقابَ الله نالك في الهوى ونحصركَ مظلومٌ وردَّكَ ظالمٌ
ولحظكَ مُضْنَى ما يُفِيْق من الضنى كما ضنيتَ فيكَ الجسومُ النواعم
وخدكَ بالألحاظ يجرَح دائبها فكلُّ له بالألحظ مُدْمٍ وكالِم
يقولون غصنُ البانِ ما حاز خضره ودِعْصُ النقا ما حاز منه المَعامِك
وفي طوقه بدر الدجْنَةِ طالعٌ تَجَلَّه قِطْعٌ من الليل فاحم
وقالوا اللَّمَى الحمرُ فصَّ عقيقه بمَسْمِه المعسولِ والشعرُ خاتم
لك المثلُ الأعلى وفي الجهل عاذِرٌ بتقصيرهم إن لامهم فيكَ لَأَم
وما أنت إلا آيةُ الله في الورى وحكمته إن قال بالعلم عالم
لقد نحسُّوك الحقَّ جهلاً وأخطأتُ بما رَجَمْتَ فيكَ الظنون الرواجم
كما بنحسوا يحيى بن ذى النونِ حقَّه فقالوا ابنُ سَعْدَى في النوال وحاتم
وقالوا حكى الضرعامُ في الرَّوع بأسه وذلك ما لا تدَّعيه الضراغم
وقالوا هو الدهرُ الذى ليس دونه حَمَى وهو الخدوم والدهر خادم
وأنى لِلْيَيْت الغاب في الرَّوع بأسه إذا صال في الهيجاء والنقع قاتم
ومن أين للسيف الحُسام مَضاوِه إذا انتَضَيْتَ للحرب منه العزائم
ومن أين المزن الكَنهُورُ جودُه إذا انهملتُ من راحتيه المكارم
لنا بارقٌ من بشره ليس خُلْباً إذا شامه يوما من الناس شائم
عليه من المأمون يحيى مَشَابِهُ تُرى ولإسماعيل فيه مَياسِم
مُهَمان^(١) شادَا بيتَ مجدِّله الثَّقَى أساسٌ وأطرافُ الرماح دَعائم
أبا الحسنِ استنشِقْ ثنائى^(٢) فإنما فؤادى دارينٌ وشِعْرى لَطائم

[٦١٢]

(١) في م : « إيمان » .

(٢) كذا في م . وفي ط ، ص : « ثناء » .

لبستَ حِلِّيَ للفضل حائِكها التَّقَى ومُعَلِّمها الإِفْضالُ والمجد راقمُ
وأورثك المأمونُ صارمه الذي به لم تزل تُفَرِّى الطَّلَى والجمجم
فصمَّ ولا تُحجِّمُ فإنك صارمُ حسامٌ ومنه في يد الله قائمُ
لك السرحة الغناء في المجد لم تَزَلْ تُروِّضها من راحتيك الغمامُ
رياضُ لنا سَجِّعٌ بمدحك وَسْطُها كأننا على أفنانهن حمامُ
ودونك بَكْرًا من ثنائى زَفَقْتها إليك كما زُفَّ الغوانى السكراُمُ
كستك بَطْلَمْيُوسُ بها عَبَقْرِيَّةٌ كما انشَقَّ عن زَهْرِ الرِّياضِ كَماُمُ
وما أنت ذو فَقْرٍ لما أنا واصف ولا أنا ذو إِيْكَ بما أنا زاعمُ
سجايك تُمَلِّى الفَخْرَ والدهرُ كاتبُ وعَلَيَّكَ تُعْطِى الدَّرَّ والشَّعْرُ ناظِمُ
فدُمُ عامرا المجدِ تعنوا لك العدا وتحسُدنا فيك النجومُ النواجمُ

قال أبو نصر : هذا ما سَمَحَ به خاطر لم تَحْطُرُ عليه سَـلْوةٌ ، وذهن نابٍ
لم تُرْهَفَ له نَبْوةٌ ، ووقت أضيقُ من المَازِقِ المَتَدانِي ، ومَقَّتْ للزمنِ شغلنى عن
كل شىءٍ وعدائى ، أَتَجَرَّعُ به الصاب ، وأَتَدَرَّعُ منه ^(١) الأوصاب ، فما أَتَفَرَّغُ
لِإِثْشاء قول ، ولا أَحْصو من الانتشاء من هول ، وإِلا فمحاسنُ هذا الرجل كانت
أَهْلًا أَنْ يَمْتَدَّ عِناها ، وَيُسَكَّبَ عِناها ، لَكِن عاق عن ذلك الدهر الذى
شَغَلَ ، وأوغلنا فى شباب الأنكاد حيث وَغَلَ .
انتهى التأليف البارِع .

* * *

ولا بد أن نذكر ما لأبى نصر من القلائد فى حق الرجل المذكور ، وأختصر
ترجمة ابن السيد فى القلائد

[٦١٣] ما جرى ذكره هنا من النظم .

(١) فى ص : « به » .

قال في القلائد في حق الشيخ ابن السَّيد المذكور ما نصه :

الفقيه الأستاذ أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن السَّيد البَطْلَمَيْوسِي ، شيخ المعارف وإمامها ، ومن في يديه زمامها ، لديه تُشَدُّ ضَوَالُ الأعراب ، وتُوجَدُ شوارد لغات الإعراب^(١) ، إلى مقطع دَمِثْ ، ومنزِع في النفاسة غير مُنْتَكِث ؛ وكان له في دَوْلَة ابن رَزِين مجال ممتدّ ، ومكان معتدّ ؛ ولما رأى الأحوال واختلالها ، والأقوال واعتلالها ؛ وتلك الشُّمُوسَ قد هَوَتْ ، ونجوم الأمال قد خَوَتْ ، أَضْرَبَ عن مشواه^(٢) ، ونكَّبَ عن نَجْوَاه ، وأغْتَرَبَ^(٣) بلوعة ابن رَزِين وجواه ؛ ونصب نفسه لإقراء علوم النحو ، وقنَّع بتعليم جَوَّه^(٤) بعد الصحو ، وله تحقيق بالعلوم الحديثة والقديمة ، وتصرف في طرقها القويمة ، ما خرج بمعرفتها عن مضمار مشرع ، ولا نكَّبَ عن أصل للسُّنَّة ولا فرع ، وتوَلَّى في الشُّرُوحات وغيرها صنوف ، وهى اليوم في الآذان شُنُوف ؛ وقد أثبت له ما يريك شُفُوفَه^(٥) ، وتجد على^(٦) النفس خفُوفَه^(٧) .

فمن [ذلك] قوله في طول الليل :

تُرى ليلُنَا البيتين . وقد سبقا .

ثم قال الفتح : وأخبرني أنه حضر مع المأمون بن ذى النون في مجلس الناعورة ، بالمنية التي تطمح إليها المنى ، ومرآها هو المقترح والمُتَمَتَّى ، والمأمون قد احتجى ،

(١) في قلائد العقيان المطبوع بمصر : « اللغات والإعراب » .

(٢) في القلائد : « سواه » .

(٣) كذا في القلائد . وفي الأصول : « وأعرب » .

(٤) كذا في م والقلائد . وفي ط ، ص : « وجده » .

(٥) شُفُوفَه : يريد فضله .

(٦) في م : « في » .

(٧) كذا في الأصول . وفي القلائد : « خفوفه » . ولم نوفق إلى تصويبه .

وأفاض الحبّا ؛ والجلسُ يروق كأن الشمس في أفقه ، والبدرُ [كالتاج]^(١)
 في مفرّقه ؛ والنور عبق ، وعلى ماء النهر مصطبّح ومُعْتَبِق ؛ والدُّولاب يئن
 كمناقاة إثر الحُور ، أو كشكلى من حرّ الأوار ؛ والجوُّ قد عنبرته أنوائه ،
 والروضُ قد رشّته أندأؤه^(٢) ؛ والأسد قد فغرت أفواهها ، ومجت أمواها ؛ فقال :
 يا منظرًا إن نظرتُ بهجته الأبيات . وقد تقدمت .

[٦١٤] ثم قال الفتح : وله رقعة يصف بها هذا التصنيف ، يعنى قلائد العقيان :

تأملت فسح الله سيّدى وولى في أمد بقائه ، كتابه الذى شرع في إنشائه ؛
 فرأيت كتابا سيّنجِد وَيُغور ، ويبلغ حيث لا تبلغُ البدور ، وتبينُ به الذرى
 والمناسم ، وتغدى له غُرُرٌ في أوجه ومواسم ؛ فقد أسجد الله الكلامَ لكلامك ،
 وجعل النيرّات طوع أقلامك ؛ فانت تهْدَى بنجومها ، وترُدّى برجومها ؛
 فالنثرة من نثرِكَ ، والشعرى من شعرك ؛ والبُلعاء لك معترفون ، وبين يديك
 مُتَصَرِّفون ؛ وليس يباريك مُبار ، ولا يجاريك إلى الغاية مُجار ؛ إلا وقف
 حَسِيرًا ، وسَبَقَتْ ودُعَى أخيرًا ؛ وتقدمت لا عدمت شفوقا ، ولا برح مكانك
 بالآمال محفوقا ؛ بعزة الله .

وله يراجع الأستاذ أبا محمد بن جوشن عن شعر كتب به إليه ، وتضمّن غزلا
 في أول القصيدة ، فحذا حذوه :

حلفتُ بشعر قد حمى ريقه العذابا وسلّ عليه من لواظله عَضْبًا
 وفَرْحَةً لُتْمًا أذهبتُ رَحّة النوى وعُتْبَى حبيب هاجر أعقبتُ عَتْبًا

(١) زيادة عن القلائد .

(٢) في القلائد : « قد وشته أمطاره وأنوائه » .

لقد هزَّ عِطْفَى الْقَرِيضِ ابْنُ جَوْشَنِ سرورًا كما هزت صَبَا غُصْنُهَا رَطْبًا
كسافي اِرتِيَّاحِ الرَّاحِ حَتَّى حَسِبْتُني حَلِيفَ بَعَادِ نَالٍ مِنْ حِبِّهِ قُرْبًا
وَأُطْرَبِنِي حَتَّى دَعَانِي الْوَرَى فَنِي وقالوا كَبِيرٌ بَعْدَ كِبَرَتِهِ شَبًّا
كَأَنَّ الْمَثَانِي وَالْمَثَالَتَ هَيَّجَتْ سروري ولم أسمع غِنَاءً وَلَا ضَرْبًا
فِيَا مُزْمِعَ التَّرَحُّالِ قُلْ لَابِنِ جَوْشَنِ مَقَالَ مُحِبٍّ لَمْ يَشِبْ جِدُّهُ لِعِبَا
أَمْهَدِي ســـــــــــــــــجَايَاهُ إِلَى وَنَاظِمَا لِي الشَّهْبِ عِقْدًا رَاقِي نَظْمُهُ عُجْبًا
وَمَا خِلْتُ إِهْدَاءَ الشَّمَائِلِ مُمَكِّنَا لَمْهَدٍ وَأَنَّ الدَّهْرَ يَنْتَظِمُ الشَّهْبَا
فَهَلْ نَالَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ سِحْرِ بَابِلَ نَصِيبًا فَأَرَبِي أَوْ حَوَى الدَّهْيَ وَالْإِرْبَا^(١)
لِيَهْنِكَ فَضْلُ حُرَّتٍ مِنْ خَصْلِهِ الْمَدَى وَنَظْمٌ بِدِيعٍ قَدْ غَدَوْتُ لَهُ رَبًّا
وَهَاكَ سَلَامًا صَادِرًا عَنْ مُودَةٍ عَمَرْتُ بِهِ^(٢) مَنِي الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبَا

وله رحمه الله في الزهد من لزوم ما لا يلزم :

وله في الزهد

أَمَرْتُ إِلَهِي بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا ولم تَرْضَهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا أَهْلُ
فَقُلْتَ أَصْفَحُوا عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ وعودوا بِحِلْمٍ مِنْكُمْ إِنْ بَدَا جَهْلُ
فَهَلْ لَجُوهُولٍ خَافَ صَعْبَ ذَنْوِبِهِ لَدَيْكَ أَمَانٌ مِنْكَ أَوْ جَانِبُ سَهْلِ

وله رحمه الله يحيب شاعرا قرطبيًا مدحه :

وله يحيب
شاعرا مدحه

قُلْ لِلَّذِي غَاصَ فِي بَحْرِ مِنَ الْفِكْرِ بَذَنَهُ فَحَوَى مَا شَاءَ مِنْ دُرَرِ
لِلَّهِ عَذْرَاءُ زُفَّتْ مِنْكَ رَاثِمَةٌ تَخْتَالُ مِنْ حَبْرِهَا الْمَرْقُومِ فِي حَبَرِ

(١) الدمي : النكر وجودة الرأي والأدب . والإرب : بمعناه .

(٢) في س : « بها » .

صَدَاقُهَا الصَّدُوقُ مِنْ وُدِّي وَمَنْزِلُهَا بصيرتي وسَوَادُ الْقَلْبِ لَا بَصِيرِي ^(١)
 كَأَنَّمَا خَامَرْتَنِي مِنْ بَشَاشَتِهَا رَاحٌ وَسُكْرٌ بِلَا رَاحٍ وَلَا سَكْرٍ
 هَزَّتْ بِدَائِعِهَا عِطْفِيَّ مِنْ طَرَبٍ لِحُسْنِهَا هِزَّةَ الْمَشْغُوفِ ^(٢) لَلذِّكْرِ
 مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ التَّيْرَاتِ غَدَّتْ يَصِيدُهَا شَرَكُ الْأَوْهَامِ وَالْفِكَرِ
 وَلَا تَوَهَّمتُ أَيَّامَ الْهَرَبِيعِ تَرَى فِي نَاجِرِ غَضَّةِ الْأَنْوَارِ وَالزَّهَرِ
 أَمَّا الْجَزَاءُ فَشَيْءٌ لَسْتُ مَدْرِكُهُ وَلَوْ بَدَرْتُ إِلَى التَّوْجِيهِ بِالْبَدْرِ
 لَسَكُنَ جَزَائِي صَفَاءَ الْوُدِّ أَضْمِرُهُ إِذَا الْقُلُوبُ انْطَوَتْ مِنْهُ عَلَى كَدَرِ
 جَارَاكَ ذِهْنِي فِي مِصْهَارِهَا فَكَبَا ذِهْنِي وَفَزَتْ بِخَصْلِ السَّبْقِ وَالظَّفَرِ
 وَهَلْ بَطْلَمَيْوسُ فِي نَظْمٍ مَنَاظِرُهُ ^(٣) يَوْمَا لِقُرْطَبَةٍ فِي حُكْمِ ذِي نَظَرِ

وله في وصف
زربطانة

وله أيضا رحمه الله يصف زربطانة ^(٤) [مُلَغِزًا] ^(٥) :

وَذَاتِ عَمِّي لَهَا طَرَفٌ بَصِيرٍ إِذَا رَمِدَتْ فَأَبْصُرُ مَا تَكُونُ
 لَهَا مِنْ غَيْرِهَا نَفْسٌ مُعَارٍ وَنَظَرُهَا لَدَى الْإِبْصَارِ طِينُ
 وَتَبْطِشُ بِالْيَمِينِ إِذَا أَرَدْنَا وَلَيْسَ لَهَا إِذَا بَطَّشَتْ يَمِينُ

وكتب إلى الأستاذ أبي الحسن بن الأخضر رحمه الله :

يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى ، وَعِمَادِي الْأَسْنَى ، وَحُسْنَةَ الزَّمَانِ الْحُسْنَى ، الَّذِي جَلَّ
 قَدْرُهُ ، وَسَارَ مَسِيرُ الشَّمْسِ ذِكْرُهُ ؛ وَمَنْ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، لَفَضْلُ يَعْلَى مَنَارِهِ ،

رسالته إلى
ابن الأخضر

(١) في الفلاذ : « وسواد القلب والبصر » .

(٢) يريد بالمشغوف : الذي هزله الحب وأضناه التذكر .

(٣) في م : « في نظم مشاكلة » .

(٤) هي الزبطانة والسبطانة (محركة) ، وهي قناة جوفاء يرمى فيها الطير بالبندق
 وبالخبان نفخا ؛ قال في تاج العروس : وهي المشهورة الآن بزربطانة .

(٥) زيادة عن الفلاذ .

وَعِلْمٌ يَحْيِي آثَارَهُ ؛ نَحْنُ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — نَتَدَانِي إِخْلَاصًا ، وَإِنْ كُنَّا نَتَنَاءَى أَشْخَاصًا ؛ وَيَجْمَعُنَا الْأَدَبُ ، وَإِنْ فَرَّقَنَا النَّسَبُ ؛ فَلَا شَكَالَ أَقَارِبُ ، وَالْآدَابُ مَنَاسِبُ ؛ وَلَيْسَ يَضُرُّ تَفَانِي الْأَشْبَاحِ ، إِذَا تَقَارَبَتِ الْأَرْوَاحُ ؛ وَمَا مَثَلُنَا فِي هَذَا [٦١٦] الْإِنْتِظَامِ ، إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

نَسِيبِي فِي رَأْيِي وَعِلْمِي وَمَذْهَبِي وَإِنْ بَاعَدْتُنَا فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَا تَرَكْ ذَاكَ^(١) ، وَلَا لِمَا خَرَكْ نَاشِرٌ ، إِلَّا ذُو الْوَزَارَتَيْنِ أَبُو فَلَانٍ ،
أَبْقَاهُ اللَّهُ ، لِقَامَ لَكَ مَقَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ ، وَأَغْنَاكَ عَنْ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ ؛ فَإِنَّهُ يَمُدُّ
فِي مِضْمَارِ ذِكْرِكَ بَاعَا رَحِيمَا ، وَيَقُومُ بِفَخْرِكَ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبَا ؛ حَتَّى تُثْنَى
إِلَيْهِ^(٢) الْأَحْدَاقُ ، وَتُلَوَّى نَحْوُهُ الْأَعْنَاقُ ؛ فَكَيْفَ وَمَا يَقُولُ إِلَّا بِالَّذِي
عَلِمْتَ سَعْدُ ، وَمَا تَقَرَّرَ فِي النَفُوسِ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ ؛ فَذِكْرُكَ قَدْ أَنْجَدَ وَغَارَ ،
وَلَمْ يَسِرْ فَلَاكَ حَيْثُ سَارَ ؛ وَإِنْ لَيْلٌ جَهْلٍ أَطْلَعْتَ فِيهِ جَفَرَ تَبْصِيرِكَ ، لَجْدِيرُهُ بَانَ
يَصِيرُ نَهَارًا ، وَإِنْ نَبْعٌ فَكَّرَ قَدَحَتَهُ بِتَذَكِيرِكَ لَجْدِيرُ أَنْ يَعُودَ مَرَّةً خَا وَعَفَارًا ؛
فَهَنِيئًا لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ الْقَدَمِ ، شَامِخُ الْعِلْمِ ؛ مَنْشُورُ الْلَوَاءِ ،
مَشْهُورُ الذِّكَا ، مُلْتَمِيتِ الْآدَابِ عَمْرُكَ ، وَلَا عَدِمْتَ الْأَلْبَابَ ذِكْرَكَ ؛ وَرَقِيتَ
مِنَ الْمَرَاتِبِ أَعْلَاهَا ، وَلَقِيتَ مِنَ الْمَارِبِ أَقْصَاهَا ، بِفَضْلِ اللَّهِ .

وَكُتِبَ مَرَاجِعًا إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ :
يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى ، وَعِمَادِي الْأَسْنَى ، وَمَشْرِبِي الْأَصْفَى ، وَمَنْ أَدَامَ اللَّهُ
عِزَّتَهُ ، وَحَمَى مِنَ النَّوَائِبِ حَوَازَتَهُ ؛ وَافَانِي لَكَ كِتَابَ سِرِّي الْمَوْضِعِ ، سَنِي

في الرد على
سالة للوزير
ابن سفيان

(١) كَذَا فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَانِ . وَفِي الْأَصُولِ : « شَاكِر » .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي الْقَلَائِدِ : « إِلَيْكَ » .

الموقع ، أطال على إيجازه ، وأطمع بعد إعجازه ؛ وقابلت الرغبة التي ضَمَّتْهَا فِيهِ ، بما تقتضيه جلالته مُهِدِيهِ ؛ ولئن تراخى الكتاب ، عن حسن في ذلك العتاب ؛ فإن المودة لم يقدح فيها من المَلَلِ قادح ، ولم يَسْنَحْ لها من الخلل سائح ؛ بل كانت كالبرْدِ طَوِيٍّ على غَرِّهِ ، إلى أوان جِلائِهِ ونشرهِ ؛ وقد عِلِمَ عَلامُ الضمائر ، والذي يُظَنُّ غائِبًا وهو حاضر ، أني أعتقدك القَدَحَ المَعْلَى ، وأضرب بك المثل الأعلى ، وأرى أنك تحجیلٌ واضح في دُهمَةِ الزمان ، وعِلْقٌ راجح في كِفَّةِ الامتحان ، وَبَقِيَّةُ سِنِّهِ كَرِيم ، ما عهدهم عنا بذيَمِ . [٦١٧]

عليهم سلام الله ما ذَرَّ شارِقٌ ورحمته ما شاء أن يترجما
[وما أَدَّعَى لك جانبًا من السيادة ، إلا ولك عليه أعدلُ الشهادَةِ ؛ ولكنْ
قدِما سَفَلُ ذُو الرُّجْحانِ ، وعاد السَّكَّالُ على أهله بالنقصان ؛ وَكَبَّتِ الأَعَالِي
بارتفاع الأسافل ، حتى اقتضى ذلك قولَ القائل :

فوا عَجَبًا كَم يَدَّعَى الفضلَ ناقِصٌ ووا أَسَفًا كَم يُظْهِرُ النقصَ فاضِلٌ ^(١)
وقال المذمِّرُ للنَّـاتِحِينَ متى ذُمِّرْتُ قَبْلِي الأَرْجُلُ ^(٢)

وقد جاريَتِكَ — أعزكَ اللهُ — في ميدان من البلاغة أنا فيه كمن كاتَرَ البحرَ والمَطَرُ ، وجلب التمر إلى هَجَرَ ؛ والذي حداني إليه ، أنه مرَّ بي ^(٣) زمن ، أَلْهَى خاطري عنكَ فيه وَسَن ، فقلتُ قد كان من العُتُوق ، ترك رعاية الحقوق ؛ فَلَأَسْتَمْطِرَنَّ مُزْنَ القول ، فقد كنتُ عَهْدْتُهَا تَسْجُمُ فُتُغْدِقُ ، وَلَأَسْتَسْقِيَنَّ

(١) التكملة عن قلائد العقيان .

(٢) هذا البيت للكُميت . والمذمر : الذي يدخل يده في حياء الناقة لينظر أذكر

جنينها أم أنثى . يقول : إن التدمير إنما هو في الأعناق لا في الأرجل .

(٣) في القلائد : « لي » .

جَابِيَةَ الشَّيْخِ الْعِرَاقِي ، فَقَدْ كَانَتْ تَطْمُ فَتَفْهَقُ ^(١) ، أَيَّامُ كُنْتُ أُسْحَبُ ذَيْلَ
الشَّبَابِ ، وَأَسْلُكُ مَسَلَّكَ الْكِتَابِ ، وَيُعْجِبُنِي سُلُوكُ سَهْلِ الْكَلَامِ وَخُزُونِهِ ،
وَالْتَصَرَفُ بَيْنَ أَبْكَارِهِ وَعُودِهِ ، أَسْتَنْتُ اسْتِنَانَ الطَّرْفِ [الْجَامِحِ ، وَلَا أَثْنِي
عِنَانِ الطَّرْفِ] ^(٢) الطَّامِحِ ، وَأُرَوِّى هَامَتِي ، وَأَقُولُ بِمَا صَبَّتْ عَلَى غَمَامَتِي ،
إِلَى أَنْ تَعَمَّ مَفْرَقُ بِالْقَتِيرِ ^(٣) ، وَعَلَمَتْنِي أُهْبَةُ الْكَبِيرِ ؛ وَودَّعْتُ زَمَنِي الزَّائِلَ ،
وَعَادَتْ سَهَامِي بَيْنَ رَثِّ وَنَاصِلِ ^(٤) ؛ وَعُرِّيْتُ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَاحِلَهُ ^(٥) ،
وَسُدَّدْتُ عَلَى سَوَى قَصْدِ السَّبِيلِ مَعَادِلَهُ ^(٦) ؛ فَلَمَنْ هُرِيقَ [مَاءِ] ^(٧) الشَّبَابِ ،
وَاسْتَبَشَنَ الْأَدِيمَ ^(٨) ؛ وَأَقْشَعَ السَّحَابِ ، وَتَجَلَّتْ الْغَيُومُ ، فَلَعَلَّ فِي الْأَفْقِ رَبَابَهُ ،
وَفِي الْحَوْضِ صُبَابَهُ ؛ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ فِي أَخْلَافِ الْمَقَالَةِ دَرْزٌ يُرْضَعُ ، وَفِي حِقَاقِ
الْبَلَاغَةِ دَرْزٌ يُرْصَعُ ؛ وَلَا زُفْنَهَا عِذْرَاءُ ، لَا تَرْضَى إِلَّا الْأَكْفَاءَ ؛ فَلَيْسَ بَيْنَ النَّجْدِ
إِلَّا فِي مَآزِقِ الْهَيْجَاءِ ، وَلَا يَحْسُنُ الْعِقْدُ إِلَّا فِي عُنُقِ الْحُسْنَاءِ ؛ وَلَا جَعَلَنَ الشَّعْرُ لَهَا
شِعَارًا ، وَقَفَرَ النَثْرُ لَهَا دَنَارًا ؛ فَاهْتَصَرَهَا إِلَيْكَ وَلَهْيَ ^(٩) عَرُوبًا ^(٩) ، قَدْ رَضِيَتْ

(١) الجابية : الحوض ؛ والعراقي إذا تمسكن من الماء ملاً جابيته لأنه حضري ، فلا

يعرف مواقع الماء ولا محاله . وفي العبارة إشارة إلى قول الأعشى :

نفي الذم عن رهط الخلق جفنة كجايبة الشيخ العراقي تفهق

(انظر كتاب السكامل لأبي العباس المبرد) .

(٢) التكملة عن القلائد .

(٣) القتير : رءوس مسامير حلق الدروع ، شبه بها الشيب إذا نقب في سواد

الشعر . (عن اللسان) . (٤) الناصل من السهام : ما لا نصبل له .

(٥) يشير إلى بيت زهير بن أبي سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله

(٦) معادل الطريق : مذاهبه ومسالكه . وهو من قول زهير :

وأقصررت عما تعلمين وسددت . على سوى قصد السبيل معادله

(٧) استبشن الأديم : دبس وتشنج . وجلد الإنسان : تفضن عند الهرم . وهو من

قول أبي حية النخعي : * هريق شباني واستشن أديمي *

(٨) ولهي : ذاهبة العقل من الفرح .

(٩) العروب (في الأصل) : الحسناء المنتحبة إلى زوجها .

[٦١٨] بك مُحِبًّا ومُحِبُّوًا ، فَتَضَمَّكَ بِمَسْكِهَا ، وَتَوَمَّنَكَ مِنْ فِرْكِهَا^(١) ، وَتَذَرَّ ذُرُورَ^(٢)
الشمس عليك ، وَتَهَزَّ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عَطْفِيكَ ؛ فَإِنْ قَضَتْ مِنْ حَقِّكَ فَرَضًا ،
وَرَتَقَتْ مِنْ فَتْقِ الْإِخْلَالِ وَلَوْ بَعْضًا ؛ فَذَاكَ مَا تَضَمَّنَهُ الْخَاطِرُ الَّذِي نَمَنَمَ^(٣)
بُرْدَهَا ، وَنَظَّمَ عَقْدَهَا ؛ وَإِنْ أَخْلَفَ الظَّنُّ مَا أَوْهَمَ وَوَعَدَ ، وَقَصَّرَ الذَّهْنُ فِيمَا
أَحْكَمَ وَسَدَّدَ ؛ فَلِلْخَاطِرِ عُذْرٌ فِي أَنَّهُ مُنْصَلُّ أُغْفَلٍ شَحَذَهُ وَجِلَاؤُهُ ، حَتَّى ذَهَبَ
فِرْنَدُهُ وَمَاؤُهُ ، وَمَنْهَلٌ ضَيْعَ^(٤) وَرَدُّهُ ، فَتَضَبَّ عِدُّهُ :
وَالشَّوْلُ مَا حَلَبَتْ تَدْفَقَ رَسْلُهَا وَتَجَفُّ دِرَّتْهَا إِذَا لَمْ تُحْلَبِ

وله يمدح ابن
الفرج

وله من قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا محمد بن الفرج :
نَبَّهَ اللَّيْلَ بِالْوَجِيفِ وَلَا تُؤْ لَعُ بَدَارِ الْهَوَاثِ بِالْإِنْعَاضِ
وَاقْرَ ضَيْفَ الْهَمُومِ كُلِّ أَمُونٍ عَنَّتْرِيسٍ وَبَازِلٍ شِرْوَاضِ^(٥)
أَنْقَذَتْنِي مِنَ الرَّدَى وَطَأَتِي الْبَيْدَ وَنَقَضَ الْهَمُومُ بِالْإِنْقَاضِ^(٦)
شَكْلُهَا كَالْقِسِيِّ وَهِيَ سِهَامٌ لِلْفَلَا^(٧) وَالرَّغَاءُ كَالْإِنْبَاضِ^(٨)

(١) الفرك (بكسر الفاء وتفتح) : بغضة المرأة لزوجها .

(٢) ذرور الشمس : طلوعها .

(٣) كذا في القلائد . وفي الأصول : « سَهَم » بمعنى جعل فيه نقوشا كالسهام .

(٤) ضيع (بالبناء للمجهول) : صار مهملا .

(٥) الأمون : الناقة القوية على السفر التي يؤمن عثارها . والعنتريس : الناقة الغليظة

الوثيقة . والبازل من الإبل : الذي طلع نابيه ، وذلك في التاسعة من عمره .

والشرواض : الضخم .

(٦) الإنقاض : حث الدابة على السير ، يقال أنقض بالدابة : إذا ألصق لسانه بالحنك ثم

صوت في حافتيه . (٧) في القلائد : « للبلأ » .

(٨) الإنباض : رنين الفوس عند جذب وترها .

خَلَّتْهَا حِينَ خَاضَتْ اللَّيْلَ سَبْحًا غُمِسَتْ مِنْ دُجَاهٍ فِي خَضْخَاضٍ^(١)
صَدَعَتْ عَرْمَضَ الدِّيَاجِرِ حَتَّى كَرَعَتْ فِي مَاءِ الصَّبَاحِ الْمُفَاضِ^(٢)
حِينَ رَاعَ الظَّلَامَ وَخَطُ مَشِيبٍ قَدْ سَرَى فِي سَوَادِهِ بِيَاضٍ

وقال في الزهد :

وله في الزهد

تَجَوُّهُرُكَ الْأَدْنَى عُنَيْتَ بِحِفْظِهِ وَضَيَّعْتَ مِنْ جَهْلٍ تَجَوُّهُرُكَ الْأَقْصَى
لَقَدْ بَعَثَ مَا يَبْقَى بِمَا هُوَ هَالِكٌ وَآثَرْتَ لَوْ تَدْرِي عَلَى فَضْلِكَ النِّقْصَا

وقال في ذلك أيضا :

« وما دارنا إلا مَوَات ... » البيتين^(٣) .

وقد تمثلت بهما في خطبة هذا الكتاب ، فراجعهما .

وله أيضا يُعْزَى ذَا الْوِزَارَتَيْنِ أَبُو عَيْسَى بْنُ أَلْبُونِ فِي أَخِيهِ :

وله يعزى ابن
لبون في أخيه

لِلْمَرْءِ فِي أَيَّامِهِ عِبْرٌ وَالصَّفْوُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ كَدْرُ
خَرَسُ الزَّمَانِ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ نُطْقٌ وَخُبْرٌ صُرُوفُهُ خَبْرٌ
نَادَى فَأَسْمَعَ لَوْ وَعَتَ أُذُنٌ وَأَرَى الْعَوَاقِبَ لَوْ رَأَى بَصَرٌ
كَمْ قَالَ هُبُّوا طَالَمَا هَجَعْتُ مِنْكُمْ عَيُونٌ حَتَّى هَا السَّهَرُ
أَبْأَذْنِ مَنْ هُوَ مُبْصِرٌ صَمَمٌ أَمْ قَلْبُ مَنْ هُوَ سَامِعٌ حَجَرٌ
لَوْلَا عَمَّاكُمُ عَنْ هُدًى نَذَرِي وَمَوَاعِظِي مَا جَاءَتْ النُّذُرُ

(١) الخضخاض : ضرب من النفط أسود رقيق ، تهنأ به الإبل الجرب .

(٢) العرمض : الطحلب يكون على الماء . والدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلام .

(٣) البيتان هما :

وما دارنا إلا موات لو اتنا نفكر والأخرى هي الحيوان
شربنا بها عزا بهون جهالة وشتان عز لفتى وهوان

هَذِي مَصَارِعُ مَعْشَرٍ هَلَكُوا وَعَظَمْتُمْ بِالصَّمْتِ فَاعْتَبِرُوا
[ومنها]:

قَالَتْ أَرَى لَيْلَ الشَّبَابِ بَدَتْ لِلشَّيْبِ فِيهِهِ أَنْجَمُ زُهْرُ
فَأَجَبْتُهَا لَا تُكْثِرِي عَجَبًا مِنْ شَيْئَةٍ لَمْ يَجْنِهَا كِبَرُ
لَكِنْ طَوَّيْتُ مِنَ الْمَعْمُومِ لَغْزَى أَخْضَى لَهَا فِي عَارِضِي شَرَرُ
[٦١٩]
ومنها:

حَسُنْتَ شِمَانُكُمْ وَأَوْجَهُكُمْ فَتَطَا بَقَا مَرَأَى وَنَحْتَا بَرُ
وَالْحَسَنُ فِي صُورِ النُّفُوسِ وَإِنْ رَاقَتْكَ مِنْ أَجْسَامِهَا الصُّورُ
لَا ضَعْفُضَتْ أَيْدِي الْخُطُوبِ لَكُمْ رَكْنَا وَلَا رَاعَتْكُمْ الْغَيْرُ
وقال يخاطب مكة أعزها الله:

أَمَكَةُ تُقَدِّدِي النُّفُوسَ الْكَرَائِمُ وَلَا بَرَحَتْ تَهَلُّ فِيكَ الْغَائِمُ
وَكُفَّتْ أَكُفُّ الشُّؤْءِ عَنْكَ وَبُلَّغَتْ مُنَاهَا قُلُوبُ كِي تَرَكَ حَوَائِمُ
فَإِنَّكَ بَيْتُ اللَّهِ وَالْحَرَمُ الَّذِي لِعِزَّتِهِ ذَلَّ الْمُلُوكُ الْأَعَاظِمُ
وَقَدْ رُفِعَتْ مِنْكَ الْقَوَاعِدُ بِالتَّقَى وَشَادَتْكَ أَيْدٍ بَرَّةٌ وَمَعَاصِمُ
وَسَاوَيْتِ فِي الْفَضْلِ الْمَقَامَ كَلَّا كَمَا تُنَالُ بِهِ الزُّلْفَى وَتُحْمَى الْمَائِمُ
وَمِنْ أَيْنَ تَعْدُوكِ الْفَضَائِلُ كُلُّهَا وَفِيكَ مَقَامَانِ : الْهُدَى وَالْعَالَمُ
وَمِمَّعَتْ مَنْ سَادَ الْوَرَى وَحَوَى الْعُلَا بِمَوْلَاهُ عِبَادُ الْإِلَهِ وَهَاشِمُ
نَبِيُّ حَوَى فَضْلَ النَّبِيِّينَ وَاعْتَدَى لَمْ أَوَّلًا فِي فَضْلِهِ وَهُوَ خَاتِمُ
وَفِيكَ يَمِينُ اللَّهِ يَلِثُهَا الْوَرَى كَمَا يَلِثُ الْيُمْنَى مِنَ الْمَلِكِ لَا نِمُ
وَفِيكَ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ وَطِئَ التَّرَى (١) ضَحَى قَدَمِ بُرْهَانِهَا مُتَقَادِمُ

وله يخاطب مكة

دعا دعوةً فوق الصَّفا فأجابه
فأعجب بدعوى لم تليجِ مِسْمَعِي فَنِي
أَلْهِنِي لِأَقْدَارِ عَدْتِ عَنْكَ هَمِّي
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى فِيكَ دَاعِيَا
وَهَلْ تَمَحُّونَ عَنِّي خَطَايَا اقْتَرَفْتُهَا
وَهَلْ لِي مِنْ سُقْيَا حَبِيبِكَ شَرِبَةٌ
وَهَلْ لِي فِي أَجْرِ الْمُكَلَّبِينَ مَقْسِمٌ
وَكَمْ زَارَ مَغْنَاكَ الْمُعْظَمَ مُجْرِمٌ
وَمَنْ أَيْنَ لَا يَضْحِي مُرْجِيكَ آمِنَا
لَيْنَ فَاتَنِي مِنْكَ الَّذِي أَنَا رَأْمٌ
وَلِنْ يَحْمِنِي حَامِي الْمَقَادِيرِ مُقَدِّمًا
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا طَافَ طَائِفٌ
إِذَا نَسِمٌ لَمْ تَهْدِ عَنِّي تَحِيَّةً
أَعُوذُ بِمَنْ أَسْنَاكَ مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ
وَأَهْدِي صَلَاتِي وَالسَّلَامَ لِأَحْمَدِ
انتهى ما أوردهُ له في القلائد دون ما قدمناه .

[ولنختتم ترجمه ابن السيد بقوله :

إِلَيْكَ أَفِرُّ مِنْ ذُنُوبِي وَذُنُوبِي
وَزَوْرَةِ أَحْمَدِ الْخِتَارِ قَدَمَا
فَإِنْ أُحْرِمَ زِيَارَتَهُ بِجَسْمِي
فَأَنْتَ إِذَا لَقِيتُ اللَّهَ حَسْبِي
مُنَايَ وَبُعَيْتِي لَوْ شَاءَ رَبِّي
فَلَمْ أُحْرِمَ زِيَارَتَهُ بِقَلْبِي

فدُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنِّي تَحِيَّةَ مُؤْمِنٍ وَهُدًى مُحِبٍّ
 سَأَجْعَلُ عُزُوتِي الْوُثْقَى بَقِيَّتِي لِصِحَّةِ مَا أَنْتَ بِهِ وَحِي
 عَسَى وَدَّ نَوْبِي لَكَ فِي فَوَادِي عَلَى بُعْدٍ سَيُوجِبُ مِنْكَ قُرْبِي
 شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ خَيْرُ دِينٍ بَلَا شَكٍّ وَصَحْبُكَ خَيْرُ صَحْبٍ [وَلَنُنَمِّسَكَ الْعِنَانِ .

أبو على الغساني
 من شيوخ
 عياض

ومن أشياخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله :

الشيخ أبو علي الجبائي ، وهو حسين بن محمد بن أحمد الغساني (بغير معجمة وسين مهالة مشددة) الجبائي (بحجم ومثناة من أسفل مشددة) رئيسُ الحديثين بقرطبة ، وليس هو منها ، وإنما نزلها أبوه في الفتنة ، وأصلهم من الزهراء .

روى عن أبي العاصي حَكَمَ بن مُحَمَّد الجُدَامِي ، وأبي عُمر بن عبد البر ، وأبي شاكر القبري ، وأبي عبد الله محمد بن عَتَّاب ، وأبي القاسم حاتم بن محمد ، وأبي عُمر بن الحذاء القاضي ، وأبي سُرَوَانَ الطُّبْنِي ، والقاضي سراج بن عبد الله ، وابنه أبي سروان ، وأبي الوليد الباجي ، وأبي العباس العُدْرِي ، وجماعة غيرهم يطول ^(١) تعدادهم ، سمع منهم ، وكتب الحديث عنهم .

وكان من جهابذة الحديثين ، وكبار العلماء المُسْنِدِينَ ، وعُني بالحديث وكتبه وروايته وضبطه ، وكان حسن الخط ، جيد الضبط ؛ وكان له بصر بال لغة والإعراب ، ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب ، وجمع من ذلك كله ما لم يجمعه أحد في وقته ؛ ورحل الناس إليه ، وعَوَّلُوا في الرواية عليه ، وجلس لذلك بالمسجد

الجامع بقرطبة ، وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها ، وفقهاؤها وجلّتها .

أخبر عنه غير واحد من الشيوخ ^(١) ، ووصفوه بالجلالة ، والحفظ والنباهة ، [٦٢١] والتواضع والصيانة . وذكره الشيخ أبو الحسن بن مغيث فقال : كان [من] أكمل من رأيت علما بالحديث ، ومعرفة بطرقه ، وحفظا لرجاله ، عانى كتب اللغة ، وأكثر من روايته الأشعار ، وجمع من سعة الرواية ما لم يجمعه أحد أدركناه ؛ وصحح من الكتب ما لم يصححه غيره من الحفاظ ، كتبه حجة بالغة ، وجمع كتابا في رجال الصحيحين ، سماه « تقييد المهمل ، وتمييز المشكل » ، وهو كتاب حسن مفيد ، أخذه الناس عنه .

قال أبو القاسم بن بشكوال : قرأت بخط أبي علي رحمه الله تعالى في كتابه : أنا حكيم بن محمد ، قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن رزيق ، قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البغدادي الوراق ، قال : سمعت ابن الأصم يقول : سمعت أبي يقول — إذا رأى أصحاب الحديث — :

أهلاً وسهلاً بالذين أحببهم وأودهم في الله ذى الآلاء
أهلاً بقوم صالحين ذوى تقى غرّ الوجوه وزين كلّ ملاء
يا طالبي علم النبي محمد ما أنتم وسواكم بسواء

وأصاب الشيخ أبا علي زمانة عطّته ، فأعمل الرحلة إلى المريّة للاستشفاء ، بماء حمّتها ، حمّة بجانّة ؛ فقدم عليها في صدر الحرم سنة ست وتسعين وأربع مئة ؛ وكان نزوله بها على الشيخ الفقيه أبي الربيع سليمان بن حزم السبائي ، وفي منزله وبقراءته وقراءة القاضي أبي القاسم بن وزد ، كان أكثر ما سمع عليه [من] بالمريّة ، ويوجد السماع عليه بحمّة بجانّة ؛ ثم قفل إلى قريته ، وبها توفي رحمه الله ليلة

(١) في الصلة لابن بشكوال : « وأخبرنا عنه غير واحد من شيوخوا » .

الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خات من شعبان ، وقال أبو جعفر بن الباقر لهشرون
منه سنة ثمان وتسعين وأربع مئة ؛ ودُفِن يوم الجمعة بمقبرة الرِّبَض عند الشريعة
القديمة ؛ ومولده في الحرم سنة سبع وعشرين وأربع مئة ؛ وكان كَرِماً داره قبل
موته لزمانته . [٦٢٢]

ذكر ذلك كله ابنُ بَشْكُوَال ؛ وفيه عن غيره ، وهذا هو الصحيح الذي
لا يُلتفت إلى غيره ، ممن قال إن وفاته سنة ست وتسعين وأربع مئة . والله أعلم .

أبو علي الصديقي
من شيوخ عياض

ومن أسيان القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى :

القاضي الشهير [الشهيد] أبو علي الصَّدِّيق . وهو حُسَيْن بن محمد بن فيرَّة
ابن حَيَّوْن بن سُكَّرَة . وفيرَّة (بكسر أوله ، وياء مُثَنَّاة في أسفل ، وراء
مضمومة مشددة ، وهاء ساكنة) : قيل معناه الحديد بلغة العجم ، وقد صرَّح بذلك
صاحب الديباج المذهب . وحَيَّوْن بحاء مهيَّلة ، وياء مُثَنَّاة من أسفل مشددة .
وسُكَّرَة : (بضم السين المهملة ، وفتح الكاف المشددة ، وآخره تاء تأنيث) : مؤنث
سُكَّر . والصَّدِّيق : بفتح أوله وثانيه . وهو من أهل سَرَقُسطَة ، سكن مُرْسِيَّة ،
وروى بسرُقُسطَة عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، وأبي محمد عبد الله بن
محمد بن إسماعيل وغيرها ، وسمع ببِلَنْسِيَّة من أبي العباس الغُذَرِي ، وسمع بالمرِّيَّة
من أبي عبد الله محمد بن سَعْدُون القَرَوِي ، وأبي عبد الله بن المرباط ، وغيرها .

رحلته إلى الشرق

ورحل إلى المشرق أول الحرم من سنة إحدى وثمانين وأربع مئة ، وحجَّ
من عامه ، وألقى بمكة أبا عبد الله الحسين بن علي الطَّبري : إمامَ الحَرَمين ،
وأبا بكر الطُّرُطُوشِي ، وغيرها ، ثم صار إلى البصرة ، فلقى بها أبا يَعْلَى المالكي ،
وأبا العباس الجُرْجَانِي ، وأبا القاسم بن شُعْبَة ، وغيرهم ؛ وخرج إلى بغداد ،

فسمع بواسط من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الأصبهاني وغيره ؛ ودخل بغداد يوم الأحد السادس عشر لجمادى الآخرة ، سنة ائنتين وثمانين وأربع مئة ، فأطال الإقامة بها خمس سنين كاملة ، وسمع بها من أبي الفضل أحمد بن الحسن [٦٢٣] ابن خيرون مُسْنِد بغداد ، ومن أبي الحسين [بن] المبارك بن عبد الجبار الصيّري ، وأبي محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي ، وأبي الفوارس طراد بن محمد الزيّني ، وأبي عبد الله الحميدي ؛ وتفقّه على [الفقيه] أبي بكر الشاشي وغيره ، وسمع من جماعة سواهم من رجال بغداد ، ومن القادمين عليها أيام كونه بها . ثم رحل عنها في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وأربع مئة ، فسمع بدمشق من أبي الفتح [نصر] بن إبراهيم المقدسي ، وأبي الفرج سهل بن بشر الأسفرائني وغيرهما ، وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن علي بن الحسين الخلعي ، وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الرّازي وأجاز له بها أبو إسحاق الحبال ، مُسْنِد مصر في وقته ومكثُها ؛ وسمع بالإسكندرية من أبي القاسم مهدي بن يوسف الوراق ، ومن أبي القاسم شعيب بن سعد وغيرهما .

ووصل إلى الأندلس في صفر من سنة تسعين وأربع مئة ؛ وقصد مُرُسية ، فاستوطنها ، وقعد يحدث الناس بجامعها ؛ ورحل الناس من البلدان إليه ، وكثر سماعهم عليه . وكان عالما بالحديث وطُرُقَه ، عارفا بعالمه وأسماء رجاله ونَقَلَتِه ، بصيرا بالمُعَدِّلين منهم والمُجَرِّحين ؛ وكان حسن الخط ، جيّد الضبط ، وكتب بيده علما كثيرا وقَيَّده ؛ وكان حافظا لمصنفات الحديث ، قائما عليها ، ذا كرامتونها وأسانيدها وروايتها ، وكتب منها صحيح البخاري في سفر ، وصحيح مسلم في سفر ، وكان قائما على الكتّابين ، مع مصنف أبي عيسى الترمذي .

وكان فاضلا دينًا ، متواضعا حلما ، وقورا عالما عاملا ؛ واستقضى بِمُرُسية ثم [٦٢٤]

عودته إلى
الأندلس

استعفى فأعني ؛ وأقبل على نشر العلم وبثّه .

حدث ابن
الأبار عنه

قال ابن الأبار : وقد ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه ، لدخوله الشام . قال : وبعد أن استقرت به النوى ، واستمرت إفادته بما قيد وروى ؛ رفعت له ملوك أوانه ، وشفعته في مطالب إخوانه ؛ فأوسعته رعيًا ، وحسنت فيه رأيًا ؛ ومن أبنائهم من جعل يقصده ، لسماع مُسنده . وعلى وقاره الذي كان به . يُعرف ، ندر له مع بعضهم ما يُستظرف ، وهو أن فتى منهم يسمى يوسف ، لازم مجلسه ، معطرًا راحته ، ومنظفًا ملبسه ، ثم غاب لمرض قطعه ، أو شغل منعه ؛ ولما فرغ أو أبل ، عاود ذلك النادى المبارك والحل ؛ وقبل إفضائه إليه دل طيبه عليه ؛ فقال الشيخ ، على نزاهته من المجون ، وسلامته من الفتون : «إني لأجدر بح يوسف لو لَأَن تُفَنِّدون» . وهى من طُرف نوادره ، رحمة الله عليه .

توليه قضاء
مرسية
واستشهاده
في وقعة قننده

ولما قلّد الشيخ أبو على قضاء مُرسية ، وعُزم عليه في توليه ، ولم يُوسعه عُذرًا في استعفائه مُقدمه لذلك وموليه ؛ خرج منها فارًّا إلى المرية ، فأقام بها ، [سنة خمس وبعض سنة ست وخمس مئة . وفي سنة ست قبل قضاءها على كره ، إلى أن استخفى آخر سنة سبع ، في قصة بطول إيرادها . واطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه فيها] ، فلما كانت وقعة كُتُنْدَة ، ويقال قُتُنْدَة بالقاف ، من حَيْر دَوْرَقَة ، من عمل سرقسطة ، من الثغر الأعلى ، وذلك سنة أربع عشرة وخمس مئة كان الشيخ أبو على ممن حضرها ، هو وقرينه في الفضل أبو عبد الله بن الفرج ، خرجا مع الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين غازيين ، فسكنا فيمن فُقد فيها . واختلف فيها أصحابه ، فجعلها أبو جعفر بن الباذش بعد العصر ، من يوم الأربعاء السابع عشر من ربيع الآخر ، من السنة المذكورة ، وتابعه أبو عبد الله بن عبد الرحيم ؛ وجعلها القاضى أبو الفضل عياض بن موسى يوم الخميس ، لست

بقين منه . وقال أبو القاسم بن بشكوال : استشهد القاضي أبو علي في وقعة قُتُنْدَة ، بشعر الأندلس ، يوم الخميس ، ووافق عِيَاضًا إِلَّا فِي الشَّهْرِ ، فَإِنَّهُ قَالَ مِنْ [٦٢٥] ربيع الأول . قال ابن الأَبَّار : وهو الأصح . وقال أبو عمرو الخضر بن عبد الرحمن : تَوَقَّى فِي الْكَائِنَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِكُتُنْدَةِ ، عَشِيِّ يَوْمِ الْخَمِيسِ ، الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ربيع الأول ، فتابع ابنَ بَشَكُوَالٍ عَلَى الشَّهْرِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَبَّارِ : وَقَرَأْتُ بِحِطِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُدْرِكٍ الْغَسَّانِيِّ الْمَالَقِيِّ : استشهد الفقيه أبو علي رحمه الله تعالى في وقعة كُتُنْدَةِ ، يَوْمَ الْخَمِيسِ ، التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ ربيع الأول ، وَذَكَرَ السَّنَةَ . قَالَ : وَكَانَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، جَبَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، قُتِلَ فِيهَا مِنَ الْمَطْوَعَةِ نَحْوُ مِنْ عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَلَمْ يُقْتَلْ فِيهَا مِنَ الْعَسْكَرِ يَعْنِي الْجُنْدَ أَحَدٌ ، وَحَكَمِي غَيْرُهُمْ أَنَّ الْعَسْكَرَ انْصَرَفَ مَقْلُولًا إِلَى بَلَنْسِيَّةٍ ، فِي الْمَوْقِيِّ عَشْرِينَ مِنْ ربيع الأول أيضا ، وَأَنَّ الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ بْنَ الْعَرَبِيِّ حَضَرَهَا . قَالَ : وَسُئِلَ مَخْلَصُهُ مِنْهَا عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : حَالٌ مِنْ تَرْكِ الْحُبَا وَالْعَبَا . قَالَ ابْنُ بَشَكُوَالٍ : وَكَانَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ يَوْمئِذٍ مِنْ أَبْنَاءِ السَّتِّينَ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ بَشَكُوَالٍ ، وَقَالَ : وَهُوَ مِنْ كُتُبِ إِيْمِنَا بِإِجَازَةِ مَا رَوَاهُ ، وَلَمْ أَلْقَهُ . وَذَكَرَهُ ابْنُ الْأَبَّارِ فِي مَعْجَمِ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ أَلَّفَ ابْنُ الْأَبَّارِ هَذَا الْمَعْجَمَ فِي أَصْحَابِ الْقَاضِي أَبِي عَلِيٍّ ، كَمَا أَلَّفَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى مَعْجَمَ شَيْوُخِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

ومن أسيّاح القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى :

ابن بقوى من
أسيّاح عياض

أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلاليّ ، يُعْرَفُ بِابْنِ بَقْوَى ، وَيُقَالُ ابْنُ بَقْوَةَ ، مِنْ أَهْلِ غَرْ نَاطَةِ ، وَسَكَنَ الْمَرِيَّةَ وَسَمِعَ مِنْ شَيْوُخِ الْمَرِيَّةِ ، مِثْلَ طَاهِرِ ابْنِ هِشَامِ الْأَزْدِيِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ حَجَّاجِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ الرَّعَيْنِيِّ ، لِلْعُرُوفِ بِابْنِ [٦٢٦]

للمأموني ، وأبي القاسم خَلَفَ بن أحمد الجَرَاوِي ، وأبي العَبَّاس أحمد بن عمر العُذْرِي ، وغيرهم ؛ ومن الطارئين عليها ، مثل القاضي أبي الوليد الباجي ، وأبي عبد الله محمد بن سعدون القَرَوِي . وكان خروجه من المَرِيَّة بعد سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة^(١) ، وسكن غرناطة مدة ، وولّى الأحكام بعدة جهات من كورة ألبيرة . وكان من حُفَاط الحديث المَعْتَنين بالتنقيح عن معانيه ، واستخراج الفقه منه ، مع التقدم في حفظ مسائل الرأى ، والبصر بعقد الوثائق ، والتقدم في معرفة أصول الدين . رَوَى عنه جماعة . وولِد في صفر سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، وتُوُفِّي بغرناطة في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وخمس مئة ؛ ذكره ابن بَشْكُوَال .

* * *

ومن أسيّاخ القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله :

القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي [بن سعيد] بن عبد الله بن شَبْرِين ، بشين معجمة مكسورة ، وباء موحدّة ساكنة ، وراء مكسورة ، بعدها ياء ، آخر الحروف ، وآخره نون ، الجُذَامِي ، من أهل مُرْجِيْق : حصن من حصون شَلَب ، بينهما أربعون ميلا من الغرب .

أخذ عن القاضي أبي الوليد الباجي كثيرا من مَرْوِيَّاته وتأليفه ، وصحبه واختصَّ به ، وكان من أهل العلم ، والمعرفة والفهم ، عالما بالأصول والفروع ، واستقضى بِأَشْبِيلِيَّة ، ومُحَدِّث سِيرته ، ولم يزل يتولّى القضاء بها ، إلى أن تُوُفِّي ليلة الأربعاء ، لثلاث خَلَوْنَ من رجب الفَرْد ، سنة ثلاث وخمس مئة .

قال ابن بَشْكُوَال : كتب إلى القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن

(١) الذي في الصلة لابن بشكوال بالأرقام بالحروف : « بعد سنة ٤٨٠ » .

عياض بوفاته ، وقال قَيَّدَتْهَا حِين وفاته . قلت : وهذا هو الصواب ، لا ما قاله بعض من شَرَح الشَّفا : إنه تُوُفِّي يوم الخميس رابع رجب المذكور ، ولعله ظنَّ [٦٢٧] أن يوم دفنه هو يوم وفاته ، على أن مثل هذا قريب ، لاسيما إن كانت وفاته آخر الليل ، فلا يكون بين اليوم واللييلة إلا مُدَّة قليلة جدًا ، فافهم .

وحكى القاضي أبو الحسن عيسى بن حبيب : أنه رَحَلَ إلى أبي الوليد الباجي سنة تسع وستين وأربع مئة ، ومعه بسر قسطة ، ثم سافر معه إلى المَرِيَّة ، حتى مات أبو الوليد ، فكانت صحبته له نحو أربعة أهوام ، ووصل من منفعته به في العلم في هذه المدة ، ما لم يصل إليه غيره منه في المدة الطويلة ، رحمهما الله تعالى ؛ وأجاز له جميع رواياته أبو العباس المُذَرِّي ، وأبو القاسم عبد الجليل الرُّبَعي القَيَّرَواني ، مع تواليفه ، وأجاز له أبو عبد الله بن المُرابِط روايته عن الطَّائِمَنسَكِيِّ وخَلَف البَغَوِيِّ ، وصحب بعد وفاة القاضي أبي الوليد الباجي ابنه أبا القاسم ، وأجاز له جميع ما رواه ، وانصرف إلى حضن مُرْجِيْق ، فولى الأحكام به ، ثم نُقِلَ إلى قضاء شَلَب ، فأقام بها قاضيا أعواما ، ثم نقله الأمير سير بن أبي بكر إلى قضاء إشبيلية ، بعد صرف أبي القاسم بن منظور عن قضائها ، فضبط الأمور ، وجمع المُفْتَرِق من شئون القضاء ، وكان صَلَيبا في الحق ، نافذا في أحكامه ، لا تأخذه في الله لومة لأثم ، وشَنَّه أقوام ، فَبَعَوْا عليه ، بغيا وحسدا ، عند أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، فعصره عن القضاء ، ثم لم يلبث إلا نحو خمسة عشر يوما ، حتى رَدَّه إليه أحسن رد . وكان الفقيه أبو مروان الباجي يُثْنِي عليه ، ويبالغ في تقيظه ، ويقول : ما علمنا القضاء إلا أبو عبد الله بن شَبْرِينَ . ولم يزل قاضيا بإشبيلية ، مضطلعا بأعباء القضاء ، حسن السياسة فيه ، ناشرا للعلم ، إلى أن تُوُفِّي بها ، رحمه الله تعالى . ذكره ابن بشكوال . [٦٢٨]

وَإِذَا تَبَعْنَا أَشْيَاخَ الْقَاضِي عِيَاضَ بِالْتَعْرِيفِ ، لَمْ يَسَعْ ذَلِكَ هَذَا
المَوْضُوعُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُمْ نَحْوُ الْمِئَةِ ، وَرَتَّبَهُمْ وَلَدَهُ عَلَى الْحُرُوفِ ،
حَسَبًا نُقِلَ مِنْ فَهْرَسَتِهِ .

فَمِنْهُمْ فِي حَرْفِ الْهَمْزَةِ :

ابن بقي من
شيوخ عياض

الشيخ بن بَقِيٍّ ، وَهُوَ أَحَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ
ابن بَقِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ . وَلَدَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ . وَمَاتَ مُنْسَلَخًا
ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِئَةٍ . وَكَفَّ بَصْرَهُ بِأَخِرِ عَمْرِهِ . رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَمِنْهُمْ فِي هَذَا الْحَرْفِ :

ابن المرخي من
شيوخ عياض

أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الْمَرْخِيِّ ، وَهُوَ أَحَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ اللَّحْمِيِّ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ
الْجُمُعَةِ ، ثَمَانِ بَقِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، سَنَةِ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِئَةٍ .

وَمِنْهُمْ :

ابن غلبون من
شيوخ عياض

الشيخ ابن غَلْبُونِ ، وَهُوَ أَحَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ
ابن غَلْبُونِ ، بَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، وَضَمِّ الْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ ، وَآخِرُهُ نُونٌ . وَلِدَ سَنَةَ
ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ ، وَمَاتَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسَ مِئَةٍ .

وَمِنْهُمْ :

أبو العباس
الشارقي من
شيوخ عياض

أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ الشَّارِقِيِّ ، تُوُفِّيَ
قَرَبَ حَمْسِ مِئَةٍ .

وَمِنْهُمْ :

أبو إسحاق
اللوآتي من
شيوخ عياض

أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَعْفَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْفَقِيهِ اللَّوَاتِي ، بَفَتْحِ اللَّامِ ، مَنْسُوبٌ

لِلوَاثَةِ ، مخففة الواو ، مفتوحتها ، ومفتوحة اللام أيضا ، وتاء مثناة من فوق ،
 قبيالة . القاسي ، نسبة لقاس الحضرة المشهورة ، حاط الله أرجاءها ، وبلغها من
 الأمن والعافية رجاءها . مات في الثامن من مجادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة
 وخمس مئة .

ومنهم :

أحمد بن سعيد بن بَشْتَفِير ، وأحمد بن محمد بن مكحول ، إلى غيرهم من
 جملة سبعة عشر رجلا في هذا الحرف ، أعنى حرف الهمزة .

ابن بشتغير وابن
 مكحول من
 شيوخ عياض

[٦٢٩]

ومنهم في حرف الحاء :

الحسين بن محمد الصَّدَقِيّ ، والحسين بن محمد الغَسَّانِيّ ، وقد تقدم الكلام
 عليهما ، والحسين بن عبد الأعلى السَّفَّاقُوسِيّ ، والحسين بن علي بن طريف .

من شيوخ عياض
 المذكورين في
 حرف الحاء

ومنهم في حرف الخاء :

خلف بن إبراهيم أبو القاسم الخطيب المقرئ . وهو خلف بن إبراهيم بن
 خَلَف بن سعيد ، المعروف بابن النخّاس ، بجاه معجزة ، وبابن الحصار . ولد سنة
 سبع وعشرين وأربع مئة ، وتوفي بقرطبة يوم الثلاثاء ، سادس عشر صفر سنة
 إحدى عشرة وخمس مئة . وخلف بن خلف الأنصاري بن الأتقر . وخالف
 ابن يوسف بن فرُّون .

من شيوخ
 عياض
 المذكورين في
 حرف الخاء

ومنهم في حرف الميم :

القاضي أبو الوليد بن رُشد ، والقاضي أبو عبد الله بن حمدين ، والقاضي
 أبو عبد الله بن الحاج ، والقاضي ابن العربي ، والقاضي ابن شبرين ، و [قد]
 تقدّم ذكرهم .

من شيوخ عياض
 المذكورين في
 حرف الميم

وأبو عبد الله التميمي ، وهو محمد بن عيسى بن حسين ، ولد سنة تسع وعشرين وأربع مئة ، ومات بسبئة صبيحة يوم السبت لتسع بقين من جمادى الأولى ، سنة خمس وخمس مئة .

وأبو عامر محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل الطليلي ، بضم الطاءين^(١) . ولد سنة ست وخمسين وأربع مئة ومات بقرطبة ، في ربيع الأول ، سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة .

وأبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد ، بمثناة من فوق مفتوحة ، الشاطبي الرُعيني ، منسوب لذي رعين من حمير . ولد سنة أربع [وأربعين] وأربع مئة ومات في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمس مئة .

ومن شعره رحمه الله ، ورضى عنه :

[٦٣٠] الليلي تَسُوء ثم تَسُرُّ وضُروف الزمان ما تَسْتَقِرُّ

بينما المرء في حَـلاوة عيشٍ إذ أتاه على الحلاوة مُرٌّ

فالكريم المصابُ يَفْزَعُ فيه لكريم وينفَعُ الحرَّ حُرٌّ

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الأشقرى المقرئ النحوى ، مات سنة خمس وخمس مئة . ومحمد بن علي الشاطبي ابن الصيقل ، ومحمد بن سليمان النَّفْزِي بن أخت غانم ، ومحمد بن عيسى التَّجِيبِي القاضى ، إلى غيرهم ، من جملة أحد وثلاثين شيخا في هذا الحرف ، منهم المازيرى والطَّروطشى ، لكن بالإجازة [له] ، إذ لم يلقهما كما سيأتى قريبا .

(١) هكذا ضبطها الصاغاني . قال شارح القاموس : « والصواب بكسر الطاء الثانية ، كما ضبطه مؤرخو المغرب وابن السمعاني » . وقال ياقوت في المعجم : « أكثر ما سمعنا من المغاربة : بضم الطاء الأولى وفتح الثانية » .

ومنهم في حرف العين :

أبو محمد عبد الله بن السيّد البَطْلَمَيْوسِيّ ، وقد تقدم ذكره . وأبو محمد بن عَمَّتَاب الجُدَامِيّ ، الإمام الشهير ، فقيه قُرطبة وإمامها ، وشيخ زمانه في العلم الموروث كإبراهيم عن كابر ، توفّي سنة ثمان وخمس مئة . وأبو محمد عبد الله بن أبي جعفر ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله الخُشَنِيّ . وعبد الرحمن بن محمد السُّبُتِيّ ابن العَجُوز ، وعبد الله بن محمد بن أَيُّوبَ الفِهْرِيّ . وعبد الرحمن بن محمد بن بَقِيّ . وعلي بن أحمد الأنصاري بن الباذِش . وأبو الحسن عَلِيّ بن مُشَرَّف [اسم مفعول شَرَّفَ بالتشديد] وهو ابن مُسَلَّم [مفعول ، سُمِّ مُشَدَّد] ابن أحمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن الأنطاقي [بفتح الهمزة] ، [الإسكندراني . وأبو محمد عبد الله بن أحمد العدَل « بالفتح وسكون الدال » ، التميمي] ، مات بسببته عام أحد وخمس مئة . وعلي بن عبد الرحمن التَّجِيبِيّ بن الأخضر ؛ إلى غيرهم من جملة سبعة وعشرين في هذا الحرف .

من شيوخ عياض
المذكورين في
حرف العين

ومنهم في حرف الغين .

غالب بن عطية الحاربيّ ، وقد تقدم .

ومنهم في حرف السين .

سِرَاجُ بن عبد الملك بن سراج أبو الحسن . وأبو بحر سفيان بن العاصي الأَسَدِيّ ، مات بقرطبة لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة عشرين وخمس مئة ، [٦٣١] وولد سنة تسع وثلاثين ، وقيل أربعين وأربع مئة ، وفي سنة وفاته المذكورة توفّي القاضي أبو بكر الطُّرُوشِيّ رحمه الله ، وفيها أيضا توفّي الإمام المؤرخ ، الشيخ الراوية ، أبو مروان حَيَّان بن حَيَّان رحمه الله .

من شيوخ
عياض
المذكورين في
حرف السين

وشيوخ القاضي أبي الفضل في هذا الحرف خمسة .

ومنهم في حرف الشين .

شُريح بن محمد الرُّعَيْنِي الإشبيلي .

ومنهم في حرف الهاء .

أبو الوليد هشام بن أحمد بن العَوَّاد ، الفقيه المشهور ، ولد سنة
اثننتين وخمسين وأربع مئة ، وتوفي سنة تسع وخمس مئة .
وهشام بن أحمد الهلالي الغرناطي ، وقد تقدم ذكره .

ومنهم في حرف الياء .

يونس بن محمد بن مُغيث بن الصَّفَّار .

ويوسف بن موسى السكَّلي ، سمع القاضي أبو الفضل منه أرجوزته .

[وهو الضرير الأديب النحوي المتكلم الزاهد . وأصله من سرقسطة ، وسكن
مرّاكش ، وبها توفي سنة عشرين وخمس مئة . وهو من تلامذة أبي بكر محمد
ابن الحسن المرادي الحضرمي . والمرادى هذا أول من أدخل علوم الاعتقاد إلى
المغرب الأقصى ، وسكن بأغمت ؛ فلما توجه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء ، حمله ،
وولاه القضاء ، فمات بأرركر^(١) من صحراء المغرب سنة تسع وثمانين وأربع مئة ؛ فخلفه
أبو الحجاج يوسف في علوم الاعتقادات ، وغلب عليه الزهد ؛ وله أرجوزة صُغرى
في علم الاعتقاد ، قرأها عليه القاضي أبو الفضل عياض ، كما ذكرناه .

قال عياض : وأجازني أرجوزته الكبرى وجميع تأليفه ورواياته ، وكتاب
التحرير لشيخه المرادي ؛ وعن المرادي كان أكثر أخذ أبي الحجاج .

قال عياض رحمه الله تعالى : أنشدني لشيخه أبي بكر المرادي رحمه الله تعالى :

(١) كذا في الصلة لابن بشكوال ، وفي نسخة منها « أزكد » وفي م : « أركى » .

بعض شيوخ
عياض
المذكورين في
حرف الشين

بعض شيوخ
عياض
المذكورين في
حرف الهاء

بعض شيوخ
عياض
المذكورين في
حرف الياء

من شعر المرادي :

عَلِمِي بِقُبْحِ المعاصي حين أركبها يقضى بَأَنِّي محمولٌ على القَدَرِ
لو كنتُ أملكُ نفسي أو أصرُّفُها ما كنتُ أطرَحُها في لُجَّةِ العِذَرِ
كَلَّفتُ فَعَلًا ولم أقدر عليه ولم أَكُنْ لِأَفْعَلِ أفعالا بِلا قَدَرِ
وكان في عدل ربِّي أن يعذَّبني فلم أُشَارِكُه في نَفْعٍ ولا ضَرَرِ
إِنْ شاءَ نَعَمَني أو شاءَ عَذَّبني أو شاءَ صَوَّرَني في أَقْبَحِ الصُّورِ
يأربُّ عَفْوَكُ عن ذنب قضيتَ به عدلا على قَهَبٍ لي صفح مُقْتَدِرِ

ومن شيوخ القاضي عياض رحمه الله تعالى في حرف الياء [.

يُوسف بن عبد العزيز بن عُدَيْس الطَّلَيْطَلِي ، رحم الله جميعهم .

ومحممه أجاز القاضي أبا الفضل عياضا ولم يلفه :

الشيخ الأستاذ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، الطائر الصيت ،

الشهير الذكر ، وقد تقدم ذكر وفاته .

من أجاز عياضا
أبو بكر
الطرطوشي

وهو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري
الطرطوشي [بضم الطاءين المهملتين ؛ وقد تفتح الطاء الأولى] ؛ أصله من طرطوشة ،
بلاد بالأندلس ، ويعرف بابن أبي رندقة ، [براء مهملة مفتوحة ، ثم نون ساكنة ،
ثم دال مهملة مفتوحة ، ثم قاف . كنيته أبو بكر ، وهو المَعْنِي] يقول ابن الحاجب
في مختصره الفقهي ، في باب العتق : « وقال الأستاذ : ومُقتضاه إذا باعه قبل
التَّقْوِيم أن يُقَوِّم » .

صَحِبَ القاضي أبا الوليد الباجي بَسْرَقُسْطَةَ ، وأَخَذَ عنه مسائل الخلاف ، [٦٣٢]

وسمع منه ، وأجازه ، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه ، وقرأ الأدب على أبي محمد
ابن حَزْم بمدينة إشبيلية .

ثم رحل إلى المشرق سنة سِتِّ وسبعين وأربع مئة ، وحبَّ ودخل بغداد والبصرة ، فنفقه عند أبي بكر الشاشي ، وأبي أحمد ^(١) الجرجاني ، وسمع في البصرة من أبي علي التستري ، وسكن الشام مدة ، ودرس بها ، وكان إماما عالما عاملا ، زاهدا متواضعا ، دينا ورعا ، متقشفا متقللا من الدنيا ، راضيا منها باليسير .

ومن كلامه رضى الله عنه : إذا عرض لك أمران : أمر دنيا وأمر أخرى ، فبادر بأمر الأخرى ، يحصل لك أمر الدنيا والأخرى .

وله عدة تأليف ، منها مختصر تفسير الثعالبي ، والكتاب الكبير في مسائل الخلاف ، وكتاب في تحريم جُبن الروم ، وكتاب سراج الملوك ، وهو من أنفع الكتب في بابها وأشهرها ، وكتاب يدع الأمور ومُحدثاتها ، وكتاب شرح رسالة ابن أبي زيد .

وُلِدَ سنة إحدى وخمسين وأربع مئة تقريبا ، وتُوفِّي في ثلث الليل الأخير من ليلة السبت ، لأربع بقين من جمادى الأولى ؛ وقال ابن بشكُوال في الصَّلَة : في شعبان سنة عشرين وخمس مئة ، كما تقدم ، بقر الإسكندرية ، وصلى عليه ولده محمد ، ودُفِنَ قبلي الباب الأخضر . رحمه الله ورضى عنه .

وقال ابن خلكان في حقه ما نصّه ^(٢) : محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ابن سليمان ، [بن أيوب] ^(٣) القرشي الفهري ، [الأندلسي] ^(٤) الطرطوشي المالكي ، المعروف بابن أبي رندقة (بالراء المهملة المفتوحة ^(٥)) ، وتسكين النون) ،

(١) كذا في الصَّلَة لابن بشكُوال وابن خلكان . وفي الأصول : « وأبي محمد » .

(٢) بين الكلام المنقول هنا عن ابن خلكان والنسخة المطبوعة منه بصر خلاف كثير بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص ، والتصرف في العبارة .

(٣) زيادة عن نسخة ابن خلكان ، طبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٠ هجرية .

(٤) ضبطها ابن فرحون في الديباج المذهب بالعبارة : « بضم الراء » .

إمام ورع ، أديب مُتَقَلِّل . كان يقول : إِذَا عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ : أَمْرٌ أُخْرَى وَأَمْرٌ دُنْيَا ، فَبَادِرْ بِأَمْرِ الْأُخْرَى يَحْصُلُ لَكَ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْأُخْرَى .

[٦٣٣]

وله طريقة في الخلاف ، وله أشعار ، منها :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا وَأَنْتَ بِإِنجَازِهَا مُغْرَمٌ
فَأَرْسِلْ بِأَبْلَةٍ ^(١) خَلَابَةٍ بِهِ صَمٌّ أَغْطَشَ أَبْكَمَ
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدَّرْهَمُ

قال الطُّرْطُوشِي : كُنْتَ لَيْلَةً نَائِمًا فِي الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ^(٢) ، إِذْ سَمِعْتَ فِي اللَّيْلِ

صَوْتًا حَزِينًا يُنْشِدُ :

أَخُوفٌ وَنَوْمٌ إِنْ ذَا لِعَجِيبُ ثَكَلْتُكَ مِنْ قَلْبٍ فَأَنْتَ كَذُوبُ
أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ كُنْتَ صَادِقًا لَمَّا كَانَ لِلْإِغْمَاضِ فِيكَ ^(٣) نَصِيبُ
قَالَ : فَأَيَقُظُ النَّوَامُ ، وَأَبْكِي الْعُمُيُونَ .

وَكَانَ الطُّرْطُوشِي يُنْشِدُ ^(٤) :

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
فَكَّرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفِينَا

وَدَخَلَ الطُّرْطُوشِي عَلَى الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجَيْوشِ ، فَوَعظَهُ ، وَقَالَ : إِنْ الْأَمْرَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ ، إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدِكَ ، بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا خَوَّلَكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ

(١) في م ونفح الطب وابن خلكان : « بأكمه » .

(٢) في ابن خلكان : « في بيت المقدس » .

(٣) في ابن خلكان : « منك » .

(٤) في ط : « ينشد ويقول » .

الله عز وجل سائلك عن التَّعْيِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَالْفَتِيلِ ؛ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ آتَى
سليمانَ بنَ داودَ مُلْكَ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا ، فَسَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ ، وَالْجِنَّ ، وَالشَّيَاطِينَ ،
وَالطَّيْرَ ، [وَالْوَحْشَ] ، وَالْبَهَائِمَ ؛ وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ،
وَرَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ
بَغَيْرِ حِسَابٍ » ؛ فَمَاعِدَ ذَلِكَ نَعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَهَا كِرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ،
بَلْ خَافَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ،
لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ » ؛ فَافْتَحَ الْبَابَ ، وَسَهَّلَ الْحِجَابَ ، وَانصُرَّ الْمَظْلُومَ ؛
وَكَانَ إِلَى جَانِبِ الْأَفْضَلِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ ، فَانْشَدَهُ :

[٦٣٤] يَا ذَا الَّذِي طَاعَتُهُ قُرْبَةٌ وَحَقُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبٌ
إِنَّ الَّذِي شَرَّفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ

وأشار إلى [ذلك] النَّصْرَانِيَّ ، فَأَقَامَهُ الْأَفْضَلُ مِنْ مَوْضِعِهِ .

وَتَوُفِّي الطَّرْطُوشِيَّ سَنَةَ عَشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ .

انتهى كلام ابن خَلْسَكان . وذكرته بِرُمَّتِهِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ قَدْ تَقَدَّمَ ، تَكْمِيلًا
لِلْفَرْضِ ؛ وَقَدْ يَقَعُ لِي مِثْلُ هَذَا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ^(١) كَثِيرًا ، وَالْقَهْدُ بِهِ التَّقْوِيَّةُ لِمَا
تَكَرَّرَ مَعَهُ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، كارتباط الكلام ببعده ببعض ؛ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ .

وَمِمَّنْ أَجَازَ الْفَاضِي عِيَاضًا وَلَمْ يَلْقَ :

الشيخ الإمام المجتهد أبو عبد الله المازري ، محمد بن هلي بن عُمر بن محمد
التميمي المازري ، بفتح الزاي عند الأكثر ، وجوز كسرهما جماعة ؛ نسبة إلى
مازَرَ ، بُلَيْدَةٌ بِحَزِيرَةٍ صِقْلِيَّةٍ ، أَعَادَهَا اللَّهُ . أَخَذَ عَنِ الشَّيْخَيْنِ أَبِي الْحَسَنِ

اللَّخْمِيَّ ، وأبي محمد بن عبد الحميد القَرَوِي المعروف بالصائغ ، وكان إماماً مُحَدِّثاً ، وهو أحد الأئمة الأعلام ، المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه ، مُعَمِّدُ النَّظَار ، وَتَحْفَةُ الْأَمْصَار ، المشهور في الآفاق والأقطار ، حتى عُدَّ في المذهب إماماً ، وملاك من مسائله زماماً . وله تآليف مُفِيدَة ، عظيمة النفع ، منها كتاب الْمُعَلِّم ، بفوائد مُسَلِّم ؛ وكتاب التعليلة على المدونة ، وكتاب شرح التلقين ، وكتاب الرد على الإحياء للغزالي ، المسمى بكتاب الكشف والإنباء ، عن المترجم بالإحياء ؛ وكشف الغطا ، عن لمس الخطا ؛ وكتاب إيضاح المحصول ، من بُرْهان الأصول ؛ وتعليلة على أحاديث الجوزقي ؛ وله أيضا إملاء على شيء من رسائل إخوان الصفاء ، سأله السلطان تميم عنه ، وكتاب النكت القطعية ، في الرد على الحشوية والذين يقولون بقدوم الأصوات والحروف ؛ وفتاوى .

تُوُفِيَ ثامنَ عَشَرَ ربيعِ الأول سنة سِتِّ وثلاثين وخمس مئة ؛ وقيل [٦٣٥] يوم الاثنين ثامن الشهر المذكور بالمهدية ، وعمره ثلاث وثمانون سنة ، رحمه الله ورضى عنه .

وَحُكِيَ أَنَّ بَعْضَ طَالِبَةِ الْأَنْدَاسِ وَرَدَ عَلَى الْمَهْدِيَّةِ ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الْمَازَرِيِّ ، وَدَخَلَ شِعَاعُ الشَّمْسِ مِنْ كَوَّةٍ ، فَوَقَعَ عَلَى رَجُلِ الشَّيْخِ الْمَازَرِيِّ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : « هَذَا شِعَاعٌ مُنْعَكِسٌ » فَذِيلَهُ الطَّالِبُ الْمَذْكُورُ حِينَ رَأَاهُ مَتَرِّناً ، فَقَالَ :

هَذَا شِعَاعٌ مُنْعَكِسٌ إِيْلَهُ لَا تَلْتَبَسُ
لَمَّا رَأَاكَ عَنْصُرًا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَنْبَجِسُ
أَنِّي يَمُودُ سَاعِدًا مِنْ نُورِ عِلْمٍ يَقْتَبِسُ

وَأُظُنُّ أَنِّي رَأَيْتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ فِي نَظْمِ الدُّرِّ وَالْعَقِيَانِ ، لِلشَّيْخِ الْخَافِظِ

أبي عبد الله التَّنَسِيُّ التَّمَلُّسَانِي ؛ فَلْتَرَجَعَ ثُمَّ لِأَنِّي نَقَلْتُهَا بِالْمَعْنَى .

ومن أجاز الفاضل عياضا ولم يلفه :

الشيخ الحافظ إمام المحدثين أبو الطاهر السَّلْمِي ، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلْفَةَ الْأَصْبَهَانِي ، الملقب صَدْرُ الدِّين .

قال ابن خَلْكَان : هو أحد الحُفَاطِ الْمُسْكُتِينَ . رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ، وَلَقِيَ أَعْيَانِ الْمَشَائِخِ ، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ . وَرَدَ بَغْدَادَ ، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَلَى الْكَلْبِي^(١) [أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ الْمُرَّاسِيَّ] ^(٢) فِي الْفِقْهِ ، وَعَلَى الْخَطِيبِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَلِي التَّبْرِيزِيِّ اللَّغَوِيِّ بِاللُّغَةِ ، وَرَوَى عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ بْنِ السَّرَّاجِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْأُمَثَلِ ، وَجَابَ الْبِلَادَ ، وَطَافَ الْأَفَاقَ ، وَدَخَلَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ؛ وَكَانَ قَدُومُهُ إِلَيْهَا فِي الْبَحْرِ مِنْ مَدِينَةِ صُورَ ، وَأَقَامَ بِهَا ، وَقَصَدَهُ النَّاسُ مِنَ الْأُمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ ، وَسَمِعُوا عَلَيْهِ ، وَانْتَفَعُوا بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي آخِرِ عَمْرِهِ فِي عَصْرِهِ مِثْلَهُ . وَبَنَى لَهُ الْعَادِلُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ السَّلَّارِ وَزِيرُ الظَّافِرِ الْمُبَيْدِيَّ صَاحِبَ مِصْرَ ، فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، مَدْرَسَةً بِالثَّغَرِ الْمَذْكُورِ ، وَفَوَّضَهَا إِلَيْهِ ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ بِهِ الْآنَ . وَاتَّزَكَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالشَّامِ وَالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَسَمِعَتْ عَلَيْهِمْ ، وَأَجَازُونِي ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ الْكَثِيرَ ؛ وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ فَوَائِدَ جَمَّةَ ؛ وَمِنْ جُمْلَةِ مَا نَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجُبَّارِ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

(١) قال ابن خَلْكَان : « الْكَلْبِي » فِي اللُّغَةِ الْعَجْمِيَّةِ : هُوَ الْكَبِيرُ الْقَدِيرُ ، الْقَدِيمُ بَيْنَ النَّاسِ .

(٢) زِيَادَةٌ عَنْ ابْنِ خَلْكَانَ طَبْعَةً الْمِصْنِيَّةَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ١٣١٠ هَجْرِيَّةً .

لولا اشتغالي بالأمير ومدحه لأطلت في ذاك^(١) الغزال تغزلي
لكن أوصاف الجلال عذبن لي فتركت أوصاف الجلال بمغزل

ونقلت من خطه أيضا البثينة [صاحبة جميل تربيته] :

وإن سلوى عن جميل لساعة من الدهر ماحانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن مغمر إذا مت بأساء الحياة ولينها
وكان كثيرا ما يُنشد :

قالوا نفوس الدار سُكَّانها وأنتم عندي نفوس النفوس
وأماليه وتعاليقه كثيرة ، والاختصار بالختصر أولى .

وكانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربع مئة تقريبا بأصهبان ، وتوفي
ضخوة نهار الجمعة ، وقيل ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر ، سنة ست
وسبعين وخمس مئة ، بشعر الإسكندرية . ودُفن في وعلة ، وهي مقبرة داخل
الشور ، عند الباب الأخضر ، فيها جماعة من الصالحين ، كالطراطوشي وغيره ،
وهي بفتح الواو وسكون العين المهملة ، وبعدها لام ثم هاء . ويقال إن هذه المقبرة
منسوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة السبئي المصري ، صاحب ابن عباس رضى الله
عنهما . وقيل غير ذلك ، رحمه الله تعالى ، آمين .

قلت : وجدت العلماء المحدثين بالديار المصرية ، من مجتهدتهم الحافظ زكي الدين
أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذري المحدث ، محدث مصر في زمانه ،
يقولون في مولد الحافظ السلفي هذه المقالة . ثم وجدت في كتاب : زهر الرياض
المفصّل عن المقاصد والأغراض ، تأليف الشيخ جمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن
ابن أبي الفضل عبد الجيد بن إسماعيل بن حفص الصقراوي الإسكندري ، أن

تحقيق ميلاد
الحافظ السلفي
ونسبته

(١) كذا في ابن خلكان . وفي الأصول : « في وصف » .

الحافظ السَّلَافِيُّ المذكور ، وهو شيخه ، كان يقول : مولدى بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغُ عمره على مقتضى ذلك ، ثمانياً وتسعين سنة . هذا آخر كلام الصَّفراوى المذكور .

ورأيت فى تاريخ الحافظِ مُحِبِّ الدين محمد بن محمود المعروف بابن النَّجَّار البغدادى ، ما يدل على صحة ما قاله الصَّفراوى ، فإنه قال : قال عبد الغنى المقدسى : سألت الحافظ السَّلَافِيَّ عن مولده ، فقال : أنا أذكر قتل نظام الملك فى سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وكان لى من العمر حدود عشر سنين .

قلت : ولو كان مولده على ما يقوله أهل مصر إنه فى سنة اثنتين وسبعين ، ما كان يقول أذكر قتل نظام الملك فى سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، فإنه على ما يقولونه قد كان عمره ثلاث عشرة سنة ، أو أربع عشرة سنة ، ولم تجر العادة أن من يكون فى هذا السن يقول : أنا أذكر القضية الفلانية ، وإنما يقول ذلك من يكون عمره تقديراً أربع أو خمس أو ست سنين . [٦٣٨]

فقد ظهر بهذا أن قول الصَّفراوى تلميذه أقرب إلى الصحة ، وقد سَمِعَ منه أنه قال : مولدى فى سنة ثمان وسبعين ، وليس الصَّفراوى ممن يُشكُّ فى قوله ، ولا يُرتاب فى صحته ، مع أننا ما علمنا أن أحداً منذ ثلاث مئة سنة إلى الآن بلغ المئة ، فضلاً عن أنه زاد عليها ، سوى القاضى أبى الطَّيِّب طاهر بن عبد الله الطَّبري ، فإنه عاش مئة سنة وستين ، كما سيأتى فى ترجمته .

ونسَبَةُ السَّلَافِيَّ إلى جدِّه إبراهيم سَلَفَه ، بكسر السَّين المهملة ، وفتح اللام والفاء ، وفى آخره الهاء ، وهو لفظ عجمي ، ومعناه بالعربى ثلاث شفاه ، لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة ، فصارت مثل شفتين ، غير الأخرى الأصلية ،

والأصل فيه سَلَمَة ، بالباء ، فأُبدلت بالفاء .

انتهى كلام ابن خلكان .

تعليق للمؤلف

قلت : ولا يخلو ما ذكره من بحث ، لأن السَّلَفِيَّ قال : أنا أذكر قتل نظام الملك وأنا في حدود العشر السنين ، وبحث ابن خلكان يقتضى أنه ابن ست سنين ونحوها ؛ بل قد يقال : إن قول السَّلَفِيَّ وكان في حدود عشر سنين ، لا ينافي قول الآخرين ، لما جرت العادة به من العلماء ، من إلغاء الكسر الزائد . سلمنا عدم ذلك ، فلا دليل فيه لواحد منهما ، فتأملهُ مُنصفاً ، والله سبحانه أعلم . وكان ابن قنفذ اعتمد في وفاته على قول المِصْرِيِّين في مَوْلِد أبي الطاهر السَّلَفِيَّ ، فلذا قال ما نصَّه : « وتُوفِّي القاضي بَغْرَاطَة ، أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض سنة خمس وسبعين وخمس مئة ، وعَرَفَ في تاريخه بأبيه ، وفي التي [٦٣٩] تليها تُوفِّي الشيخ أبو الطاهر السَّلَفِيَّ ، وعمره مئة وأربع سنين ، وكان أجاز لكل من أدركته حياته . وسَلَفَهُ (بكسر السين المهملة) : قرية في المَشْرِق » . انتهى .

وما قاله في سَلَفَهُ مخالف لما سبق قريباً لابن خَلِّكان ؛ ولعل قول ابن خَلِّكان هو الصَّواب ، والله تعالى أعلم .

ومن مشهور نظم السَّلَفِيَّ رحمه الله [قوله] :

شيء من نظم
الحافظ السلفي

ليسَ عَلَى الأرضِ في زَمَانِي مَنْ شَانُهُ في الحديثِ شَانِي
عِلْمًا وَنَفَدًا وَلَا عُلُومًا فِيهِ عَلَى رَغَمِ كُلِّ شَانِي

ومن ذلك قوله رحمه الله :

بِاللهِ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِي اغْتَنِمُوا عِلْمِي وَآدَابِي

إِنْ نَذِيرَ الْمَوْتَ جَاءَ وَقَدْ حَلَفَ لَا يَرْحَلُ إِلَّا بِي

ومن نظمه ، رحمه الله ، ما أجاب به القاضي عياضا حين استجازه بقصيدة على روى القاف ، أولها :

أَبَا طَاهِرْ خُذْهَا عَلَى الْبُعْدِ وَالنَّوَى تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ لَذِكْرِكَ شَيْقٍ
فَأَجَابَهُ أَبُو الطَّاهِرِ بِقَوْلِهِ :

أَتَانِي نَظْمُ الْأَلْمَى الْمَوْفَّقِ يَمِيسُ اخْتِيَالًا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ
وَسَيَّاتِيَانِ مَعًا عِنْدَ تَعَرُّضِنَا لَذِكْرِ نَظْمِ عِيَاضٍ ، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ .

الإجازة العالمية
عند تعذر اللقاء

أقول : ولم يزل الفضلاء من الأئمة ، والتهباء من أعلام هذه الأمة ، يستجيزون الأشياخ الأخيار ، عند تعذر اللقاء وبعْد الديار ، ولو تَبَعْنَا ذِكْرَ من فعل ذلك لضاقت هذه الموضوع ، ولما احتمله هذا المجموع . وقد استجاز الإمامُ الشهير ، الأديب الكبير ، الشيخ العلامة أبو الحسن حازم ، صاحب [٦٤٠] للمقصورة ، وَجِيهَ الدين منصورا ، فكتب إليه الوجيه رحمه الله بقوله :

إِنِّي أَنْجَزْتُ لِحَازِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ صَدْرَ الْأَفَاضِلِ وَالْإِمَامِ السَّيِّدِ
مَجْمُوعَ مَا رَوَيْتُهُ عَنْ أَلْفِ شَيْخٍ مِنْ رِوَاةِ الْمُسْنَدِ
فِي مِصْرَها مَعَ شَامِها وَعِرَاقِها وَحِجَازِها مِنْ مُتَمِّمٍ أَوْ مُنْجِدِ
وَجَمِيعَ مَا صَنَّفْتَهُ وَجَمَعْتَهُ فِي عِلْمِ فَقْهِ الشَّافِعِيِّ مُحَمَّدِ
فَلْيَزُو عَنِّي مَا رَوَيْتُ رِوَايَةً مَشْرُوطَةً بِتَوْثُقٍ وَتَشَدُّدِ
وَلْيَبْقَ فِي رَوْضِ الْعُلُومِ مُنْعَمًا بِسَعَادَةٍ وَسَعَادَةٍ وَتَأْيِيدِ

ترجمة السيوطي
لحازم القرطاجني

وإذ جرى ذكر حازم ، فلا بد أن نُورِدَ بعض التعريف به ، فنقول :

قال السيوطي في الطبقات :

حازم بن محمد بن محمد بن خلف بن حازم الانصاري القرطاجي النحوي ، أبو الحسن ، شيخ البلاغة والأدب .

قال أبو حيان : كان أوحدَ زمانه في النظم ، والنثر ، والنحو ، واللغة ، والعروض ، وعلم البيان . روى عن جماعة يقاربون ألف ؛ وروى عنه أبو حيان وابن رُشيد ، وذكره في رحلته ، فقال : حَبْرُ الْبُلَغَاءِ ، وبحر الأدباء ، ذو اختيارات فائقة ، واختراعات رائقة ، لا نعلم أحدا ممن لقيناه جمع [من علم اللسان ما جمع] ، ولا أحكم من معاهد علم البيان ما أحكم ، من منقول ومُبتدع ؛ وأما البلاغة فهو بحرُ العذب ، والمتفرد بحمل رايته أميراً في الشرق والغرب ؛ وأما حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها ، فهو سحّاد رواياتها ، وسحّال أوقارها ؛ يجمع إلى ذلك جَوْدَةَ التصنيف ، وبراعة الخط ؛ ويضرب بسهم في العقلية ، والدراية أغلب عليه من الرواية .

صنّف: مِراجِ البُلغاء في البلاغة ، وكتاباً في القوافي ، وقصيدةً في النحو على روى الميم ، ذكر منها ابن هشام في المغني أبياتاً في المسألة الزنبورية ، وقد ذكرناها [٦٤١] في الطبقات الكبرى مع أبيات آخر .

مولده سنة ثمان وست مئة ، ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربع وثمانين وست مئة .

ومن شعره :

من قال حَسْبِي من الوَرَى بَشَرٌ فحَسْبِي اللهُ حَسْبِي اللهُ
كَمْ آيَةٍ لِلإِلهِ شَاهِدَةٌ بَأَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ

انتهى كلام السيوطي .

تكملة المؤلف
لترجمة حازم

وأنزِد نحن ما أمكننا، حيث لم يوفّ السيوطي بحقه في الطبقات الشعري،
لأنها مبنية على الاختصار، ولم نقف على الطبقات الكبرى التي أحال عليها؛
فنقول:

قال بعض المؤرخين: هو حازم بن محمد بن الحسن بن حازم الأنصاري،
جعل والد الحسن حازما، وجعله الشيوطي محمدا، فلا ندرى هل هذا من النسبة
إلى الجد، فيرجع مع ما عند الشيوطي إلى وفاق، أو هما مختلفان؟

القرطاجني: منسوب إلى قرطاجنة من سواحل كورة تدمير، من شرقي
الأندلس. وهو خاتمة شعراء الأندلس الفحول، مع تقدمه في معرفة لسان
العرب وأخبارها، ونزل إفريقية بعد خروجه من بلد، فطار له بها صييت، وعمر
إلى أن مات بتونس، حضرة ملوكها، ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان،
من سنة أربع وثمانين وست مئة. وفي بعض الجواميع الأدبية من تأليف ابن
المرباط نزيل تونس، أنه كان في حضرة مراكش أيام الرشيد، انتهى.

[٦٤٢] قلت: وله في الرشيد أمداح كثيرة، أنشدها في الإشادة، ومدح الأمير
أباز كرباء، صاحب إفريقية، وولده أبا عبد الله المستنصر، وله ألف المقصورة
للمشهور، وقصر محاسنها على مدحه، ومدح أخاه أبي يحيى.

[ومطلعها (١):

لله ما قد هجّت يا يومَ النوى على فؤادي من تباريح الجوى

قلت: قد كنت ضمنت مطلعها باكتفاء وتورية فقلت:

لم أنسَ يوما للنوى عيوبة في نهر فاس شجن هاج الجوى

فقلت إذ ذكّرني معاهداً «لله ما قد هجت يا يوم النوى»
ومقصورته تدل على اطلاعه ، وصدّرها بخطبة بليغة جداً ، وتولى شرح
هذه المتصورة الشيخ أبو القاسم الشريف الحسنى القاضى كان بفرناطة ،
وسمّى شرحه هذا رفع الحُجُبِ المستورة عن محاسن المتصورة ، وملاؤه بكل غريبة ،
وقد طالعه غير مرة . وقد ألف الإمام المكوذى شارح الألفيه ، مقصورة بديعة
نبويه ؛ وعاب على ابن دُرَيْدٍ وحازم جعلهما مقصورتيهما مدحا في بنى الدنيا ،
فكان من جملة أبياتها :

فحازم قد عدّ غير حازم وابن دُرَيْدٍ لم يفده ما درى

وقد تولى شرح مقصورة المكوذى بعض أحنابنا ، وهو الكاتب الأديب
أبو عبد الله المكلانى أعانه الله تعالى] .

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة جيمية ، غريبة المنزاع ، لها صيت عظيم
عند الحذاق من أهل الأدب ، والنحارير من الفضلاء ، عارض بها في المعنى
رائية ابن عمار^(١) الوزير ؛ المعتمد بن عباد . وفضل غير واحد هذه الجيمية
الحازمية ، على تلك الرائية العمارية :

أدر المدامة فالنسيم مؤرج والروض مرقوم البرود مُدَبَّج
والأرض قد لبست برود جملها فكأنما هي كعاب تتبرج
والنهر مما ارتاح معطفه إلى لقيا النسيم عبابه متموج
يُمسِي الأصيل بمسجدي شعاعه أبدا يوشى صفحه ويدبج
وتروم أيدى الريح تسلب ما اكتسى فتزيده حسنا بما هي تنسج

جيميته التي
يعارض بها رائية
ابن عمار

(١) مطلع رائية ابن عمار :

أدر الزاججة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى

فارتح لشرب كُثُوسٍ راح نَوْرُها
 واسكُرْ بَنَشْوَةٍ لَحْظٍ مِّنْ أَحِبَّتْه
 واسمعْ إِلَى نَغَمَاتِ عُودٍ تَطْبِي
 بَمَّ وَزِيرٌ يُسْعِدَانِ مِثْلَانِيَا
 مَن لَمْ يُهَيِّجْ قَلْبَهُ ه—— ذَا فَمَا
 فَأَجَبُ فَقَدْ نَادَى بِالسُّنِّ حَالِه
 طَرَبَتْ جَمَادَاتُ وَأَفْصَحَ أَعْجَمُ
 أَفِيضُ الحَيِّ الْجَمَادُ مَسْرَّةً
 مَا الْعِيشَ إِلَّا مَا نَعِمْتَ بِهِ وَمَا
 مِمَّنْ يَرَوْكَ مِنْهُ رَدْفٌ مُرْدَفُ
 فَإِذَا نَظَرْتَ لَطَرَةً وَلَغْرَةً
 أَيْقَنْتَ أَنَّ ثَلَاثَهُنَّ وَمَا غَدَا
 لَيْلٌ عَلَى صَبْحٍ عَلَى بَدْرِ عَلَى
 كَأْسٍ وَمَحْبُوبٌ يَظَلُّ بِلَحْظِهِ
 يَا صَاحِبَ مَا قَلْبِي بِصَاحٍ عَنِ هَوَى
 وَبِمَهْجَتِي الطَّبِيِّ الَّذِي فِي أَضْلَعِي
 نَادَيْتُ حَادِي عَيْسِهِ يَوْمَ النَّوَى
 قَفْ أَيْهَا الْحَادِي أَوْدَعْ مَهْجَةً
 لَمَّا تَوَاقَفْنَا وَفِي أَحْدَاجِهَا
 نَادَيْتَهُمْ قُولُوا لِبَدْرِكُمُ الَّذِي
 يَحْيَا الْعَلِيلُ بِلَفْظَةٍ أَوْ لَحْظَةٍ

قالوا نخافُ يَزِيدُ قَلْبَكَ لَاعْجَا فَأَجَبْتَهُمْ خَلَوْا اللّٰوَاعِجُ تَلَعَجُ
وَبَكَيْتُ وَاسْتَبَكَيْتُ حَتَّى ظَلَّ مِنْ عَبَرَاتِنَا بَحْرٌ بِبَحْرِ يُمَزَّجُ
وَبَقِيَتْ أَفْتَحُ بَعْدَهُمْ بَابَ الْمُنَى مَا بَيْنَنَا طَوْرًا وَطَوْرًا يُرْتَجُ
وَأَقُولُ يَا نَفْسُ اصْبِرِي فَعَسَى النَّوَى بِصَبَاحٍ قَرَبٍ لَيْلُهَا يَتَبَاجُ
فَتَرَقَّبَ السَّرَّاءُ مِنْ دَهْرٍ شَجَا وَالدَّهْرُ مِنْ ضِدِّ لَضْدٍ يُخْرَجُ
وَرَجَّ فُرْجَةً كُلُّ هَمٍّ طَارِقٍ فَلِكُلِّ هَمٍّ فِي الزَّمَانِ تَقْرُجُ

[وتذكرت بهذه الجيمية قصيدة ابن قلايس الإسكندري ، رحمه الله تعالى :

جيمية ابن قلايس

عَرَضْتُ لِمُعْتَرِضِ الصَّبَاحِ الْأَبْلَجِ حَوْرَاهُ فِي طَرَفِ الظَّلَامِ الْأَدْعَجِ
فَتَمَرَّقَتْ شَيْةُ الدُّجَا عَنْ غُرَّتِي شَمْسِينَ فِي أَفْقٍ وَكِلَةٍ هَوْدَجِ
وَوَرَاءَ أَسْتَارِ الْحُمُولِ لَوَاحِظُ غَازِلِنَ مَعْتَدِلِ الْوَشِيحِ الْأَعْوَجِ
مِنْ كُلِّ مَبْتَسِمِ السَّنَانِ إِذَا جَرَى دَمْعُ النَّجْمِيعِ مِنَ الْكَهْمِيِّ الْأَهْوَجِ
وَلَقَدْ صَحِبْتُ اللَّيْلَ قَلَصَ بُرْدُهُ لُعَابَ بَحْرِ صَبَاحِهِ الْمَتَمَوِّجِ
وَكَأَنَّ مَنَشَرَ النُّجُومِ لَأَيُّ نَظِمْتُ عَلَى صَرَحٍ مِنَ الْفَيْزِ وَزَجِ
وَسَهَرْتُ أَرْقَبُ مِنْ سُهَيْلٍ خَافَقًا مُتَفَرِّدًا وَكَأَنَّهُ قَلْبُ الشَّجِي
وَاسْتَمَعَرْتُ مُقَلَّ السَّحَابِ فَأُخْحِكْتُ مِنْهَا ثَعُورَ مُعَوِّفٍ وَمَدَجِ

وابن قلايس هذا له في النظم الباع المديد ؛ ومن محاسنه قوله رحمه الله تعالى :

ولابن قلايس أيضا

سَدَدُوهَا مِنَ الْقُلُوبِ رِمَاحًا وَانْتَضَوْهَا مِنَ الْجَفُونِ صِفَاحًا

يا لها حالة من السَّلمِ حالت فاستحالت—ولا كِفاح—كِفاحاً
 صحَّ إذ أذرت العيونُ دماءً أنَّهُم أثخنوا القلوبَ جراحاً
 يا فؤادى وقد أخذتَ أسيراً أنقظتَ أم وَضَعْتَ سلاحاً
 قلْ لأعدائكِ التي اقتسموها ضربوا فيكِ بالعيونِ قداحاً
 عجيباً للجفونِ وهى مِراضٌ كيفَ تستأسِرُ القلوبَ الصَّحاحاً
 آه من مَوْقفٍ يَرُدُّ به المُغـرَّم لو مات قبله فاستراحاً
 حيثُ يخشى أن يَنْظِمَ اللمُّ عقداً فيه أَوْ يَفْقِدَ العِناقُ وشاحاً

رجع إلى قول حازم رحمه الله تعالى :

فمن قوله من قصيدة :

فَتَقَّ النَّسِيمُ لَطَائِمَ الظَّلمَاءِ عن مِسْكِةٍ قَطَرَتْ مع الأنداءِ
 وغدا الصِّباحُ يَفُضُّ خاتَمَ عَنبرٍ بالشرقِ عن كافورةٍ بيضاءِ
 والـسُّكوكُ الدُّرَى يَزْهُو ساجحاً في مائه كالـدُّرةِ الزَّهراءِ
 وكأنا ابنُ ذِكَاءٍ يَذُكِّي مَجْمَراً منه يُفِيدُ الرِّيحَ طيبَ ذِكَاءِ

وقال صاحبه الله من قصيدة في المستنصر :

أَمِنْ بَارِقٍ أَوْرى بِجُدُجِ الدُّجَى سِقْطاً تَذَكَّرْتَ مَنْ حَلَّ الأَبَارِقَ فَالسَّقْطَا
 وبانٍ ولكن لم يبين عنك ذكره وَسَطاً ولكن طيفه عنك مَاشِطاً
 حبيبٌ لو أنَّ البدرَ جَراه في مَدَى من الحسنِ لاسْتَدْنَى من البدرِ واستَبْطَا
 سَقَى اللهُ عيشاً قد سَقانا من الهَوَى كَثُوساً بِمَعْسُولِ اللَّمَى ^(١) خُلِطَتْ خُلُطَا

(١) في ط : « المني » .

ولحازم في الوصف

وله يتغزل

في صدر قصيدة مديحية

وله مطلع قصيدة :

سُلْطَانُ حُسْنٍ عَلَيْهِ لِلسَّابِغِ عِلْمٌ إِذَا رَأَتْهُ جِيُوشُ الصَّبْرِ تَهَزُّمُ

وقال رحمه الله يصف وردة بيضاء :

وله يصف وردة

وَمُبِیْضَةُ الْأَثْوَابِ تُدْعَى بِوَرْدَةٍ تَقِلُّ لَهَا الْأَشْبَاهُ عِنْدَ التَّمَاهِهَا
أَنَافَتْ عَلَى سَاقٍ لِتَشْرَبَ عِنْدَمَا أَشَارَتْ لَهَا كَفُّ الْبُرُوقِ بِكَامِهَا [٦٤٤]
كَجَارِيَةٍ قَامَتْ بِبَيْضِ غُلَّالٍ مُرَقَّعَةٍ أَذْيَالَهَا حَوْلَ رَاسِهَا

ومن بدیع نظمه رحمه الله تعالى تضمينه قصيدة امرئ القيس ، وصرف
معناها إلى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهي من غرر القصائد :

تضمينه معلقة
امرئ القيس

أَعِينِيكَ قُلْ إِنْ زَرْتِ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ « قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ »
وَفِي طَيِّبَةٍ فَانْزِلْ وَلَا تَغْشَ مَنْزِلًا « بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ خَوْمَلٍ »
وَزُرْ رَوْضَةً قَدْ طَالَمَا طَابَ نَشْرُهَا « لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ »
وَأَثْوَابَكَ اخْلَعْ مُحَرِّمًا وَمَصَدَّقًا « لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ »
لَدَى كَعْبَةٍ قَدْ فَاضَ دَمْعِي لِبُعْدِهَا (١) « عَلَى النَّخْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي »
فِيَا حَادِيَ الْآبَالِ سِرِّي وَلَا تَقْلُ « عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا مُرَأ الْقَيْسِ فَانْزِلِ »
فَقَدْ حَلَقْتَ نَفْسِي بِذَلِكَ وَأَفْسَمْتُ « عَلَى » وَأَلْتَ حَلْفَةً لَمْ تَحْلَلِ «
فَقُلْتُ لَهَا لَا شَكَّ أُنِّي طَائِعٌ « وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ »
وَكَمْ حَمَلْتُ فِي أَظْهَرِ الْعِزْمِ رَحْلَهَا « فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ »
وَعَاتَبْتَ الْعِجْزَ الَّذِي عَاقَ عِزْمَهَا « فَقَالَتْ لَكَ الْوِيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي »

نَبِيٌّ هُدَى قَدْ قَالَ لِلْكَفَرِ نُورُهُ
 تَلَا سُورًا مَا قَوْلُهَا بِمَعَارِضِ
 لَقَدْ نَزَلَتْ فِي الْأَرْضِ مِلَّةٌ هَدِيهِ
 أَتَتْ مَغْرِبًا مِنْ مَشْرِقٍ وَتَعَرَّضَتْ
 فَفَازَتْ بِلَادُ الشَّرْقِ مِنْ زِينَةِ بَهَا
 فَصَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا لَاحَ بَارِقُ
 نَبِيٌّ غَزَا الْأَعْدَاءَ بَيْنَ تَلَائِعِ
 فَكَمْ مَلِكٍ وَافَاهُ فِي زِيٍّ مُنْجِدِ
 وَكَمْ مِنْ يَمَانٍ وَاضِحٍ جَاءَهُ اكْتَسَى
 وَمِنْ أَبْطَحِيٍّ نَيْطَ مِنْهُ نَجَادُهُ
 أَزَالُوا بِيَدْرٍ عَنْ سُرُوجِهِمُ الْعِدَا
 وَنَادَوْا طَبَاهُمُ لَا يَفْتَكُ فَتَى وَلَا
 وَفَضَّ جُمُوعًا قَدْ غَدَا جَامِعًا بِهَا [٦٤٥]
 وَأَحْمَوْا وَطَيْسًا فِي حُنَيْنٍ كَانَهُ
 وَنَادَوْا بَنَاتِ النَّبْعِ بِالنَّصْرِ أَثْمَرِي
 وَمِنْ أَلِهَ سَدَدَتْ سَهْمِينَ فَاضْرِبِي
 فَمَا اغْنَتْ الْأَبْدَانُ دِرْعُهَا اكْتَسَتْ
 وَأُخِضَتْ لَوَالِيهَا وَمَالَكُمَا الْعِدَا
 وَقَدْ فَرَّ مُنْصَاعٌ كَمَا فَرَّ خَاضِبُ
 وَكَمْ قَالَ يَا لَيْلَ الْوَعَى طُلْتَ فَأَنْبِلِدِجْ
 فَلَيْتَ جَوَادِي لَمْ يَسِرْ بِي إِلَى الْوَعَى
 « أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِ »
 « إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمَعْطَلِ »
 « نَزُولَ الْيَمَانِيِّ ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ »
 « تَعَرَّضَ أَثْنَاءَ الْوَسَّاحِ الْمُفْضَلِ »
 « بِشِقِّ وَشِقِّ عِنْدَنَا لَمْ يُحَوَّلِ »
 « كَلِمَةِ الْيَدَيْنِ فِي حَيٍّ مُكَلَّلِ »
 « وَبَيْنَ إِكَامٍ بَعْدَ مَا مُتَأَمَّلِ »
 « بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْسَلِ »
 « بِضَافٍ فَوَيْقِ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ »
 « بِجَيْدٍ مُعَمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوَّلِ »
 « كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزَلِ »
 « كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بِحَادٍ مُزْمَلِ »
 « لَنَا بَطْنٌ حَقِيفٌ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ »
 « إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ غَلَى مَرَجَلِ »
 « وَلَا تُبْعِدِينَا مِنْ جَنَّاكِ الْمَعْلَلِ »
 « بِسَهْمِيكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ »
 « تَرَانِيهَا مَعْصُومَةٌ كَالسَّجَنَجَلِ »
 « يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَّلِ »
 « لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلِ »
 « بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ »
 « وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ »

وكم مُرتَقِي أوطاس منهم بِمُسْرِجٍ
وَقَرَطُهُ خُرُصًا^(١) كَمَصْبَاحِ مُسْرِجٍ
فَيَرْتَوُّ لَهَا دِ فَوْقَ هَادِيهِ طَرَفُهُ
وَيَسْمَعُ مِنْ كَافُورَتَيْنِ بِجَانِبَيْ
تَرْفَعُ أَنْ يُعْزَى لَهُ شَدْ شَادِنٍ
وَلَكِنَّهُ يَنْقُضِي كَمَا سَمَرٌ مُزِيدٌ
وَيَنْفُشِي الْعِدَا كَالسَّهْمِ أَوْ كَالشَّهَابِ أَوْ
جِيَادُ أَعَادَتْ رَسْمَ رُسْتَمٍ دَارِسًا
وَرَبِعَتْ بِهَا خَيْلُ الْقِيَاصِرِ فَاخْتَفَتْ^(٢)
سَبَتْ عُرْبًا مِنْ نِسْوَةِ الْعُرْبِ تَسْمِي
وَكَمْ مِنْ سَبَايَا الْفُرْسِ وَالصُّفْرِ أَسْهَرَتْ
وَحُزْنَ بُدُورًا مِنْ لِيَالِي شُـوْرَهَا
وَأَبَقَتْ بِأَرْضِ الشَّامِ هَامًا كَانَهَا
وَمَا جَفَّ مِنْ حَبِّ الْقُلُوبِ بِغُورَهَا
لَخُضْرَاءَ مَا دَبَّتْ وَلَا نَبَتَتْ بِهَا
شَدَا طَيْرُهَا فِي مُشْمِرِ ذِي أَرْوَمَةٍ
فَشَدَّتْ بَرُوضٍ لَيْسَ يَذْبُلُ بَعْدَهَا
وَكَمْ هَجَرَتْ فِي الْقَيْظِ تَحْكِي دَوَارِعًا

« مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلُ »
« أَهَانَ السَّلِيمُ فِي الذُّبَالِ الْمُتَقَلُّ »
« بِنَظَرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفِلُ »
« أَثْبِتْ كَقِفْنِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَنِّكِلُ »
« وَإِزْخَاهُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَقْفُلُ »
« يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحُ السَّكَنَهَبِلُ »
« كَجَلْمُودٍ صَخِرَ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ »
« وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُوَلِّ »
« جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيْلُ »
« إِذَا مَا اسْبَكَرْتَ بَيْنَ دِرْعٍ وَجُحُولِ »
« نَوُومُ الْغُصْحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَنْفُلِ »
« تَصِلُ الْمَدَارِي فِي مُثْنَى وَمُرْسَلِ »
« بِأَرْجَائِهَا الْقَصْوَى أَنَا بَيْشُ عُنْصُلِ »
« وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فَلْفُلِ »
« أَسَارِيْعُ ظُنْبِي أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحِلِ »
« وَسَاقِي كَأَنْبُوبِ السَّقْيِ الْمَذَلِّ »
« بِكُلِّ مُغَارٍ الْقَتْلُ شَدَّ بِيْذْبُلِ »
« عَذَارَى دَوَارٍ فِي الْمَلَأِ الْمَذِيلِ »

[٦٤٦]

(١) الخرس « بالضم ويكسر » : حلقة الذهب والفضة أو حلقة القرط ، أو الحلقة

الصغيرة من الحل . يريد بها الحلقة التي في عذار اللجام .

(٢) في م : « فاغتدت » .

وكم أذلجت والقطرُ يهفو هزيره
وخصن سبيولا فضن بالبيد بعد ما
وكم ركزوا رحما بدغص كأنه
فلم تبين حصنا خوف حصنهم العدا
فهدت بعضب شد^(١) بعد صقاله
وجيش بأقصى الأرض ألقى جرائه
يدك الصفا دكا ولو مرة بعضه
دعا النصر والتأييد رايته اسحبي
لواء منير الفضل طاو كأنه
كأن دما الأعداء في عذباته
صحاب برؤوا هام العداة وكم قرؤوا
وكم أكثروا ما طاب من لخم جفرة
وكم جنب من غبراء لم يسق نبثها
حسكي طيب ذكراهم ومز كفاحهم
لأمداح خير الخلق قلبي قد صبا
فدغ من لأيام صلحن له صبا
وأصبح عن أم الحويرث ما سلا
وكن في مديح المصطفى كمدبج
وأمل به الأخرى ودنياك دغ فقد

« ويُلوي بأثواب العنيف المثل »
« أثرن غبارا بالكديد المركل »
« من السيل والغماء فلكة مغزل »
« ولا أطما إلا مشيدا بجندل »
« بأمراس كتان إلى صم جندل »
« وأزدف أعجازا وناء بكل كل »
« وأيسره على الستار فيذبل »
« على أثربنا ذيل مرط مرحل »
« منارة ممسى راهب متبئل »
« عصاره حنفاء بشيب مرحل »
« صفيف شواء أو قدير معجل »
« وشخم كهذاب الدمقس المفتل »
« دراكا ولم ينضج بناء فيعسل »
« مذك عروس أو صلاية حنظل »
« وليس صباى عن هواها بمنسل »
« ولا سيما يوم بدارة جمل »
« وجارتها أم الرباب بمأسل »
« يقلب كفيه بخيط موصل »
« تمتعت من لهورها غير معجل »

وَكَمْ لِنَبِيٍّ لِلْفَوَادِ مُنَابِثٍ^(١) «نَصِيحٍ عَلَى تَعَذُّلِهِ غَيْرِ مُؤْتَلٍ»
يُنَادِي إِلَهِي إِنْ ذَنْبِي قَدْ عَدَا «عَلَى بِأَنْوَاعِ الْمَعْمُومِ لِيَبْتَلِي»
فَكُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ شَيَاطِينِ شَهْوَةٍ «عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يُشِيرُونَ مَقْتَلِي»
وَيُنْشِدُ دُنْيَاهُ إِذَا مَا تَدَلَّلَتْ «أَفَاطَلَمْ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ»
فَإِنْ تَصَلَّى حَبَلِي بِخَيْرٍ وَصَلَّتُهُ «وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمْتَ صَرْمِي فَأَجْمَلِي» [٦٤٧]
وَأَحْسِنْ بِقَطْعِ الْحَبْلِ مِنْكَ وَبَنِي «فَسَلِّ ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِ»
أَيَا سَامِعِي مَدْحَ الرَّسُولِ تَنْشَقُّوْا «نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِّيًّا الْقَرَنُفُلُ»
وَرَوْضَةَ حَمْدٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ «غَذَاهَا تَبْرِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْحَالِ»
وَيَا مَنْ أُنِيَ الْإِضْعَاءُ مَا أَنْتَ مُهْتَدٍ «وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْعَمَاةَ تَنْجَلِي»
فَلَوْ مُطْفِئًا أَنْشَدْتُهَا لَفَطَهَا ارْعَوْتَ «فَالْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مُحْوَلِ»
وَلَوْ سَمِعْتُهُ عُفْمَ طَوْدٍ أَمَانَهَا «فَأَنْزَلْ مِنْهَا الْعُفْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزَلِ»

وقال رحمه الله في مثل هذا الغرض ، مؤديا من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المفترض ، مضمنا قصيدة أخرى لامرئ القيس :

وله في مدح
الرسول

أَقُولُ لِعَزْمِي أَوْ لِمَصَالِحِ أَعْمَالِي «أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَثِيهَا الطَّالُّ الْبَالِي»
أَمَّا وَاعْظِي شَيْبُ سَمَا فَوْقَ لَيْلِي «سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ»
أَمَّا رَ به لَيْلُ الشَّبَابِ كَأَنَّهُ «مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لَقَقَالِ»
نَهَانِي عَنْ غَيٍّ وَقَالَ مِنْهَبًا «أَلَسْتُ تَرَى الشُّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي»
يَقُولُونَ غَيْرُهُ لَتَنْعَمَ بَرْهَةً «وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي»

(١) النبيث : ما يستخرج من البئر من التراب ، شبه به ما في القاب من خواطر السوء .
والمناثب في الأصل : الذي يستخرج التراب ، والمراد هنا من يستخرج أسرار غيره .

أَغْلَظُ دَهْرِي وَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي
وَمُؤْنِسُ نَارِ الشَّيْبِ يَقْبُحُ لَهُوهُ
أَشْيَخًا وَتَأْتِي فَعْلَمٌ مِنْ كَانَ عَمْرُهُ
وَتَشْفَقُكَ الدُّنْيَا وَمَا إِنَّ شَفَقَتَهَا
أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا إِذَا مَا اعْتَبَرْتَهَا
فَأَيْنَ الَّذِينَ اسْتَأْثَرُوا قَبْلَنَا بِهَا
ذَهَلْتُ بِهَا غَيًّا فَكَيْفَ اخْلَاصَ مِنْ
وَقَدْ عَلِمْتُ مَنَى مَوَاعِيدُ تَوَاتِي
وَمُذْ وَثِقْتُ نَفْسِي بِحَبِّ مُحَمَّدٍ
وَأَصْبَحَ شَيْطَانُ الْغَوَايَةِ خَاسِئًا
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَقُولُ عِزَائِمِي
فَأَنْزَلَ دَارًا لِلرَّسُولِ نَزِيلُهَا [٦٤٨]
فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَاوَرَتْ خَيْرَ مَرْسَلٍ
وَمِنْ ذَكَرِهِ عِنْدَ الْقَبُولِ تَعَطَّرَتْ
جِوَارُ رَسُولِ اللَّهِ بِحَبِّ مُؤْتَلٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْبِي عِنَانَ الشَّرَى وَقَدْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الظَّالِمَةَ اسْتَشْفَعَتْ بِهِ
وَقَالَ لَهَا عُودِي فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ
فَعَادَتْ إِلَيْهِ وَالْهَوَى قَائِلٌ لَهَا
وَيَا لَبِئْسَ مَا لَكَ قَالَ أَرْزَمَ مَا لَكَ
وَتَوَرَّ ذَبِيحٍ بِالرَّسَالَةِ شَاهِدٍ

« كَبُرْتُ وَالْأَلَا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْشَالِي »
« بَا نِسَةٍ كَأَنَّهَا خَطٌّ تِمَشَال »
« ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَال »
« كَمَا شَغَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي »
« دِيَارُ لِسَلَمَى عَافِيَاتُ بَذَى خَال »
« لَنَامُوا فَمَا إِنَّ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَال »
« لَعُوبٌ تُمَسِّنِي إِذَا قَتَّ سِرْبَالِي »
« بَانَ الْقَتَى يَهْدِي وَلَيْسَ بِفَعَال »
« هَصَرْتُ بَغْضَنَ ذِي شِمَارِيحٍ مَيَّال »
« عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّئُ الظَّنِّ وَالْبَال »
« لَخِلْيَ كَرَّى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَال »
« قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبْيِيتُ بِأَوْجَال »
« يَبْثِرَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرُهُ عَالِي »
« صَبَاً وَشِمَالٌ فِي مَنَازِلٍ قُفَال »
« وَقَدْ يَذْرُكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْشَالِي »
« كَفَانِي وَلَمْ يُطْلَبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ »
« تَمِيلُ عَلَيْهِ هُونَةٌ غَيْرُ مَجْفَال »
« وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي »
« وَكَانَ عِدَاءُ الْوَحْشِ مَنَى عَلَى بَالِي »
« لَيْمَتُمْنِي وَالْمَرَّةُ لَيْسَ بِقَتَّال »
« طَوِيلُ الْقَرَأِ وَالرَّوْقِ أَخْنَسَ ذِيَال »

وَحَنَّ إِلَيْهِ الْجِدْعُ حَنَّةً عَاطِشٍ « لَغَيْثٍ مِّنَ الْوَسْمَى رَائِدُهُ حَالٍ »
وَأَصْلَيْنِ مِنْ نَحْلٍ قَدْ التَّامَا لَهُ « بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لَيْنٍ مَسٍّ وَتَسْهَالٍ »
وَقَبْضَةٍ تُرَبِّ مِنْهُ ذَلَّتْ لَهَا الظُّبَا « وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ »
وَأَضْحَى ابْنُ جَعَشٍ بِالْعَسِيدِ مُقَاتِلًا « وَلَيْسَ بِذِي رُمُحٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالٍ »
وَحَسْبُكَ مِنْ سَوْطِ الطُّفَيْلِ إِضَاءَةٌ « كَصَبَاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ دُبَّالٍ »
وَبَدَّتْ بِهِ الْعَجْفَاءُ كُلَّ مُطَهَّمٍ « لَهُ حَجَبَاتٌ مَشْرِفَاتٌ عَلَى الْقَالِ »
وَيَا خَسْفَ أَرْضٍ تَحْتَ بَاغِيهِ إِذَا عَلَا « عَلَى هَيْكَلٍ نَهْدِ الْجُزَارَةِ جَوَالٍ »
وَقَدْ أَخَذَتْ نَارًا لِفَارَسٍ طَالِمَا « أَصَابَتْ غَضَى جَزَ لَا وَكُفَّ بِأَجْزَالٍ »
أَبَانَ سَبِيلَ الرُّشْدِ إِذْ سُبُلُ الْهُدَى « يَقْلُنَ لِأَهْلِ الْحِلْمِ ضَلًّا بِتَضَالٍ »
لأَحْمَدَ خَيْرَ الْمُرْسَلِينَ انْتَقِيَتْهَا « وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صُعْبَةً أَى إِذْلالٍ »
وَأِنْ رَجَائِي أَنْ أُلَاقِيَهُ غَدًا « وَلَسْتُ بِمَقْلِي الْخِلَالِ وَلَا قَالِي »
فَأَذْرِكْ آمَالِي وَمَا كُلُّ آمَلٍ « بِمَذْرِكِ أَطْرَافِ الْخَطُوبِ وَلَا آلِي »

٣٢

قلت : هكذا وجدت بخط بعض أعلام مرَّا كش نسبة هذه القصيدة لأبي الحسن حازم المذكور ، واعتمدت على هذه النسبة ، ثم بان لي خطأها ، وإنما هذه القصيدة من نظم الفقيه العلامة أبي بكر بن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ القرطابى ، حسبما نصَّ على ذلك غير واحد .

تحقيق نسبة
القصيدة السابقة

ولنوردُ كلام بعض الأئمة في حقه ، لأن فيه المطلوبَ وزيادة ، ونصّه ^(١) : [٦٤٩]

محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ ،

ترجمة أبي القاسم
ابن جزى

(١) هذه الترجمة لأبي القاسم بن جزى ، والد أبي بكر صاحب القصيدة ، وستأتى ترجمته

بعد والده .

يُكْنَى أبا القاسم ، من أهل غرناطة ، وذوى الأصالة والنباهة فيها ، وأصل سلفه من وَلَبَه ، من حصن البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح ، نُحْبَةً قريبهم أبي الخطَّار حُسام بن ضِرار الكَلْبِي ، وعند خلع دعوة المرابطين كان لجدهم [يَحْيَى] بِجَيَّان ، رئاسة وانفراد بالتدبير .

وكان رحمه الله على طريقة مُثَلًى ، من العُكُوف على العلم ، والافتقار من حُرِّ النَّشَب ، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، فقيها حافظا ، قاعما على التدريس ، مشاركاً في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب ، حافظاً للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جماعةً للكتب ، مُلَوِّكِي الخِزَانَةِ ، حَسَنَ المجلس ، مُتَمِّعَ المحاضرة ، قريب الغَوَر ، صحيح الباطن ؛ تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده ، على حَدَاثَةِ سِنِّهِ ، فَاتَّقَوْا عَلَى فَضْلِهِ ، وَجَرَى عَلَى سَنَنِ أَصَالَتِهِ .

ومن شيوخه الأستاذ أبو جعفر بن الزبير وابن الكَمَّاد وابن رُشَيْد والحضرمي وابن أبي الأحوص وابن برطال ، وأبو عامر بن ربيع الأشعري والولي أبو عبد الله الطَّنْجَالِي ، وابن الشاط .

توابعه : كتاب « وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم » ؛ و « الأنوار السَّنِّيَّة في الكلمات السَّنِّيَّة » ؛ وكتاب « الدعوات والأذكار » ؛ وكتاب « القوانين الفقهية » ؛ وكتاب « تقريب الوُصُول إلى علم الأصول » ، وكتاب « النور المبين في قواعد عقائد الدين » ؛ إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات .

سُمره : قال في الأبيات الغينية ، ذاهبا مذهب الجماعة ، كآبي العلاء المعري ، والرئيس ابن المظفر ، وأبي الطاهر السلفي ، وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي الربيع

ابن سالم ، وأبي علي بن [أبي] الأحوص ، وغيرهم :

لـكـلّ بـنـى الدّنيا مُرادٌ ومُقـصـدٌ وإنّ مُرادى صـحـةٌ وفـراغٌ
لأبـلـغ في علم الشريعة مـبـلـغاً يـكـون به لى لـجـنـان بـلـاغٌ
ففى مثل هذا فلينافس ذوو النـهـى وحسبى من دار الفـرور بـلـاغٌ
فما الفوز إلا فى نعيم مُؤبـدٍ به العيش رَغـدٌ والشـرابُ يساغُ

وقال فى مذهب الفخر :

وله يفخر بعفته

وكم من صفـحـة كالشمس تبدو فيسـلـى حـسـنها قلب الحـزـين
غـضـضت الطرف عن نظـرى إليها محافـظـة على عـرضـى ودينى

[انتهى] .

ومن مشهور نظمـه رحمه الله :

وله فى جلال
مقام النبوة

أروم امتـداح المصطفى فيردنى قصورى عن إدراك تلك المناقب
ومن لى بحضـر البحر والبحـر زاخرٌ ومن لى بإحصاء العمى والكواكب
ولو أن أعضائى غدت وفى السنّ لما بلغت فى القول بعض ما ربى
ولو أن كلّ العالمين تألفوا على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأقـصـرت عنه هيبةٌ وتأدّبـا وعجزا وإعظاماً لأعظم جانب
وربّ سكوت كان فيه بلاغةٌ ورب كلام فيه عيب لعائب^(١)

ورأيت بخط الإمام ابن داود أن قوله وكم من صفحة ... البيتين ، ليس

(١) كذا فى ط ، م . وفى ص والديباج لابن فرحون ونفع الطيب : « عتب لعائب » .

من كلامه ، بل من كلام ابنه أبي بكر ، وهو خطأ ، لأن ابن الخطيب ذكر في
الكتيبة أن البيتين للشيخ أبي القاسم لا لابنه أبي بكر ، والله الموفق .
ثم قال هذا المعروف بابن جُزَيّ :

[٦٥١] مولده : يوم الخميس التاسع لربيع الثاني من عام ثلاثة وتسعين وست مئة .
وفاته : فقِدَ وهو يُحرِّضُ الناس وَيَشجِدُ بصائرهم وَيُثَبِّتُهُمْ ، يوم الكائنة
بطريف ، ضَحوة يوم الاثنين ، السابع لجمادى الأولى عام واحدٍ وأربعين وسبع مئة .
تَقَبَّلَ الله شهادته . [انتهى] .

وله في الرجوع
إلى الله

ولنختم ترجمته بقوله [رحمه الله تعالى ، وعفا عنا وعنه بمنه] :
يَا رَبِّ إِنِّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ عَظُمَتْ فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عَدَدًا
وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ ^(١) مِنْ قَبْلِ وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلَدًا
فَانْظُرْ إِلَيَّ إِلَى ضَعْفِي وَمَسْكَنَتِي وَلَا تَذِقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا

ثم قال في التعريف بولده أبي بكر المقصود ذكره هنا ، وهو الذي أُلِّفَ له ^(٢)
أبوه الأنوار السنية ، ما نصّه :

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن جُزَيِّ الكلبي ، يُكنى أبا بكر ، من أهل الفضل
والزاهة والهمة ، وحسن السمّت ، واستقامة الطريقة ، غَرَّبَ في الوقار ، ومال
إلى الانقباض ، وله مشاركة حسنة في فنون ، من فقه وعربية وخط ورواية وأدب ،
وشعر تسمو ببعضه الإجابة إلى غاية بعيدة ، وقرأ على والده ولازمه ، واستظهر
ببعض تأليفه ، وتفقه وتآدب به ، وقرأ على بعض معاصري أبيه ، ثم ارتسم في

(١) كذا في ص ، م والديباج لابن فرحون . وفي ط : « الله » .

(٢) كذا في الأصول . وفي نفع الطيب « أو » بدل « له » .

الكتابة السلطانية لأول دولة السلطان أبي الحجاج بن نصر ، وولي القضاء
ببرجة وبأندرش ، ثم بوادي آش ، مشكور السيرة ، معروف النزاهة .

ومن شعره :

شعر له في حب
الناس للعالم

أرى الناس يؤلون الغنى كرامةً وإن لم يكن أهلاً لرفعةٍ مقدارٍ
ويؤلون عن وجه الفقير وجوههم وإن كان أهلاً أن يُلاقى بإكبارٍ
بنو الدهر جاءتهم أحاديثُ حمةٍ فما صحّحوا إلا حديث ابن دينار

ومن بديع ما صدر عنه تصدير أعجاز قصيدة امرئ القيس بقوله :

تصدير أعجاز
قصيدة امرئ
القيس

أقول لعزى أو لصالح أعمالي « ألا عم صباحا أيها الطلل البالي »
ثم سرد منها أحد عشر بيتا إلى قوله :

فأين الذين استأثروا قبلنا بها « لنأموا فما إن من حديث ولا صال » [٦٥٢]
ثم قال ما نصه : وهي ثمانية وأربعون بيتا ؛ ولا خفاء ببراعة هذا النظم ،
وإحكام هذا النسيج ، وشدة هذه العارضة .

وله تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية ، ورجز في
الفرائض ، وإحسانه كثير .

بعض تواليفه
وأعماله

وتقدم قاضيا للجماعة بمحضرة غرناطة ثامن شوال عام ستين وسبع مئة ، ثم
صُرف عنها . ثم لما توفى الأستاذ الخطيب العالم الشهير ، أبو سعيد فرج بن
لُبّ رحمه الله تعالى ، وكان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة ، وُلّي عَوْضا منه
أستاذًا وخطيبا ، عام اثنين وثمانين وسبع مئة ، فبقي في الخطابة ثلاثة أعوام ،
ثم توفى . وأظن أن وفاته إنما كانت في أواخر عام خمسة وثمانين وسبع مئة ،
رحمه الله تعالى . انتهى .

ولاشك أن ما ذكره هذا الإمام في حق والده ، إنما هو من كلام ابن الخطيب في الإحاطة ، والله أعلم .

ترجمة أبي
عبدالله بن جزي

ولأبي بكر بن جُزَيِّ هذا أخ كاتب مجيد ، من عجائب الزمان ، وهو الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير أبي بكر عبد الرحمن ، الثائر بجيَّان ، ابن يوسف بن سعيد الغرناطي ، المتوفى بفاس في عام ثمانية وخمسين وسبع مئة رحمه الله ، وقيل بل تُوُفِّيَ آخر شوال من السنة قبلها مَبْطُونًا ، رحمه الله .

قلت : وهذا هو الصواب في وفاته ، فإني رأيت بخط من يُوثَّق به من الأعلام الذين عرفوا حاله ^(١) ، أنه تُوُفِّيَ بداره من البيضاء ، قُرب المغرب من يوم الثلاثاء التاسع والعشرين لشوال ، من عام سبعة وخمسين وسبع مئة ، وكان دفنه يوم الأربعاء بعد صلاة العصر ، وراء الحائط الشرقي الذي بالجامع الأعظم ، من المدينة البيضاء ؛ وكان مولده في شوال من عام واحد وعشرين وسبع مئة . انتهى . [٦٥٣]

يكفى أبا عبد الله . قال ابن الأحرر في نثر الجمان : أدركته ورأيت ، وهو من أهل بلدنا غرناطة ، وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المُفْتِيَيْن بها ، عالم الأندلس ، الطائفة فتياء منها إلى طرائس ، وقُتِلَ شهيدا في المُعْتَرَك ، في الواقعة التي كانت للنصارى ، دمرهم الله ، بطريف على المسلمين ، في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، بعد أن أبلى بلاء حسنا .

وأبو عبد الله محمد هذا كتب بالأندلس في حضرة ابن عم أبنينا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ، وله فيه أمداح عجيبة ، ولم يزل كاتباً في الحضرة الأحرية

النَّصْرِيَّة ، إلى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج ابن عمّ أبينا .
قلت : كان هذا الامتحان الذي ذكره ابن الأحمر ، هو أنه ضربه بالسياط
من غير ذنب اقترفه ، بل ظلمه ظلماً بئساً . هكذا ألقىته في بعض المَقِيدَات ،
والله أعلم .

ثم قال ابن الأحمر : فقَوَّضَ الرجال عن الأندلس ، واستقرَّ بِالْعُدُوَّة ، فكتب
بالخضرة المرينية ، لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عَنان ، إلى أن تُوفِّيَ بها
رحمه الله .

هاله رحمهم الله :

طلع في سماء العلوم بَدْرًا مُشْرِقًا ، وسارت براعته غريبًا وَشَرِيفًا ، وسما بشعره
فوق الفرقدين ، كما أَرَبَى بثره على الشُّعْرَى والبُطَيْن ، له باع مديد في التاريخ ،
واللغة ، والحساب ، والفقه ، والنحو ، والبيان ، والآداب ، بصيرا بالأصول
والفروع والحديث ، عارفاً بالماضي من الشعر والحديث ؛ إن نَظَّمَ أنساك أبا ذُوَيْبٍ
بِرِقَّةً ، ونُصِيبًا بِمَنْصِبِهِ ونَخَوْتَهُ ؛ وإن كتب أَرَبَى على ابن مُقْلَةٍ بِخَطِّهِ ،
وإن أنشأ رسالة أنساك العمد بحسن مَسَاقِهَا وضبطه ؛ وهو رب هذا الشأن ، [٦٥٤]
وفارس هذا الميدان ؛ ومع تَفَنُّنِهِ في العلوم فهو في الشعر قد نَبَغَ ، وما بلغ أحدٌ
من شعراء عصره منه ما بلغ ؛ بل سَلَمُوا التَّقَدُّمَ فيه إليه ، وأَلَقُوا زِمَامَ الاعتراف
بذلك في يديه ؛ ودخلوا تحت راية الأدب التي حمل ، إذ ظهر ساطع براعته ظهور
الشمس بِالْحَمَلِ .

أنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي
الوليد إسماعيل ، عمّ أبينا ، ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، ابن جدنا

قصيدة له في مدح
أبي الحجاج
يوسف

الأمير أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحر ،
ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر ، محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن
نضر الخزرجي ، هذه القصيدة البارة ، وحذف منها الرءاء المهمة :

قَسَمًا بوضّاحِ السَّنى وهَّاجِ مِنْ تَحْتِ مَسْبُولِ الذَّوَابِ دَاجِ
وَبَابِلَجٍ بِالمسكِ خُطَّتْ نُونُهُ مِنْ فَوْقِ وَسنَانِ اللّواحِظِ سَاجِ
وَبِحُسْنِ خَيْدٍ دُبَّجَتْ صَفَحَاتُهُ فَعَدَّتْ تَحَاكِي مُذْهَبِ الدِّيَبِاجِ
وَبِمَسْمِ كَالْعَقْدِ نُظِمَ سِلْكُهُ وَلَمْ يَحْكَمْ الصَّهْبَاءُ دُونَ مِزَاجِ
وَبِمَنْطِقِ تَصْبُو القُلُوبِ لِحُسْنِهِ أَنْسى الْمَسَامِعَ نَعْمَةَ الْأَهْزَاجِ
وَبِمَائِسِ الْأَعْطَافِ تَتَنَبَّه الصَّبَا فَيَمِيسُ كَالخَطِيّ يَوْمَ هِيَاكِ
وَمُسْتَعْمِ مِثْلِ الكَثِيبِ يُثْلَهُ مُتَضَعِّفٌ يَشْكُو مِنَ الْإِدْمَاجِ
وَبِمَوْعِدِ اللّوَصْلِ أَنْجَزَ فَجَاءَهُ مِنْ بَعْدِ طُولِ تَمَنُّعٍ وَلِجَاجِ
وَبِأَكْوَسِ أَطْلَقْنَ فِي جُنْحِ الدُّجَى شَمْسَ السَّلَاقَةِ فِي سَمَاءِ زُجَاجِ
وَحَدَاتِي سَحَبِ السَّحَابِ ذُيُولُهُ فِيهَا وَبَاتَ لَهَا النِّسِيمُ يَنَاجِي
وَجَدَاوِلِ سَلَّتْ سَيُوفًا عِنْدَمَا حِجَّتْ بِمِيشِ اللَّصْبَا عَجَاجِ
وَبِأَتَعْوَانِ قَدْ تَضَاحَكْ إِذْ بَكَتْ عَيْنُ الْغَمَامِ بِمَدْمَعِ نَجَاحِ
وَقُدُودِ أَغْصَانِ يَمْلَنَ كَانَهَا تُخْفِي حَدِيثًا بَيْنَهَا وَتَنَاجِي
وَحَامِمِ يَهْتَفِنُ شَجْوًا بِالضُّحَى فَهَدِيلُنَّ لِنَدَى الصَّبَابَةِ شَاجِي
إِنْ الْمَعَالَى وَالْعَوَالِي وَالنَّدى وَالْبَاسَ طَوْعُ يَدَيَّ أَبِي الْحَجَّاجِ
مَلِكُ تَتَوَجَّجَ بِالْمَهَابَةِ عِنْدَمَا لَمْ يَسْتَعِزْ فِي الدِّينِ لُبْسَ التَّاجِ
وَأَفَاضَ حَكَمَ الْعَدْلِ فِي أَيَّامِهِ فَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَاضِحُ الْمِنْهَاجِ
هُوَ مُنْقِذُ الْعَانِي وَمُعْنِي الْمُعْتَنِي وَمُذَلِّلُ الْعَانِي وَغَوْثُ اللَّاجِي

ماضي العزيمة والسيوف كليلة
علم الهدى والناس في غمياء قد
غيث الندى والسحب تمخل بالحيا
ليث الوغى والخيول تزجى بالقنا
يتفشع الإظلام إذ يبدو له
من آل قيلة من ذؤابة سعدى
حيث العلا ممدودة الأطناب لم
والأعوجيات السوابق تمتطى
والبيض والأسل العوامل تفتضى
مجدد ليوسف مجتعت أشتاته
مولاي هاك عقيلة تزهو على
إنشاء عبيد خالص لك حبه
أوى إلى أكناف نعماك التي
سباق ميدان البلاغة والوغى
جانب أخت الزاى فيها عامدا
فافتح لها باب القبول وأول من

طلق المحيا والخطوب دواجى
ضلوا الوقع الحادث المهنج
والمخل يبدى فاقة المحتاج
والبيض تهمل في دم الأوداج
وجه كمثل الكوكب الوهاج
أعلى بنى قحطان دون خلاج
تخلق معالمها يد الإنهاج
فتظلل الآفاق سحب عجاج
مهبج الكيمة بأبناغ الإزعاج
أعيا سواه بعد طول علاج
أخواتها كالغداة المغناج
ومن العبيد مدهن ومداجى
ليست إليه صلاتها بخداج
لشعاب كل منهما ولاج
فأت من الإحسان فى أفواج
أهدا كما ما يبتغى من حاج

قال ابن الأحرر: وأنشدنى أيضا لنفسه ، يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله ،
أبا عنان فارسا ملك المغرب ، رحمه الله :

إن قلبى لعهد العبر ناكث
أضرم النار فى فؤادى وولى

عن غزال فى عقد السحر نافث
قائلا لا تخف فإنى عابث

قصيدة له فى
مدح أبى عنان
فارس

[وَرَمَانِي مِنْ مُقْلَتِيهِ بِسَهْمٍ ثُمَّ قَالَ اصْطَبِرْ لثَانٍ وَثَالِثٍ]
 كَمْ عَذُولٍ أَتَى يُنَظَرُ فِيهِ كَانَ تَعَذَّالَهُ عَلَى الْحَبِّ بَاعِثٍ
 وَيَمِينِ آلَيْتِهَا بِالتَّسَلَّى فَقَضَى حُسْنُهُ بِأَنَّى حَانِثٍ
 جَبَرَ اللَّهُ صَدْعَ قَلْبٍ عَمِيدٍ صَدَعَتْ شَمْلُهُ صُرُوفِ الْحَوَاثِ
 فَهُوَ يَهْفُو إِلَى الْبُرُوقِ وَيَرَوِي عَنْ نَسِيمِ الصَّبَا ضِعَافِ الْأَحَادِثِ
 سَلَبَتْهُ الْأَشْجَانُ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَمَانِ حَبَاهُنِ رَثَائِثِ
 وَبَكَاءٍ عَلَى عَهْدٍ مُوَاضٍ مَلَأَتْ صَدْرَهُ هُمُومًا حَدَاثِ
 لَسْتُ وَحْدِي أَشْكُو بَلِيَّةَ وَجْدِي إِنَّ دَاءَ الْغَرَامِ لَيْسَ بِحَادِثِ
 يَا مُضَيِّعَ الْعُهُودِ وَاللَّهُ يَعْفُو عَنْكَ إِنِّي ارْتَضَيْتُ خُطَّةً نَاكِثِ
 غَرَّنِي مِنْكَ وَالْجَمَالَ غُرُورٌ وَظَلَمَا اللَّحْظِ فِي الْقُلُوبِ عَوَابِثِ
 مُقَلٌّ يَقْتَسِمُنْ أَعْشَارَ قَلْبِي بِالرِّضَا مِنِّي اقْتِسَامَ الْمَوَارِثِ
 كَيْفَ غَيَّرْتَ بَانْتِزَاحِكَ حَالِي وَتَغَيَّرْتَ لِي وَأَسْتِ بِحَارِثِ
 فَرَطَ حَبِّي وَفَرَطَ حُبِّكَ إِلَّا أَنْ عَيْنِيكَ بِالْفُتُورِ نَوَافِثِ
 وَنَدَى فَارِسٍ وَحُسْنُكَ رَدًّا قَوْلَ مَنْ قَالَ سُدَّ بَابُ الْبَوَائِثِ
 مَلِكِ الْبَاسِ وَالنَّدَى فَهُوَ بِالسَّيْفِ وَبِالسَّيْبِ عَابِثٌ أَوْ غَائِثِ
 مُحَرَّرِ الْجِدِّ وَالْتِمَاءِ فَهَذَا سَائِرٌ فِي الْوَدَى وَذَلِكَ لَابِثِ
 أَوْطَأَ الشَّهْبَ رِجْلُهُ وَتَرَفَّى صَاعِدًا فِي سَمُوِّهِ غَيْرَ مَا كِثِ
 فَدَرَارٍ تَسْرِي وَمَا لِحِقَّتْهُ وَنَجُومٌ خَلْفَ الْقُصُورِ لَوَابِثِ
 وَلَهُ الْمُقَرَّبَاتُ لَا بَلْ هِيَ الْعَقْبَانُ مِنْ فَوْقِهَا اللَّيُوثُ الدَّلَاهِثِ
 مُطْلِعَاتٍ مِنْ كُلِّ نَعْلٍ هَلَالَا فَلهَذَا تَجْلُو دُجَى كُلِّ حَادِثِ
 إِنْ تَوَاقَفْنَ فَالْجِبَالُ الرُّوَاسِي أَوْ تَسَابَقْنَ فَالْعَيُوثُ الْخَنَاسِثِ

والمواضي كأنها قد أُعيرت حِدَّةُ الذَّهْنِ مِنْهُ عِنْدَ الْمَبَاحِثِ
هِيَ نَارُ مُحَرِّقَاتِ الْأَعَادِي وَهِيَ مَاءُ مُطَهَّرَاتِ الْخَبَائِثِ
فَيَرِدْنَ الْوَعْيَ ذُكُورًا عِطَاشًا ثُمَّ يَصْدُرْنَ نَاهِلَاتٍ طَوَامِثِ
مِنْ مَعَالِيهِ قَدْ رَأَيْنَا عِيَانًا كُلُّ فَضْلٍ يَنْضُهُ مَنْ يُحَادِثِ
خُلُقٍ كَالنَّسِيمِ مَرًّا سُخَّيْرًا بِالْأَزَاهِيرِ فِي الْبِطَاحِ الدَّمَائِثِ
فِي سَبِيلِ الْإِلَهِ يُقْصَى وَيُدْنَى وَيُؤَالِي فِي ذَاتِهِ وَيُنَاكِثِ
شَرَفَ الْمُلْكِ مِنْهُ سَامٌ وَحَامٌ فَقَدْتُهُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثِ
هَا كَهَا مِنْ بَنَاتِ فِكْرِي بِكْرًا لَيْسَ يَسْمُو لَهَا مِنَ النَّاسِ طَامِثِ
ذَاتَ لَفْظٍ لَا يَعْتَرِيهِ اخْتِلَالٌ وَمَعَانٍ لَا تَنْفَعِيهَا الْمَبَاحِثِ
زُعْمَاءُ الْقَرِيضِ أَبْقَوْا بَقَايَا كُنْتُ دُونَ الْوَرَى لَهْنِ الْوَارِثِ
مَنْ أَرَادَ انْتِقَادَهَا فَهِيَ هَذِي غُرْضَةُ الْبَحْثِ فَلْيَكُنْ جِدًّا بَاحِثِ

[٦٥٧]

قلت: رأيت بخط ابن الصَّبَّاحِ العقيلي على حاشية قوله:

حسن تخلصه في
القصيدة

« وندى فارس وحسنك ردًّا ... » البيت ، مانصه : ما أبدع تخلصه للمدح
وأطبعه ، فإنه أشار إلى قول الشاعر رادًّا عليه بالتبكيك ، ومُعَنِّفًا له بالتَّعْنِيتِ :
قالوا تركت الشعر قلت ضرورةً بابُ السَّاحَةِ وَالْمَلَاخَةِ مُغْلَقُ
ماتَ الْكَرَامُ فَلَا كَرِيمَ يُرْجَى مِنْهُ النِّوَالُ وَلَا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
انتهى .

وَعَلَّقَ بِحَفْظِي أَنَّ السُّلْطَانَ أَبَا عَيْنَانَ أَطْلَعَ مِنْ بُرْجٍ ، يَشَاهِدُ الْحَرْبَ بَيْنَ
الثَّوْرِ وَالْأَسَدِ ، عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْمُلُوكِ ، فَقَالَ ابْنُ جُرْزِيٍّ هَذَا فِي وَصْفِ

وله في وصف حال

الحال ، ما يكاد تُعَدُّ معارضته من قبيل المحال ، وهو :

لِلَّهِ يَوْمٌ بَدَارُ الْمَلِكِ مَرَّةً بِهِ من العجائب ما لم يَجْرُ فِي خَلَدِ
لَا حِ الْخَلِيفَةُ فِي بُرْجِ الْعُلَا قَرًّا يُشَاهِدُ الْحَرْبَ بَيْنَ الثَّوْرِ وَالْأَسَدِ

وله في حفظ
العهد

[ومن بارع نظمهم رحمه الله تعالى :

أَبَا حَسَنِ إِنَّ شَتَّتَ الدَّهْرَ شَمَلْنَا فَلَيْسَ لُوْدٍ بِالْفِـؤَادِ شَتَاتُ
وَإِنْ حُلَّتْ عَنْ عَهْدِ الْإِخَاءِ فَلَمْ أَزَلْ لِقَابِي عَلَى حِفْظِ الْعَهْدِ ثَبَاتُ
وَهَبْنِي سَرَتْ مَنَى إِلَيْكَ إِسَاءَةً أَلَمْ تَتَقَدَّمْ قَبْلَهَا حَسَنَاتُ !]

ألف رحلة ابن
بطوطة

وهو الذى أَلَفَ رِحَالَةَ ابْنِ بَطُوطَةَ ، حَسْبَمَا هُوَ مَعْلُومٌ .

ومن شعر
له في مرضه

قال ابن الأحمر : ومن بارع نظمهم رحمه الله تعالى قوله وهو بحال مريض :

إِنَّ يَأْخُذِ السُّقْمَ مِنْ جِسْمِي مَا خَذَهُ وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ مِنْ أَمْرِي عَلَى خَطَرٍ
فَإِنَّ قَلْبِي بِحَمْدِ اللَّهِ مُرْتَبِطٌ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالتَّسَامِيهِ لِلْقَدَرِ
فَالْمَرءُ فِي قَبْضَةِ الْأَقْدَارِ مَضْرُوبُهُ لِلْبُرءِ وَالسُّقْمِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَالضَّرَرِ

ومن شعره
يخاطب أبا
إسحاق بن الحاج

وحكى لى غير واحد ، أن الفقيه الكاتب القاضى الحاجَّ الرَّحَّالَ أَبَا إِسْحَاقَ
ابن الحاجِّ التَّمِيمِيَّ ، بَقِيَ فِي خَلْوَتِهِ جَمِيعَ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ ، مِنْ عَامِ سَبْعَةِ
وخمسين وسبع مئة ، فَلَمَّا خَرَجَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ أَشْدَهُ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
[٦٥٨] جُزْئِي الْمَذْكُورِ لِنَفْسِهِ يَخَاطِبُهُ :

مَا سِرَّارُ الْبُدُورِ إِلَّا ثَلَاثُ فَلَمَّاذَا أَرَى سِرَّارَكَ شَهْرًا
أَتَعَجَّلْتَهُ سُورًا لِعَامٍ ثُمَّ تَتَّقِي فِي سَائِرِ الْعَامِ بَدْرًا

وله مصحفاً وحكى أنه كتب رحمه الله للرئيس الكاتب ، أبي القاسم بن رضوان ، يطلب منه شراب سَكَنَجَبِينَ ، وقصد التصحيف بقوله :
أَحْسَنُ زَانَ بَيْتِكَ نَجِيبٌ تُسَرُّ بِهِ بُرٌّ مَرَضِي .
تصحيفه :

أَحِبُّ شَرَابَ سَكَنَجَبِينَ شُرْبُهُ بُرٌّ مَرَضِي .
[قال] جابو به ابن رضوان بقوله :

« إِنَّ بَرَكَ نَفِيسٌ » . تصحيفه مَقْلُوبًا : « يَشْفِيكَ رَبُّنَا » .

وتذكرت بهذا ما وقع للرئيس ابن الجيّاب ، فإنه أهدى له الفقيه ابن قُطَيْبَةَ رُمَّانًا ، ثم دخل عليه عائداً ، فلما رآه قال له : يا فقيه ، نَعِمَ بِالْهُدَنَةِ زَمَانُكَ ، أَرَادَ : نِعَمَتِ الْهُدْيَةِ رُمَّانُكَ . وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير ؛ وهو مما يدل على ثَقُوبِ ذهنه ، حتى قرب الموت ، سامحه الله ، وغفر له .

ولابن الجياب مصحفاً

ومن نظم أبي عبد الله بن جُزَيٍّ المذكور قوله :
رَعَى اللَّهُ عَهْدًا بِالْمَرِيَّةِ لَا أُرَى لَهُ أَبَدًا مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ بِالنَّاسِي
وَكَيْفَ تَرَى بِاللَّهِ صُحْبَةً مَعَشِرٍ مُجَاهِدُ بَعْضُ مِنْهُمْ وَابْنُ عَبَّاسٍ

ولابن جزى في المرية وأهلها

ومن ذلك قوله رحمه الله في الزاوية التي أنشأها أبو عَنان ، وهو مكتوب عليها إلى قرب هذا التاريخ :

وله في زاوية أبي عنان

هَذَا مَحَلُّ الْفَضْلِ وَالْإِيثَارِ وَالرِّفْقِ بِالسَّكَّانِ وَالزُّوَارِ
دَارٌ عَلَى الْإِحْسَانِ شِيدَتْ وَالتَّقَى فَجَزَاؤُهَا الْحُسْنَى وَغُفَّتِ الدَّارُ

هي مَلْجَأٌ للواردِين ومَوْرِدٌ لابن السبيل وكل ركب ساري
آثارُ مولانا الخليفة فارسٍ أكرمَ بها في المجد من آثار
لا زال منصورَ اللواء مُظَفَّرًا ماضى العزائم ساميَ المقدار
بُنِيَتْ عَلَى يَدِ عَبْدِهِمْ وَخْدِيمِ بَاهِمِ الْعَلِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ جِدَارِ [٦٥٩]
فِي عَامِ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ انْقَضَتْ مِنْ بَعْدِ سَبْعِ مِئِينَ فِي الْأَعْصَارِ

ومن بديع نظمه رحمه الله [قوله] :

وَمَا أَنْسَى الْأَحَبَّةَ حِينَ^(١) بَانُوا تَخَوُّضُ مَطِيَّهِمْ بِحَرِّ الدَّمُوعِ
وَقَالُوا الْيَوْمَ مَزَلْنَا الْحَنَائِيَا فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَكِنْ مِنْ ضُلُوعِي

وقوله رحمه الله :

وَرُبَّ يَهُودِيٍّ أَنِي مُتَطَبِّبًا لِيَأْخُذَ ثَارَاتِ الْيَهُودِ مِنَ النَّاسِ
إِذَا جَسَّ نَبْضُ الْمَرءِ أَوْ دَى بِنَفْسِهِ سَرِيعًا أَلَمْ تَسْمَعْ بِفَتْكَةِ^(٢) جَسَّاسِ

وقوله رحمه الله :

مِنْ أَيِّ أَشْجَانِي الَّتِي جَنَّتِ الْهَوَىٰ أَشْكُو الْعَذَابَ وَهَنْ فِي تَنْوِيعِ ؟
مِنْ وَصَلَى الْمَوْقُوفِ أَوْ مِنْ هَجَرَى الْمَوْصُولِ أَوْ مِنْ نَوْمَى الْمُقْطُوعِ ؟

(١) في ص ، م : « يوم » .

(٢) في م : « بقتلة » .

وقوله رحمه الله :

فَخَذَى وَجَسَمِي وَالْفُؤَادَ وَأَذْمَعِي شَهُودُ بِهِمْ دَعْوَى الْغَرَامِ تُصَحِّحُ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ رَجَّحَ النَّاسُ نَقْلَهُمْ وَكَذُّهُمْ ذُو جَرَحَةٍ فِيهِ تَقْدَحُ
لِجَسَمِي ضَعِيفَ وَالْفُؤَادَ مُخَلَّطُ وَدَمْعِي مَطْرُوحُ وَخَذَى مُجَرَّحُ

وقوله رحمه الله :

يَا مُحَيَّا كَتَبَ الْحَسَنُ بِهِ أَحْرَفًا أَبْدَعَ فِيهَا وَبَرَعَ
مِيمَ ثَغْرِ نَمِ نُونِ حَاجِبٍ نَمَّ عَيْنٌ هِيَ تَتِمُّمُ الْبِدْعَ
أَنَا لَا أَطْمَعُ فِي وَضَائِكَ لِي وَعَلَى وَجْهِكَ مَكْتُوبُ مَنَعِ

قال ابن الأحمر :

ومن إنشائه البارِعُ مُورِيًّا بِالْكَتَبِ^(١) ، وَرَفَعَهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَلَّى عَلَى اللَّهِ
أَبِي عِنَانِ فَارَسَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَهْنَأُهُ بِابِلَالٍ وَلَدِهِ وَوَلَّى عَهْدِهِ ، الْأَمِيرَ أَبِي زِيَّانَ
مُحَمَّدَ مِنْ مَرَّضٍ :

تهنئته أبا عنان
بإبلال ولده
وتوريته بأسماء
الكتب

مَاذَا عَسَى أَدَبُ الْكِتَابِ يَوْضِيعُ مِنْ خَصَالِ نَجْدِكَ وَهُوَ الزَّاهِرُ الزَّاهِي
وَمَا الْفَصِيحُ بِكَلِمَاتٍ مُوَعِّهَا كَافٍ فَيَأْتِي بِأَنْبَاءٍ وَإِنْبَاهِ
أَبْقَى اللَّهُ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ وَلِسَعَادَتِهِ الْقِدْحُ الْمَعْلَى ، وَلِزَاهَرِ كَلَامِهِ النَّجَاحُ
الْحَلَّى ؛ تَجَلَّى مِنْ حِلَاةِ نَزْهَةِ النَّاطِرِ ، وَيَسِيرُ بِعَلَاةِ الْمَثَلِ السَّائِرِ ؛ وَيَتَسَّقُ مِنْ ثَنَائِهِ
الْعَقْدُ الْمُنَظَّمُ ، وَيَتَضَحُّ بِهَدَاهِ الْقَصْدِ الْأَمِّ ؛ وَلَا زَالَتْ مَقَدِّمَاتُ النَّصْرِ لَهُ مَبْسُوطَةٌ ،

[٦٦٠]

(١) يلاحظ أن هذه الرسالة مشتملة على التورية بأسماء كثير من الكتب المشهورة .
وقد اكتفينا بهذه الإشارة عن التنبيه على كل منها .

ومعمونة السعد بإشارته منوطة ؛ وهدايته متكفلة بإحياء علوم الدين ، وإيضاح
منهاج العابدين ؛ وإرشاده يتولى تنبيه الغافلين ، ويأتى من شفاء الصدور بالنور
المبين ؛ وميمات الخدمة ببابه مطمح الأنفس ، وملخص الجود من كنفه بغيته
الملتبس ؛ قد حكم أدب الدين والدنيا بأنك سراج الملوك ، لما أنته عوارفك
بالمشروع السلسل ومعارفك بنظم السلوك ؛ ووضحت معالم مجديك وضوح أنوار
الفجر ، وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريدة القصر ، ؛ فلك في
جمهرة الشرف النسب الوسيط ، ومن جمل المآثر الخلاصة والبسيط ؛ وسبل
الخيرات لها برعايتك تيسير ، ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير ؛ وأنت
حجة العلماء ، الذى تقصر عن تقصى مآثره فطن الأذكياء ، إن أنبههم التفسير
فى يدك ملاك التأويل ، أو اعتاص تقرىع الفقه فعندك فضل البيان له
والتحصيل ؛ وإن تشعب التاريخ فلديك استيعابه ، أو تطاول الأدب فى إيجاز
بيانك اقتضابه ؛ وإن ذكر الكلام فى انتقائك من برهانه الحصول ،
أو المنطق فى موجز أماليك لبابه المنخول ؛ وليس أساس البلاغة إلا ما تأتى
به من فصل المقال ؛ ولا جامع الخير إلا ما خزته فى تهذيب الكمال ؛ ولذلك
صارت خدمتك غاية المطلوب ، وحبك قوت القلوب ؛ ولا غرو أن كنت من
العلماء درتها المسكونة ، فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينة ؛ بحماستهم
أصبحت مقاتل الفرسان ، وبجود جودهم نسى رى الظمان ؛ وبتمهيل عدلهم [٦٦١]
وضحت شعب الإيمان ؛ وأنت المنتقى من سبط مجانهم ، والواسطة فى قلاند
عقيانهم ؛ عنك تؤثر سيرة الاكتفاء ، وعن فروعك السعداء ، تروى أخبار
نجباء الأبناء ؛ فهم لملككتك العلية بهجة مجالسها ، وأنس مجالسها ؛ وقطب
سرورها ، ومطالع نورها ؛ وولى عهدك درتهم الخطيرة ، وذخيرتهم الأثيرة ؛

لا زال كاملُ سعادته بطول مُقامِك محكمًا ، وحِرْزُ أمانِيَّه بالجمع بين الصَّحيحين :
 حبِّك ورضاك مُعلمًا ، وقد وَجَّبت التهنئةُ بما كان في حيلة برئه من التيسير ،
 وما تهيأ في استقامة قانون صحته من نُجح التدبير ؛ ولم يكن إلا أن بُعدتْ به
 عنك المسالك ، وأعوذ نورَ طَرْفه تقريبُ المَدارك ، وتذكَّر ما عهدته [من]
 الإيناس الموطأً جنابه عند أفضل مالِك ؛ فَوَرَى من شوقه سَقَطُ الرِّند ، والتهب
 في جوانحه قَبَسُ الوجد ؛ فأمددته من دعائك الصالح بِحِلْمِيَةِ الأولياء ، فظفر لَمَّا
 شارف مَشَارِق الأنوار من حضرتك بالشفاء ؛ وقد حاز إكمال الأجر بذلك
 العارض الوجيز ، وكان له كتشبيب الإبريز ؛ وها هو قادم بالطالع السعيد ،
 آتِب بالمقصد الأسنى من الفتح والتمهيد ؛ يطلع بين يديك طلوع الشهاب ،
 ويسمُّ عن مفصل الثناء في الهناء بذلك زهر الآداب ؛ فأعدَّ له تحفة القادم
 من إحسانك الكامل ، واخصه بالتمكلة من إيناسك الشامل ، فهو الكوكب
 الدرِّي ، المستمد من أنوارك السنيَّة ، وفي تهذيب شمائله إيضاح للخُلُق^(١) الكريمة
 الفارسيَّة^(٢) ؛ لا زالت تزدان بصحاح مآثرِك عيون الأخبار ، وتتعطر بنفحة الزهر
 من ثنائِك روضة الأزهار ؛ وتُتلى من محامدك الآيات البينات ، وتتوالى عليك [٦٦٢]
 الألفاظ الإلهيات ، بمن الله وفضله .

والسلام الكريم يعتمد المقام العليَّ ورحمة الله وبركاته . انتهى .

وقد قال أبو عبد الله بن جُرِّي المذكور رحمه الله عدة قطع يُورَى فيها
 بأسماء الكتب ، منها قوله :

من نظم ابن جزي
 موريا بأسماء
 الكتب

(١) الخلق مذكر ، سكنه حمله على معنى السجايا ، فأثته .

(٢) نسبة إلى أبي عنان فارس .

ظبيُّ هو الكامل في حُسْنِهِ وثغره أنهى من العِقْدِ
جماله المشرق لَكِنَّهَا أخلاقه تحسكى صَبَا نَجْدِ

وقوله رحمه الله :

لَكَ اللهُ مِنْ خَلٍّ حَبَانِي بِرِقْعَةٍ حَبْتَنِي مِنْ آيَاتِهَا بِالنَّوَادِرِ
رِسَالَةٌ رَمَزٍ فِي الْجَمَالِ نِهَائَةٍ ذَخِيرَةٌ نَظْمٍ أَتَخَفْتُ بِالْجَوَاهِرِ
وقوله رحمه الله :

قِصَّتِي فِي الْهَوَى الْمُدْبِغَةِ السَّكْبَرِي وَأَخْبَارُ عِشْقِي الْمَبْسُوطَةِ
حِجَّتِي فِي الْغَرَامِ وَاضِحَةٌ إِذْ لَمْ تَزَلْ مَهْجَتِي بِوَجْدٍ مَنُوطَةِ
أَقُولُ : مَا أَبْدَعَ هَذَا الْفَصْلُ (١) ، الَّذِي حَبَّرَهُ هَذَا الْحَبَّرُ فِي فَنِ التَّوْرِيهِ ،
وَشَاهِدُهُ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ مُبَرِّزٌ عَدْلٌ ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَرْكِهِ .

وتذكَرَتْ بِهَذِهِ التَّوْرِيَةِ بِأَسْمَاءِ السَّكْبَرِ قَوْلَ بَعْضِ الْأَكْبَرِ ، وَأُظْفِنَهُ الشَّيْخَ
الكَاتِبَ ، أبا مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُهَيْمَنِ الْحَضْرَمِيِّ ، لِأَنَّ السَّكَاتِبَ أَبَا إِسْحَاقَ بْنَ الْحَاجِّ
الزَّمَيْرِيِّ رحمه الله ، قَالَ حَسْبًا وَجَدْتُ بِخَطِّهِ مَا نَصَّهُ :

أُنْشِدْنِي شَيْخُنَا الْإِمَامَ أَبُو مُحَمَّدٍ لِنَفْسِهِ :

مَنْ اغْتَدَى مُوْطَأً أَكْنَافُهُ صَحَّ لَهُ التَّمْيِيدُ فِي أَحْوَالِهِ
وَقَابِلَ اسْتِذْكَارِهِ بِالْمُنْتَقَى مِنْ رَأْيِهِ الْخِتَارِ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَأَضَحَّتِ الْمَسَالِكُ الْحُسْنَى لَهُ تُدْنِي تَقْصِيًّا قِصَى آمالِهِ
وَسَارَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَنْوَارِ فِي أَدْنَى الْمَدَارِكِ [أَوْ] (٢) إِلَى إِكْمَالِهِ

(١) فِي الْأَصُولِ : « الْفَرْدِ » . وَلَعَلَّهُ مَحْرَفٌ عَمَّا أَثْبَتْنَاهُ .

(٢) زِيَادَةٌ عَنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ .

من نظم
عبد المهيم
الحضرمي موريا
بأسماء السكتب

ثم قال أبو إسحاق بن الحاج المذكور : ولما وقَفَ على ذلك صاحبنا [٦٦٣] الفاضل العالم ، أبو علي حسين بن صالح بن أبي دُلَامَة ، أنشدني له هذه الأبيات ، وزاد ذكرَ القَبَسِ والمُعَلِّمِ :

لأبي علي حسين
ابن صالح موريا
بأسماء الكتب

قل للموطَّأِ للورَى أَكْنَافُهُ بُشْرَاهُ بِالْتَّمِيدِ فِي الْأَحْوَالِ
وَإِذَا اكْتَفَى بِالْمُنْتَقَى اسْتَذْكَارُهُ وَفَى لَهُ الْخِتَارُ فِي الْأَعْمَالِ
وَمَسَالِكُ الْحُسْنَى تُؤَدِّيهِ إِلَى أَقْصَى التَّقْصَى مِنْ قَصَى الْأَمَالِ
وَيُلَوِّحُ مِنْ قَبَسِ الْهَدَايَةِ رُشْدُهُ مِنْ مُعَلِّمِ التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ
انتهى كلام ابن الحاج .

ومن هذا المعنى قول الوزير أبي عبد الله بن الخطيب :
وِظْيِ الْأَوْضَاعِ ^(١) الْجَمَالِ مَدْرَسُ عِلِيمِ بِأَسْرَارِ الْحَاسِنِ مَاهِرِ
أَرَى جِيدُهُ نَصَّ الْحَلَّى وَقَرَّرَتْ ثَنَائِيهِ مَا ضَمَّتْ صِحَّاحُ الْجَوَاهِرِ

الوزير لسان
الدين بن الخطيب
موريا بأسماء
الكتب

وقول ابن خاتمة :
وَمُعْطَرُ الْأَنْفَاسِ يَبْسِمُ دَائِمًا عَنْ دُرٍّ تُعْرِ زَانَهُ تَرْتِيبُ
مَنْ لَمْ يَشَاهِدْ مِنْهُ عَقْدَ جَوَاهِرٍ لَمْ يَدْرِ مَا التَّنْقِيحُ وَالتَّهْذِيبُ
ومن قول ابن خاتمة أيضا :

لأبن خاتمة موريا
بأسماء الكتب

سَهَّيَ عَاذِلِي عَلَيْهِ وَقَالَ لِي وَدَّهِ عَلِيلُ
فَقُلْتُ مَعْتَلٌّ أَوْ صَحِيحٌ يُوَدِّعُهُ عَيْنُهُ الْخَلِيلُ

وقال بعضهم :

حاز الجمال بصورة قمرية تجلو عليك مشارق الأنوار
وحوّى الكمال بسيرة عمرية تملو عليك مناقب الأبرار

ولنرجع إلى نظم ابن جُزَيِّ فنقول :

وأنشد في الإحاطة لأبي عبد الله بن جُزَيِّ المذكور :

تلك الذؤابة^(١) ذُبْتُ من شوق لها واللاحظُ يحميها بأى سلاح
يا قلبُ فانجُ وما إخالك ناجيًا من فتنة الجعدي والسفاح^(٢)
وقوله رحمه الله تعالى .

وعاشقٍ صلى ومحرابه وجه غزال ظل يهواه
قالوا تعبدت فقلت نعم تعبدًا يفهم معناه

وقوله رحمه الله :

[٦٦٤]

نصب الحبائل للورى بالحسن إذ رفع اللثام وذيله مجرور
وأماله عني العواذل ضالة فهو المخل وقلي المكسور
وقوله رحمه الله :

لا تعدد صنيك إن ذهبت لصاحب تعتده لكن تخير وانتق
أوما ترى الأشجار مهما رُكبت إن خولفت أصنافها لم تعلق
انتهى .

(١) في نفع الطيب : « الذؤابة » .

(٢) الجعدي : هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . لقب بالجعدي لمصاحبته الجعد ابن درهم المتكلم . والسفاح : هو أبو العباس عبد الله بن محمد مؤسس الدولة العباسية .

وانختم ما أوردنا من نظمه بقوله :

أَيُّهَا النَّفْسُ قِفِي عِنْدَمَا أَلْزِمْتَ فِعْلاً كَانَ أَوْ قَوْلًا
فَمَنْ يَكُنْ يَرْضَى بِمَا سَاءَ أَوْ سَرَّهُ فَهُوَ لَهُ الْأَوَّلَى
لَا يُتْرَكُ الْعَبْدُ وَمَا شَاءَ إِلَّا إِذَا أَهْمَلَهُ الْمَوْلَى

وقوله رحمه الله :

لَوْلَا ثَلَاثٌ قَدْ شُغِفْتُ بِحَبِّهَا مَا عَفْتُ فِي حَوْضِ الْمَنِيِّ مَوْرِدِي
وَهِيَ الرِّوَايَةُ لِلْحَدِيثِ وَكُتُبُهُ وَالْفَقْهُ فِيهِ وَذَاكَ حَسْبُ الْمُهْتَدِي

ولنعد إلى ذكر حازم ، فنقول :

كَانَ أَبُو الْحَسَنِ حَازِمٌ وَالْكَاتِبُ الْفَقِيهَ الْحَدَّثُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَبْتَارِ
فَرَسِي رِهَانٍ فِي مِيدَانِ الْأَدَابِ ، وَقَدْ جَمَعَهُمَا الزَّمَانُ وَتَعَلَّقَهُمَا مِنَ الدَّوْلَةِ
الْخَفْصِيَّةِ بِأَهْدَابِ .

كان حازم وابن
الأباز فرسي
رهان

وَإِذَا قَدِمْنَا نُبْذَةُ مِنْ أَخْبَارِ أَبِي الْحَسَنِ حَازِمٍ ، فَلَا بَأْسَ أَنْ تُتْبِعَهَا بِمِثْلِهَا مِنْ
أَخْبَارِ الْإِمَامِ ابْنِ الْأَبْتَارِ .

ترجمة ابن الأباز
وطرف من
أخباره

وَهُوَ الْفَقِيهَ الْأَجَلُّ ، الْكَاتِبُ الْخَافِلُ ، الرَّوَايَةُ الْحَدَّثُ ، الْفَاضِلُ الْفَاقِدُ
الْبَارِعُ ، الْخَافِظُ الْكَامِلُ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُضَاعِيُّ الْبِلَنْسِيُّ ،
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَبْتَارِ .

قَالَ قَاضِي الْقَضَاةِ وَلِيُّ الدِّينِ بْنِ خَلْدُونٍ فِي تَارِيخِهِ السَّكْبِيرِ ، الْمَوْسُومُ بِدِيَوَانِ
الْعَبَرِ ، وَكِتَابُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ، فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ ، وَمِنْ عَصَرِهِمْ
مَنْ ذُو السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ ، مَا نَصَهُ :

الخبر عن مقتل ابن الأبار وسبب أوليته

كان هذا الحافظ أبو عبد الله بن الأبار من مشيخة أهل بلنسية ، وكان علامة في الحديث ولسان العرب ، وبلغا في الترسيل والشعر ، وكتب عن السيد أبي عبد الله بن حفص بن عبد المؤمن ببلنسية ، ثم عن ابنه السيد أبي زيد ، ثم دخل معه دار الحرب حين نزع إلى دين النصراوية ، ورجع عنه قبل أن يأخذ به ، ثم كتب عن ابن مردنيس . ولما زحف الطاغية إلى بلنسية ونازلها ، بعث زيان بوفد بلنسية وبيعتهم ، إلى الأمير أبي زكرياء ، وكان فيهم ابن الأبار هذا الحافظ ، فحضر مجلس السلطان ، وأنشد قصيدته على روى السين يستصرخه ، فبادر السلطان بإغاثتهم ، وشحن الأساطيل بالمدد إليهم ، من المال والأقوات والسكسا ، فوجدوهم في عُسرة^(١) الحصار ، إلى أن تغلب الطاغية على بلنسية ، ورجع ابن الأبار بأهله إلى تونس ، غبطة بإقبال السلطان عليه ، فنزل منه بخير مكان ، ورشحه لكتيب علامته في صدور رسائله ومكتوباته ، فكتبها مدة ، ثم إن السلطان أراد صرفها لأبي العباس الغساني ، لما كان يحسن كتابتها بالخط المشرقي ، وكان آثر عنده من الخط المغربي ؛ فسخط بن الأبار ، أنفة من إيثار غيره عليه ، وافتات على السلطان في وضعها في كتاب أمر بإنشائه ، لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه ، وأن يبقى مكان العلامة منه لوضعها . فجأه بالرد ، ووضعها استبدادا وأنفة ؛ وعوتب على ذلك ، فاستشاط غضبا ، ورمى بالقلم ، وأنشد متمثلا :

أطلب العز في لظى وذو الذلّ ولو كان في جنان الخلود

فَنَمِيَ ذَلِكَ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَأَمَرَ بِلِزُومِهِ بَيْتَهُ ؛ ثُمَّ اسْتَعْتَبَ السُّلْطَانُ بِتَأْلِيفِ رَفْعِهِ [٦٦٦] إِلَيْهِ ، عَدَّ فِيهِ مِنْ عُوتَبٍ مِنَ الْكِتَابِ وَأُعْتَبَ ، وَسَمَّاهُ إِعْتَابَ الْكِتَابِ ، وَاسْتَشْفَعَ فِيهِ بِابْنِهِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ ، فَغَفَرَ السُّلْطَانُ لَهُ ، وَأَقَالَ عَثْرَتَهُ ، وَأَعَادَهُ إِلَى الْكِتَابَةِ . وَلَمَّا هَلَكَ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَاءَ رَفَعَهُ الْمُسْتَنْصِرُ إِلَى حُضُورِ مَجْلِسِهِ ، مَعَ الطَّبَقَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْضُرُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ [وَأَهْلِ تُونِسَ] . وَكَانَ فِي ابْنِ الْأَبَارِ أَنْفَةٌ وَبَأْوُ^(١) وَضِيقُ خَلْقٍ ، وَكَانَ يُزْرَى عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ فِي مَبَاحَثِهِ ، وَاسْتَقْصِرُ مَدَارِكِهِ ؛ فَخَشِنَ لَهُ صَدْرُهُ ، مَعَ مَا كَانَ يُسَخِّطُهُ بِهِ السُّلْطَانُ ، مِنْ تَفْضِيلِ الْأَنْدَلُسِ وَوُلَايَتِهَا عَلَيْهِ . وَكَانَتْ لَابْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ فِيهِ سَعَايَةٌ ، لِحَقْدٍ قَدِيمٍ ، سَبَبِهِ أَنَّ ابْنَ الْأَبَارِ لَمَّا قَدِمَ فِي الْأَسْطُولِ مِنْ بِلَنْسِيَّةٍ ، نَزَلَ بِبَنْزَرَتْ وَخَاطَبَ ابْنَ أَبِي الْحُسَيْنِ بِفَرْضِ رِسَالَتِهِ ، وَوَصَفَ أَبَاهُ فِي عُنْوَانِ مَكْتُوبِهِ بِالْمَرْحُومِ ؛ وَنُبِّهَ عَلَى ذَلِكَ فَاسْتَضْحَكَ ، وَقَالَ : إِنْ أَبَا لَا تُعْرِفَ حَيَاتُهُ مِنْ مَوْتِهِ لِأَبٍ خَامِلٍ ؛ وَنُمِيتَ إِلَى ابْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَاسْرَّهَا فِي نَفْسِهِ ، وَنَصَبَ لَهُ ، إِلَى أَنْ حَمَلَ السُّلْطَانُ عَلَى إِشْخَاصِهِ إِلَى بَحَايَةِ ؛ ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُ وَاسْتَقْدَمَهُ ، وَرَجَعَهُ إِلَى مَكَانِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَعَادَ هُوَ إِلَى مَسَاءَةِ السُّلْطَانِ بِنَزَاعَاتِهِ ، إِلَى أَنْ جَرَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ذِكْرُ مَوْلِدِ الْوَائِقِ ، وَسَاءَلَ عَنْهُ السُّلْطَانُ بَعْضَ مَنْ حَضَرَ فَاسْتَبْتَبَهُمْ ، فَعَدَا^(٢) عَلَيْهِ ابْنُ الْأَبَارِ بِتَارِيخِ الْوِلَادَةِ وَطَالِعِهَا ، فَاتَّهَمَهُمْ بِتَوَقُّعِ الْمَكْرُوهِ لِلدَّوْلَةِ وَالتَّرَبُّصِ بِهَا ، كَمَا كَانَ أَعْدَاؤُهُ يُشِيرُونَ عَنْهُ ، بِمَا كَانَ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ ؛ فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ ، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَى دَارِهِ ، فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ كُتُبُهُ أَجْمَعُ ، وَأُلْفِيَ فِي اثْنَائِهَا — فِيمَا زَعَمُوا — رَقْعَةً بِأَبْيَاتٍ أَوْهَا :
طَغَا بِتُونِسَ خَلْفٌ سَمَّوْهُ ظَالِمًا خَلِيفَهُ

فَاسْتَشَاطَ لَهَا السُّلْطَانُ ، وَأَسْرَ بِامْتِحَانِهِ ثُمَّ بَقَلَهُ ، فَقُتِلَ قَعَصًا بِالرَّمَاكِ وَسُطَ مُحْرَمَ [٦٦٧]

من سنة ثمان وخمسين ، يعنى وست مئة . ثم أُحْرِقَ شلوه ، وسيقت مجلدات
كتبه ، وأوراق سماعه ودواوينه ، فأحرقت معه .
انتهى كلام ابن خلدون .

والقصيدة السَّيْنِيَّةُ التى أشار إليها ابن خلدون ، كنت غزمت على ذكرها
أول تراجم هذا الكتاب ، حين ذكرت أمر الجزيرة ، وأُتيتُ بقصيدة صالح
ابن شريف ، فَسَّيْتُ ذلك ، حتى قضى [الله] به الآن ؛ [وهى] من غرر القصائد
الطنانة ، وهذا نصها :

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلَسًا	إِنْ السَّبِيلَ إِلَى مَنَاجِبِهَا دَرَسًا
وَهَبْ ثَمَانِ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا لَمْ تَسْ	فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عَنُ النَّصْرِ مُلْتَسًا
وَحَاشَ مِمَّا تَعَانِيهِ حُشَاشَتِهَا	فَطَالَمَا ذَاقَتْ الْبُلُوَى صَبَاحَ مَسَا
يَا لَلْجَزِيرَةِ أَضْحَى أَهْلُهَا جَزَرًا	لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسَا
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلَى بَائِقَةٍ	يَعُودُ مَا تَمُّهَا عِنْدَ الْعِدَا عُرُسَا
وَكُلِّ غَارِبَةٍ إِجْحَافُ نَائِبَةٍ	تَنْتَنِي الْأَمَانَ حِذَا رَا وَالسُّرُورَ أَسَا
تَقَاسِمُ الرُّومُ لَا نَالَتْ مَقَاسِمَهُمْ	وَلَا عَقَائِلُهَا الْحُجُوبَةَ الْأَنَسَا
وَفِي بَلَنَسِيَةِ مِنْهَا وَقَرْطَبِيَّة	مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا
مَدَائِنُ حَلَّهَا الْإِشْرَاقُ مُبْتَسِمَا	جَذَلَانِ وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مُبْتَسِمَا
وَصَيَّرَتْهَا الْعَوَادِي الْعَابِثَاتُ بِهَا	يَسْتَوْحِشُ الطَّرْفُ مِنْهَا ضِعْفَ مَا أُنَسَا
فَمِنْ دَسَاكَرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَمَا	وَمِنْ كِنَافَسَ كَانَتْ قِبَالَهَا كُنَسَا
يَا لَلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَا بَيْعًا	وَلِلنَّدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا
لَهْفَى عَلَيْهَا إِلَى اسْتِرْجَاعِ فَائِتِهَا	مَدَارِسًا لِلْعَثَانِي أَصْبَحَتْ دُرُسَا

سِينِيَّةُ التى
يَسْتَصْرِخُ بِهَا
أَبَازُ كِرْيَاءِ الْحَفْصَى

وأربعا نَمَمْتَ أَيْدَى الرِّبِيعِ لَهَا
 كَانَتْ حَدَائِقَ لِلْأَحْدَاقِ مُوَنِقَةً
 وَحَالَ مَا حَوْلَهَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَبَ
 سَرْعَانَ مَاعَاثَ جَيْشِ الْكُفْرِ وَاحْرَبَا
 وَابْتَزَّ بَزَّتَهَا مَمَّا تَحِيْفَهَا
 فَأَيْنَ عَيْشُ جَنِينَاهُ بِهَا خِضْرًا
 حَمَى مُحَاسِنَهَا طَاغِرٌ أُتِيحَ لَهَا
 وَرَجَّ أَرْجَاءَهَا لَمَّا أَحَاطَ بِهَا
 خِلَالُهُ الْجَوُّ فَامْتَدَّتْ يَدَاهُ إِلَى
 وَأَكْثَرَ الزَّعَمَ بِالتَّثْلِيثِ مِنْفَرِدَا
 صَلَّ حَبْلَهَا أَشْهَاءُ الْمَوْلَى الرَّحِيمِ فَمَا
 وَأُخِي مَا طَمَسَتْ مِنْهَا الْعُدَاةُ كَمَا
 أَيَّامَ سَرَتْ لِنَصْرِ الْحَقِّ مُسْتَبِقَا
 وَقَتَ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْتَصِرَا
 تَمَحَّوْا الَّذِي كَتَبَ التَّجْسِيمُ مِنْ ظَلَمٍ
 وَتَقْتَضِي الْمَلِكِ الْجَبَّارِ مُهْجَتَهُ
 هَذِي رِسَائِلُهَا تَدْعُوكَ مِنْ كَثَبٍ
 وَافْتَكَّ جَارِيَةً بِالْجُنْحِ رَاجِيَةً
 خَاضَتْ خُضَارَةً يُعْلِمُهَا وَيَخْفِضُهَا
 وَرَبَّمَا سَبَحَتْ وَالرِّيحُ عَاتِيَةً
 تَوْمُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي
 مَا شَتَّتَ مِنْ خِلَعٍ مُوشِيَّةٍ وَكَسَا
 فَصَوَّحَ النَّضْرَ مِنْ أَدْوَا حَهَا وَعَسَا
 يَسْتَجْلِسُ الرُّكْبَ أَوْ يَسْتَرْكَبُ الْجُلَسَا
 عَيْثَ الدَّبَا فِي مَغَانِيهَا الَّتِي كَبَسَا
 تَحْيِيفَ الْأَسَدِ الضَّارِي لَمَّا افْتَرَسَا
 وَأَيْنَ (١) غَصْنُ جَنِينَاهُ بِهَا سَلَسَا
 مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينَا وَلَا نَعَسَا
 فُغَادِرَ الشَّمِّ مِنْ أَعْلَامِهَا خُنُسَا
 إِدْرَاكِ مَا لَمْ تَطَأْ رِجْلَاهُ مُحْتَسَا
 وَلَوْ رَأَى رَايَةَ التَّوْحِيدِ مَا نَبَسَا
 أَبْقَى الْمِرَاسُ لَهَا حَبْلًا وَلَا مَرَسَا
 أَحْيَيْتَ مِنْ دَعْوَةِ الْمُهْدَى مَا طُمَسَا
 وَبِتَ مِنْ نُورِ ذَاكَ الْهُدَى مُقْتَبَسَا
 كَالضَّارِمِ اهْتَزَّ أَوْ كَالْعَارِضِ أَنْبَجَسَا
 وَالصَّبْحُ مَا حَيَّةٌ أَنْوَارُهُ الْغَلَسَا
 يَوْمَ الْوَعَى جَهْرَةً لَا تَرْفُبُ الْخَلَسَا
 وَأَنْتَ أَنْضَلُ مَرْجُوٍّ لَعَنَ يَبَسَا
 مِنْكَ الْأَمِيرَ الرِّضَا وَالسَّيِّدَ الْقُدْسَا
 عُبابُهُ فَتُعَانِي الْآيْنَ وَالشَّرَسَا
 كَمَا طَلَبْتَ بِأَقْصَى شَدَّةِ الْفَرَسَا
 حَفِصَ مَقْبَلَةً مِنْ تَرْبَةِ الْقُدْسَا

[٦٦٨]

مَلَكٌ تَقَلَّدَتْ الْأَمْلاَكُ طَاعَتَهُ دِينًا وَدُنْيَا فَنَفَّسَهَا الرِّضَا لِبَسَا
من كل غادرٍ على يُمْنَاهُ مُسْتَلِمَا وكلَّ صَادٍ إِلَى نُفْعَاهُ مُلْتَمِسَا
مُؤَيَّدٌ لَوْ رَمَى نَجْمَا لِأَثْبَتَهُ وَلَوْ دَعَا أَفْقَا لَبَى وَمَا اخْتَبَسَا
تَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي تُرَجَّى السَّعُودُ لَهُ مَا جَالَ فِي خَلَدِ يَوْمَا وَلَا هَجَسَا
إِمَارَةً يَحْمِلُ الْمَقْدَارُ رَايَتَهَا وَدَوْلَةً عَزَّهَا يَسْتَصْحِبُ الْقَعَسَا
يُبْدِي النَّهَارُ بِهَا مِنْ ضَوْئِهِ شَدَبَا وَيُطْلِعُ اللَّيْلُ مِنْ ظُلُمَائِهِ لَعَسَا
مَاضِي الْعَزِيمَةِ وَالْأَيَّامُ قَدْ نَكَلَتْ طَلَقُ الْمَحْيَا وَوَجْهُ الدَّهْرِ قَدْ عَبَسَا
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ وَالْعَلِيَاءُ هَالَتُهُ تَحَفُّفٌ مِنْ حَوْلِهِ شَهْبُ الْقَنَا حَرَسَا
تَدِيرُهُ وَسِعَ الدُّنْيَا وَمَا وَسِعَتْ وَعُرْفُ مَعْرُوفِهِ وَاسَى الْوَرَى وَأَسَا
قَامَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ دَوْلَتُهُ وَأَنْشَرَتْ مِنْ وُجُودِ الْجُودِ مَارِيسَا
مُبَارَكٌ هَذِيهِ بَادٍ سَكِينَتُهُ مَا قَامَ إِلَّا إِلَى حُسْنِي وَلَا جَلَسَا
قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى بِصِيرَتِهِ فَمَا يَبَالِي طُرُوقَ الْخُطْبِ مُلْتَمِسَا
بَرَى الْعَصَاةَ وَرَاشَ الطَّائِعِينَ فَقُلْ فِي اللَّيْلِ مَفْتَرَسًا وَالْغَيْثُ مَرْتَجِسَا
وَلَمْ يَغَادِرْ عَلَى سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ حَيًّا لِقَاحًا ^(١) إِذَا وَفَيْتَهُ بَحْسَا
فَرُبَّ أَصِيدٍ لَا تُلَاقِي بِهِ صَيْدًا وَرُبَّ أَشْوَسٍ لَا تَلْقَى لَهُ شَوْسَا
إِلَى الْمَلَائِكِ يُنَمَّى وَالْمُلُوكِ مَعَا فِي نَبْعَةٍ أَثْمَرَتْ لِلْمَجْدِ مَا غَرَسَا
مَنْ سَاطَعَ النُّورَ صَاغَ اللَّهُ جَوْهَرَهُ وَصَانَ صَيْغَتَهُ أَنْ تَقْرُبَ الدُّنْسَا
لَهُ الثَّرَى وَالثَّرِيَّا خُطَّتَانِ فَلَا أَعَزَّ مِنْ خُطَّتَيْهِ مَا سَمَا وَرَسَا
حَسْبُ الَّذِي بَاعَ فِي الْأَخْطَارِ رِكَبَهَا إِلَيْهِ مَحْيَاهُ أَنْ الْبَيْعَ مَاؤُ كِسَا
إِنْ السَّعِيدَ امْرُؤٌ أَتَى بِحَضْرَتِهِ عَصَاهُ مُحْتَزِمًا بِالْعَدْلِ مُحْتَرَسَا

[٦٦٩]

(١) حيا لقاحا : لم يدينوا للملوك ، ولم يملكوا ، ولم يصبهم سباء .

فظَلَّ يُوطِنُ مِنْ أَرْجَائِهَا حَرَمًا وَبَاتَ يُوقِدُ مِنْ أَضْوَائِهَا قَبَسًا
 بُشِّرَى لِعَبْدٍ إِلَى الْبَابِ الْكَرِيمِ حَدَا آمَالَهُ وَمِنَ الْعَذْبِ لَلْعَيْنِ حَسَا
 كَأَنَّمَا يَمْتَطِي وَالْمِينُ يَصْحَبُهُ مِنَ الْبِحَارِ طَرِيقًا نَحْوَهُ يَبَسَا
 فَاسْتَقْبَلَ السَّعْدَ وَضَاحًا أَسْرَرَتْهُ مِنْ صَفْحَةِ فَاضٍ مِنْهَا النُّورُ وَانْعَكَسَا
 [وَقَبَّلَ الْجُودَ طَفَاحًا غَوَارِبُهُ مِنْ رَاحَةِ غَاصٍ فِيهَا الْبَحْرُ وَانْعَمَسَا]
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ أَنْتَ لَهَا عَلِيَاءُ تَوْسِيعُ أَعْدَاءِ الْهَدَى تَعَسَا
 وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَنْبَاءُ أَنَّكَ مَنْ يُحْيِي بِقَتْلِ مُلُوكِ الصُّفْرِ أُنْدُسَا
 طَهَّرَ بِلَادَكَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ نَجَسٌ وَلَا طَهَارَةَ مَا لَمْ نَغْسِلِ النَّجَسَا

نعيم : « نَغْسِلِ النَّجَسَا » ، هكذا ثبت بالنون ، كما رأيته في بعض النسخ
 العتيقة ، وهو أصوب مما وقع بخط بعضهم بالتاء ، لأنَّ مثله لا يصلح للمخاطبات
 السلطانية ، ولم يشتهر عند أكثر الناس إلا بالتاء ؛ والصواب ما قدمته من أنه
 بالنون ، والله أعلم .

وَأَوْطَى الْفَيْلَقَ الْجَرَارَ أَرْضَهُمْ حَتَّى يَطَاطَى رَأْسًا كُلُّ مَنْ رَأَسَا
 وَانْضُرَّ عَبِيدًا بِأَقْصَى شَرْقِهَا شَرِقت عِيُونُهُمْ أَدْمُعًا تَهْمِي زَكَاً وَخَسَا^(١)
 هُمْ شَيْعَةُ الْأَمْرُوهِ الدَّارُ قَدْ نُهَكَتْ دَاءٌ وَمَا لَمْ تَبَاشِرْ حَسَمَهُ انْتَكَسَا
 فَاغْلَا هَنِيئًا لَكَ التَّأْيِيدُ سَاحَتَهَا جُرْدًا سَلاهِبَ أَوْ خَطِيئَةً دُعَسَا
 وَاضْرِبْ لَهَا مَوْعِدًا بِالْفَتْحِ تَرْقُبُهُ لَعَلَّ يَوْمَ الْأَعَادَى قَدْ أُنَى وَعَسَى
 انتهت القصيدة .

[٦٧٠]

ارتجاله بيتين
في حضرة
المستنصر

وذكر غير واحد أنه دخل مرة على المستنصر بالله الحَفْصِيّ ، فلما مَثَلَ بين يديه آنسه بإقباله وسؤاله ، فأنشده الحافظ رحمه الله :

بُشْرَايَ بَاشَرْتُ الْهُدَى والنورا بِلِقَائِي المستنصر المنصـورا
فإذا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِقِيْتُهُ لم أَلْقَ إِلَّا نَضْرَةً وسرورا

ومن بديع نثره رحمه الله رسالته الحافلة ، التي كتب بها للمستنصر ، وهي الرسالة الغريبة مساقا ، المتلاثلة نظما واتساقا ؛ التي لم يُنْسَجَ على منوالها ، ولم يأتِ أَحَدٌ بِمِثَالِهَا ؛ يصف وصول الماء إلى تُونُسَ ، ويشير في ذلك إلى إشارات عجيبه ، تدل على أن قَرِيْبَتَهُ الوَقَادَةَ لداعى الإجابة بحبيبه ؛ وهي :

الحمد لله حمدا لا نُقَلِّله . هذا الزمان الذي كُفِنَا نُؤْمَلُهُ ، « بلدة طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » ، ودولة مباركة لحاسنها سفُور .

إلى أَبِي حَفْصٍ آلُوا ، فهل جالت النجوم حيث جالُوا ، أو نالت الملوك بعض ما نالوا ؛ مُلْكٌ يشتمل الإقبال ، وعز يُقلقل الأَجْبَالُ ؛ وكرم صريح الانتماء ، في النماء ، وشرف سَمَتْ ذَوَائِبُهُ على السماء ؛ إلى عَدَلٍ وإحسان ، هما قِوَامُ نوع الإنسان ؛ مع رِفْقٍ وإِسْجَاح ، ضَمِنَا كُلَّ فوز ونَجَاح ؛ فقد آضَتِ الظالماء أنوارا ، وفاضت البركات أنجادًا وأغوارا ؛ أليس العالمُ ربيعًا ، والعالمُ جميعًا ؛ والسعود طالعُهُ ، والعصور طائِعُهُ ؛ مصالح الأعمال تُحَلِّمُهَا ، وعلى مَنَصَّاتِ السكّال تُجَلِّمُهَا ؟ فمن ذا أيها المولى يجاريك إلى مَدَى ، أو يباريك في إقدام صادق وَنَدَى ، وآياتك للأبصار هُدَى ، وحياتك للكفار رَدَى ؛ بسيرتك عَدَلُ الدهر وما جار ، ولولا نور غُرَّتِكَ ما أُنار ؛ لقد حَسُنَتْ بك الأوقات ، حتى كأنك في فَمِ الزمن ابتسام ، أعرقت في المَجْدِ والعُلْيَا ، وعُنِيتَ بالدين فَعَنَّتْ لك الدنيا ؛

أَيُّ عَنِيدٍ أَوْ عَمِيدٍ مَا أَلْقَى بِالْيَدِ ، وَاتَّقَى فِي الْيَوْمِ عَاقِبَةَ الْغَدِ ؛ إِصْفَاقًا عَلَى التَّعَوُّضِ
بِصَفْحِكَ وَإِسْمَادِكَ ، وَإِشْفَاقًا مِنَ التَّعَرُّضِ لَصَفْحِكَ وَصِعَادِكَ ؛ تَعَمُّرًا بِالْحَسَنَاتِ
أَنَاءَكَ ، وَتَتَبُّعًا فِي الْقُرْبَاتِ أَبَاءَكَ ؛ بَانِيَا كَمَا بَنَوْا ، بَلْ زَانِدًا عَلَى مَا أَتَوْا ، وَبَادِيَا
مَنْ حَيْثُ انْتَهَوْا :

أُنَاسٌ مِنَ التَّوْحِيدِ صِيغَتِ نَفُوسُهُمْ فَرُّهُمْ تَرِ التَّوْحِيدِ شَخْصًا مَرَكَّبًا
وَمَنْ سَاكِبَاتِ الْمُزْنِ فَيَنْضُ أَكُفَّهُمْ فَرْدُهُمْ تَرَى مَاءَ الْغَمَامِ وَأَعْدَابًا
أَتَجَادُّ أَجْوَادَ ، فِي الْحَيَاءِ بِحَارٍ وَفِي الْعُجْبَا أَطْوَادَ ، تَقِيلَ أَبُو زَكْرِيَاءَ نَهْجَ
أَبِي مُحَمَّدٍ ، وَأَيَّدَا جَمِيعًا بِأَبِي خَفْصٍ الْمُؤَيَّدِ :

نَسَبٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورًا وَمَنْ فَلَقَى الصَّبَاحَ عُمُودًا
أَوَّلَتْكَ صَفْوَةُ الْأُمَمِ ، وَحَقِظَةُ الْأَذِمَّةِ ، وَالْقَائِمُونَ دُونَ الْأُمَمِ ، فِي الْحَوَادِثِ
لِلدَّهْمَةِ ، وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ الْحَمْدِيَّةُ ، الْخَالِدَةُ بِمَكَانِهَا الدَّعْوَةُ الْمَهْدِيَّةُ ؛ إِلَيْهَا انْتَهَتْ
الْمُرَاشِدُ ، وَعَلَيْهَا التَّفَتُّ الْحَامِدُ ، وَبِهَا اعْتَزَّتْ حِينَ اعْتَزَّتِ الْعُنَاصِرُ وَالْحَاتِدُ ؛
وَمِنْ خُصَائِصِهَا انْفِعَالُ الْوُجُودِ ، وَمِنْ مَرَامِهَا الْإِثَارُ بِالْمَوْجُودِ ، وَالْبِيدَارُ إِلَى
إِغَاثَةِ الْمَلُوفِ وَإِعَانَةِ الْمُنْجُودِ ؛ مَا بَرَحَتْ لِلْخَيْرَاتِ إِيْضَاعُهَا وَخُبُّهَا ، وَبِالصَّالِحَاتِ
غَرَامُهَا وَخُبُّهَا ؛ حَتَّى لَقَدْ فَهِمَتِ أَسْرَارَهَا ، وَأَوْدَعَتْ أَنْوَارَهَا ، وَكُلِّفَتْ أَوْ
كَفَلَتْ إِفْشَاءَهَا وَإِظْهَارَهَا ؛ يَمِينًا أَنْ يَمِينِ الْحَقُّ بِهِ طَوْلَى ، وَلِلْآخِرَةِ خَيْرُهَا
مِنْ الْأُولَى ؛ بِمَوْلَانَا أَيْدَهُ اللَّهُ عَزَّ مَكَانَهَا ، وَخَلَّدَتْ سَدِيدَةً آثَارَهَا ، شَدِيدَةً
أَرْكَانَهَا ؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُ الطَّاهِرُ كَلِمَاءَ الَّذِي جَلِبُهُ لِلطَّهَارَةِ ، وَالظَّاهِرُ وَلَاءَ وَلِوَاءِ
فِي مَصْنَعَةِ الْخِلَافَةِ وَمَقْعَدِ الْإِمَارَةِ ؛ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَجْدُهُ وَكَفَّهُ ، وَمَا هُمُّهُ إِلَّا
تَجَاوُزُ مَا أَسْلَفَهُ سَلَفُهُ ؛ فَجَرَّ مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، وَجَدَّدَ لِلْجَدْوَى رَسُومًا عَافِيَةً
وَرُبُوعًا ؛ سَاحَتِهِ الْحَرَمَ ، وَهُوَ زَمَزَمَ قَصَادَهُ وَحُجَّاجِهِ ؛ وَرَاحَتِهِ الْبَحْرَ الْخِفْمُ ، غَيْرَ

[٦٧٢] طَعِمِهِ وَارْتَجَاجِهِ ؛ مَا أَظْهَرَهُ خِلَالًا ، وَأَبْهَرَهُ جَلَالًا ، « هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا » ؛ غَابَتْ كِمَاةُ الْمَعَارِكِ وَشَهِدَ ، وَنَامَتْ وَلَاةُ الْمَلَائِكِ وَشَهِدَ ؛ فَتَى قَسَطُوا أَقْسَطَ ، وَإِذَا غَوَّرُوا أَنْبَطَ ، وَلِذَلِكَ مَا أَبْطَلَ عَمَلَهُ أَعْمَالُهُمْ وَأَحْبَطَ ؛ غَلِبَهُمْ عَلَى صِفَتِي النَّدَى وَالْبَاسَ ، وَسَلَبَهُمْ مَنَقِبَتِي حِمْزَةَ وَالْعَبَّاسَ .

قال جامع هذا المصنف : أشار الإمام ابن الأثير بقوله : « منقبتى حمزة والعباس » إلى شجاعة حمزة الشهيرة الذكر ، وثباته الذى يحل عن الفكر ؛ وإلى استسقاء عمر بالعباس رضى الله عنهما ، فأتى من الحياء ما عم بالإحيا ، وهمر من الماء ما شفى بعميم الإرواء ، نفوس الظلاء ؛ والله أعلم .

رجع الى كلام ابن الأثير

فَلَا غُرُؤَانَّ مِنْ أَمَّنَ وَوَقَى ، ثُمَّ لَمَّا كَسَا وَأَطَمَ سَقَى ؛ آيَةُ نَعْمَى وَفَتْ بِالْمِعَادِ ، وَحُسْنَى مِثْلُهَا يَعُودُ لِلْعَمَادِ ؛ وَأَتَتْ بِمَاءٍ مَعِينٍ قَدْ أَصْبَحَ غَوْرًا ، وَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ لَا بَتَيْهَا جِنَانًا تَرَفٌ ظِلًّا وَتَرَقُّ نُورًا ؛ فَيَا بُشْرَى لَتَوَاسَ أَخْصَبَ جَدِيدِهَا ، وَأَحْسَنَ وَصَفَ الرُّوضِ وَالْغَدِيرِ أَدْيُهَا ؛ وَطَالَمَا ^(١) أَطْلَعْتُ صَحْرَاءَ بِلَ بَغْضَاءِ ^(٢) ، فَكَمْ لِلْإِمَارَةِ قَبِيلُهَا مِنْ يَدٍ بِيضَاءَ ؛ غُشِّيَتْ حَبْرَ الْجُبُورِ وَالسَّرُورِ ، وَعُغِصَتْ بَرْدَ الظَّلِّ مِنْ وَهَجِ الْحُرُورِ ؛ خَمَائِلُ وَجْدَاوِلَ ، تَزَاوَلُ مِنْهَا الْعَيْنُ مَا تُزَاوَلُ ؛ تِلْكَ يَضِلُّ مِنْ أَحْصَاهَا ، وَهَذِهِ يَصِلُّ بِهَا حَصَاهَا ؛ وَيَا لَقَصْرِهَا السَّعِيدِ ! نَعِمَتْ أَدْوَا حَهُ ، وَهَبَّتْ عَلَى خُضْرِ الْأَغْصَانِ وَزُرْقِ الْغُدْرَانِ أَرْوَاحَهُ ؛ هَذَا وَإِنْ بَاتَ السَّمَاحُ الْمَفَاضِ يَسْقِيهِ ، وَالْجَوْدُ ^(٣) الْفَضْفَاضُ يَنْقَعُ فَوَادَهُ وَيَشْفِيهِ ؛ وَهَنِيئًا لِلْمَسْجِدِ الْجَامِعِ أَنْ رَوَيْتَ جَوَانِحَهُ الصَّادِيَةَ ، وَجُمِعْتَ فِي شَرِيعَتِهِ السَّارِيَةَ وَالْعَادِيَةَ ؛

فها هو فجره بادي الغرر والأوضح ، وصخره منبحس بالزلال القراح ؛
وللجمهور بصفوه المنساب ، لهج العياب بالإياب ، وطرب الشيب لذكر الشباب ؛ [٦٧٣]
أمسوا قد سوّغوا ما ربهم ، وأضحوا قد علم كل أناس مشربهم ؛ فهم يردون
على العذب النмир ، ويجدون بركة رأي الأمير ؛ مكرمة ذخرها لسلطانها
الزمان ، وكرامة هناها به الإيمان ، وقضية إن حُجبت عن داود فما حُجب
عنها سليمان :

جمعت للناس بين الرّبيّ والشّيع فهم بأخصب مُصْطافٍ ومُرْتَبِع
ولم تدع كرمًا إلا أتيت به تُضيف مُبتدعًا منها لمبتدع
لما وَلَّيتَ خَلَعْتَ خَيْرَ أَجْمَعُهُ عَلَيْهِمْ فَبَدَّوْا فِي أَجَلِ الْخِلْع
لله أَيامُكَ اسْتَوْفَتْ مُحَاسِنَهَا فَلَا فَضِيلَةَ لِلْأَعْيَادِ وَالْجُمُع
دامت مسامعك والأقدار تُسَعِّدُهَا تُولِي^(١) الْمَسَاجِدَ إِنْصَافًا مِنَ الْبَيْع
اللَّهُمَّ إِنْ الْإِيْلَةَ الْخَفِصِيَّةَ قَدْ أَعْلَيْتَ مَظَاهِرَهَا ، وَنَصَرْتَ مَعَاشِرَهَا ، وَقَصَرْتَ
عَلَى الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ مَوَارِدَهَا وَمَصَادِرَهَا ؛ ثُمَّ اصْطَفَيْتَ مِنْ شَرَفِ بَيْتِهَا
الصُّرَاحَ ، وَمَعْدِنِ سُودِدِهَا الْوَضَّاحَ ؛ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ الْأَجَلَ ، الْمُوَيْدَ الْمُبَارَكَ ،
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَاَنْتَضَيْتَهُ حُسَامًا فِي يَدِكَ قَائِمُهُ ، وَارْتَضَيْتَهُ إِمَامًا لَا تَلِينَ فِي ذَاتِكَ
صِرَافُهُ ، وَلَا يَلْحَقُ شَأْوُهُ فِي الثَّنِيلِ مِنْ عُدَاتِكَ رَأْمُهُ ؛ يَمْضِي بِأَسَا حِينَ
لَا مَضَاءَ لِلْحُسَامِ الْعُضْبُ ، وَيَهْمِي جُودًا وَالسَّمَاءُ فِي أُرْزٍ مِنْ نَجِيعِ الْجُدْبُ ، وَيَنْتَدِبُ
سَعْيًا لِكُلِّ حُسْنَى أَعْيَتْ عَلَى الْقَرِيعِ النَّدْبُ .

فاغض اللهم لسلطانها بتأييد التأييد ، وأدم بأيامه المباركة نعمة التمهيد ،
وضاعف عزّة جانبها بأعزازها كلمة التوحيد . وَاجْزِهِ اللَّهُمَّ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ، عَنْ

[٦٧٤] إفاضة النعماء ، وإنارة الظلماء ، وكافته عن نَقَمِ الغُلَلِ والأَطْماءِ ، بما فَجَّرَ من
 ينابيع الماء ، وكما شَرَفَتْ فعله في الأفعال واسمه في الأسماء ؛ فاجعله في الدنيا داعيا
 إلى سبيلك ، وفي الأخرى هاديا إلى حوض رسولك ، صلى الله عليه وسلم ، الذي
 آتيته بعدد نجوم السماء .

آمين آمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

ومن بديع ما كتب به مخاطبا رئيس مَنورقة سعيد بن حكم القرشي ،
 رحمه الله تعالى :

إِنْ سَعِيدَ بْنَ حَكَمٍ صِنُوا الْعُلَاجِلُ الْكَرَمُ
 رَأْسَةً بِمِثْلِهَا يَفَاخِرُ السَّيْفَ الْقَلَمُ
 وَسُودَدُ مَجْمُوعَةٍ فِيهِ مُحَاسِنُ الشِّيمِ
 مُعْتَمِدٌ مِنْ شَأْنِهِ رَغَى الْعُهُودَ وَالذِّمَّ
 فَاتَّخَذَ مُمَهَّدًا إِلَى جَوَابِهِ الْقَلَمُ
 عَادَةً نَذْبَ أَرْوَعٍ خَصَّ بِبِرِّهِ وَعَمَّ
 فَشَكَرَهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَمَالَ مُلْتَزِمِ
 حَيًّا الْحَيَا حَضْرَتُهُ وَجَادَهَا ثَرُّ الدِّيمِ

اقتضيتها أيها السيد الأعظم ، والسند الأعظم ؛ أبقاه الله وجنابه محفوظ ، ومنابه^(١)
 محمود ، وحزبه مودود ، وشربه مورود ، ورواق السعادة ، والنصرة المفادة ، فوقه
 ممدود ؛ من دانية كلاًها الله تعالى ، والوقت مضايق ، والرغب مُلازم لا يفارق ؛
 وأنا بسيادته الأصيلة دائم الاعتداد ، وعلى عنايته الجميلة قاصر الاعتماد ؛ والله

يُبْقِيهِ كاسمه سعيدا ، وَيُسَمِّيهِ مُبْدِنًا فِي الْمَعْلُوتَاتِ وَمُعِيدًا ، بِمَنِّهِ .

ووصلني وصل الله حِرَاسَتَهُ ، وَكَلَّأَ مِنَ الْغَيْرِ وَالْغِيلِ رِيَاسَتَهُ ، مَخَاطِبَتَهُ الْكَرِيمَةَ الْخَطِيرَةَ ، مُشْرِفَةً بِالسُّؤَالِ عَنْ خَاصِّ الْأَحْوَالِ وَمُنِيفَةً ؛ بِمَا تَضَمَّنَتْ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ ، وَالْبَرِّ الْمُتَوَافِرِ الْأَجْزَاءِ ، عَلَى الْأَمَانِي الْبَعِيدَةِ وَالْأَمَالِ ؛ فَلَقِئْتُ سَطُورَهَا قِيَامًا بِحَقِّهِ الْأَكْبَرِ ، وَلَزِمْتُ مِنْ شُكْرِهِ مَا لَا أَقْصِرُ عَنْهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا أَقْصِرُ ؛ وَكَانَ الظَّنُّ بِنَادِيهِ الْأَشْرَفِ جَمِيلًا فَقَدْ عَادَ يَقِينًا ، وَالْأَمَلُ فِيهِ مَتِينًا فَعَادَ مُبِينًا ؛ وَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنِّي أَعْطَرُّ بِذِكْرِهِ الْأَمَكْنَةَ ، وَأَزْكِي بِشُكْرِهِ الْأَزْمَنَةَ ؛ وَبُودِي لَوْ رَكِبْتُ تُبَحَّجَ هَذَا الْبَحْرِ ، حَتَّى أَوْفِيَهُ بَعْضَ وَاجِبِهِ ، وَأَشَافِهِ بِمَا أَجْنَحُ إِلَيْهِ ، وَأَنْطَوِي عَلَيْهِ ، مِنْ اعْتِمَادِ جَانِبِهِ ، وَإِحْمَادِ مَقَاصِدِهِ الرِّيَاسِيَةِ وَمَذَاهِبِهِ ؛ وَقَدْ حَمَلْتُ فَلَانًا عَصَمَهُ اللَّهُ وَيَسَّرَ مَرَامَهُ ، وَأَدَامَ حِفْظَهُ وَإِكْرَامَهُ ؛ مِنْ جُلِّ الْإِعْظَامِ مَا يُؤَدِّيهِ مُفَسِّرًا ، وَأَفْهَمْتُهُ أَنِّي كَانْتُ مُعْتَقِدًا خَالِصًا وَمُضْمَرًا ؛ وَإِنْ تَفَضَّلَ سَيِّدِي الْأَعْلَى حِرْسَهُ اللَّهُ بِتَكْلِيفِ بَعْضِ أَغْرَاضِهِ الْكَرِيمَةِ ، شَفَعَ يَدَهُ الْبَيْضَاءَ بِمَثَلِهَا ، وَاسْتَزَادَ مَعْلُومَةً لَمْ يَزَلْ مِنْ أَهْلِهَا ؛ وَمَا يَصْدُرُ عَنِ الْجَنَابِ الرِّيَاسِيِّ أَسْمَاءُ اللَّهِ مِنَ الْأَلْتِفَاتِ إِلَيْهِ ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَعْدُودٌ فِي بَرِّهِ الْجَسِيمِ ، وَيَدُّ مِنْ أَيْادِيهِ الَّتِي أَعْيَتْ عَلَى التَّعْدِيدِ وَالتَّقْسِيمِ ، وَاللَّهُ يُعْلِي مَحَلَّهُ ، وَيُسْعِدُ عَقْدَهُ وَحَلَّهُ ؛ وَيُسَوِّغُهُ مِنْ مَوْرِدِ الْإِسْعَادِ ، فِي حَالَتِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ ، أَعْلَاهُ وَأَجَلَّهُ ؛ وَيَصِلُ حِرَاسَتَهُ ، وَيُؤَيِّدُ رِيَاسَتَهُ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ ، الْمُبَارَكُ الْعَمِيمُ ، يَخْصُّ بِهِ مَقَامَهُ الْأَظْهَرَ ، مُلْتَزِمٌ إِيكْبَارِهِ وَإِجْلَالِهِ ، الْمَعْتَدُّ بِتَمَامِهِ فِي السِّيَادَةِ وَكَمَالِهِ ؛ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْأَبْتَارِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ .

وكتب إليه
شافعا ومعتنيا

وكتب إليه أيضا شافعا ومعتنيا .

تَعْتَمِدُ رِياسَتَكُمْ الْمُؤَمِّلَه ، وَسِيادَتَكُمْ الْمُؤَثِّلَه ، تَحِيَّةُ الشَّاكِرِ لاعتنائها ، المَباهي
بِسفاهِ الوَضاحِ وَسَنائِها ، المُستَدِيمِ لِلأحرارِ ، المُتَعَطِّلِينَ إِلَيْها أَثْباجَ البَحارِ ، شَرَفَ
عَنائِها ^(١) ، وَكَرَمَ غَنائِها ، مُحَمَّدِ بْنِ الأَبَّارِ ، وَلَا مَزِيدَ عَلَي ما عِنْدَهُ مِنْ إِعْظامٍ
يُؤَدِّي وِظانَهُ ، وَاعْتِدادٍ يَشْفَعُ بِتَالِدِهِ طارِفَهُ ، وَثَناءٍ يُعاطِيهِ أولِياهُ جِلالِكم
وَمَعارِفَهُ ، وَاللهُ يُصْعِدُ مَكانِكم ، وَيُسَعِدُ زَمانِكم ، بِمَنه وَكَرمه .

وَتَتَأَدَّى إِلى رِياسَتِكم ، حَفْظُها اللهُ ، فِي جِانِبِ أُمِّي فَلانَ ، أَغْرَهُ اللهُ ، وَبَلَّغَهُ
أَبْعَدَ أَمَلِهِ وَأَقْصاهُ ؛ وَهُوَ مَنْ عَلَّمَ مَكانَ بَيْتِهِ النَّبِيَّ مِنْ حَيَّهِ ، وَسَبَبَ نِزْوَجهِ
عَنْ وَطَنِهِ المُحَبَّبِ وَتأَيَّهِ ، وَاسْتَحْقاَقَهُ بِالْمُزايَا المَعْلومَةِ ، وَالسَّجايَا الكَرِيمَةِ ،
لِإِجْزالِ حَفْظِهِ وَرَعْيِهِ ؛ وَمَا زالَ لِكَمالِكم وَاصْفا ، وَعَلَى تَعْظِيمِ جِانِبِكم وَالإِنْصاحِ
بِواجِبِكم عاكِفا ، إِمضاءً لِمَا أَكَّدَ بَيْنَكم وَبَيْنَهُ سالفُ الأَيَّامِ ، وَتَمييزا بِحَفْظِ
الودِ الَّذِي لا يَحْفَظُهُ غَيْرُ الكَرامِ .

وَمِنْ مَطالِبِي لَهُ ، حَمْلُهُ مِنَ التَّكْرِمَةِ وَالتَّقَدُّمَةِ عَلَى النِّهَجِ الأَقْومِ ، وَإِنْزالُهُ مِنْ
جِلالِكم ، هُنَا وَهُنَا لِكُم ، مَنزِلَةُ المُحَبَّبِ المُكْرَمِ ؛ وَتَوْصِيَةُ الخُصُوصِ
بِالسَّفارَةِ فِي أَشْغالِكم المَبارَكَةِ ، بَأَن يَسْتَصْحِبَهُ عِنْدَ الإِيابِ ، وَيُورِدَهُ مَحْفُوظَ
الجِانِبِ عَلَى ذالِكم الجَنابِ ؛ وَاخْتِصاصَهُ مَعَ ذالِكم بِمُخاطَبَةٍ كَرِيمَةٍ ، تَرْفَعُهُ
مَكانا عَلِيًّا ، وَيَكُونُ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ ، وَيَخْلُصُ بِمُشِيئَةِ اللهِ إِلَيْهِ ، عُنوانا
جَلِيًّا ؛ وَتُجَدُّكم حَرَسَهُ اللهُ يَغْتَفِرُ جِنايَةَ الإِذْلالِ ، وَيُبْلِغُ نِهايَةَ الأَمالِ ؛ وَاللهُ
يُبْقِي رِياسَتِكم تَجَبُّرَ الكَسِيرِ ، وَتَيْسَّرَ الرَّامِ العَسِيرِ ؛ وَهُوَ سَبْحانَهُ يُؤَيِّدُ مَقامِكم ،
وَيُكَافِي إِنْعامِكم ، بِمَنه .

والسلام الكريم ، المبارك العميم ، يعتمد محكمكم الرياسي ، بدءاً وعوداً ،
ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب يهني الفقيه الأجل القاضي أبا المطرف بن عميرة بولايته قضاء شاطبة :
بأى بنان أم بأى بيان تخط وتعلي شكرها الملوان

تهنئة أبا المطرف
ابن عميرة بقضاء
شاطبة

لولاية عقد لواءها الوجوب ، وأسفر وجه محاسنها المحجوب ؛ فأشرق لألاء
محياتها ، وتعاطى الأواباء محيائها ؛ فماشتت من جذلان محبب شكرها ، ونشوان
يجهز سكرها ؛ يترجم كالشادي الباغم ، ويترنج كالغصن الناعم ، وكلأ أصلح الله
قاضيها الأعلى ، لا نسكر ، على من يصف حالة الشكر ؛ وإن تنأى طرباً ، وقضى
من رفض الأناة أرباباً ؛ فالمرتاح لا يئاسك ولا يئالك ، والارتياح لا يهلك أحداً
على راحه يئالك ؛ لا جرم أنه تسمو به الحدود ، وتذراً عنه بالشبهات الحدود ؛
وبأيها المولى المولى أشرف الخطط ، الضيق عن عادي جلاله ، وخالدي خلاله ،
أرحب الخطط .

قال جامع هذا الموضوع أحمد بن محمد المقرئ وفقه الله :
أشار ابن الأبار بقوله : « وخالدي خلاله » إلى أن أبا المطرف من ولد
خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فاعلم ذلك .

رجمع الى كلام ابن الأبار :

ما نبأ تهادهاء التجد والقور ، واقتسم الحياة والموت به العدل والجور ؛
سوَّغ المجد المنيف نطافه ، وهزل له الدين الحنيف أعطافه ؛ حين قرَّ الحكم
الشرعي في نصابه ، وشفي من آلامه وأوصابه ، وأزغم المناصب لذلك بنصبه

وانتصابه ؛ وسرَّ معلِّم العلم فأَسَارَ رُؤْهُ مُتَهَلِّلَهُ ، وسُلَّ حُسام الحق ، فأبطل الباطل
متسلِّله ؛ وأُشْرِع سِنَانُ الشَّرْع ، فكلُّ مُعْتَدٍ بِالْجَهَالَةِ مُعْتَدِلٌ ، وهبَ نَسِيم
المهابة ، فكلُّ مُعْتَزٍ لِلْإِسْقَاهَةِ مُعْتَزِلٌ ، أَمَا وَخُطَّةٌ خُطِبَتْ مِنْكَ أَكْفَى أَكْفَانِهَا ،
وأُفِرَتْ عَيْنَ الْهُدَى بِتَعْيِينِهَا لَكَ وَهْدَانِهَا ، لَقَدْ عُصِبَتْ بِقَاضٍ يَسْعَى لِلْقَوْمِ
وَيَسْعَدُ ، وَنِيطَتْ بِمَاضٍ يَنْهَضُ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَيَنْهَدُ ؛ وَلَا عَجَبَ أَنْ آثَرْتَ
جَلَالَهُ ، وَاعْتَمَدْتَ خِلَالَهُ ، فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ ، فَهَنِيئًا لَهَا مَا أَلْبَسَتْ مِنْ شَرَفِ
خَالِدٍ ، وَأَنْ حُرِسَتْ بِأَقْلَامِ ابْنِ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدٍ ؛ وَيَا لَبَلَدَةٍ وَطِئَتْ رُبَّتَهَا ،
وَبُؤَى رُبَّتَهَا ؛ مَا أَخْصَبَ عَيْشَتَهَا وَأَرْغَدَهَا ، وَأَسْعَدَ يَوْمَهَا وَغَدَهَا ! وَمَا ذَابَهَا
مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا ، وَتَجَدَّ وَعَلِيَا ؛ إِذْ جَمَعَتْ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْأَنْصَارِ ، وَأُطْلَعَتْ
مَحَامِدَهَا وَمَحَاسِنَهَا مِلْءَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ ؛ لَا زَالَتْ حَوَازِئُهَا تَحُوزُ الْأَكْبَارِ ،
[وَأَمْرُهَا تَعَزُّ عِزَّتُهَا الْمُسْكَبَرِ] ؛ وَدَامَ عِمَادُنَا الْفَضِيلِ ، وَعِيَادُنَا الْمُخْضِلِ ؛ بَيْنَ
وَلِيِّ شَاكِرٍ حَامِدٍ ، وَعَدُوِّ كَاشِرٍ حَاقِدٍ ؛ يَنْزِلُ الرُّتَبُ الْمُنِيفَةِ ، وَيَطُولُ بِهِ مَالِكٌ
أَبَا حَنِيفَةَ ؛ وَاللَّهُ يُنْهَضُهُ بِمَا تَقَلَّدَ ، وَيُخَلِّدُ مَجْدَهُ الْأَوَّلَى بِأَنْ يُخَلِّدَ .
وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَكْمَلُ يَخْصُهُ كَثِيرًا ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ .

وكتب شافعا
في فك أسير

وكتب رحمه الله إلى رئيس شاطبة أبي الحسين بن عيسى ، شافعا في فك
أسير ، وتيسير عسير :

كتبته إلى سيدي ، حرس الله شرفه العبادي ، وكلاً كنفه السيادي ،
ولا مزيد على ما عندى من الإعظام لرفيع جانبه ، والقيام بكبير واجبه ؛ والله
يحفظ شرف بيته العتيق ، وحديث قديمه الفاتية بطييه المسك الفتية الفتيق ؛
ومؤدِّيه فلان أدام الله حفظه وعصمته ، وأتمَّ عليه إحسانه ونعمته ؛ والمذكور

يَمُتُّ إِلَيْكُمْ بِقَدِيمِ الْإِخْلَاصِ ، وَيَرْغَبُ أَنْ يُنْظَمَ لَدَيْكُمْ فِي أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ ؛
 وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا نَابَهُ مِنْ غَيْرِ الذَّهْرِ وَتَوْبِهِ ، وَكَيْفَ نَشَبَ فِي حِمَالَةِ الْأَسْرِ الَّذِي أَتَى
 عَلَى نَشَبِهِ ؛ وَعِلْمُكُمْ بِنَبَاهَةِ بَيْتِهِ أَغْنَى عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، وَفَضْلُكُمْ كَفَيْلٌ بِتَسْيِبِ
 الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ؛ وَقَدْ وَثِقَ بِسَعِيمِ الْكَرِيمِ فِي جَبْرِ كَسْرِهِ ، وَأَمَّلَ سِيَادَتَكُمْ
 لِتَهْتَمُّ بِأَمْرِهِ ، وَالتَّصْرِيفِ فِيمَا يَصْرِفُ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا بُذِلَ فِي خِلَاصِهِ مِنْ أَسْرِهِ ؛
 وَمِثْلُكُمْ اصْطَنَعَ أَمْثَالَهُ ، وَآثَرُ فِيمَا يَلِيْقُ بِنَبَاهَتِهِ اسْتِعْمَالَهُ ؛ وَاللَّهُ يُعَلِّي شَأْنَكُمْ ، [٦٧٩]
 وَيَحْرُسُ مَكَانَكُمْ ، وَالسَّلَامُ .

* * *

وكتب أيضا شافعا بما نصّه :

وكتب أيضا
شافعا

تلك السجايا العذاب ، والكرم اللباب ، والساحة التي ألبسها جدته
 الشّباب ؛ مَخْصُوصَةٌ بِتَحِيْمَةِ التَّوْقِيرِ وَالتَّكْبِيرِ ، الْمَعْبَرَةُ أَنْفَاسُهَا الْعَبَقَةُ عَنِ الْعَبِيرِ .
 وَمُنْهِيهَا مِنْ زَانِ قَوْمِهِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، وَحَسَمَ قَضَائِهِمْ وَعَطَاؤُهُمُ الْوَهْنُ وَالْوَهْيُ ؛
 فَلَمَّا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ الْأَوْطَارِ وَالْأَوْطَانِ ، وَأَعَادَهُ إِلَى عَادَتِهِ مِنْ غَزَاةِ الْجَوَانِبِ
 وَشِدَّةِ الْأَرْكَانِ ؛ وَهُوَ كَرِيْمَةٌ كِرَامٍ ، آمَتَ بَعْدَهُمُ الْأَيَّامُ ، وَشَكَا فَقَدَهُمُ الْأَنَامُ ،
 وَلَبِسَتْ الْحِدَادَ عَلَيْهِمُ الْأَسْيَافُ الْحِدَادَ وَالْأَقْلَامُ ؛ وَمَا بَانُوا وَلَا بَادُوا إِلَّا وَأَيَادِهِمْ
 أَطْوَقَ فِي الرِّقَابِ ، وَتَشْرِيفُهُمْ بَاقٍ فِي الْأَعْقَابِ ، عَلَى مَرِّ الْأَحْقَابِ .

وهذا فلان عَرَفَهُ اللَّهُ إِسْعَادَ الْأَقْدَارِ ، وَأَعْنَى مَشَارِبِهِ وَمَشَارِعَهُ مِنَ الْأَكْدَارِ ؛
 يَرُوقُ وَقَارُهُ ، وَيَكْرُمُ سِبَارُهُ ^(١) ، وَعَيْنُهُ فِرَارُهُ ؛ وَأَدْنَى حِلَاةِ الطَّلَبِ ، وَبَعْضُ
 خَصَائِصِهِ الْأَدَبِ ؛ ثُمَّ شَأْنُهُ الْأَخْطَرُ شَأْنَهُ ، وَمَكَانُهُ مِنْ حِيهِ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْأَحْيَاءُ
 مَكَانُهُ ؛ وَرَأَى عِنْدَ أَخْذِهِ فِي الثَّقَلِ ، وَعَزَمَهُ عَلَى الرَّحْلِ ؛ أَنْ يَسْتَصْحِبَ إِلَى

(١) سِبَارُهُ : يريد اختباره . والسبار في الأصل : ما يسير به غور الجرح .

مجدكم هذه الحروف ، ويستدفع بمعلوم جدكم الصروف ؛ وإن تأملتم ماله من
سَمَتٍ وَسِيَا ، أَقْبَلْتُمُوهُ وَجْهَ الإِقْبَالِ وَسِيَا ؛ وأوليتموه من رعى الحق الواجب ،
ما يراه ضُرباًؤكم ضربةً لازب ؛ والله يُبْقِيكُمْ للمكارم تُشِيدُونَ رسومها الدائرة ،
وَتُنْظِمُونَ عقودها المتناثرة ؛ وهو تعالى يكلأ محلكم الرحيب ، ولا يُعْذِمُكُمْ من [٦٨٠]
الزمان وأهله التَّرجيب^(١) والترحيب ، والسلام .

وله في الحبيبات

ومن نظمه رحمه الله قوله في المُجَبَّنَات :

بنفسى مُثْلِجَاتٌ للصُدُورِ لها سَمَتَانِ مِنْ نَارٍ وَنُورِ
حَوَامِلُ وَهِيَ أَبْكَارُ عَذَارَى تُزَفُّ عَلَى الْأَكْفِ مَعَ الْبُكُورِ
كَبَرْدِ الطَّلِّ حِينَ تُذَاقُ طَعْمًا وَفِي أَحْسَائِهَا وَهَجُ الْحُرُورِ
لَهَا حَالَاتٌ بَيْنَ فَمٍ وَكَفٍّ إِذَا وَافَتْكَ رَائِعَةُ الشُّفُورِ
فَتَغْرُبُ كَالْأَهْلَةِ فِي لَهَاةٍ وَتَطْلُعُ فِي يَمِينٍ كَالْبَدُورِ

وله يشكو الزمان

وقوله يشكو الزمان :

تَحْيِفُ حَالَتِي حَيْفُ الزَّمَانِ وَصِدْقُ الْيَأْسِ مِنْ كَذِبِ الْأَمَانِ
وَبَرَّتْ فِي أَلْيَتِهَا اللَّيَالِي بِتَرْوِيحِي فَإِنِّي بِالْأَمَانِ
أَمَا قَنَعَتْ وَقَدْ كَلِفَتْ بِهِضَمِي وَضِيمِي دُونَ أَبْنَاءِ الْبَيَانِ
أَحَاوَلُ أَنْ أَقُومَ لِمَا يُؤَاتِي فَتَقْعِدُنِي الْخُطُوبُ بِلَا تَوَانِي
وَأَطْبَاقُ الثَّرَى بِالْحُرِّ أُخْرَى إِذَا أَلْفَى الثَّرَاءُ مِنَ الْهَوَانِ
فَهَلْ مِنْ آخِذٍ بِيَدَيَّ أُخِيزُ بَعِينَ اللَّهِ شِـدَّةً مَا يِعَانِي

أَيَا مَا أَشْتَكِيهِ مِنْ أَيَّامِي عَوَارٍ فِي يَدِ الْبَلَوَى عَوَانِي
وَمَا أَبْنَى عَلَى تَلَفِي دَلِيلًا كَفَانِي أَنْتَى حَى كَفَانِي

وقوله أيضا :

يَعِيرُنِي قَوْمِي بِجَهْوَةِ سُلْطَانِي وَيَشْفِيهِمْ شَكْوَى بَنِيَّةِ أَوْطَانِي
يَرُونَ خَمُولًا عَظَمَتِي لَتَوْقُنِي وَتَلَكْ عَلَى مَحْضِ النِّبَاهَةِ بَرَهَانِي
وَقَالُوا خُوفٌ قُلْتُ لَا بَلْ رَجَاحَةٌ كَفَتْنِي إِلْقَاءُ بَكْنِي لِإِذْعَانِ
إِذَا عَهْدُونِي لِلنَّزَاهَةِ رَاكِبًا فَصَعْبُ الْأَسَى سَهْلٌ وَإِنْ هَذَا رَكَانِي

وقوله أيضا رحمه الله :

عَلَتْ سِنِّي وَقَدَرِي فِي انْخِفَاضِ وَحُكْمِ الرَّبِّ فِي الْمَرْبُوبِ مَاضٍ
إِلَى كَمْ أَسْخَطُ الْأَقْدَارَ حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ يَوْمًا بِرَاضِي

[٦٨١]

وقال أيضا في معنى التسليم للمقدور :

وله في التسليم
للمقدور

أَمَّا إِنَّهُ قَدْ خُطَّ فِي اللَّوْحِ مَا خُطَّ فَلَا تَعْتَقِدْ لِلدَّهْرِ جَوْرًا وَلَا قِسْطًا
وَلَا تَسْخَطِ الْمَقْدُورَ وَارْضَ بِمَا جَرَى عَلَيْكَ بِهِ إِنْ الرِّضَا يَفْضُلُ السُّخْطَا
وَقَالَ أَيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَاهُ :

إِلَامٌ فِي حَلٍّ وَفِي رِبْطٍ تَخْبِطُ جَهْلًا أَيَّمَا خَبْطٍ أ
دَعِ الْوَرَى وَارْجُ إِلَهَ الْوَرَى فَإِنَّهُ ذُو الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ
لَيْسَ لِمَا يُعْطِيهِ مِنْ مَانِعٍ وَلَا لِمَا يَمْنَعُ مِنْ مُعْطَى

وقال رحمه الله معارضا للرُّصافي في أبياته التي أولها :
« ومهذَّبُ الشَّطِينِ تحسبُ أنَّه »

بقوله :

ونهر كما ذابتُ سبائكُ فضَّةٍ حكى بمحانيه انعطافَ الأراقِمِ
إذا الشفقُ استولى عليه احرارُهُ تبدَّى خضيبا مثلَ دامي الصوارِمِ
وتحسبه سُنَّتْ عليه مُقاضَةٌ لا زهابَ هَبَّاتِ الرياحِ النواسِمِ
وتُطلِعُهُ في دُكْنَةٍ بعدَ زُرْقَةٍ ظِلَالٌ لأدواحٍ عليه نواعِمِ
كما انفجرَ الفجرُ المِطْلُ على الدُّجَى ومنَ دونه في الأفقِ سُحُمُ الغَمامِ

وقال أيضا في معناه :

مَتَمِّيًا لروضِ رُودَتِهِ رَأْدُ الضحَا وحامُهُ طربا يناعي البُلْبُلَا
شَتَّى محاسنُهُ فَمِنْ زَهْرٍ على نهرِ يسيل كالْحُبَابِ تَسْلَسَلَا^(١)
وكأنما حَمَى الربيعُ لِقَطْفِهِ واستلَّ منه يذود عنه مُنْصَلَا
غَرَبَتْ به شمسُ الظهيرةِ لا تَنَى إحرَاقَ صفحتِهِ لهيبا مُشْعَلَا
حتى كساه الدوحُ من أفيائه بُرْدا تَمَزَّقَ بالأصائلِ هَلْهَلَا
وكأنَّـمَـا لَمَعَ الظَّلَالُ بمتنه قَطَعَ الدماءَ جَمَدَنَ حينَ تَخَلَلَا

وقال في معناه أيضا :

لله نهرٌ كالْحُبَابِ ترقيشه سامي الحَبَابِ
يصف السماءَ صفَاؤُهُ فحواه ليس بذى احتِجابِ
وكأنَّـمَـا هُوَ رِقَّةٌ من خالصِ الوَرِقِ المَذَابِ

وله يعارض
الرصافي في
وصف نهر

وله في معناه أيضا

وله في معناه أ

[٦٨٢]

غالزتُ في شَطِيَّهِ أَبْـكَارِ الْمُنَى عَصَرَ الشَّبَابِ
والظَلَّ يَبْدُو فَوْقَهُ كَالْخَالِ فِي خَدِ الْكَعَابِ
لَا بَلَّ أَدَارَ عَلَيْهِ خَوْ فِ الشَّمْسِ مِنْهُ كَالنَّقَابِ
مِثْلَ الْمَجَرَّةِ جَرَّ فِيهَا ذَيْلَهُ جَرَّ السَّحَابِ

وقال في تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة :

وله في تمثال
نعل النبي

سَجَامٌ لَعَمْرِي أَدْمَعُ وَسِجَالٌ لَأَنَّ عَزَّ مِنْ نَعْلِ الرُّسُولِ مِثَالُ
وَهْلٍ يَمْلِكُ الْعَيْنِينَ فِي مِثْلِهَا سِوَى خَلِيٍّ عَدَاهُ عَنْ هُدَاهُ ضَلَالُ
ومنها :

مِثَالٌ إِلَى نَعْلِ الْمُطَهَّرِ يَعْتَرِي فَأَعَزَّاهُ لِلْحُسْنَيْنِ مَنَالُ
أَقْبَلَهُ شَوْقًا تَمْلِكُنِي لِمَا حَكِي وَشَهِيدِي لَوْ يَفْوُهُ قِبَالُ
وَأِلِّي اشْتَرَاكَ فِي التَّرَامِ شَرَاكَ وَحُسْبِي مِنْهُ عَصْمَةٌ وَمَنَالُ
وَمُعَقَّدُهُ مِمَّا عَقَدْتُ بِهِ الْهَوَى فَلَا صَحَّ عَزَمِي إِنْ صَحَّ لِي بَالُ
مِرَادِي مِنْ تَمْرِغٍ شَيْبِي عَلَيْهِ أَنْ تَسِيحَ مِنَ الرُّحْمَى عَلَى سِجَالُ
وَمَنْ وَضَعَهُ فِي حُرٍّ وَجْهِي وَرَفَعَهُ لِقَمَّةٍ رَأْسِي أَنْ يَعْزَّ مَا لُ
فَأَحْظَى بِحَظِّي مِنْ جِوَارِ مُحَمَّدٍ وَهْلَ بَعْدَ تَنْوِيلِ الْجَوَارِ نَوَالُ

وله في ذلك المعنى أيضا رحمه الله :

لِمِثَالِ نَعْلِ الْمُصْطَفَى أَضْفَى الْهَوَى وَأَرَى السَّلْوَ خَطِيئَةً لَنْ تُغْفَرَ
إِذَا أَصَاخَهُ وَأَمْسَحَ لَأَنَّمَا أَرْكَانَهُ فَمَعَزَّ زَا وَمَوْقَرَا
اعْتَزَّازِي فِي جِهَارِ تَذَلُّي لَجَلَالِهِ أَثَرًا بَقْلًا ٢٢

إن شاقى ذاك المثالُ فطالما شاق الحبَّ الطيفُ يطْرُقُ في الكرى
لى أسوةً فى العاشقين وقصدُهم لثمُ الطلول لأهلِهم تذكُّرا
وبكائهم تلك المعاهدَ ضلَّةً تحت الظلام على الغرام توفُّرا
أفلا أُمَرَّغُ فيه شيبى راشدا وأريق دمعى وسطه مستبصرا
ثقةً بأثرائى من الخيراتِ فى شغفى بنغلى خيرٍ من وطئ الثرى

[٦٨٣] وقال فى التشوق إلى الصريح الشريف على الدفين به صلوات الله وسلامه : وله فى التشوق إلى الصريح النبوى

لَوْ عَنْ لى عَوْنٍ من المقدار لهجرتُ للدار الكريمة دارِى
وحللتُ أطيبَ طينة من طَيِّبة جارا لِعَنٍ أَوْصَى بحفظ الجار
حيثُ استبانَ الحقُّ للأبصار لَمَّا استثارَ حفاظُ الأنصار
يا زائرين القبرِ قبرَ محمد بُشِّرْى لىكم بالسبق فى الزُّوَار
أَوْضَعْتُمُ لِنِجاتِكُم فَوْضَتُمُ ما آدَم من فَادِح الأوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذى حَمَلْتَكُم شوقا إلى المختار
أَدَّوا السَّلامَ سَلِّمْتُمُ وَبَرَّكَه أَرْجُو الإِجَارَةَ من ورودِ النار

[استطرد لما قيل فى نعل النبى صلى الله عليه وسلم]

قلت : وإذ جرى ذكرُ النعل النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فلا بدَّ أن نورد جملةً مما قيل فى مثالها على جهة التبرُّك ، والتوصلِ بصاحبها إلى الله سبحانه ، أن يُفرِّجَ عنا بجاهه كُرب الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من الذين حازوا الرتب الفاخرة ؛ وظفروا بالمقام الأسنى ، وفازوا بالزيادة والحسنى .

فمن ذلك قول الشيخ أبي عبد الله محمد بن فرج، مخمسا لأبيات الإمام الشهير
أبي الربيع بن سالم الكلاعي، رحمه الله، التي على رَوِيَّهَا وقافيتها سلاك ابن
الأبَّار، رحمه الله، في الأبيات المذكورة آنفاً :

لمحمد بن فرج
في نعل النبي
مخمسا لأبيات
أبي الزبيع
ابن سالم

خبالٌ عرا ما إن جنَّاه سوى النوى
نوى مَنْ نوى من كَشَفْ باوای ما نوى
فيا مُنْكِراً ما قد عراني في الهوى
«خواطِرُ ذی البلوی عواسرُ بالجوی ففی کلِّ یوم یعتریه خبالٌ»
سمعتُ اسمَه الأعلى الشریفَ المُشرِّفا
نخيلتُنی یعقوب ذُکر یوســــفا
ومن شیم الصب المَتمِّم ذی الوفا
«متی یدعُ داعرُ باسم محبوبه هفا فیهتاجُ بآبَالٍ ویُکسِفُ بال»
[٦٨٤] رعى الله صبَّاً بالهوى نفسه سمّت
له آية في الحب بالكتم أخكِمت
فما لم یلُح من حبه أثرٌ صمت
«وإن یرَ من آثاره أثرًا همت له من غروب المُقلّتين سِجال»
فيا نفسی الجــــالى دُجاها هلالها
أما إنه نور البــــدور كمالها
ألا فاعذری نفساً تحن خفالها
«كحالی وقد أبصرت نعلا مثالها لنعل الرسول الهاشمیّ مثال»
وبأیها الرّانی إلى مُفَنِّدا
وقد کدت لولا نهی حبی لِأَسْجُدا

هوى وجوى إن يَبْلَ دهره تجددًا
«عرانى ما يعزُّو الحبَّ إذا بدا لِعَيْنِيهِ من مَعْنَى الأَحِبَّةِ آلُ»
ذكرت به عَصْرًا مضى ومعاهدا
فَنُودِيتُ من نفسى نداء مُساعدَا
وَحَدَّتْ فعاوِدُ لِمَه تَدْعُ وَاجدا
«فَمَبْلَتْ فى ذاك المِثَالِ مُعاوِدا أرى أَن ذُلِّ فى هواه جَلالُ»
وَشَبَّهَتْهُ صَفْحًا ونفحًا حَديقَةً
مُفَتِّحةَ الأزهار غَنَّا أُنِيقَةً
سَقَتْهَا غَوَادٍ قد غَدَوْنَ غَديقَةً
«ومَثَلَتْهُ نعلَ الرِسْـوَلِ حَقِيقَةً وإِنِّ لأَدْرِ أَنَّ ذاك مُحالُ»
فيا جاهلا داءَ المحبين والدَّوَا
غَوَيْتَ ولا تدرى فلا كان مَنْ غوى
أَتُنْكَرُ لَئِم المِثْلِ فى حالة النَّوى^(١)
«ومن سنة العُشاق أَن يبعثَ الهوى مِثَالًا وَيَقْتَادَ الغرامَ خيالُ»
تساوتَ معانى الحبِّ فى كلِّ مَقْصِدِ
فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبَّرَى وَجَنَ مُسَهِّدِ
وَبَرَحَ وَتَهَيَّم وشوق مُجَدِّدِ
«فلا فَرَّقَ إلا أَنَّ حُبَّ مُحَمَّد هُدًى والهوى فيمَن عداه ضلالُ»
انتهى .

* * *

(١) فى هامش ص عن نسخة أخرى : « تُنْكَرُ عرو الحب ... الخ » .

وله في مدح النعال
على حروف
المعجم

ولحمد بن فرج المذكور عفا الله عنه ، وتقبل بكرمه ورحمته منه ؛
[قطع] ^(١) على حروف المعجم ، في لزوم ما لا يلزم ؛ سماها بالقطع الخمسة ،
في مدح النعال المقدسه .

قال رحمه الله حسبا نقلت من خطه :

وآثرت التخميس على التعشير ، ليكون أسرع لحفظها ، وأبرع لفظها ؛
وأیضا فوجود خمس من القوافي في نظم لزومي أو نثر ، أهون على الفكر من
وجود عشر . هذا وإن كان اللسان العربي فصيحاً فسيحاً لا يضيق ، ولا يكاد
يخرج عنه لسان كل فريق ؛ لكن ليس من شرط المطالعه ، أن يحفظ الغريب
من الكلام كل من طالعه ؛ والله سبحانه أسأل أن يجعلها من القربات التي
تنفع ، والمسائل التي تشفع ، والتائب التي تذود كل سوء في الدارين وتدفع ،
وصلى الله على الشفييع المشفع ؛ وسلم تسليماً ، من آفة الانفصال سليماً .

قافية الرمزة

أتمثال نعل كان يلبسها الذي	إذا عُدَّتِ الأرسالُ ليس له كُفٌّ
أبو القاسم الأسمى الذي وطئ السَّما	بأخصه ليلاً فشرَّفها الوطء
أقبل في طرس حواك كَأَنِّي	عليلٌ وفي تقبيل شكلك لي البرء
أنا المرء بالآثار مَمَّنْ هَوِيَتْهُ	قَنَعْتُ وقد يُخْطِئُ إذا قَنَعَ المرء
أأحمدُ لا يهوى الفؤادُ سواك ما	تقدَّم عودَ الشيء في الرُتبة البدء

قافية الباء

بنفسي مِثَالُ النَّعْلِ نَعْلٍ مُحَمَّدٍ نَبِيُّ الْهُدَى الْخُصُوصِ بِالْقُرْبِ وَالْحُبِّ

(١) زيادة يقتضيها السياق .

بدالى فكان البدر جلى بنوره غياهب أشجان تراكم في قلبي
بكت مقلتي شوقاً للابسها وهل بمطفئة نار الأسى دمعاً الصب
بعث به شخصاً من الأنس مميّناً فبشرني بالقرب منه على قرب
بموطئها قد شرف الله ترّبة عليها مشّت فالتبر يحسّد للترّب

فافية الناء

تلوت وقد أبصرت مثلاً لنعل من تميز بالوصف الشريف وبالنعف
ترفعت من نعل بأخص مرسل قد أنقذ من شر الطواغيت والجبت
تقدست الأرض التي قد مشى بها عليها فصار الفوق يعبط للتعث
تمنيت لو أتى ظفرت بترها فمرغت فيه الخد للحين والوقت
تمنى صب عاشق دنف جو معني كئيب دأبه حفظ ذى الست^(١)

فافية الناء

نمار الأماني قد جنى الطرف إذا رأى مثال نعال المصطفى من أولى البعث
نراها ومن أعلاه طاب نسيمة وما أنا في هذى اليمين بذى حنث
نرياً السما ودت لتنقل بانثرى إليك فلم تنقل فهاهن في بث^(٢)
نويت به ياطيب فهو كمسكة يفوق شذاها المسك في الطيب والمكث
نوابي يا من شرقت بلباسه على مدحها تأمين خوف في البعث

فافية الجيم

جلّت أيا نعلًا بأخص سيد إلى حضرة القدس العليّة عارج

(١) يريد الصفات الست ، المذكورة في البيت .

(٢) في الأصول : « ذوبت » . والتصويب عن هامش ص .

جُبِلْتُ عَلَى حُبِّ لَه فَمَتَى بَدَا مِنْ آثَارِهِ شَيْءٌ تَتَوَرَّ لَوَاعِي
جَنَى الْأَنْفُ مِنْهَا زَهْرَ رَوْضٍ إِذَا انْبَرَى نَسِيمُ شَذَاهُ بَذَّ عَرَفَ النُّوَافِجِ
جَبَرْتُ بِهِ صَدْعًا جَنَاهُ الْهَوَى وَمَا شُغِفْتُ بَعْنَجِ الْخَوْدِ ذَاتِ الدَّمَاجِ
جَزَى اللَّهُ عَنِّي الْقَلْبَ خَيْرًا فَإِنَّهُ تَعَلَّقَ بِالْهَادِي لِأَهْدَى الْمَنَاهِجِ

قافية الحاء

حَظِيَّتِ أَيَا نِعْلًا بِأَخْصِ مَرَسَلٍ قَدْ أَنْزَلَ رَبُّ الْعَرْشِ فِيهِ أَلَمْ نَشْرَحْ
حَلَّتْ بِسَاطِ الْقُدُسِ حِينَ غُرُوجِهِ لِيُوضِحَ فِي الْمَسْرَى لَهُ اللَّهُ مَا أَوْضَحَ
حَلَفْتُ: لَأَرْضُ قَدْ وَطِئَتْ تَرَابَهَا لَكَا لِمَسْكٍ مَفْضُوضًا أَمَا إِنَّهُ أَفْوَاحُ
حَلَّتْ نِطَاقَ الْكُتْمِ لَمَّا رَأَيْتَهَا فَصَرَّحَ مِنْ حُبِّي اللِّسَانُ بِمَا صَرَّحَ
حَبِيبِي الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى وَمِنْ أَجَلِهِ مَدَحْتُ لِنَعْلَيْهِ وَحَقٌّ بَأَنَّ أَمْدَحَ

قافية الحاء

خُذِيهَا أَيَا نَفْسِي الْمَشُوقَةَ كَلَمَا سَرَى نَفْسٌ مِمَّنْ هَوَايَ بِهِ بَدَخْ
خَمِيلَةَ شِعْرِ أَوْدَعْتُ مَدَحَ نَعْلِ مَنْ بِشِرْعَتِهِ كُلَّ الشَّرَائِعِ قَدْ نَسَخَ
خَضِبْتُ نِصَالَ الشَّيْبِ لَمَّا رَأَيْتَهَا بَدَمَعَ مُحِبِّ عَقْدَ كِتْمَانِهِ فَسَخَ
خُطَاهَا أَفَادَ الْأَرْضَ زَهْوًا فَأَنْفَهَا عَلَى قِمِّ الشُّهْبِ الْمُنِيفَةِ قَدْ شَمَخَ
خُصِصَتْ أَيَا نِعْلًا بِأَجْلَى مَزِيَّةٍ تَبَيَّنُ لِمَنْ فِي الْعِلْمِ أَخْصَهُ رَسَخَ

قافية الدال

دَعِ الطَّرْفَ يَسْرَحْ فِي رِيَاضٍ تَزِيدُ بِمَدَحِ نِعَالِي مُصْطَفَى الرُّشْلِ أَحْمَدَا
دُعِيَ فَمَشَى فَوْقَ السَّمَاءِ فَلَمْ يَطَأْ بِهَا مَوْضِعًا إِلَّا وَأَصْبَحَ مَسْجِدَا

دَنَا فَتَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ إِذْ دَنَا فَأَوْحَى الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ مِنَ الْهَدَى
دُنُوٌّ حَبِيبٍ مِنْ حَبِيبٍ لِأَجَلِهِ لَا أَدَمَ أَمْلَاكَ السَّمَوَاتِ أَسْجَدًا
[٦٨٧] دَرَى فَضْلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَكَلَهُمْ يَرُونَ وَجِيهَهُ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا

فافية الزال

ذَرِ الْأَنْفَ يَسْتَنْشِقُ خَائِلَ رَوْضَةٍ تَبْدُ نَسِيمَ الْمِسْكِ أَنْفَاسُهَا بَدًّا
ذَكَرْتُ بِهِ نَعْلًا لِأَكْرَمِ مَرْسَلٍ بَرَاهُ الَّذِي أَعْلَاهُ فِي رُسُلِهِ فَذَّا
ذَرُورُ تَرَاهَا الْمِسْكَ فَاقَ فَإِنْ تَسَلَّ عَنْ أَذْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْفَتِيْقِ شَذَّا فَذَّا
ذُكَاةٌ تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ سَحَاءَةً تَعْبَى مَدَحَهَا أَوْ جِلْدَةً مِثْلَهَا تُحَذَى (١)
ذُؤُ وَحُبِّهِ التَّدَا بَرُؤَيْتَهَا كَمَا بَشُوبِ ابْنِ يَعْقُوبٍ أَبُوهُ قَدِ التَّدَا

فافية الراء

رَأَيْتُ مِثَالَ النَّعْلِ نَعْلٍ الَّذِي بِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْقُدُسِ الْعَلِيَّةِ قَدْ أُسْرِيَ
رَعَى اللَّهُ مِنْهَا نَعْلَ أَيْ كَرِيمَةٍ بِرَجُلٍ عَلَتْ نَخْرًا عَلَى قَعَةِ النَّسْرِ
رَوَى أَنَّهُ نُودِيَ وَقَدْ رَامَ خُلْعَهَا وَمَاءَ الْحَيَا فِي وَجْنَتَيْهِ مَعًا يَجْرِي
رَسُولِي لَا تَخْلَعْ تُشَرِّفَ بَوَظْئَهَا بِسَاطِي يَامَعْنَى وَجُودِي يَا سَرِّي
رَفَعْتَ لَوَاءَ الْمَكْرُمَاتِ جَمِيعَهَا بِيَمْنَى الْعُلَا وَالنَّاسِ فِي قَبْضَةِ الذَّرِّ

فافية الزاي ، وهي منجاسة

زَفِيرِ اشْتِيَاقِي إِذْ بَدَا نَعْلٌ مُعْتَقِي مَخَاطِبَتِي كَتَمْتَنِي وَغَرَمْتَنِي قَدْ عَزَا

(١) السحاة : قطعة صغيرة من الورق تؤخذ من القرطاس . وتسمى : تحفظ . يريد أن الشمس تتمنى أن تكون هذه السحاة التي تحوى مدح نعل النبي ، أو أن تكون قطعة من الجلد مثلها .

زَكَتْ شَفَةً قَدْ قَمَلَتْ نَعْلَ سَيِّدٍ بِهِ عَالَمَ الْإِنْسَانِ أَجْمَعُهُ عَزَا
زَعِيمٌ بِهِ هَذَا السُّرُورُ لَنَا وَفِي مَصَائِبِنَا الْعُظْمَى الْمَصَابُ بِهِ عَزَى
زُهُوُّ سَنَاهُ ظُلْمَةُ الشَّرِكِ قَدْ جَلَا وَلَوْلَاهُ كُنَّا نَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى
زَمَانِي لَا أَنْفَكَ لَانْمَا أَرَى هَوَانَ هَوَانَا يَا أَخْلَاءَنَا عَزَا

فافية الطاء

طَوَتْ بَعْضَ مَآمِنٍ وَخَشَةَ نَشْرِ النَّوَى نَعَالُ خُطَاهَا فِي الْمَكَارِمِ لَا تُخْطَا
طَفِقْتُ أَنَادِي حِينَ لَاحَتْ لِنَاطِرِي وَزَنَدَ الْهَوَى بِالسَّقَطِ قَدْ وَصَلَ السَّقَطَا
طَبِ أَنْعِمِ تَنْزَهُ يَا فَوَادِي فَهَذِهِ نَعَالُ الَّذِي جَاوَزَتْ فِي حُبِّهِ الْفَرْطَا
طُبِعْنَا عَلَى حَبِّ لَهُ فَمَتَى يَلُحُ لَنَا أَثَرُ نَنْثُرُ مِنْ أَدْمُعِنَا سِمَطَا
طَلَعْنَا نَجُومًا فِي هَوَاهُ فَافْقُنَا قَدْ أَخْلَدَ عَنْهُ النِّجْمُ لِلْأَرْضِ وَانْحَطَا

فافية الظاء

ظَلَمْتُ أَنَادِي إِذْ رَأَيْتُ نَعَالَ مَنْ قَدْ أَنْقَذَنِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَنْ لَظَى
ظَهَرَتْ لَنَا فِي شَكْلِ بَدْرِ فَلَمْ نَكُنْ لِبَدْرِ الدَّجَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لِنَلْحَظَا [٦٨٨]
ظَمِينًا فَكُنْتُ الْمَاءَ مَقْلُوبَ هَمْزَةٍ نَقَعْتُ وَمِيمٍ جِيءَ فِي إِثْرِهَا بَطَا
ظَهَرِي رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ لَحَظْتَنِي بِهَذِي وَفِي الْأُخْرَى تَرَى لَعْنِ الْحَظَا
ظِلَالُكُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ حَفِظْتَنِي وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْفَضْلُ مِنْكُمْ لِأَخْفَظَا

فافية الطاف

كَرُمْتَ أَيَا نَعَالًا لَا كَرَمَ مَرَسَلٍ بِهِ وَهُوَ وَسْطَى السَّلَاكِ قَدْ خُتِمَ السَّلَاكُ
كَأَنَّكَ فِي عَيْنِي نَافِجَةٌ خَلَّتْ وَأَبْقَى بِهَا لِلْأَنْفِ مِنْ نَفْعِهِ الْمَسَاكُ

كُتِمْتُ فُلَمَّا لَحْتُ لِي بِأَحَ حَجَرِي بِسَرٍّ مَعْنَى قَلْبِهِ بِالنَّوَى يَشْكُو
كُفَانِي كُفَانِي أَنْ بَدَأَ أَثْرُ لِمَنْ بِهِ مِنْ إِسَارِ الشَّرْكِ قَلْبِي مَفْتَكُ
كَرِيمُ كَرَامِ الرُّسُلِ أَحَدُهَا الَّذِي بِتَوْحِيدِهِ الْإِشْرَاقُ أَوْ دَى فَلَا شَرَّكَ

فافية المرم

لِمِثْلِكَ يَا نَعْلًا بِلَابِهَا نَعْلُو وَيَا طَيْبَ قَلْبِي كَمَا قَلْتَ يَا نَعْلُ
لَثَمْتُ وَمَا أَبْغَيْهِ بِاللَّثْمِ لَا وَلَا سِوَاهُ فَمَا قَصْدِي النِّعَالُ بِلَا الرَّجُلِ
لَهَا اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ مَشَتْ بِأَجَلٍ مَنْ شَأَى رَسُلَ اللَّهِ الْكَرَامِ وَإِنْ جَلُّوا
لَنَا قَدْ أَتَى مِنَّا عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَمِنَّا رَعُوفٌ رَاحِمٌ مَا لَهُ مِثْلُ
لَا عَمْرَى لَوْلَاهُ لَمَا سَحَّتِ السَّمَاءُ وَلَا دُحِيتْ أَرْضُ وَلَا بَرَى الْكُلِّ

فافية الميم

وفيها وفيما بعدها لزوم زائد لم يهد الله إليه ولا ألهم ، إلا بعد الفراغ من
نظم ما تقدم ، وإلا فجناب مجده فسيح ، ولسان الألسن في مدحه عليه
السلام فصيح ، [وصلى الله على سيدنا محمد النبي المصيح] :

مِثَالِكِ نَعْلِ الْمُصْطَفَى هَاجَ لِي جَوَى جَنَاهُ هَوَى قَلْبِي السَّعِيدُ بِهِ سَمَا
مَدَدْتُ لَهُ عَيْنِي مَشُوقٌ بِهِ عَلَى صَبَابَتِهِ أَلَّا تَحُولَ قَدْ أَقْسَمَا
مَشَيْتُ بِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ فَكَلَّمَا وَطِئْتُ سَمَاءَ فَاخَرْتُ فَوْقَهَا سَمَا
مَوَاطِئُهُ فُسِّنَ فِيهَا مَنَاسِكَا فَأَسْمَى الَّذِي أَدْنَاهُ ذَاكَ الْمُقَسَّمَا
مُحَمَّدُ أَبْكَيتَ النَّرَى إِذْ عَرَجْتُمْ وَعُدْتُمْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَا فَتَبَسَمَا

فافية النون

نَظَرْتُ بِعَيْنِي هَائِمَ الْقَلْبِ مُدْنَفٍ شَجِيءٍ أَبِي إِلَّا الْبُكَاءُ طَرَفُهُ خِدْنَا

نَعَالَ حَبِيبٍ مُصْطَفَى مِنْ حَبِيبِهِ دَنَا فَتَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى [٦٨٩]
 نَبِيٍّ جَمِيعِ الرُّسُلِ سَادَ حِلْيَ كَمَا بِمَبْعَثِهِ فِينَا جَمِيعِ الْوَرَى سُدْنَا
 نَجَى لِرَبِّ الْعَرْشِ نَاجٍ مُحِبُّهُ غَدَا مِنْ لَطَى ذَاتِ اللَّطَى وَارْتَا عَدْنَا
 نَزَعْنَا إِلَى التَّوْحِيدِ مِنْ مُلْكٍ شَرَكْنَا وَلَوْلَاهُ مَا وَاللَّهِ لَلَّهِ وَحْدَنَا

فافية الصاد

صَبَرْتُ فَلَمَّا لَاحَ لِي مِثْلُ نَعْلٍ مَنْ حِلَاةُ تَعَالَتْ أَنْ تُعَدَّ وَتُسْتَقْصَى
 صَبَبْتُ دُمُوعًا مِنْ جَفُونٍ كَأَنَّهَا عَزَّ إِلَى سَحَابٍ نُؤْيِيهَا النَّأَى قَدْ أَقْصَى
 صَبَوْتُ هَوًى فِي السَّيِّدِ الْعِلْمِ الَّذِي قَدْ أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
 صَمِيمٌ صَمِيمٌ الْجِلَّةِ الْقَمَرُ الَّذِي وَقَاهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ وَالْكَشْفُ وَالنَّقْصَا
 صِرَاطِي هَوَاهُ لِلْجَنَانِ وَإِنَّهُ بَقِيَ وَوَقَى جِيدَ اعْتِصَامِي بِهِ الْوَقْصَا

فافية الضاد

ضُلُوعِي لَا تَهْدَا وَدُمُوعِي لَا يَرْفَا وَلَيْسَ سِوَى حَالِيهِمَا مِنْهُمَا أَرْضَى
 ضَلَّالِي هُدًى فِي ذَا الْهَوَى عِنْدَ أَهْلِهِ ذَوِي النَّظَرِ الْأَقْوَى ذَوِي السَّنَنِ الْأَرْضَى
 ضَعُؤَا قَلْبِي الشَّاكِي بِحَيْثُ نَعَالُهُمْ فَأَمَّا رُحْمُ تَشْفِي أَحِبَّتْهَا الْمَرْضَى
 ضَمَمْتُ نَعَالَ الْمُصْطَفَى رِجْلَهُ الَّتِي بِهَا شَرَّفَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَا
 ضَعُؤَهَا كَمِثْلِي فَوْقَ أَرْوَاسِكُمْ فَقَدْ زَكَ مِنْ رَأْيِ تَعْظِيمِ مِقْدَارِهَا فَرَضَا

فافية العين

عَلَى وَجْنَتِي فَاضَتْ دُمُوعِي فَصَرَّحَتْ بِسِرِّ فُؤَادِي بِالتَّعَلُّكِمْ أَوْلِعَا
 عَشِيَ بَدْتُ نَعْلُ الْحَبِيبِ كَأَنَّهَا هَلَالٌ بَاقٍ الْقُلُوبِ قَدْ أَطْلَعَا

عَجِبْتُ لِقَلْبِي أَنْ رَأَاهَا وَلَمْ يَطِرْ
وَيَحْرِقُ شَغَافًا قَدْ حَوَاهُ وَأَضْلَعَا
عَمْرَاهُ خِيَالًا فَاسْتَقَرَّ وَلَمْ يَطِرْ
إِلَيْهَا وَشِيكًا حِينَ بِالْأَمْرِ طَوَّرَا
عَسَى مِنْ أَرَانِي نَعْلَهُ أَوْ مِثْلَهَا
يُرِينِي ضَرْبًا لِلْمَكَارِمِ مُطْلَعَا

فافية الغين

غَلِيْلِي لَا يَطْفَا وَشَجْوِي لَا يَفْنَى
وَدَمْعِي لَغَيْرِ الْمُزْنِ لَيْسَ بِمَنْبَغِي
غَسَلْتُ بِهِ رَيْنَ الْجَوَى وَهُوَ نَكْتَةٌ
بِخَدِّي وَقُلْتَ اسْفِكَ نَجْمَكَ وَاضْمِغْ
غَدَاةَ بَدْتِ نَعْلٍ لَا كَرَمَ مَرْسَلٍ
رَفِيعٍ رَفِيعٍ شَفِيعٍ ذِي مَكَارِمَ سُبُغِ
غَيُورٍ شَكُورٍ رَاحِمٍ مُتَلَطِّفٍ
كَرِيمٍ مُنِيلٍ وَاسِعِ السَّيْبِ مُسْبِغِ
غُلَامُكَ يَا مَوْلَايَ يَنْبَغِي شِفَاعَةٌ
وَذَلِكَ أَمْرٌ مَا لَغَيْرِكَ يَنْبَغِي

[٦٩٠]

فافية الفاء

فَوَادِي لَا تَشْكُ الْبِعَادَ فَهَذِهِ
نِعَالُهُمْ فَاسْتَشْفَيْنَ بِهَا تَشْفَى
فَمَيِّ قَبَّلْنَاهَا مِثْلَ نَعْلٍ كَرِيمَةٍ
بِتَقْبِيلِهَا يُشْفَى سَقَامٌ مَنِ اسْتَشْفَى
فَلَيْتَ يَمِينِي وَالشِّمَالِ وَمِسْمَعِي
قُلْبَيْنِ شِفَاهَا تَحْسِنُ اللَّثْمَ وَالرَّشْفَا
فَأُطْفِئُ بِالتَّقْبِيلِ وَالرَّشْفِ سَجْمَةً
قَدْ أَشْعَلَهَا شَوْقٌ عَلَى الْهَلَاكِ بِي أَشْفَى
فَأَقْسِمُ يَا نَعْلَ الْحَبِيبِ لَأَنْتَ مِنْ
شَرَابِ بَطُونِ النَّحْلِ الْمُشْتَبِكِ أَشْفَى

فافية القاف

قُلُوبِي لَا تَقْطُ فِهْذِي نَعَالُ مَنْ
عَلِقَتْ بِهِ مِنْ قَبْلِ مَرَّاتٍ الْعَلَقُ
قَدْ أَبْصَرْتُهَا فِي أَفْقٍ كَفَى كَأَنَّهَا
هَلَالٌ مَنِيرٌ لِلْعُيُونِ قَدْ ائْتَلَقَ
قَفَاً فِي السَّنَى آثَارَهُ الْقَمَرُ الَّذِي
لِلْإِبْسَةِ كَالْبُرْدَةِ انشَقَّ وَانْفَلَقَ

قَرَأْتُ حِذَارَ الْعَيْنِ لَمَّا رَأَيْتُهُ بِأُفُقٍ يَمِينِي طَالَعًا سُورَةَ الْفَلَقِ
قَسَتْ مُهْجَةً قَدْ أَبْصَرْتُهُ وَمَا جَرَتْ مَسَابِقَةً شُهْبَ الْمَدَامِعِ فِي طَلَقِ

قافية السبع

سَمَوْتَ أَيَا نَعْلَ الرُّسُولِ بِرِجْلِهِ عَلَى قِمَمِ الشُّهْبَانِ وَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
سَرَى لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَوْقَ بُرَاقِهِ لِيُسَمِّيَ أَقْطَارَ السَّمَوَاتِ بِاللَّامِ
سَمَاءَ بِهِ فَلْتَفْخَرِي بِدَرِّ سَوْدُودٍ سَالِمَ السَّنَى يَضْحِي مُنِيرًا كَمَا يُعْمَى
سِرَاجٌ بِهِ طَلْنَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَلَا عَجَبٌ أَنْ يُفْضَلَ الْيَوْمُ لِلَّامِ
سَلِمْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ لَكِنَّا وَهُمْ حُرُوفٌ وَمَا إِلَّا طَبَاقُ فِي الْحَرْفِ كَالْهَامِ

قافية السبع

شَمَخْتُ أَيَا نَعْلًا لَا كَرَمَ سَيِّدٍ رَسُولٍ عَلَى السَّيِّعِ السَّمَوَاتِ قَدْ مَشَى
شَرِيفٍ لَهُ قَدْ أُسْجِدَ الْبَدْرُ وَالتَّفَتِ إِلَيْهِ تَجَسَّدَ بِالْتَّرَابِ مُنْمَشَا
شَفَى مُبْصِرِي الْقَلْبِ وَالْطَّرْفِ نَوْرُهُ وَقَدْ كُنْتُ أَعْشَى الْقَلْبِ وَالْطَّرْفِ أَعْمَشَا
شَفَاعَتَهُ نَرْجُو امْتِدَادَ ظِلَالِهَا إِذَا مَا الرِّجَا فِيمَا سِوَاهَا تَكْمَشَا
شَقَقْتُ جِيُوبَ الْكَتَمِ وَجَدًّا وَقُلْتُ يَا يَدَيَّ وَهِيَ حَبْلُ^(١) التَّصَبُّرِ فَاحْمَشَا

قافية الهاء

هِيَ النُّعْلُ قَدْ كَانَتْ سَمَاءَ وَرِجْلُهُ هَلَالًا فَمَا أَسْنَى وَأَضْوَأَ أَفْقَهَا
هِيَا مَنْكَرًا تَقْبِيلَهَا بَعْدَ بَدْرِهَا عَلَى دَنْفٍ مَا أَنْتَ مِنْهُ بِأَفْقَهَا [٦٩١]
هَلِ الْقَصْدُ إِلَّا رَجُلٌ لَا بِسَهَا الَّذِي سَيُسَمِّعُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَفْقَهَا

(١) في الأصول : « حد » . ونظنه محرفا عما أنبتناه .

هَلَالِي وَشَمْسِي فِي دُجَى الْحَشْرِ سَيِّدِي مُبْلَغُ نَفْسِي مَا يُوَافِقُ وَفَقَهَا
هَمَّتْ عَهْرَتِي شَوْقًا لَهُ إِذْ رَأَيْتَهَا فَمَا تَرْتَجِي الْأَجْفَانُ مِنْ بَعْدُ رِفَقَهَا

* * *

انتهى ما ألفيته من هذه القطع ، ولم أجد تكملة الحروف ؛ وقد كمل ما بقي
منها على نَمَطِهَا ، صاحبنا الفقيه الأصيل أبو الحسن الشامي ، حفظه الله ،
وسياتى ذلك قريباً .

وَأَلْفَيْتُ أَيْضًا بِحُطِّ هَذَا الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ السَّبْتِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عِدَّةَ
قَصَائِدَ وَمَقَاطِيعَ فِي هَذَا الْغَرَضِ ، مِنْهَا قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِثَالَ نَعْلِ مُحَمَّدٍ فَاشْتَدَّ شَوْقِي عِنْدَ ذَلِكَ وَهَاجَا
فَظَلَّتْ أُمْسُحُ وَجْنَتِي بِشَسْعِهِ مَسْجَاً وَأَجْعَلُهُ بِرَأْسِي تَاجَا
يَا نَعْلَ أَكْرَمِ مَرْسَلٍ لَمَّا أَنِي دَخَلَ الْوَرَى فِي دِينِهِ أَفْوَاجَا
كَرُمْتُ مِنْ نَعْلِ حَوْتِ رِجَالٍ مَشَتْ بِأَجَلٍ بَادٍ فِي الظَّلَامِ سِرَاجَا
شَرُفْتُ بِمَوْطِي نَعْلِهِ السَّمْعِ الْعَلَا لَمَّا ارْتَقَاهَا عَارِجًا لَيْنَاجِي

* * *

ومنها قوله رحمه الله :

نَثَرْتُ مُحَاجِرُ مُتْلَتِي مِنْ سِلْكِهَا دُرًّا وَشَدْرًا مُفَرَّغًا مِنْ سِلْكِهَا
شَوْقًا لِمَبْعُوثٍ أَنِي فَاسْتَبَشَّرْتُ مُهَيِّجُ الْوَرَى بِنَجَاتِهَا مِنْ هُلْكِهَا
عَايَنْتُ مِثْلَ نَعَالِهِ وَمُحَمَّدُ هُوَ خَاتَمُ الْأَرْسَالِ وَسَطَى سِلْكِهَا
فَوَجَدْتُ فِيهَا رِيحَهُ وَلَرُبَّمَا فَاحَ النِّوَافِجِ بَعْدَ فُرْقَةٍ مِسْكِهَا
أَشْرَفَ بِهَا نَعْلًا عَهَائِمُ كُلِّ ذِي شَرَفٍ تُقَرُّ بِأَنْهَا مِنْ مِلْكِهَا
فَلَقَدْ وَعَتْ قَدَمًا سَعَتْ فِي فَكِّهَا مِنْ رَاحَتِي كُفْرَانِهَا أَوْ شَ

وله مقاطيع
في مدح النعال
أيضاً

جعلت مَواطِنَها المَلائِكُ عندَما
 ياليتَ أعضائي شِفاءَ كُلِّها
 قد كنتُ ذا خوفٍ ووَحْشَةٍ أَبَدَلاً
 فكأنَّها صَكٌّ أتى عَبْدًا وَقَدْ
 وهلالٌ أَطْلَعَ فأنجَلِي مِن وَحْشَتِي
 فأنَّا العتيق وإن تَشَكَّ النَّفْسُ في
 يامُنْجِي الحَوَّاءِ مِن بَحْرِ الرَّدَى
 شَكَّوِي غريبٍ ذُنُوبِهِ مَهْمَا شَكَّتْ
 ولقد أَمِرتُ بِتَرْكِ أسبابِ بها
 ولئن هَدَمْتُ مَبَانِيًا مَسْتَوْرَةً
 فلقد بَنَيْتُ مِنَ الرِّجاءِ مَبَانِيًا
 وجعلتُ حُبَّكَ يا مُحَمَّدٌ أُنْهَى
 صَلَّى عَلَيْكَ إلهنا ما ظَلَّ أَنْ

أُسْرِي بِهِ لَيْلًا مَواضِعَ نُسْكِها
 فتي تَقَبَّلَها شِفاءَها تَحْكِها
 رَغَدَ المَسْرَةِ للَفْؤادِ بَضَمْكِها
 تُعْطِي المَوالِي أَمْنِها في صَكْكِها
 ما قد تراكَمَ مِن سَحائبِ حُلَمِها
 عَتَقِي بِمُطِّ لِاحِينَ عارِضُ شَكْكِها [٦٩٢]
 ولقد غدا لولاك مَعْطَبَ فُلْكِها
 حَوَّاءُها لِسَواكُم كَمَ يَشْكِها
 تقوى الذُّنُوبِ فما أَخَذْتُ بِتَرْكِها
 بِسُتُورِ لُطْفٍ لا سَبِيلَ لَهْطِها
 رَدَّتْ فَوَاتِكَ خِيفَتِي عَن فَتْكِها
 عِلْمًا بَأَنَّ الأَسْرَ مُمَسِّكُ سَمَكِها
 فِ ذَكَرِكَ العَطرَ الشَّدَا مُسْتَنَكِها

ومن ذلك قوله رحمه الله :

أقولُ وهِجْراني سَيَعْقُبُهُ الوَصْلُ
 غداةَ رَأَتْ عَيْنِي مِثالَ نِعالِ مَنْ
 تَمَنَيْتُ لَوْ أَنِّي ظَفِرتُ بِتَرْبَةِ
 فَأَكْجَلَ عَيْنًا أُرْمِدَتْ بِبِيعادِهِ
 هو الكَحْلُ يَجْلُو ما بَعِثَنِي مِن قَدَى
 لَمَوْباكَ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى وَحَقُّ أَنْ

فَعَقَدُ الهَوَى الشَّرْعِي ما إِنْ لَهْجَلُ
 بدا فَهَدَى أَهْلَ السَّعادَةِ إِذْ ضَلُّوا
 عَلَیْها مَشَتْ نِعالٌ بِلابِسِها نَفَلُو
 وَلَيسَ سِوَى ذاكِ التُّرابِ لَها كُجَلُ
 وَكَمْ كُجَلُ أَنْ تُكْحَلَ بِهِ العَيْنُ لا يَجْلُو
 أُرَدَّدَ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى أَيَّا نَفَلُ

فإنك قد أودعت رجلاً علت على
فأقسم لو نوتى العائم سؤلها
وناهيك من رجل مشته بمحمد
أبو القاسم الأسمى الذى وطئ السما
ولو لم تطأها رجلاه كان للثرى
فيا مرسلًا ما فى النبیین مثله
أنرت ظلام الجهل فالقلب نير
فكان كمثل السيف أصبح صائدًا
يلوح به الإيمان شكلًا لناظر
فحق لذي عقل بأن يقطع المدى
وما شغل إلا امتداح جلالكم
أمولاي يا مولاي ألفا وبعده
عديده الحصى والرمل بل عد ما إذا
خبكم كفى الذى مذ حللته
وسيفى الشرىجى الذى مذلته
ورمى الردينى الذى مذرعه
وقوسى التى مذلته الصدق نبيلها
فها أنا فى ظل من الأمن قاطع
ومن يدري ما أدري من افضالك الذى
أو الأصل والإفضال بعض فروعه

بساط علًا لم تغله
لما كان غير النعل كان هـ
مفضل رسل الله إن عدت الرسر
فنودى من فيها ألا خلفه صلوا
على الفلك الأعلى بموطئها الفضل
رسولا وهل للشمس من جنبها مثل
محا العلم منه أحرًا خطها الجهل
وأسمى وقد جلى مضارب الصقل
ولولاك لم يطلع به ذلك الشكل
مدى عمره مادام يصحبه العقل
فنعم الفتى من شغل ذلك الشغل
كذلك ألف ثم ألف له قبل
بدا فالخصى جزاء بدا منه والرمل
إذا اشتدبى كرب على الفور ينحل
رأيت خطوب الجهل عنى تنسل
صرعت به شكلي فلا نعش الشكل^(١)
أصابت أسى ماخاب قط له نبيل
على الأمن أن يمتدلى ذلك الظل
هو الباب والإفضال أجمعه فضل
وما يستوى فى الزتبة الفرع والأصل

[٦٩٣]

نَمَّ آمِنًا مِنْ جَوْرِ دَهْرٍ صُرُوفُهُ سَوَاهِرُ وَاسْتَقْضَى وَلَيْسَ لَهُ عَدْلُ
 يَا غَوْثِي وَغَيْثِي كَمَا تَجَمَّعَتِ الْأَيَّامُ أَوْ أَحْجَفَ الْمَحَلُ
 مُحَمَّدُ يَا حَزْرِي وَعَزِّي كَمَا تَفَاقَمَتِ الْأَهْوَالُ أَوْ طَرَقَ الذَّلُ
 أَكْرَرُ فِي أَحْوَالِي أَسْمَكَ إِنَّهُ لَسَكَ الشَّهْدُ مَا كَرَّرْتَهُ فِي فَمِي يَحْلُو
 [أَمَّا إِنَّهُ أَحْلَى وَأَيْمَنُ مُجْتَنِيٍّ] فَكَمْ مُجْتَنٍ لِلشَّهْدِ تَلَسُّعُهُ النَّحْلُ
 وَإِنْ كَانَ فِي الشَّهْدِ الشِّفَاءُ لِمَشْتَكٍ بَعْلَةٌ جَسْمُ أَصْلَاهَا الشَّرْبُ وَالْأَكْلُ
 فَبِاسْمِكَ يُشْفَى كُلُّ قَلْبٍ إِذَا اشْتَكَى إِلَيْكَ بَدَاءُ جَرِّهِ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
 وَمَا جَسَدُ الْإِنْسَانِ مِثْلَ فُؤَادِهِ فَمَنْزِلُ ذَا عُلُوٍّ وَمَنْزِلُ ذَا سُفْلُ
 فَبِالْفَضْلِ يَازَا الْفَضْلُ وَالْبَذْلُ إِنْ عَدَتْ خُطُوبُ وَلَمَّا يُلْفُ فَضْلُ وَلَا بَذْلُ
 أَجِرْنِي مِنْ نَارٍ ضَرِيعٍ طَعَامُهَا وَمُهْلٌ وَمَا يَغْنِي ضَرِيعٌ وَلَا مُهْلُ
 وَمِنْ أَهْلِهَا الْعَاصِي أَوْ أَسْرَ رَبِّهِ وَإِنِّي أَنَا أَوْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِي أَهْلُ
 أَمَا إِنِّي أَرْجُو النِّجَاةَ وَإِنْ تَكُنْ ذُنُوبِي حِمْلًا لَا يُطَاقُ لَهَا حَمْلُ
 فَإِنِّي قَدْ أَعْدَدْتُ أَى ذَخِيرَةٍ تَخَفُّ مِنْ ثِقَلِ الذُّنُوبِ فَلَا ثِقْلُ
 هَوَاكَ الَّذِي الْمَعْصِيَاتُ خَبَائِثُهُ فَمِنْ مُهْجَتِي حَقٌّ وَمِنْ غَيْرَتِي قُفْلُ
 أَلَا هَكَذَا فَلْيَخَيَّمِ الْحُبُّ مُدْنَفٌ إِذَا مَا سَلَا أَهْلُ الْحُبِّ لَا يَسْلُو
 وَإِنْ يَخْلُ مَعْمُورُ الْقُلُوبِ مِنَ الْهَوَى فَمَا قَلْبُهُ الْمَعْمُورُ مِنْ حُبِّهِ يَخْلُو
 وَإِنْ يَعْثَلُ وَقَنَا غَرَامُ فَيَخْتَلِلُ فَمَا حُبُّهُ يَعْثَلُ وَقَنَا فَيَخْتَلُ
 فَكَمْ بَيْنَ مَنْ قَدْ تَيَمَّمَ الْفَضْلُ وَالْعِلَا وَبَيْنَ الَّذِي قَدْ تَيَمَّمَ الْفُتُوحُ وَالذَّلُ
 لَبَنَيْنِهِمَا مَا بَيْنَ وَصْلٍ وَقَطْعَةٍ وَهِيَّاتُ مَا بِالْقَطْعِ يَشْتَبُهُ الْوَصْلُ
 وَإِنْ غَرَسَتْ كَفَّاهَا شَجَرُ الْهَوَى فَمَغْرُوسُ ذَا شَرٍّ وَمَغْرُوسُ ذَا نَحْلُ
 فَيَا قَلْبِي أَلَيْلٌ مِنْ هَوَاكَ بِجَنَّةٍ بِهَا احْتَلَّ قَلْبُ حُبِّهِ لَيْسَ يَعْثَلُ

ونَادِ الْوَرَى إِنِّي احتلت بجنة
 أديرُ بها كأسًا دهاقًا وما سوى
 هي الخمرُ لم يَنَلَفْ بها عقلُ شاربٍ
 ويا فكري الرأى المصيب بنبله
 وفي قتلها عند اللبيب حياتها
 بتأليف شمل المدح في المصطفى اشتغل
 فذاك محلٌّ للمدائح قابلٌ
 محلٌّ يُسمَى في علاه مُقَصِّرًا
 محلٌّ علا فوق السماء ولم يكن
 فقل للأديب الكثير القول في حلي
 فضائله بحر وسجل كلامنا
 وتالله ما البحرُ العظاميط مُشبهًا
 ولا كتبها الأمثال تُضرب للورى
 وقد ضرب الله الأقل لنوره
 أخير رسول جاء للخلق هاديًا
 وكأهم نشوان من شجرة الهوى
 فما منهم إلا أسير ضلالة
 فدلوا على سبيل النجاة بنوره
 فاعقب ذاك النور مدلوله حلي
 وقفت بباب الجود والكرم الذي
 فما كرم يُروى عن الجود واهبًا
 بها كل من يهوى هواي سيعتق
 سرورى بمحبوبى مُدام ولا نُقل
 وتلك حرام في الكتاب وذى حل
 مقاتل أغراض أراها له النبل
 ومن أعجب الأشياء أن يُحصى القتل
 يُعَنك على تأليفه ذلك الشمل
 إذا انحصرت فيه مدائح من قبل
 أديب وفي الأمداح من طبعه يغلو
 لأعلى محل ذلك العلو أن يغلو
 علاه : كثير القول في مجده قل
 وليس يُغيض البحر دلو ولا سجل
 فضائله أو يشبه الوابل الطل
 وليس من المشروط أن يُفعل الكل
 فقال كشكاة وليس له مثل
 وقد درست سبيل النجاة فلا سبيل
 فعبودهم تسر ومدعوهم بعلى
 ففى جيده غل وفي رجليه كبل
 جميعًا ولولا ذلك النور ما دلوا
 ففى جيده عقد وفى رجليه حبل
 غمامته وطفًا وعارضه وبل
 مواهبه تترى ونائله جزل

وَقَيْسَ بِذَا إِلَّا وَقَالَ أُولُو النَّهْيِ
وَلِي حَاجَةٌ عَنَّتْ إِلَيْكَ ، قَضَاؤُهَا
زِيَارَةُ أَرْضِ طَيْبِ اللَّهِ تُرْبِهَا
هِيَ الْبَلَدَةُ الْعَرَاءُ طَيْبَةُ الَّتِي
فَمَنْ حَلَّ مَثْوَى أَنْتَ فِيهِ مُحْتَجٌّ
يَكُنْ آمِنًا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَخِيفَةٍ
فَمَا دَاخِلُ عَدْنًا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى
وَلَا فَرَقَ مَا بَيْنَ الْجَنَانِ وَبَيْنَهَا
وَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا

أَلَا إِنَّ ذَاكَ الْجُودَ فِي جَنْبِ ذَا الْجُلِّ
عَلَيْكَ بِفَضْلِ اللَّهِ يَا سَيِّدِي سَهْلٌ
فَمَا الْمَسْكُ مَفْضُوزُ الْخِتَامِ لَهَا شَكْلٌ
بِهَادِيْمُ الرُّخْمِي مَدَى الدَّهْرِ تَنْهَلُ
وَيَا طَيْبَ أَقْوَامٍ بِطَيْبَةِ قَدِ حَلُّوا
وَيَعْظُمُ لَهُ جَاهٌ وَيَكْرُمُ لَهُ نُزُلُ
وَتَشْهَدُ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّذِي نَتَلُو
لَدَى مَنْ لَهُ عُقْلٌ مِنَ النَّاسِ أَوْ تَقُلْ
وَمَا كَانَ لِلْمُزْنِ الَّتِي أَغْصَرَتْ هَظْلُ

[٦٩٥]

وله في تشبيه نعل الرسول
وَمِمَّا لَهُ أَيْضًا رَحْمَهُ ، مِلْتَزِمًا تَشْبِيهِ النَّمْلِ الْخَمْصَةِ بِالشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ ، وَقَدْ
أَبْصَرَهَا مَرْسُومَةً بِالْحَبْرِ فِي رُقْعَةٍ :

إِشْفَى بِرُؤْيَيْهَا يَا نَفْسِي الدَّنْفَةَ
كَانَ طَرَسًا بِهِ بِالْحَبْرِ قَدْ رُسِمَتْ

نَعْلًا لِرَجُلٍ رَسُولُ اللَّهِ مُكْتَنِفَةً
بُرْدٌ مِنَ الْحَبَرَاتِ الْبَيْضِ ذُو صَنِفَةٍ

وَمِمَّا لَهُ أَيْضًا نَفْعُهُ اللَّهُ بِهَا ، وَرَسَمَ مِثَالَ النَّمْلِ الْكَرِيمَةِ إِثْرَهَا :

يَا سَائِلًا أَفْتِيهِه إِثْرَ سُؤَالِهِ
تُرِّهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنَيْنِ فِي

عَمَّا يَرَى إِنْ يَشْكُ مِنْ إِشْكَالِهِ
شَكْلُ هَلَالِ الْأَفْقِ مِنْ أَشْكَالِهِ

أَخْطَأْتُ لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَكُمْ مُصِيبٌ مُخْطِئٌ فِي الْبَعْضِ مِنْ أَقْوَالِهِ
فَالْبَدْرُ يُكْسِفُ فِي مَنَازِلِ سَعْدِهِ
وَيَصِيبُهُ النِّقْصَانُ إِثْرَ كَمَالِهِ
وَكَلَاهَا شَيْنٌ وَهَذَا قَدْ وُقِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَدْرٌ سِرٌّ جَمَالِهِ

وله في وصف النمل أيضا

أَوَلَيْسَ تَمَثَّلَ النَّعَالَ نَعَالِ مَنْ وَطِئَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى بِنَعَالِ
 نَعْلٍ بِلَابِسِهَا بَأْتُ وَيَحْقُ أَنْ تَنْبَأَى بِهِ لَجْلَالِهِ وَخِلَالِهِ
 فَلَقَدْ حَوَتْ رِجْلًا مَشَتْ بِالْصَفْوَةِ الْمَخْتَارِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَرْسَالِهِ
 فَالْتَمَهُ تَمَثُّلاً لَهَا لَتَمَّ أَمْرِي بِاللَّهِ يُرَوِّى مِنْ صَدَى بَلْبَالِهِ
 فَلَرُبَّ مُشْتَقٍ رَأَى آثَارَ مَنْ يَشْتَاقُهُ فَشَفَّتَهُ مِنْ أَوْجَالِهِ
 أَوْ مَا تَرَى يَعْقُوبَ عَادَ بِثُوبِ مَنْ يَهْوَى سَنَى عَيْنِيهِ بَعْدَ زَوَالِهِ
 وَهَوَاىَ فِي مَوْلَايَ يَفْضُلُ حُبَّ يَعْقُوبٍ عَلَى الْمَرْوِيِّ مِنْ أَحْوَالِهِ
 فَحَمْدُهُ هُوَ مُعْتَقِي مِنْ مَلِكٍ شَرِّ لِكِ كُنْتُ طَوَّعَ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
 قَطَعَتْ هِدَايَتَهُ حِبَالَ ضَلَالَتِي بِحُسَامِهَا الْجَالِي الرَّدَى بِصِقَالِهِ
 فَغَدَوْتُ مُعْتَقِلاً وَرُخْتُ مُسَرَّحًا مُتَمَسِّكًا مِنْ هَذِيرِ بِحْبَالِهِ
 يَرْتَاحُ فِي عَدَنِ الْهُدَى قَلْبِي وَلَا يَحْشَى الْإِعَادَةَ فِي جَجِيمِ ضَلَالِهِ
 أَصِلِ النَّدَاءَ مُعَرِّفًا بَعُورَافٍ بَلِغَ الْفَوَادِ بِهَا مَدَى آمَالِهِ
 يَا قَوْمُ إِقْرَارُ أَمْرِي بِفَضَائِلِ عَظُمَتْ عَلَى الْأَحْمَدِ وَلَالِهِ
 كُنْتُ الدَّلِيلَ فَمَذَّ تَمَلَّكَ مَجْدُهُ نَفْسِي بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ إِفْضَالِهِ
 مَا زَالَ يَسْعَى فِي عَزَازَةِ عَبْدِهِ حَتَّى مَحَا بِالْعَزِّ نُقْطَةَ ذَالِهِ
 فَإِنَّا الدَّلِيلُ لِأَعْبِيدِ ذَلُّوا عَلَى أَنْ يُصْبِحُوا مِثْلِي عَبِيدَ جَلَالِهِ
 مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَلْفَا مُرْدَفًا بِمِثَالِهِ وَمِثَالِهِ وَمِثَالِهِ
 أَضْعَافُ أَضْعَافِ الَّذِي فِي الْبَحْرِ مِنْ نُقْطٍ: أَجَاجِ الْمَاءِ أَوْ سَلْسَالِهِ
 أَنَا عَبْدُكَ الْقَنْ الَّذِي أَطْلَقْتَهُ مِنْ جَهْلٍ أَوْثَقَ مُهْجَتِي بِعِقَالِهِ
 فَبِمَا عَلَى لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي ضَعُفَتْ قُوَى شُكْرِي عَنْ اسْتِقْلَالِهِ
 إِلَّا تَحَمَّلْتَ إِلَى الْأَسَاةِ بِطَيْبَةِ جِسْمًا شَكَا بِفِرَاقِ قَلْبٍ وَالِهِ

وَأَظَنَّهُ وَالظَّنُّ يَصْدُقُ هَاهُنَا عَنْدِي وَإِنِّي لِلْخَبِيرُ بِحَالِهِ
قَدْ حَلَّ مِنْ فَلَكَ الْعَلَى حَيْثُ الْحَلَى شُهْبٌ تَحْفُ بِشَمْسِهِ وَهَالِهِ
بَلَدًا يَذُودُ الْمَارِقِينَ جَلَالَهُ بِسَيُوفِهِ وَلِدَانِهِ وَنَبْـالِهِ
فَكَأَنَّهُ كَيْرٌ نَفَى خَبَشًا وَأَبْـقَى مَنْ رَضِيَ الرَّحْمَنُ بِاسْتِعْمَالِهِ
أَرَبِي عَلَى أَمْثَالِهِ وَوَحَقَّهُ لَأَفْكَتُ فِي قَوْلِي عَلَى أَمْثَالِهِ
فَالْأَرْضُ مِثْلُ ذُبَالَةٍ وَهُوَ السَّيِّ مِنْهَا وَكَمْ بَيْنَ السَّيِّ وَذُبَالِهِ
هُوَ طَيِّبَةُ الْغَزَاءِ أَشْرَفُ مَوْطِنٍ حَثَّ النَّهْيِ شَرْعًا عَلَى إِجْلَالِهِ
حَرَمٌ مَتَى مَا حَلَّ ذُو خَيْفَةٍ يَأْمَنُ بِهِ فِي حَالِهِ وَمَالِهِ
أَمِيرَ الْمَلَائِكِ بِالْذُّعَاءِ لِأَهْلِهِ أَهْلُ الْفَخَارِ نِسَائِهِ وَرَجَالِهِ
وَارَى ثَرَاءَ مَنْ لِأَجْلِ سَفَاهِ خَرَّ الْمَلِكُ لِلْمَخْلُوقِ مِنْ صَلَاحِهِ
وَنَجَابِ ابْنِ لَامِكٍ فِي السَّفِينِ إِذِ اسْتَوَى مَاءُ الرَّدَى بِسَهْوِهِ وَجِبَالِهِ
وَنَجَابِ ابْنِ آزَرَ مِنْ لَطَى الْإِشْرَاكِ إِذِ نَالَ الَّذِي قَدْ نَالَ مِنْ تَمْثَالِهِ
وَفِدَى ابْنِ هَاجَرَ حِينَ تَلَّ وَإِنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ لِأَبْيَـهْ فِي أَفْعَالِهِ
وَاحْتَلَّ إِدْرِيسُ مَكَانًا فِي السَّمَاءِ أَسْمَى ، مَنَالُ الْمَجْمُ دُونَ مَنَالِهِ
وَالْمَرْءُ يُخْلَقُ مِنْ تَرَى الْقَبْرِ الَّذِي سَيَكُونُ مُنْطَبِقًا عَلَى أَوْصَالِهِ
هَذَا حَدِيثٌ صَحَّ عَنْهُ لَدَى الْإِلَى نَظَمُوا عُتُودَ مَقَالِهِ وَفِعَالِهِ
وَلِذَاكَ قَالَ بِفَضْلِ طَيِّبَةِ مَالِكٍ وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُتَقَدِّ بِمَقَالِهِ
إِذَا لَا تُرَابٌ أَجَلٌ مِنْ تُرْبٍ نَشَا مِنْهُ حَبِيبُ اللَّهِ مِنْ أَرْسَالِهِ
فَهَنَّاكَ يُضْحِي الْجِسْمُ مُتَّصِلًا بِمِنْ أَشْجَاهُ وَهُوَ الْقَلْبُ يَوْمَ فِصَالِهِ
أَسْعِدْ بِمُجْتَمَعِينَ فِي دَارِ بَهَا شَخْصُ الَّذِي قَنَعَا بِطَيْفِ خِيَالِهِ
مَوْلَايَ إِنْ لَمْ تُؤْتِ عِبْدَكَ سُؤْلَهُ وَرَدَدْتَ خَائِبَةً يَمِينَ سُؤْلِهِ

لَا عَتَبَ بِلِ عُتْبَىٰ فَمَا هُوَ صَالِحٌ بَكَ لِلَّذِي قَدْ سَاءَ مِنْ أَعْمَالِهِ
لَكِنَّ سُنَّةَ سَيِّدِي فِي عَبْدِهِ إِسْعَافُهُ مَا دَامَ مِنْ سُؤَالِهِ
وَالصَّفْحُ عَنْ زَلَاتِهِ وَلَوْ أَنَّهَا كَالرَّمْلِ عَدًّا فِي جَمِيعِ رِمَالِهِ
وَمَتَى يَجِدُ فَالغَيْثُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَّ الْخَلِيقَةَ كُلَّهَا بِنَوَالِهِ
وَمَتَى يُجِرُّ فَاللَيْثُ إِلَّا أَنَّهُ يُضْحِي الْمَجَارُ لَدَيْهِ مِنْ أَشْبَالِهِ
فَالْخَائِفُونَ الْمُفْسِرُونَ مُؤْمِنُونَ نَ وَهُمْ سَرُونَ بِجَاهِهِ وَبِمَالِهِ
هَذِي خِصَالٌ مِنْ خِصَالِ حَجَّةٍ وَمَنْ الَّذِي يُحْصِي شَرِيفَ خِصَالِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهْنَا مِنْ مُرْسَلٍ وَجَدَ الْوُجُودَ الْخَيْرَ فِي إِزْسَالِهِ

وَمَمَّالَهُ أَيْضًا تَقْبِلُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَلَا صَرَفَ وَجْهَ وَقَايَتِهِ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ عَنْهُ :

خُذْهُ أَيَا صَاحِ خُذِ تَمَثَّلْ نَعْلٍ قَدْ حُذِيَ
عَلَى نَعَالِ أَحْمَدٍ مُنْجِي الْأَنَامِ الْمُنْقَذِ
السَّيِّدِ الْخِتَارِ مِنْ قَبِيلَةٍ وَفَخِذِ
ذِي الطَّوْلِ ذِي الْفَضْلِ الَّذِي حِلَاةُ لَا تُحْصَى بِذِي
وَانْظُرْ إِلَيْهِ نَظْرَةً يُجَلِّي بِهَا طَرَفُ قَذِي
وَقَبِّلْنَاهُ دَائِمًا تَقْيِيلَ ذِي تَلَذُّذِ
وَقُلْ إِذَا قَبِّلْتَهُ ذِي قُبُلْ تَلَذُّذِ
وَنَادِهِ يَا سَيِّدًا بَغِيرِهِ لَمْ أَلِدْ
شَكْوَى مُحِبٍّ مَا دَرَى غَيْرَ الْهُوَى مِنْ مَأْخَذِ
رُحْمِي بِنَبْلِ اللَّتَوَى صَوَائِبٍ لَمْ تُشْحَذِ
لَكِنَّهَا مَهْمَا رُحْمِي بِهَا فَلَيْسَ تَنْفُذِ

وله أيضاً في
النعل الكريعة

فقلبه من رَشَقِهَا كمثل جِلْدِ القُنْفُذِ
وقد رَجَوْتُ والرجا نَهَجِي الذي قد أحتذى
إِذَاتِي بالقُربِ مِنْ هَذَا النُّوَى المُسْتَعْوِذِ
وبالجلال النُّبُوِّ الهـ اشمى تعوَّذى
من أن يضيع لى هَوَى به فؤادى يَغْتَذِى
فيا فؤادى بالـ رَا أَفْعَى الخـ افقَة أَنْبِذِ
وإن تَسِرْ للـ سَمْعِ مِنْ زُمْرُذِ الدُّجَى خـ ذِ
وَأَرِهِ لَمَقَاتِيهَا كى تَسِيلَ ذى وذى
فذاك فى الأفاعى مِنْ عـ واند الزُّمَرُذِ

ومما له أيضا رحمه الله تعالى .

وله أيضاً فيها

يا مُعَرِّمًا بِرَسُولِ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ مِثْلَهُ
هذا مِثَالُ نَعَالِ شِرَاكُهَا^(١) ضَمَّ رِجْلَهُ
أَشْرَفَ بِهَا نَمَّ أَشْرَفُ نَعَالًا مُتَمَاثِلَ نَعْلَهُ
فَقَبَّلَنِي فِيهِ مِثْلِي تَقْبِيلَ صَبِّ مُوَلَّهِ
فَرُبَّ شَاكِي اشْتِيَاقٍ نَالَ الشِّفَاءَ بِقُبْلِهِ
يَارَبِّ أَشْكوكَ شَوْقِي وَالشَّوْقُ أَعْضَلُ عِلَّهِ
فَقَرَّبَ الدَّارَ مِنْ مَنْ أُنَبِّتَ فِي الرُّسُلِ فَضْلَهُ
فَهُوَ الَّذِي بَنَوَاهُ فُؤَادَ عَبْدِكَ وَلَهُ
صَلَّى الْإِلَهِ عَلَيْهِ مِنْ شَارِعٍ خَيْرَ قِبْلِهِ

(١) فى ص : « قبالها » .

وفاسخ كلَّ حُكْمٍ وناسخ كلِّ مِلَّةٍ
ما حَرَّكَ الْوَجْدُ قَلْبًا وَأَرْقَ الْبُعْدُ مُقَلَّةً

ومما له أيضا، تقبَّل الله عمله، وبلغه أمله :

وله أيضا في
ذلك الغرض

انْظُرْ إِلَى هِلَالَا فاق الْبُودَرَ جَمَالَا
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي فَقَدْ أَفْكَتُ مَقَالَا
فَالْمَحْقُ لَيْسَ مُصِيبِي وَقَدْ يُصِيبُ الْهَلَالَا
لَكِنْ حَكَيْتُ نَعَالَا لَسَيِّدٍ قَدْ تَعَالَا
شَأَى النَّبِيِّينَ جَاهَا وَحُظُوءَةً وَخِلَالَا
فَإِنْ شَكُوتَ بِشَوْقٍ فَوَادِكَ الصَّبَّ نَالَا
فَلْتَلْمِزْنِي فَلْتَمِزْنِي يَشْفِي أَشْتِيَاقًا تَوَالِي
نَعَمْ لَتَمُتْكَ شَوْقًا لِمَا حَكَيْتِ النَّعَالَا
وَمَنْ يَظُنُّ بِنَعْلٍ شُغِفْتُ ظَنًّا الْمُحَالَا
بِلَابِسِ النَّعْلِ هُنَا وَمِنْهُ تَبْغِي الْوَصَالَا
يَا رَبِّ يَشْكُوكَ قَلْبِي يَشْكُوكَ صَادًّا وَذَالَا
فَقَرَّبَ الدَّارَ مِمَّنْ بَرَأْتَ فَأَيُّ ذَالَا
فَمَا لِأَخْذِ نَذْرِي فِي الْمُرْسَلِينَ مِثَالَا
هَذَا وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ وَالْكُلُّ حَازَ الْكَمَالَا
فَفِي السَّمَاءِ نَيِّرَاتٌ وَكُلُّهَا يَتَلَالَا
وَلَيْسَ مِنْهَا مُضَاهٍ لِلشَّمْسِ فِي النُّورِ لَا لَا

[٦٩٩]

صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهٌ بِهِ أَزَالَ الضَّلَالَ
مَا لَحِقَ الْجَزْمُ فِعْلًا أَوْ لَزِمَ النَّصْبُ حَالًا
نَمَّ سَلَامٌ عُبَيْدٍ مَا إِنَّ عَنِ الرَّقِّ حَالًا
يَخْصُ مَوْلَى كَرِيمًا عَمَّ الْعَبِيدَ نَوَالًا
وَأَلَهُ خَيْرَ آلٍ إِنَّ عَدَدَ الْخَلْقِ آلا
مَا أَطْلَعَ الْأَفْقُ شَمْسًا وَأَنْشَأَ الْجَوْ آلا

ومن قوله أيضا ، رحمه الله ، وهي من أول ما قاله :

وله أيضا في ذلك

بَكَيْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ مِثَالَ نَعْلِهِ
وَمَا حُبُّ النِّعَالِ أَسَالَ دَمْعِي
مَحْمَدًا الرَّفِيعَ الْقَدْرَ أَعْنَى
حَبِيبِ اللَّهِ أَحْمَدَ خَيْرَ رُسُلِهِ
عَلَيْهِ سَلَامٌ ذِي مِقَّةٍ مَشُوقٍ
إِلَيْهِ ظَلَّ مُعْتَصِمًا بِحَبْلِهِ
مَدَى افْتَخَرَتْ سَمَوَاتُ وَأَرْضُ
عَلَى حُرِّ الْخُدُودِ بَوَاطِئِهِ

وله رحمه الله قصيدة مطولة ، نحا بها منحنى رائية أبي الربيع بن سالم ، وهي :

وله في ذلك وقد
نحا منحنى رائية
أبي الربيع بن
سالم

تَبَدَّدَتْ لَنَا وَالشَّوْقُ يُقْدَحُ رَنْدَهُ
بِقَلْبٍ شَجٍ لَا وَجْدَ يُشْبِهُ وَجْدَهُ
نَعَالُ رَسُولِ اللَّهِ أَشْرَفُ بِنَعْلٍ مَنْ
قَدْ اخْتَصَّ بَيْنَ الرُّسُلِ بِالسَّرِّ وَحْدَهُ
وَأِلَّا تَسْكُنَ نَعْلُ الرَّسُولِ فَإِنَّهَا
مِثَالُ وَكَمْ نِدْرٌ يُذَكِّرُ نِدْرَهُ
فِيَا نَاطِرًا مِنْهَا حَدِيقًا تَعَاهَدْتُ
عَهَادُ الْحَيَا تَرْوِي رُبَاهُ وَوَهْدَهُ
فَلَيْهِ مَا أَذْكَى وَأَطْيَبَ نَفْحَهُ
إِذَا حَرَكَتْ رِيحُ الصَّبَا رَنْدَهُ

وأطلعَ شَوْقُ الحُبِّ بِذُرَا بَهَارِهِ
 على القَوَرِ قَبْلَ فيه تقبيلِ فَاخِرِ
 ونَزَّهَ به طَرَفًا جفَا النُّومُ جَفَنَهُ
 فَرَبَّتَ ذِي وَجْدٍ رَأَى أَثَرًا لَمَنْ
 أُمُولَايَ يَا أَعْلَى النَّبِيِّينَ مَنَزَلًا
 نِدَاءَ عُيُودٍ أَضْرَمَ الشَّوْقُ وَجْدَهُ
 [وَإِنَّ الْهَوَى مَالَمْ يَبِينْ لَكَ خَمْرَهُ
 بِحَقِّ هَوَايَ الْحُضِّ فَيْكَ الَّذِي مَتَى
 أَنْلَيْتَنِي مَا أَبْغِيهِ مِنْكَ وَإِنَّهُ
 بِأَشْرَفِ جُثْمَانٍ لِأَشْرَفِ رُوحٍ مَنْ
 هُوَ الْمَجْدُ لَا مَجْدٌ يَمِثُّهُ وَهَلْ
 سَكِرْتُ وَمَا خَمْرِي سِوَى حُبِّهِ وَمَنْ
 فَيَا طَيِّبَةُ الْغَرَاءِ أَسْعَدَ مَنْزِلِ
 أَلَا فَاحْمِلِي بَنَدَ الْفَخَارِ وَحَقَّقِي
 وَنُوطِي عَلَى جِيدِ الْعَلَا عَقْدَهُ تُرَيَّ
 بِأَعْضَاءٍ مُخْتَارٍ مِنَ الْخَلْقِ مُرْسَلِ
 بِهِ نَسِخَتْ أَدْيَانُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ
 بِهِ شَادَ أِبْرَاجَ الْعَالَا اللَّهُ رَبُّهُ
 وَرَدَّ بِهِ عَنَا الرَّدَى وَهُوَ مُقْبِلُ
 رَسُولٍ عَلَى الْأُرْسَالِ فَضَّلَهُ الَّذِي

وَشَمْسَاتُ رُومٍ الْغَرْبِ فِي الصَّيْفِ وَرَدَّهُ
 بِمَوْلَى أَعَزَّ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ عَبْدَهُ
 وَمَرَّغَ بِهِ خَدًّا دَمَ الْجَفْنِ خَدَّهُ
 لَهُ وَجْدُهُ يَوْمًا فَاظْفَأَ وَجْدَهُ
 لَدَى اللَّهِ وَالْمُخْتَصُّ بِالْفَضْلِ عِنْدَهُ
 فَبَاحَ بِحُبِّ أَرْبَمِ الصَّدَقِ عَقْدَهُ
 بُعْنَقُودَهَا وَالسَّقَطِ لِأَرْبَمِ زَنْدِهِ
 يُقَسِّنُ هَوَايَ فِي الدَّهْرِ أَلَيْتِي وَحَدَهُ
 زِيَارَةُ قَبْرِ شَرَفِ اللَّهِ لَحْدَهُ
 وَفَى اللَّهِ مِمَّا يَوْهَنُ الْمَجْدَ مَجْدَهُ
 يَمِثُّهُ صَفْحُ السَّيْفِ فِي الْقَطْعِ حَدَّهُ
 حَسَا خَمْرَ هَذَا الْحُبِّ لَمْ يَخْشَ حَدَّهُ
 تَوَدُّ^(١) النُّجُومُ الزُّهْرُ تَنْزِلُ وَهْدَهُ
 بِأَنْكَ قَدْ شَرَّفَتْ بِالْحَمْلِ بَنْدَهُ
 مُشْرِفَةً أَيْضًا بِذَلِكَ عَقْدَهُ
 إِلَيْهِمْ بَدِينِ أَوْثَقَ اللَّهِ عَهْدَهُ
 وَلَا دِينَ يَأْتِي الْخَلْقَ لِلْحَشْرِ بَعْدَهُ
 وَثَلَّ بِهِ عَرْشَ الضَّلَالِ وَهْدَهُ
 وَمَا كَانَ لَوْلَا جَاهُهُ لَيُودَّهُ
 حَبَاهُ بِمَا لَا يَبْلُغُ النُّطْقُ عَدَّهُ

وإن كان رُسُلُ الله صَلَّى عليهم
حَكَمُوا سُورَ القرآن نورا وحكمة
وفي الحمد ما فيها من الشَّرَفِ الذي
وَحَسْبُكَ أَنْ يَبْدَأَ وَيَخْتِمَ قَارِئُ
كذلك رسولُ الله أَوَّلُ آخِرُ
أموالِي ذَا قَصْدِي إِلَيْكَ وَأَنْتَ مَنْ
فِيَا طِيبَ عَبْدٍ وَأَصْلَ أَرْضَ طَائِبَةٍ
مَعَاهِدُ أَمْسَى الْإِنْسُ مِنْهَا بَطْهَرُهَا
وَأَصْبَحَ مَنْقُولًا إِلَى بَطْنِهَا فَيَا
سَعِيدُ صَعِيدُ مِنْهُ أَنْشَى أَحْمَدُ
فَسَكَانَ كَمِثْلِ الْوَرْدِ فَارَقَ وَرَدَهُ
أَخِيرَ كَرِيمٍ لَيْسَ تَطْرُقُ آفَةٌ
عَلَيْكَ وَأَنْتَ السَّيِّدُ الْعَلَمِ الَّذِي
بَلِ الْعَالَمِ الْإِنْسَى عَمُومًا وَمِنْهُمْ
هِيَ الْأُمَّةُ الْعُلَمَاءُ الَّتِي هُدِيَتْ وَمَنْ
صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ وَرُحْمَى مَدَى انْتَمَى
عَدِيدَ صَنُوفِ الْخَلْقِ عُلُوهَا وَأَسْفَلًا
وَلَسْتُ بِحِيزًا أَنْ أَضِيفَ إِلَى كَذَا
كَشَمْسِ الضُّحَى كَالْمَسْكَ كَالْقَطْرِ لَمْ يَنْطُ^(١)
أَجَاعِلَ تَشْبِيهِ حَقِيقَةَ التَّفَتِ
فَشَمْسِ الضُّحَى وَالْمَسْكَ وَالْقَطْرِ عَابَهَا

وَسَلَّمَ مَا ضِدُّ يَنْفَرُ ضِدَّهُ
فَأَحَدُ قَدْ أَضْحَى مِنَ الرُّسُلِ حَمْدَهُ
يُبَيِّنُ لِمَهْدَى مِنَ النَّاسِ رُشْدَهُ
بِهَا وَمُصَلِّ فَرَضَهُ ثُمَّ وَرَدَهُ
لَهُ الْمَنْزِلُ الْأَعْلَى الَّذِي لَنْ نَحْدَهُ
يَبْلُغُ ذَا الشَّوْقِ الْمُبَرِّحِ قَصْدَهُ
يُمَرِّغُ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ خَدَّهُ
لَذَى وَحْشَةٍ قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ بُعْدَهُ
وَجَاهَةً بَطْنٍ قَدْ وَعَاهُ وَسَعْدَهُ
وَفِيهِ الَّذِي أَنْشَأَ بِهِ الْفَضْلَ رَدَّهُ
لِمَنْفَعَةٍ مَا ثُمَّ عَاوَدَ وَرَدَهُ
فَتَى حُبُّهُ لِلطَّارِقَاتِ أَعْدَهُ
أَفَادَ الثَّنَاءَ بَهْرَ السَّنَى وَمُعْدَهُ^(٢)
خُصُوصًا فَرِيقَ أَكْمَلَ اللَّهُ جَدَّهُ
أُرِيدَ بِهِ خَيْرٌ مِنَ الْخَلْقِ يُهْدَهُ
لَكَ الْفَضْلُ يَا فَدَّ الْوُجُودَ وَفَرَدَهُ [
صُمُوتًا وَذَا نَطَقَ جَهَادًا وَضِدَّهُ
بَعْدَى فَيَأْتِي مَا لِإِسَانِي حَدَّهُ
بِهِ بَرَقَ الْأَفَقُ الصَّقِيلُ وَرَعْدَهُ
غَلِطْتَ فَلِلْبَابِ الْجَازِي رُدَّهُ
أَخُو النَّقْدِ وَالْبَرْهَانُ يَعْضِدُ نَقْدَهُ

(١) كذا في م . وفي م : « أجاد الثناء قهر الثناء ومعه » . (٢) في م : « ينل » .

بكسف وإمساك وهذا دليله
وتلك التي شبهتها سلمت سنى
صلاة وتسليما ورحمى على الذى
على العروة الوثقى على القمر الذى
على منقذ الإنسان من خفر الردى
على من له الخلق العظيم على الذى
على من له الحمد الصميم على الذى
على أحمد المعروف فى ظهر آدم
على محبتي قد نور الله قلبه

على ذاك والإيضاح لم يتعدّه
فجاءت كما شاء السكّال وودّه
سنى وخي ذى العرش المجيد أمده
على الخلق ظل الأمن والمنمده
ولولا سنأه كان فيها يدّه
أبان جميع الرسل والكتب جدّه
به شرف الرحمن آدم جدّه
بترديده شكر الإله وحمدّه
على مصطفى قد طهر الله برده

له المعجزات اللاء لحن لطرف من
فمنها انشقاق البدر ثم نزوله
ومنها حنين الجذع بالمسجد الذى
ومنها طلوع القرص بعد غروبه
ومنها اسقوط السيف من كف غورث
ومنها انفجار الماء من بين أنامل
إلى أن روى منه الخديس فيا له
ومنها نماء التمر حتى قضى به
ومنها كلام الشاة تنهى عن أكلها
ومنها كلام الضبّ والجمل الذى
وكيف مواليه يريدون نحره

نفى نومه سعد وأثبت شهده
رأه الذى التوفيق وافق رصده
بطيبة لما آنس الجذع فقدّه
وما بسوى دعوى دعاها استردّه
وقد كان مقدام الضلال ونجده
نقسم فى أبناء آدم رفده
خميساً أطاب الله ذو الفضل وزده
ديون أبيه جابر حين جدّه
فلم يبلغ السّمّ بالسّم قصده
شكا كدّه الموهى قواه وجلده
ولما يراعوا فيه بالأمن كدّه

[٧٠١]

ومنها البعيرُ المبطى السَّيرِ ساطه
إلى غيرها من معجزاتِ بواهر
تُكاثِرُ رَمَلَ الأرضِ عَدًّا وَنَبْتَهَا
وَتُزْرِى سَنَى بالتَّيْرِينَ تَوْصَلَا
فَمَا وَخَدَتْ مِنْ بَعْدِهَا التَّجَبُّ وَخَدَهُ
فَضَحْنَ عَدُوًّا بَاغِيًّا رَامَ جَعْدَهُ
وَتَفْضُلُ سِلَكَ الدَّرِّ حُسْنًا وَعِقْدَهُ
مِنَ الْفَلَكَ الْمَجْلُوِّ بِالصَّخَوِ كِبْدَهُ

ومما به قد خصَّه الله رحمةً
صحابته العُرَى الْآلَى سَعِدُوا فِي
هُمْ نَصَرُوا دِينَ الْهُدَى بِسُيُوفِهِمْ
وَأَوَّلُهُمْ سَبَقًا وَحِيدُهُمْ حَلَى
مُقَرَّبُهُ مُحَبَّبُهُ مُصْطَفَاهُ مِنْ
خَلِيفَتِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِي لَهُ
مِيَمٌ ضَالَّ الْيَمَامَةِ غَازِيَا
فَمَا سَلِمَ الْكَذَّابُ مِنْهَا رَيْسُهُمْ
أَقَاوِيلُهُ الزُّورِيَّةُ الْإِلَاءُ قَدْ دَجَتْ
مُقَاتِلُ أَهْلِ الرَّدَّةِ الرَّجْسِ الْآلَى
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَصْدَقُ صَاحِبِ
وَفَضْلًا وَغَرًّا قَدْ قَضَى اللَّهُ خُلْدَهُ
قُلُوبِهِمْ قَدْ أَسْكَنَ اللَّهُ وَدَّهُ
كَمَا خَدَلُوا نَسَرَ الضَّلَالِ وَوَدَّهُ
وَأَوَّجَهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ وَعِنْدَهُ
جَمِيعِهِمْ لَا خَلْقَ يَعْلَمُ نِدَّهُ
مِنَاقِبُ عُرْدِ الطَّيِّبِ تُنْسَى وَنَدَّهُ
لِيُرْوَى دَمًا قُضِبَ الْحَدِيدِ وَمُلْدَهُ
مُسَيْلِمُ خَنْزِيرِ الضَّلَالِ وَقَرْدَهُ
وَرَأْسُ الدُّجَى لَا شَكَّ بِالنُّورِ يُشْدَهُ
نَحَوًا سَدًّا بِابٍ حَرَمَ اللَّهُ سَدَّهُ
وَأَبْدَاهُمْ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ جَهْدَهُ

وثانهم الموصوفُ بالشَّدَّةِ الَّتِي
مُلَاقِي خُطُوبِ الدَّهْرِ مِنْهُ بَعِزْمَةٌ
مَكْسَرٌ كَسَرَى الْفُرْسَ وَاضَعَ تَاجَهُ
مُقَصِّرٌ أَعْمَارَ الْقِيَاصِرِ بِالْقَنَّا
بِهَا دِينَهُ قَوَى الْإِلَهِ وَشَدَّهُ
تَحُلُّ مِنْ الْخَطْبِ الْكَرِيهِ أَشَدَّهُ
مُقَلَّبُهُ بِالْعُودِ يُظْهِرُ زُهْدَهُ
مُدِدْنَ وَبِالصَّمَامِ مَزَقَ غَمْدَهُ

مواصل أسباب الهدى النَّدسُ الذى عن الحق ما شئ من الدهر صدّه
[أميرهم فاروقهم عُمرُ الذى مَدَى العمرِ لم يَفِرْق من الأمر آدّه]

وثالثهم ذو الهجرتين الفقى الذى شكاهَجَرَه شخصُ النِّعيمِ وصدّه [
مَجِّع ما فى الذِّكر من سُورِ وَمَنْ مَتَى رَدَّ دَاعٍ قد دَعَا لم يَرُدّه (١)
[مُجَبَّز جيش العُسرة الفاضل الذى تَرَدَّى رِدَاءٌ غَيْرُهُ لم يُرُدّه]
فذلك عثمانُ الشهيدُ بداره بسيف شقٍّ فى لظى يَتَدَهَّدَه
أبو عمرو المعمورُ قَلْبًا بذكر مَنْ له من ضروب الصَّخِرِ أنطق صِلَه
فسبَّحتِ الحَصَبَاءُ فى كَفِّه كما أتى فى حديثٍ أكثر الناس سرده

[٧٠٢]

ورابعهم من ألبسته يد العلاء أجل قميص للأعلاء وأجدّه
[ووَشَّحَه إيمانه وجَنَـانَه أَجَدَّ حِسامٍ للطلّى وأحدّه]
تسمّى لتفريق الفِقار به بذى الـفِقار فما أفرى وأَقَطَعَ حدّه
هو السيف لم تَجَلُ الصِّياقل صفحه ولا رَقَمَتْ أيدي القيُونِ فِرْنَدَه
تزوج بنت الموتِ بكَرٍّ اصدّاقها أَجَلُ صَدَاقٍ أحكم الحبِّ عَقْدَه
وليس سوى الأرواح أشركن بالذى براهنٌ ما أَكْـلَا وعَجَلْ نقدّه (٢)
ومن جنة الفردوس كان خروجه لهذى وتلك الدار كانت سرده
فيا عَظَم ما أبلى به فى مواطنٍ تُشَيِّب رأسَ الطفلِ لم يَعدُ مَهْدَه
إمام همام قاسرٌ (٣) كل قسور ومدركه لو كانت الريح نهده
به فتح الرحمن خيبر عَنوة وسدَّ به ما قبله لم يسدّه

(١) يشير إلى مسارعة عثمان إلى الإسلام فى الوقت الذى كان الناس فيه يردون دعوة

الداعى إليه. (٢) كذا فى ط ، ص . وفى م : « براهن تال كل عجل وفقدّه » .

(٣) فى ط : « قاهر » ، وهما بمعنى .

وكان رسول الله قال لأَعْطَيْنَ
 فَنِي وَدَّهَ خَـلَاقَهُ وَأَوَدَّهَ
 فلم يك يُعْطَاهَا سِوَاهُ كَرَامَةٍ
 [وقد كان مشدود الحاجر أَرْمَدًا
 فهب هبوب الريح قسورُ جحفل
 وبالبابِ بابِ الحصن يسراه ترَّست
 هو الآية العظمى التي طُفِئَتْ به
 ومن كان مولاه الرسول فإنه
 أبوه الذي رَبَّى النَّبِيَّ ولم يزل
 متى خاضعت فيه قریش تلقَّهم
 ومن قوله فيه يعظم شأنه
 « وَأَبْيَضَ يَسْتَسْقِي الْغَامُ بِوَجْهِهِ »
 فياحمرتنا إن مات لم يخن زهرة
 ولكنها الأقدارُ تنفذ بالذي
 فينأى الذي أدنى ويُدْنِي الذي نأى
 ونجلاه سبطا المصطفى السيِّدانِ مِنْ
 حبيباه في الدارين ريجانتاه لم
 وأُمُّهُمَا مِنْ أَحَدٍ بَضْعَةٌ وَمِنْ
 أفاطم لم يبلغ نُصَيْفَكَ فاضلُ
 فياصاح قل لا مجد يشبه مجده
 أبو الحسن الأشمى على العلا الذي
 غدا راية الفتح المبين وبَنَدَه
 كما وَدَّنا والله يَنْصُرُ وَدَّهَ
 بها اختَصَّهُ مَنْ شَدَّ بِالْعَضْدِ عَضْدَه
 ففَتَّحَ رِيقُ الْحَبِّ ما الدَّاءُ سَدَّه
 تولى به ربُّ البرية عضده [
 فله منه قسور ما أشدَّه
 من الكفر ما قد أضرم الجهلُ وَدَّه
 كذلك مولاه فطوباك عبده
 له حاميا في السرِّ والجهر جَهْدَه
 خصيمَ اللسان الهاشميِّ مِلْدَه
 وينشر ما الرحمن أودع مجده
 ثمالُ يقيم كدَرُ اليُثْمِ وَرَدَه
 قد أَبْرَزَها الإِيمانُ بالله وحده
 نوْدَ وقد تجرَى بما لن نوْدَه
 وكلُّ بعلمٍ يجهلُ العبدُ قصده
 بنى الجِدِّ لا ضيمٌ يَنالُ مُعَدَّه
 يزل منهما يستنشق الوردُ وَرَدَه
 يكن من رسول الله جزءا يُمَدَّه
 من الخلق لم يبلغ أولو الفضل مدَّه
 وصوتك مهما قلت « لا » فلتَمَدَّه
 هو البحرُ لم تُدْرِكْ يَدُ الْجَزْرِ مدَّه

[٧٠٣]

وخامسهم بحرُ النَّدَى الأسدُ الذى يَبْذُ لِيُوْثِ البَاسِ أَيْدًا وَأُسْدَه
مُقْدَى رسولِ الله بالوالدين إِذ مَلَا قَلْبَه الْمَغْسُولَ بَرْدًا وَكَبَدَه
وَبَشَّرَ مِنْ قَدْ حَزَّ بِالسَّيْفِ رَأْسَه لثِيْمَ زَمَانٍ كَانَ فِيهِ وَوَعْدَه
بِنَارٍ لَهَا غِيْظٌ عَلَى كُلِّ قَاتِلِ بَعْدَ فَمَا أَرْدَى وَأَشَامَ عَمْدَه
حَوَارِيْهِ مَنْ قَدْ حَوَى زِيْهَ سَقَى سَنَى الْعِلْمِ بِالرَّحْمَنِ كَانَ مُمْدَه
أَبُو عَابِدِ اللَّهِ الزَّبِيرُ الذى اِمْتَطَى مُطَهَّمَةَ الْمَجْدِ الْإِثِيلِ وَجُرْدَه

وسادسهم ذو الجود والشُّوْدد الذى يَعِدُ الصِّدْقِ الْهَفَانَ لِلْعَوْثِ عَدَه
مَوْقَى رسولِ الله بالكفِّ جودُهَا يُحَلِّ مِنْ الْعَيْشِ الْمَهْنَاءِ رَغْدَه
فَشَلَّتْ وَقَدْ سَلَّتْ مِنَ الْهَنْدِ مُرْهَفَا مَحَلَّى صَقِيلًا أَوْ كَسْبِ الْفَخْرِ هَنْدَه
فَطَوَّبَى لَهَا يُمْنَى جَنَّتْ ثَمَرُ الْمَنَى وَقَدْ حَلَّتْ قُلُوبَ النَّعِيمِ وَقَلْدَه
[فَقُلْ طَلْحَةُ ذُو الْمَجْدِ طَلْحُ نُقَايَا ^(١)] لِسَانُ بَيَانِ الشَّرْعِ أَحْكَمُ نَضْدَه |

وسابعهم ذو الفضل أَقْصَدُ سَالِكِ أَدَلَّ طَرِيقٍ لِلْهَدَى وَأُسْدَه
وَمُفْرِغُ قَطْرِ الرُّهْدِ يُجْعَلُ بَيْنَه وَمَا بَيْنَ يَأْجُوجِ الرِّخَافِ سَدَه
أَمِيرُ أَوْلَى الْإِيْمَانِ عَامِرُهُمْ أَبُو عَبِيدَةَ ذُو الْخَيْرِ الذِّى لَنْ نَعْدَه

وثامنهم ذو المجد فى السَّالِ والتَّقَى فَلِلَّهِ مَا أَجْدَى وَأَبْرَكَ وَجْدَه
مَلَا ذِكْرُهُ بَطْنَ السَّمَاءِ وَمَالَه مَلَا بَطْنَ هَذِي الْأَرْضِ غَوْرًا وَنَجْدَه
وَكَمْ بَاتَ لَمْ يَطْعَمْ وَأَطْعَمَ غَيْرَه وَقَامَ وَلَمْ يَتْرَكَ مِنَ الْجَوْعِ وَرْدَه
مُعَمِّ خَيْرِ الرُّسُلِ فَاتِحُ دُومَةِ كَمَا وَدَّ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ وَوَدَّه

فذاك ابن عوفٍ مُقلّة الجِد طَرَفه أَجَلٌ فَنِي يُثَنِّي عليه وَيُمَدّه

وتأسمعهم ذو الرُحَى بالنبل والدُّعا
له السيرة الحُسْنَى له النَجْدَةُ التي
فعَوْضَهم من عيشهم واعتزازهم
فكم فرسٍ قد راح أَشهب واغتدى
وكم فارسٍ من فارسٍ بشماله
فيا بنِ أُنَى وقاصٍ أنكَ واقِصّ
ويا سعدُ يا خالَ النبي لقد سمّتْ
فَعَن يُرَم من قَوْسٍ وفيه يُودّه
رمت فارسَ الكُفْر الصُّراح وكُرِّده
بموتٍ وذُلٍ يعذب الموت عنده
من الدَّم يحكى أَشقر اللّون وَرَدّه
عِنانٌ فَقَدَّت منه يُمناه قَدّه
من الكُفْر جِيلا أوجب الله طَرَدّه
فروعُ نِجَارٍ ثابتٍ كنتَ سَعده

[٧٠٤]

وعاشرهم ذو النُّسك كالمِسْك ذكره
فَنِي المَكْرُماتِ الأكرم الماجدُ الذي
سُلالة زَيْدِ الفخرِ أرشدٍ ^(١) مُهْتَدٍ
عن الشُّركِ جَدُّ سابقٍ قد أَصَدّه
سعيدٌ ولا سعدٌ يماثل سَعده
يُزَيِّنُ جَمَعَ الجِد طَرًّا وَوَفَدّه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يُبْعَثُ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ نُفَيْلٍ أُمَةً وَحْدَهُ .

ومما به أيضا حبّا الله أَحْمَدًا
ذَوُو الجِد عَمَّاهُ وجعفرُ الذي
خُمزة لَيْثُ الله لا لَيْثُ غابة
له المَقْتَكاتُ البِيضُ سَوَدَتِ العِدا
وعزَّزَ ذا الدينَ العزيزَ وَجُنْدَهُ
ملائكةُ الرِّضوانِ وارثُهُ لَحْدَهُ
يُصَادِرُهُ إِنْ هاجَتِ الحربُ جُرْدَهُ
وزادت سَنَى بدرِ الجهادِ وأُحْدَهُ

وكان إذا ما قرَّب الطرفَ وامتطى
ولا بُرْدَ إِلَّا نَثْرَةً عَرَبِيَّةً
قَرَاهُ بِرِيشِ الرَّأْلِ يُعْلِمُ بُرْدَهُ
فَيُرْعَدُ مِنْهُ الْقِرْنُ حَتَّى كَأَنَّمَا
لَأَمثالها دَاوُدُ قَدَّرَ سَرْدَهُ
إِلَى أَنْ أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ شَهَادَةً
بِهِ نَافِضٌ ^(١) قَدْ قَرَّبَ الرُّوْعُ وَرَدَهُ
عَلَى يَدِ أَشَقَى الزَّنَجِ رَامِيهِ غَدْرَةً
تُبَوِّئُهُ عَدَنٌ ^(٢) الْجَزَاءُ وَخَلَدَهُ
فَنَادَى الَّذِي قَدْ أَحْفَ الذَّنْبُ قَلْبَهُ
بِحَرْبَتِهِ شَلَّ الْمُهَيْمِنُ زَنْدَهُ
بِقَتْلِكَ يَا وَحْشِي سَامِي سَامِيهَا
بَأَسْوَدَ مِمَّا أَحْفَ الرَّبِّ جِلْدَهُ
أَصَابَ سَوَادُ الْجِلْدِ حَامًا وَوُلْدَهُ

وَعَبَّاسُ الْعَمِّ الْأَعْمُ مَكَارِمًا
أَبُو الْخُلَفَاءِ سَاقِي الْحَجَّيْجِ أَجَلُ مَنْ
تَقَصَّرُ مِنْ نَخْرِ الْكَرَامِ أَمَدَهُ
بِهِ يُصَرِّفُ الصَّرْفُ الْجَلِيلُ وَيُنْدَهُ ^(٣)

وَجَعْفَرُ الطَّيَّارِ ذُو الْمَشْهَدِ الَّذِي
مُحَمَّدُ رَايَاتِ الْهُدَى بِدَمِ الْعِدَا
مِلَانِكَةُ الرَّحْمَى غَدَتِ فِيهِ شَهْدَهُ ^(٤)
إِلَى مَنْزِلٍ فِي دَارِ عَدَنٍ أَعَدَّهُ
بَنِي الْأَصْفَرِ الْأَسَدِ الْأَلَى لَمْ يَدْهَدُوهَا ^(٥)
لَوَاءُ الْهُدَى يَبْغِي مِنَ اللَّهِ عَضْدَهُ
وَأَمْسَكَ بِالْعَضْدَيْنِ بَعْدَهَا اللَّوَا

وَبَعْدَهُمُ الْأَنْصَارُ وَالْكَلُّ أَنْجَمُ
بِهِمْ خُضِدُ ^(٦) الْإِشْرَاكُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
قَدْ أَطْلَعَهَا مَوْلَاهُ تَكَلًّا بِجَدِهِ
وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ أَعْوَصَ خَضْدَهُ !

(١) النافض : ضرب من الحمى ينتفض منه الجسم . (٢) في م : « عدل » .
(٣) ينده : يبعد ويطرد . (٤) شهد : جمع شاهد .
(٥) لم يدهدوها : يريد لم يهزموا .
(٦) في م : « خمد » .

{٧٠٥}

ذَوَابِلُهُمْ قُضِيَانَ بَانَ نَوَاعِمُ
تَصِيبُ قُلُوبِ الشَّرِّكَ طَعْنًا^(١) كَأَنَّهَا
وَالْأَفْبِينَ الشَّرِّكَ حَقْدٌ وَبَيْنَهَا
وَأَسْيَافُهُمْ زُرْقٌ رِقَاقٌ كَأَنَّهَا
ذَكَوْرٌ وَيَعْرُوْهَا الْمَحِيضُ كَأَنَّهَا
فِيَا مَعْشَرَ السَّادَاتِ وَالْكُلِّ مِنْكُمْ
كَأَنَّ عُدَاةَ الدِّينِ زُرْعٌ مُحْطَمٌ
وَأَقْرَزْتُمْ عَيْنَ الرَّسُولِ وَحَسْبُكُمْ

قَدْ أَتَيْتَن سُوْسَانَ الْحَدِيدَ وَوَزَدَهُ
تُحِبُّ الْقَضَا الْجَارِي فَتَقْصِدُ قَعْدَهُ
فَتَطْلُبُ مِنْهُ مَوْضِعًا ضَمَّ حَقْدَهُ
نِطَافٌ^(٢) بِهَا قَدْ عَيْنَ الْمَوْتُ وَرَدَهُ
إِنَاثٌ وَلَا غُسْلٌ عَلَيْهِنَ بَعْدَهُ
يَرَى الصَّبْرَ فِي نَصْرِهِ هَدَى هُوَ شَهْدَهُ
تَوَلَّيْتُمْ بِالْبَيْضِ وَالشُّمْرِ حَصْدَهُ
بَذَا قُرَّةً تَهْدِي إِلَى الطَّرْفِ بَرْدَهُ

وَاللَّهُ مِنْ أَزْوَاجِهِ أَهْمَاتِنَا
وَأَكْرَمُهُنَّ الدُّرَّةَ الْفَذَّةَ الَّتِي
خَدِيجَةُ ذَاتُ الْجَاهِ إِنْ يَنْشُدُ أَمْرُو
لَهَا الْأَثَرَ الْحَمُودِ وَالْأَثَرَ^(٣) الَّتِي
بَنُو الْمُصْطَفَى مَا دُونَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي
بَنَوْهَا وَكُلُّ أَشْمُسٍ وَأَهْلَةٍ
وَفِيهَا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ مَكْرَمًا
أَلَا إِنَّهَا كَانَتْ تَزُورُ خَدِيجَةً
فَبَشَّرَهَا جَبْرِيلُ عَنْ رَبِّهَا بِمَا

فَرَانْدُ عَلِيَاءَ قَدْ أَشْرَبْنِ وَدَّهَ
بِهَا زَيْنَ الْجَدِّ الْمُؤْتَلَّ عَقْدَهُ
بِهِ اللَّهُ فِي أَمْرٍ تَقْبَلُ نَشْدَهُ
مَتَى مَرَّ عَرَفَ الطَّيِّبُ عَنْهُ تَرُدَّهُ
رَدَّاهُ رِدَاءَ الصَّبْرِ بِالشُّكْلِ قَدَّهَ
كُوَامِلُ رَسْمِ الْفَخْرِ حَازُوا وَحَدَّهُ
خَلِيلَتَهَا وَالِدَمْعِ يُخْضِلُ خَدَّهُ
وَمِنْ خُلُقِ ذِي الْإِيمَانِ يَحْفَظُ عَهْدَهُ
لَهَا اللَّهُ فِي دَارِ النَّعِيمِ أَعْدَهُ

(١) في م : « فيها » .

(٢) كذا في ص ، والقطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي . وفي ط : « قطاف » ،

وفي م : « مطاف » .

(٣) الأثر (جمع أثره كغرفة) : المكربة المتوارثة .

وعائشة بنتُ الحبيبِ عتيقِ المُصدقِ إبعادَ الرسولِ ووَعده
فريدة نسوانِ الوجودِ مناقبًا متى يَبَلْ ذَكَرُ صالحِ تستجده
عليمة أهلِ العلمِ شمسُهم التي جَلَتْ سُدْفُ الجَهِلِ المُضِلِّ وسَدَّه

وحفصة ذات الصيت والمنصب الذي هو الطَّودُ لا تَرَقَى السَّوابقُ مَهْدَه
مُواصلَةُ الأورادِ والصَّومِ دأماً مواصلةَ القلبِ الموحدِ عَقْدَه

وفدَّة مَخْزومٍ جلالاً مبلِّغاً قَصِيَّ المَنَى في المنزلين مُعَدَّه

وزينبُ ذاتُ الطَّوْلِ والطُّولِ أَمَلًا مواهبها تُنسى (١) الغَمامِ وعهدَه

وزينبُ ذاتُ الفضلِ بنتُ خُزَيْمَةٍ لَقَدْ وَصَلَتْ بِالْجُودِ ما البُخْلُ جَدَّه

وسودة ذاتُ السُّودِ العِدِّ (٢) والتَّقَى متى صَدَّ عن قلبِ تقَى لم يَصُدَّ هُوَ

وميمونةُ الميمونة البرَّةُ التي لها الفضلُ لم تَرَقَى الفَواضِلِ نَجْدَه (٣)

وبنتُ حُيِّ رَبَّةُ الصَّوْنِ والحيَا صَمِيغَةٌ مَنْ أَصْفَى لَهَا السَّعْدُ وَدَّه

[٧٠٦]

ورَمْلَةٌ رَمَلُ الأَرْضِ يَمُكِنُ عَدُّه لَنَا وَالَّذِي خُصَّتْ بِهِ لَنْ نَعُدَّه

(١) في ط: «تسمى». (٢) كذا في ط، ص. والعد: الكثير. وفي م: «الفد».

(٣) في ط: «مجده».

وجارية العلياً جويرية التي تقدُّ سناماً اختها لم تقدَّه^(١)
هنا منتهى الأزواج والكل أشمس سناهنَّ أسداف الجهالة يشده

وماريء من ترب لمارية التي هواها له لا صرد^(٢) يشبه صرده
سرية سرياته أي منزل يرقى^(٣) من الطود الفخاري فينده
فسرية الإنسان تسمو بمن لها تسرعى وهذا المجد^(٤) تعلم جدّه
وإن لم تكن أمّاً لدا فهي أم من لفقدانه أبدى حبيبك وجده

حبيبي حبيبي فطرةً وشريعةً قد احكمتنا من حبل حبي مسده^(٥)
مدحتك والأزواج والصحب والألى بقرباك شهب الفخر أجروا وورده
فعاد مجلى كل فخر قدّامس سكتيتنا تولى القرد بالسوط جلده^(٦)
هو المدح ما كرّرتّه زاد طيبه فينسى مشور الأري طعمًا وقنده^(٧)
فصله أيا فسكرى لعلك بانغ من البحر ذى الماء الروى العذب ثمّده^(٨)
ولازم جناب المجد ذا المجد مادحا ودع جانباً هند الجمال ودعده
ولا تطلبي يا ننس غير شفاعتي ووصل كريم^(٩) لا أحاذر صده
وعافيت شهبانها كلما عرا بلائ تولّت عن جنائي لهذه^(١٠)

(١) كذا في الأصول ، ولم نبتين معنى الشطر الثاني .

(٢) الصرد : الصافي الخالص من كل شيء . (٣) في ط : « يلقي » .

(٤) في ط : « المجد » . (٥) المسد : القتل .

(٦) القدامس : الشديد . والسكيت : آخر خيل الحلبة .

(٧) مشور الأري : العسل المجموع من الحلية . واقند : عسل قصب السكر إذا عقد .

(٨) الروى : الماء الكثير . والتمد (يسكون الميم هنا وقد تحرك) : الماء القليل .

(٩) في ط ، ص : « نعيم » . (١٠) لهذه : دفعه ورده .

وقمّع عُدّة لم يخافوا إلههم فبَارَوْا ذِيَابَ الْقَفْرِ ضُرًّا وَعُقْدَه
مذاهَبهم ظلم العباد فإن يَقل لهم ناصح كفّوا عن الظلم يزدهوا
وعبدك بالإيثار دان فلم يكن ليختصّ دون الغير بالخير وحده
فعمّ بهذا الخير كلّ موحد هواك لديه خير علق^(١) أعدّه
وسلم رب العرش بدءاً وعوده عليك أيا فذّ الوجود وفرّده
سلاماً يضاهي هدى من قد ذكرته^(٢) وتصلية جاءت كذلك بعده

انتهى ما أردت جلبه من كلام هذا الإمام ، في تمثال نعل المصطفى عليه
الصلاة والسلام .

عناية الصالحين
بالنعل الكريمة

فلمت : وقد اعتنى الناس والأئمة بتمثال النعل الكريمة ، وكيف لا ، وحُقّ
على كل مؤمن أن يَفْلِي لمشاهدتها الغلا ، فإذا شاهدها قبلها ألفا وألفا ، وتوسّل
بصاحبها إلى الله [الكريم] زُلْفَى ، وَلَمْ تَرَاهَا أَنَّمَا ، وأزاح [به] عن نفسه
حُبًّا وإِنَّمَا ؛ وجعلها فوق رأسه تاجا ، واستغنى بالتوسل بِمَنْ لَبِسَهَا فلم يَكُ
إلى غابر الدهر مُحْتَاجا . وقد أفردها أبو اليُمْن بن عساكر بالتأليف ، وصنّف
فيها جزءا مُفْرَدا ؛ وكذلك أفردها بالتأليف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن
خلف السَلَمِيّ ، الشهير بابن الحاجّ ، من أهل المَرِيَّة ، وكذا غيرها^(٣) .

(١) كذا في ط . وفي ص : « عقد » . وفي م : « خلق » .

(٢) كذا في م . ورواية هذا الشطر في ط ، ص : « - لا ما يضاهي للذي مر ذكره » .

(٣) في هامش ص أمام هذا الموضع ما نصه : « وقد ألف فيها المصنف تأليفا سماه :
فتح المتعال . وذكر العياشي في رحلته أنه رأى بالمدينة تأليفا لبعض القرطبيين ،
فيه نحو ٥٥ قصيدة لم يطلع عليه هذا الشيخ ، رحم الله جميعهم » .

بعض ما جرب
من بركتها

ومن بعض ما ذكر في فضلها ، وجُرب من نفعها وبركتها ، ما ذكره
أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد ، وكان شيخا صالحا ورعا ، قال : حَدَّثْتُ هَذَا الْمِثَالَ
لبعض الطلبة ، فجاءني يوما ، فقال لي : رأيتُ البارحة من بركة هذه النعل
تجبا ، أصاب زوجي وجع شديد كاد يُهلكها ، فجعلتُ النعل على موضع الوجع ،
وقلتُ اللَّهُمَّ ارِنِي بركة صاحب هذه النعل ، فشفاه الله لِجِين .

وقال أبو إسحاق : قال [محمد] أبو القاسم بن محمد : ومما جُرب من بركتها
أنَّ مَنْ أَمْسَكَه عنده متبركا به ، كان له أمانا من بَغْيِ الْبُغَاةِ ، وَغَلَبَةِ الْعُدَاةِ ؛
وَحِرْزَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، وَعَيْنِ كُلِّ حَاسِدٍ ؛ وَإِنْ أَمْسَكَتْهُ الْمَرَأَةُ الْحَامِلُ
بِيَمِينِهَا وَقَدْ أَشْتَدَّ عَلَيْهَا الظَّلَمُ ، تيسَّرَ عليها أمرُها بحول الله وقوته .

لأبي اليمن بن
عساكر في
مدحها

ولله در الإمام [الشيخ] أبي اليُمْن بن عساكر رحمه الله حيث قال :
يا منشداً في رسم ربع خالى ومُنْشِداً لدوِارس الأطلالِ
دع نَدْبَ آثارٍ وذكّرَ مآثرَ لأحِبَّةٍ بانُوا وعَصْرٍ خالى
والنِّمَ تَرَى الأثرَ الكريمَ خَبَداً أَنْ فُزْتَ مِنْهُ بِلُثْمٍ ذَا التَّمثالِ [٧٠٨]
أثرُ له بقلوبنا أُمُرٌ لَهُ شُغْلُ الخَلِيِّ بِحَبِّ ذَاتِ الخالِ
قَبْلُ لَكَ الإقبالُ نَعْلِي أَحْمِصْ حَلَّ الهلالِ بها محلّ قِبالِ
أَلْصِقْ بها قَدْباً يَقلْبُهُ الهوى وَجِلاً عَلَى الأوصابِ والأوجالِ
صافِخْ بها خَداً وَعَفَّرْ وَجَنَةً فى تَرْبِها وَجَداً وَفَرَطْ تَغالِ
تَشْفِيكَ حَرَّ جَوَى نَوَى بِجِوانِحِ فى الحبِّ ما جَنَحَتْ إلى الإبلالِ
يا شِبْهَ نعلِ المصطفى رُوحى الفِدا لِحَلِّكَ الأسمى الشريفِ العالى
هَمَلْتُ لِمَراكِ العيونُ وَقَدْ نأى مرَّ آى العِيانِ بغيرِ ما إِهالِ
وتَذَكَّرْتُ عهدَ العقيقِ فَناءَتْ شوقاً عَمِيقَ المَدْمَعِ المَطالِ

وَصَبَّتْ فَوَاصِلَتِ الْحَنِينَ إِلَى الَّذِي مَا زَالَ بِأَلَى مِنْهُ فِي بَلْبَالٍ
أَذْكَرْتَنِي قَدَمًا لَهَا قَدَمُ الْعَمَلَا وَالْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِفْضَالِ
أَذْكَرْتَنِي مَنْ لَمْ يَزَلْ ذِكْرِي لَهُ يَعْتَادُ فِي الْأَبْكَارِ وَالْآصَالِ
لَوْ أَنَّ خَدْيَ يُحْتَدَى لِمِثَالِهَا لَبَلَّغْتُ مِنْ نَيْلِ الْمُنَى آمَالِي
وَلَهَا الْمَفَاخِرَ وَالْمَآثِرَ فِي الدُّنَا وَالْدِّينِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
أَوْ أَنَّ أَجْفَانِي لَوَطَّءَ نَعَالَهَا أَرْضُ سَمْتٍ غَزَا بِذَا الْإِذْلَالِ

وما أحسن قصيدة نسبها الشيخ أبو إسحاق بن الحاج ، للأديب العلامة
أبي الحكيم مالك بن المرحل ، رحمه الله تعالى ، وهي [قوله] :
ولمالك بن المرحل في مدحها

بوصف حبيبي طَرَزَ الشَّعْرَ نَازِمُهُ وَتَنَمَّ خَدَّ الطُّرْسِ بِالنَّقْشِ رَاقِمُهُ
رَءُوفَ عَطُوفٍ أَوْسَعُ النَّاسِ رَحْمَةً وَجَادَتْ عَلَيْهِمُ بِالنَّوَالِ غَمَامُهُ
لَهُ الْحَسَنُ وَالْإِحْسَانُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ فَأَثَارُهُ مَحْبُوبَةٌ وَمَعَالِمُهُ
بِهِ خَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ وَكُلُّ فَعَالٍ صَالِحٍ فَهُوَ خَاتِمُهُ
أَحِبُّ رَسُولِ اللَّهِ حُبًّا لَوْ أَنَّهُ تَقَاسَمَهُ قَوْمِي كَفَتَهُمْ مَقَاسِمُهُ (١)
كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ ذَكَرُهُ مِنَ الْوُرُقِ خَفَّاقٍ أَصِيبَتْ قَوَادِمُهُ
أَهْمُهُ إِذَا هَبَّتْ نَوَاسِمُ أَرْضِهِ وَمَنْ لِفُؤَادِي أَنْ تَهْبُ نَوَاسِمُهُ
فَأَنْشَقَ مِسْكَ طَيِّبًا فَكَأَنَّمَا نَوَاجِهُ جَاءَتْ بِهِ وَلَطَائِمُهُ
وَمَا دَعَانِي وَالِدَوَاعِي كَثِيرَةٌ إِلَى الشَّوْقِ أَنَّ الشَّوْقَ مِمَّا أَكَاثِمُهُ
مِثَالُ لِنَعْلِي مَنْ أَحَبَّ حَدِيثَهُ فَهَا أَنَا فِي يَوْمِي وَلَيْلِي لَأَتِمَّهُ
أَجْرٌ عَلَى رَأْسِي وَوَجْهِي أَدِيمُهُ وَالْثِمَّةُ طَوْرًا وَطَوْرًا أَلَا زِمُهُ

[٧٠٩]

أُمُّثْلُهُ فِي رَجُلٍ أَكْرَمَ مِنْ مَشَى فَتُبَصِّرُهُ عَيْنِي وَمَا أَنَا حَالِمُهُ
أَحْرَكُ مِنْ خَدَيَّ أَحْسِبَ رَفْعَهُ عَلَى وَجْنَتِي خَطُوءًا هُنَاكَ يَدَاوِمُهُ
وَمَنْ لِي بِوَقْعِ النَّعْلِ فِي حُرِّ وَجْنَتِي لِمَاشٍ عَلَتْ فَوْقَ النُّجُومِ بَرَّاجُهُ
سَأَجْعَلُهُ فَوْقَ التَّرَائِبِ عُوذَةً لِقَلْبِي لَعْلَ الْقَلْبِ يَبْرُدُ جَاحُهُ
وَأَرْبِطُهُ فَوْقَ الشُّمُونِ تَمِيمَةً لِحَفْنِي لَعْلَ الْجَفْنِ يَرْقَأُ سَاجُهُ
أَلَا بِأَبِي تَمَثَّلُ نَعْلِي مُحَمَّد لَطَابَ مُحَاذِيهِ وَقُدُّسَ خَادِمِهِ
يُودُّ هِلَالَ الْأَفْقِ لَوْ أَنَّهُ هَوَى يُزَاحِمُنِي فِي لُتْمِهِ وَنَزَاحِمُهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ حُبُّ نَبِيِّنَا يَقُومُ بِأَجْسَامِ الْخَلِيقَةِ لِأَزْمِهِ
سَلَامٌ عَلَيْهِ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا وَغَنَّتْ بِأَغْصَانِ الْأَرَاكِ حَمَامُهُ

وللشيخ أبي بكر أحمد بن الإمام أحمد بن الإمام أبي محمد عبد الله القرطبي

وللقرطبي في
ذلك أيضا

في ذلك :

وَنَعْلٍ خَضَعْنَا هَيْبَةً لَهَايَاهَا وَإِنَّا مَتَى نَخْضَعُ لَهَا أَبَدًا نَعْلُ
فَضَعُوهَا عَلَى أَعْلَى الْمَفَارِقِ إِنَّمَا حَقِيقَتُهَا تَاجٌ وَصُورَتُهَا نَعْلُ
بِأَخْمَصِ خَيْرِ الْخَلْقِ حَازَتْ سَمَرِيَّةً عَلَى التَّاجِ حَتَّى بَاهَتِ الْمَفْرِقَ الرَّجُلُ
مَعَانِي الْمُدَى عَنْهَا اسْتَنَارَتْ لِمَبْصَرِ وَإِنْ بِحَارِ الْجُودِ مِنْ فَيْضِهَا نَحْلُو
سَلَوْنَا وَلَكِنْ عَنْ سِوَاهَا وَإِنَّمَا يَهِيمُ بِمَغْنَاهَا الْغَرِيبُ وَمَا يَسْلُو
فَمَا شَاقْنَا مَذْ رَاقْنَا رَسْمَ عِزِّهَا حَمِيمٌ وَلَا مَالٌ كَرِيمٌ وَلَا أَهْلُ
شِفَاءٍ لِدَى سَقَمِ رَجَائِهِ لِبَاسُ أَمَانٍ لِدَى خَوْفِ كَذَائِهِ حَسْبَ الْفَضْلِ

[٧١٠]

ورأيت في بعض تماثيل النعل الكريمة مكتوبا بطرفها [الشريف]
ما كتب في بعض تماثيل النعل
ما نصه :

مثال نعل الرسول خُذْهُ بِحُسْنِ الْقَبُولِ
فَفَضَّلْهُ لَيْسَ يُحْصَى لَدَفْعِ كُلِّ مَهُولِ

وفي وسطها ما نصه :

أُمِرُّغُ فِي الْمَثَالِ بِيَاضَ وَجْهِهِ فَقَدْ عَقَدَ^(١) النَّبِيُّ لَهَا قِبَالَآ
وَمَا حُبَّ الْمَثَالِ شَعَفْنَ قَلْبِي وَلَسْنَا حُبُّ مَنْ لَبَسَ الْمَثَالَآ

ورأيت مكتوبا بدائرتهما ما نصه :

ما كان هذا المثال الكريم في دار فُسْرُقَت ، ولا في سفينة فَعْرَقَت ، وفيه
خواصٌ عجيبه . انتهى :

وقد حكى غير واحد أنَّ سِرَاجَ الدِّين ، سيدى عَمَرَ الْفَاكِهَانِ شارَحَ
العمدة والرسالة ، لما أبصر تماثيل النعال المطهرة أغمى عليه ساعة ، ثم أنشد [حين
ما وقع للفاكهاني حين رأى تماثيل النعال
أفاق متمثلا :

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها تريد أم الدنيا وما في زواياها
لقال غبارٌ من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها
وقد ذكر أن السراج الفاكهاني [لما احتضر أغمى عليه ساعة ، فللقنه بعض
من حضره ، ففتح عينيه وأنشد :

وَعَدَا يَذْكُرْنِي عَهْدًا بِالْحَمَى وَمَتَى نَسِيتُ الْعَهْدَ حَتَّى أَذْكُرَهُ

نم أَدْخَلَ عَلَيْهِ تَمَثَالُ النَعْلِ الطَّيِّبَةِ ، فحين شَاهَدَهَا أَغْمَى عَلَيْهِ سَاعَةً ، ثم
أَنشَدَ الْبَيْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ حينَ أَفَاقَ .

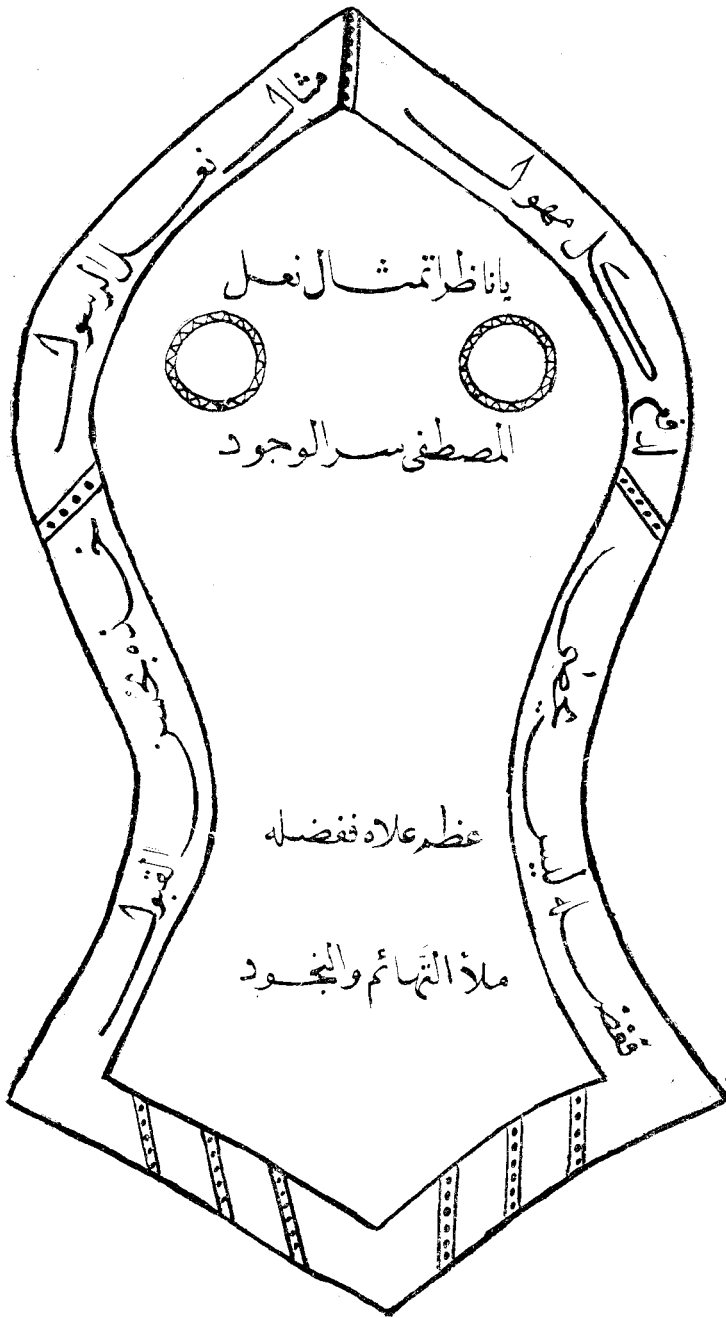
وقال الشيخ الرَّحَّالُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشَيْدِ الْفَهْرِيِّ :
لَمَّا دَخَلْتُ دَارَ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ بِرَسْمِ رُؤْيَةِ النَعْلِ الْكَرِيمَةِ لِلْمُصْطَفَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَتَمَّتْهَا ، حَضَرَتْنِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ، فَقُلْتُ :

ما قاله ابن رشيد
حين رأى تمثال
النعل في دمشق

هَنِيئًا لَعَيْنِي أَنْ رَأَيْتُ نَعْلَ أَحْمَدٍ فَيَا سَعْدَ جَدِّي قَدْ ظَفِرْتَ بِمَقْصِدِي
وَقَبَّلْتُهَا أَشْفَى فِي الْغَلِيلِ فَزَادَنِي فَيَا عَجَبًا زَادَ الظَّمَا عِنْدَ مُوَرِّدِي [٧١١]
فَلِلَّهِ ذَاكَ اللَّثْمُ كَهَوِّ الدُّمْنِ لَمْ يَشْفَقْ لَمِيًّا وَخَدَّ مُوَرِّدِ
وَلِلَّهِ ذَاكَ الْيَوْمَ عَيْدًا وَمَعْلَمًا بَتَارِيخِهِ أَرَّخْتُ مُوَلِّدَ أَسْعَدِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ نَشْرُهَا طَيِّبٌ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى رَبُّنَا لِحَمْدِ

وَلَا بَدَّ أَنْ نَرَسُمُ تَمَثَالِ النَعْلِ الْكَرِيمَةِ ، تَبَرُّكًا بِصَاحِبِهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ .

وهذه صفتها :



تمثال التعل النبويّة، في دار الحديث الأشرقيّة بدمشق،
كما رسمته النسخة التيموريّة

[ما كتب في المثل الآمين]

وكتبت^(١) في داخله ما نصّه من نظم المؤلف رحمه الله تعالى :

يا ناظرًا تمثال نعل المصطفى سِرِّ الوجود
عَظُمَ علاهُ ففضله مَلَأَ التَّهائم والنُّجُود
واجعُله خير وسيلة فالله ذو كرم وجود
صَلَّى عليه اللهُ ما أحيَا الحيا الروض المَجُود

ولغيره :

يا مُبْصِرًا تمثال نعل نبيّه قَبْلَ مِثَالِ نعالِه مُتَذَلَّلًا
واذْكُرْ به قَدَمًا علت في ليلة الِإِسْرَا به فوق السموات العُلا
واخضعْ له وامسحْ جبينك ولتكنْ متبرِّكًا أَبَدًا به متوسِّلًا^(٢)
والمؤلف رحمه الله تعالى :

يا مُبْصِرًا تمثال نعل قد علا طالع محاسنه وكن متوسِّلًا^(٣)
واخضعْ له وامسحْ جبينك ولتكنْ مُتَبَرِّكًا أَبَدًا به مُتوسِّلًا^(٢)
واسألْ به مُتَضَرِّعًا مُسْتَهْطِرًا أَلْطَافَ رَبِّ لَمْ يزل مُتَفَضِّلًا
فهو الوسيلة والملاذُ إِذَا عَمِرَا خَطْبُ وَأَضْحَى السَّكْرُ أَمْرًا مُدْهِلًا
فَلَكُمْ أَغَاثٌ مَنِ اسْتَغَاثَ بِجَاهِهِ وَأَنَالَه أَقْصَى الرَّامِ مُسَهِّلًا

(١) رسم الكاتب في ص مثالي النعل ، وكتب بداخلهما هذه الأشعار كلها . واكتفت
م برسم أحد المثلين وفيه بعض هذه الأشعار ، وقد نقلنا صورة المثل الذي في م .
أما ط فإن الكاتب ترك موضعا خاليا للمثلين ، ولكنه لم يرسمهما ، ولم يذكر شيئا
من الأشعار التي كتبت فيهما — نقول : وأكبر الظن أن ما كتب بداخل مثالي
النعل ليس من عمل المؤلف ، لاختلاف النسخ في ذلك .

(٢) هذا البيت مكرر مع البيت الثاني من مقطوعة المؤلف التي تلي هذه الأبيات . ولعله
من زيادة الناسخ هنا كما يدل عليه نسخة ص . (٣) هذا البيت ساقط من ص .

يا خيرَ خلقِ الله دعوةَ حائرٍ لم يتخذْ إلا جنباكَ مؤثِلا
صلى عليك الله يا نور الهدى والآل والصحب الكرام ومن تلا^(١)
ما حنَّ مُشتاقٌ لِذِكْرِكَ أو غدا لمثال نعلِكَ لازما ومُقبِّلا^(٢)
وللشامى الفقيه من أهل العصر :

أيا ناظرا متَّسعَ جفونك ساعةً بأزهار هذا الرّوض من حيث ما تخطو
وقفَ مَوْقِفَ الإِذلالِ لله واطلُبْ بها نعمةَ الرّضوان إن راعَكَ السُّخْطُ
فلو لم تكن مقبولةً عند ربنا لما كان من هذا النعال بها وَخْطُ
والمؤلف :

يا ناظرا تمثالَ نعلِ المصطفى قَبْلَهُ أَلْفَا
واجعله خيرَ وسيلة تدنِي إلى الرحمن زُلْفَى
واحفظه فهو ذخيرةٌ ما مثُلها في الدهر يُلْفَى

وللشامى أيضا :

أيا نعلَ الرّسولِ سَمَوْتَ قَدَرًا وفخرى غَيْرُ خَفَى لِلَّيْبِ
أقولُ لمنْ بحبِّي ذابَ شوقا وأُعْيَا دأؤُه طِبَّ الطَّيِّبِ
تنشقُ مسكُ أنفاسى لِتَشْفَى بهذا الطَّيِّبِ من عَرَفَ الحَبِيبِ

والمؤلف أيضا :

بِشَرَفِ المختارِ قد شَرِّفَتْ نَعَاله حتى سما ذا المِثَالِ
فاسأل به الرّحمنَ جَلَّ أَسْمُهُ فما به يُسألُ إلا أَنالِ
وكيف لا يُدْرِكُ مستمسكُ بالعروة الوثقى النُّنى بالسُّؤالِ

(١) رواية هذا الشطر في ص : « مادام نعلك في الشفاعة مقبلا » .

(٢) هذا البيت ساقط من ص .

وجه خير الخلق أعظم به ملاذنا في حالنا والمآل
صلى عليه الله مع صحبه وآله أجلّ صلب وآل
انتهى ما كتب في المثال الأيمن .

[ما كتب في المثال الأيسر]

وفي الآخر ما نصّه :

والعولف :

يا ناظرًا تمثّل الـ_____المصطفى في ذا الكتاب
قبّله ألقًا ثمّ زد ما شئت ^(١) لا تحشّ العتاب
واسأل به ربّ الورى سبحانه ^(٢) حُسن المآب
وله أيضا مما قاله بديهة :

حاز هذا المثال كل المزايا إذ حكى نعل رجل خير البرايا
أحمد المصطفى المآل إذا ما طرّق الدهر أهله بالبلايا
ملجأ المين طرّا إذا ما جمّع الناس يوم تخشى الرزايا
خبرة الله ، مجتباها ، ومنّ حاز خلاّ حميدة وعطايا
فعليه الصلاة ما قبّل النعل مشوق يروم محو الخطايا

والكتاب المذكور من أهل العصر ، يشير إلى هذا المثال الكريم :

انظر إلى البدر وتكليفه بين شرّك ياله من قبّال
ما صار كالمرجون من تمّه إلا محاكاة لهذا المثال

والمؤلف أيضا في ذلك :

يا ناظرًا في مشال	أنحى هنا إذا ارتسام
يحكى عمالا تناهت	في الحسن دون مُسامي
قبَّله تمييلَ صَبَّ	مؤلَّه مُسَمِّهات
وضعه من فوق راس	تاجًا لمفريق هام
وابسط له حرَّ وجه	ولا تخف من ملام
ففضله ليس يحصى	بنثر أو بنظام
واحفظ علاه وضنه	وكن له ذا احترام
أمان حُرْفٍ وخوف	تيسير كل سرام
لا يطرق الدهر دارا	غدت به في اتسام
والفلك إن كان فيها	لم يخش من هول طامى
فيا لها بركات	شهيرة في الأنام
وكيف لا وهو يُنمى	للهاشمى التهامى
خير البرية طُرًا	إمام كل إمام
أسخى الخليقة كفا	أرعاهم لدهام
إنسان عين المعالي	وذو السجايا الجسام
عليه أزكى صلاة	بطيبة وسلام
والصحب والآل طُرًا	والتابعين الكرام
ما استنشقت نسائم	من عرف مسك الختام

انتهى ما فى النعل الكريمة ، واتصل به ما نصه : [

ومما قيل في النعل الكريمة ، قولُ الإمام الحَدِّث الرَّحَّال ، أبي عبد الله محمد بن جابر الوادِي آثِي ، ونظَّمها بدار الحديث الأشرفية من دمشق ، وقد رأى فيها تمثال نعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَبَّلَهُ وقال :

ولابن جابر
الوادِي آثِي في
ذلك أيضا

دارُ الحديث الأشرفية للشِّفَا فيها رأت عيناى نعلَ المُصْطَفَى
ولثَّمته حتى قَنَعَتْ وقلتُ يا نفسى أُنعمى أَكْفاكِ؟ قالت لي: كفى
لله أوقاتٌ وصلتُ بها المُنَى من بعد طَيِّبَةٍ ما أَجَلٌ وأشرفا
لك يا دِمَشْقُ على البلاد فضيلة أيامكِ الأعيادُ لازمها الصِّفا
ولكم بَجَيْرُونٍ جَرَرْتُ ولم أَخَفْ ذيلًا وَبَرَحُ هَوَاىَ فيها ما اختفى

قلت : ومما أنشدني الفقيه الأريب ، العلامة الأديب ، الحاجُّ الرِّحال ، أبو الحسن صاحبنا ، سيدى على بن أحمد الشامى الخَزَرْجِي لنفسه ، في تمثال النعل الكريمة ، قوله نفعه الله بقصده ، وكتبه لى بخطه ، وكنت طابت منه ذلك ، لأثبتته في هذا الموضوع :

وللشامى الخزرجى
في ذلك

دَعَا شَفَةَ^(١) المشتاق من سقمها تُشَفَى وترشِف من آثارِ تَرِبِ الهدى رَشَفَا
وتلثَّم تمثالًا لنعلِ كريمة بها الدَّهْرُ يُسْتَسْقَى الغامُ وَيُسْتَشْفَى
ولا تصرفوها عن هواها وسُوها بعدًا لكم فالعدلُ يمنعها الصِّرفا
ولا تعتَبوها فالعتاب يَرِيدها هياما ويسقيها مُدام الهوى صِرْفا
جَفَتْها بكمِّ الدمع بُحَلًا جُفُونُها فمنَ لامها في اللَّثم فهوَ لها أَجْفَى

(١) اكتفت م هنا بالإشارة إلى مطالع القصائد والمقطوعات التي ذكرها المؤلف لأبي الحسن على بن أحمد الشامى ومن بعده ، إلى أن وصلت الكلام بالموضوع الأصلي ، وهو ذكر من استجازاه القاضى عياض ، ومنهم الزمخشري .

لئن حُجِبَتْ بالبُعْد عنهم فهذه
وإن كان ذاك الخفيف موعِد وصلهم
وأغنت بفضل عن مشقة شقة
فحركات الأشواق منا لروضة
زمانا به موصولنا نال عائدا
تولى كمثل الطيف إذ زار في الكرى
تقضى وما قضى بلُجْنى لبانة
فزُلنا وما زُلنا نُعلل باللقا
كأننا وما كنا نجوب منازلا
ولم تبصر الأبصار منها محاسنا
كذلك الأيالي لم تحل عن طباعها
فلا عيش لى أرجوه من بعد بعدهم
ويا حَبْدًا قتل إذ العيش لم تزل
ومن لى بقتل في سبيل الهدى التي
أيام نأت عنه ديار أحبة
لئن فاتنا وصل بخيف مناهم
وها تيك أزهار الرياض تنفست
وقل للألى هاموا اشتياقا لبانهم
فصفحة هذا الطرس أبدت نعالهم
تعالوا تعالوا في مديح علائها
ولله قوم في هواها تنافسوا

مكارمهم لم تبق سترًا ولا سَجْفًا
فها نفحة الإفصال قرّبت الخيفًا
نكابد مسراها شتاء بلى صيفا
أباح لنا الإسماعد من زهرها قطفًا
وأكد نعت الوصل من نحوهم عطفًا
والأ كمثل البرق إذ سارع الخطفًا
أقيس الهوى والحب منا وما استوفى
نفوسا وما تجدى لعل ولا سوفًا
يود بها المشتاق لو رآه حق الحنفا
ولم تسمع الآذان من ذكرها هتفا
متى واصلت يوما تصل قطعها ألفا
وهيات يرجو العيش من فارق الإلفا
سيوف الهوى تقرى به القلب والجوفا
وعِدنا عليها بالجنان ومن أوفى
فمن بعدهم مثلى على الهلاك قد أشفى
فها نفحة من عرفهم للحشا أشفى
بأنفاسهم فاستشفين بها تشفى
هلموا لعرف البان نستنشق العرفا
وصارت لها ظرفا فيا حسنه ظرفا
فرب غلوى لم يعب ربه عرفا
وقد عرفوا من بحر أمداحها عرفا

[٧١٥]

وإنّا وإن كنّا على الكلّ لم نطق
لئن قبلوا ألفاً تزد نحن بعدهم
وإن وصفوا واستغرقوا الوصف حسبنا
ونقبس من أنوارهم قدر وسعنا
فمن قال بدر التّم أو طلعة الضحى
فما الشمس إلا من محاسن ضوءها استنارت
وما البدر إلا من مشارق نورها استمدّ
ولولاها لما فارق الخسفا
وما طاب نشر الرّوض إلا لأنّه
وما اخضر ترّب الأرض إلا لأنها
فحلّوا بها أعلى المفارق واكحلّوا
فآثارها تبرّى الجوى وتراها
لها الفخر أن سارت بهار جل من سرى
وودى لا تخلع نعالك واقربن
وأدناه قرباً قاب قوسين ربّه
نبيّ به نلنا المني وتواكفت
تعلّى على العلّماء حتى أنار من
وقايل في إظهار أنوار دينه
وكان إلى المهيّجاء أوّل سابق
هواه هدى الهادين منه إلى الهدى
وآياته كالزّهّر والزّهّر نفحة
كفت كفه الجيش المهّام عن الحيا

نحاول بعض البعض من بعض ما ألقى
على الألف ما يستغرق العدّ والألفا
نجيل بروض الحُسن من وصفهم طرفا
وتركض في مضمار آثارهم طرفا
أو الرّوض يحكيها فما أنصف الوصفها
ولولاها للاستنارت ولولاها للاستمدّ
لما فارق الخسفا
يمدّ مدى الأيام من نشرها عرفا
تخطّته فاخترت النبات به حرفا
بها مقلّة العينين أو عطروا الأنفا
لسقم الحشا والقلب أنفع أو أنقى
إلى حضرة التّقديس والقرب والرّأفي
والنّي بها من نفحة الحبّ ما ألقى
وناداه قلّ تسمع وسلّ تعطّ عدّتكفى
عليها من الرحمن سحب الرّضا وكفا
علاه العلّاء والغور والنجد والخيفا
جميع العدى حتى زوى الضيم والخيفا
وما فارق العضب المهنّد والسيفا
وحبّه أهدي الوارد المورد الأصفي
وعدا فن ذا يستطيع لها وصفا
وكفت جيوش الكفر عن غيها كفا

ورُدَّتْ له الشمسُ المنيرُ شعاعُها كذا البدر بعد التَّم صار له نصفا
وجوده أجدى من رياح عواصفٍ ومن ذا يُبَارَى الريح إن رامت العصفا
أمولاي يا مولاي يا خيرَ سيِّد تسامى على الأشباه طرّاً مع الأَكفا
نأتُ بى عنكم موبقاتُ جنيتها وعفوكم من كلِّ كُلفٍ بها أ كفى
وهأنا عند الباب راجٍ وخائبٌ دموعى لا ترقاً وشجوى لا يُطفأ
أناديك يا خير البرية كلها نداء عبيد يرتجى العفو والعطفا
وإني محق في هوى حبك الذى يُفلُّ جيوش الهَمَّ إن أقبلتُ زحفا
وما أنا فيه كالذى قال هازلاً «أليمتنا إذ أرسلت واردة وحفا» (١)
فأها للنفسى ثم آها إذا أنا طُرِدْتُ ويا لهفاً أرددها لهفا
وواحسرتنا يا حسرتنا ثم حسرتنا إذا لم تكن في موقف الحشرلى كهفا
ولكنَّ لى ظناً جميلاً بنسبتي لأنصاركم يا خير من راقب الحلفا
كما أن لى أيضاً مُتأتاً بمدحتى نعالاً بها نيل العلى والمنى يُنافى
أبى النظمُ يَسْتَوِي حِلاها وهل يَفِي روىً بآثار الهدى ألفٌ أوفا
عليك صلاة ما بدا بدر تَمِّمكم وما اشتاق مشتاق إلى وعدك الأوفى

وله فى الفرض
نفسه

ومما أنشدنيه أيضاً لنفسه فى ذلك قوله :

مثالُ النعل فى القرطاس خطأ بسمُ الشوق فى الأحشاء خطأ
ولما أن لثمتُ ندى ثراه وغشى نوره جفنى وغطى
شممتُ الورْدَ من ريباه يندى وشمْتُ البدر من علياه خطأ
ففجّر لى من العينين بحرا ونثر من لآلى الدمع سُمطا

[٧١٧]

(١) يريد : قول محمد بن هانىء الأندلسى فى مطلع قصيدة له :
أليمتنا إذ أرسلت واردة وحفا وبتنا نرى الجوزاء فى أذننا شفا

ورَوَّى من جمادِ الجَفْنِ جسمي وأورَى من زنادِ الشوق سَقَطَا
وهزَّ من الهوى عَظْفَ ارتياحي لأرضٍ لم تزل تزدادُ شَحَطَا
وذَكَرَنِي معاهدَ لستُ أنسى الـ مَزَارَ بها ولو بالبعد سَطَا
معاهدَ خيرٍ من ركب المطايا وأكرمٍ من خطَا نَعَلَا وأوطَا
بأَحْمَصِ رِجْلِهِ الحسَناءِ حازتُ مفاخرَ لم يُطَقِّها الوصفُ ضَبَطَا
سمتُ فسمعتُ لها زَهْرُ الدَّراري لتَلْتَمِمْ رُكْنَهَا وتَطُوفَ شَوَطَا
فكَلَّتْ دونَهَا وَسَطَتْ عليها ولا بدِّعَا بِذاك الفخرِ يُسْطَى
فمن قال الهلالُ لها مثالُ لعمرُ الله في التَّثِيلِ أخطَا
ولكنَّ البدورَ لها نعالُ توذُّ بها تَداسُ عَلَا وتُحْطَى
وما طلعتْ عيونُ الشَّمسِ إلَّا اطلعتها ترومُ بها مَحَطَا
وما رقصتْ غصونُ النبتِ إلَّا لعلها تَحْطُ الراسَ حَطَا
وما غنَّتْ طيورُ الأيِّكِ إلَّا عليها تَعْتَلِي الأغصانَ حَوَطَا
وما حنَّتْ حُداةُ العيسِ إلَّا إليها تبتغي أَثَلًا وَحَطَا
وما هبَّتْ نسيمُ المسكِ إلَّا لريَّانها تنالِ بِذاك خَلَطَا
ولو يوما تَحَطَّتْ أرضَ جَدْب لما أَلَفَتْ بها في الدهرِ قَحَطَا
يحقُّ لنا نِعْمَتُها جلالًا ونربطُ طِرْسَهَا بالقلبِ ربَطَا
ونفتعل الوجوه بها جمالا ونجعلها على الآذانِ قُرَطَا
وتعتصب المفارقُ من ثراها وتكتحل العيونُ بِذاك شَرَطَا
نعمرُ وَجَنَّةٍ فيها وَخَدًّا ونخضبُ من سوادِ الرأسِ شَمَطَا
ونُنشد من يعاتب في هواها «إليك خبِطتُ من عشواءِ خِبطَا»
ودعنا والهوى إنا أناسُ يَزِيدُ غرامُنَا بالعُتبِ قَرَطَا

[٧١٨]

وَإِنَّا مَعَشَرَ الْعُشَّاقِ مِمَّنْ
 وَنَقْنَعُ بِالْخِيَالِ مَدَى الْإِلَهِي
 وَلَا سِيَّامَا الْمَثَالُ وَقَدْ تَبَدَّى
 وَمَا نَعْلًا نَرِيدُ وَلَا مِثَالًا
 نَبِيٌّ إِنْ أَتَيْتُ إِلَى حِمَاهِ
 أَتَى وَالِدَيْنِ أَصْبَحَ فِي انْقِبَاضٍ
 وَقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى
 وَغَمَّتْ دَعْوَةٌ مِنْهُ وَغَمَّتْ
 فَطَوَّبَنِي لِلَّذِي لَبَّى سَرِيعًا
 سَمَا لِسَمَا الْعَالَاءِ فَنَالَ قَرُبًا
 وَنُودَى طَاءً وَلَا تَخْلَعُ نَعَالًا
 وَأَيَّدَهُ الْإِلَهُ بِرُوحٍ قُدُّسٍ
 وَعَظَّمَهُ عَلَى الْأَرْسَالِ طُرًّا
 هُنَاكَ حَبَّاهُ فَرَضًا مِنْ صَلَاةٍ
 وَسَدَّدَهُ إِلَى أَنْ جَاءَ مُوسَى
 إِلَى أَنْ صِيرَ الْخَمْسِينَ خَمْسًا
 وَأَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ يَوْمَ حَشَرٍ
 وَتَعَجَّزُ دُونَهَا الْأَرْسَالِ طُرًّا
 إِذِ الْجَبَّارُ يَهْرُزُ بَانْتِقَامٍ
 فَيُذْنِيهِ وَيَاهُمُهُ بِفَضْلٍ
 وَمَهْمَا زَامَ يَشْرَعُ فِي سَجْدٍ

يَرَى جَوْرَ النَّوَى وَالْبَعْدِ قِسْطًا
 وَإِنْ طَالَ التَّبَاعُدُ أَوْ تَشْطَاطًا
 يَجْرُ عَلَى عَلَا الْجُوزَاءِ مِرْطًا
 وَلَكِنْ مِنْ بَهَا الْعَلِيَا تَخْطَى
 وَجَدْتُ سَمَاحَةً فِي الْخُلُقِ بَسْطًا
 فَعَانَاهُ إِلَى أَنْ نَالَ بَسْطًا
 أزالَ عَنِ الْوَرَى قَنْطًا وَضَغْطًا
 بَآيَاتِ الْهُدَى فُرْسًا وَقِطْطًا
 وَيَا وَيْلَ الَّذِي عَنْ ذَاكَ أَبْطًا
 وَهُمْ بِنَعْلِهِ نَزَعًا وَكَشْطًا
 وَأَبْدَلَ مِنْ مَقَامِ الرَّوْعِ بَسْطًا
 وَمَدَّ لَهُ مِنَ التَّقْدِيسِ بَسْطًا
 وَنَظَّمَهُ بِذَاكَ الْعِقْدِ وَسَطِي
 بِهَا عَنَّا الذُّنُوبُ تُصِيبُ حَبْطًا
 وَرَدَّدَهُ إِلَيْهِ يَرُومَ حَطًّا
 وَأَبْقَى أَجْرَهَا وَالْإِصْرَ حَطًّا
 يَقُولُ أَنَا لَهَا وَالنَّاسُ قَنْطِي
 وَتَأْتِي النَّاسُ سَبْطًا ثُمَّ سَبْطًا
 وَيُبدِي لِلْوَرَى غَضَبًا وَسُخْطًا
 مُحَامَدَ مِثَالَهَا مَا قَطُّ أَعْطَى
 وَيُضْرَعُ بِاللُّعَا وَيُخْرِرُ هَبْطًا

يُنَادِ ارفعْ تُطْعَ واشْفَعْ تَشْفَعْ وقلْ يُسْمَعْ وسلْ ما شئتَ تَعْطَى
فِيَحْظَى بالمرادِ قَرِيرَ عَيْنٍ بما أولاه تَكْرِمَةً وَغَبْطَا
وَيَصْدُرُ تافِعًا في كُلِّ عاصٍ مُصِرًّا دَنَسَ الأعمالَ وَخُطَا
وَيُخْرِجُ مَنْ له أدنى نَوَاةٍ من الإيمان والنيرانِ فَرَطَا
جزاه الله عنا كُلَّ خيرٍ وحاط به ديار الدين حَوَطَا
ولا زالت صلاة الله تَتَرَى عليه ما بدا بدر وَغَطَّى
تَفُوحُ وَخَتَمُهَا مِنْكَ عَمِيقُ يَغْمُ عَبيْرُهُ آلاَ وَرَهْطَا

وأنشدني أيضا لنفسه في ذلك ، مكملًا ما سقط من الحروف من كلام ابن
فرج السبتي المتقدم الذكر قوله جاريا على طريقته :

وللشامى أيضا في
النعال مكملًا ما
سقط من كلام
ابن فرج السبتي

[٧١٩]

فافية الواو

وقفتُ على تمثال نعلٍ كريمٍ فأحيتُ برسم الشوق منى ما أقوى
وأيقنتُ أنى إذ ظفِرتُ بِلَشْمِهَا تمسكتُ في أخراى بالسبب الأقوى
وناديتها يا نعلُ عذراً فإننى على مدح بعض من معاليك لا أقوى
وطئتُ رُبوعاً للهدى ومغانيا علّاه على الرضوان أسس والتقى
ولامستُ رجلاً لو يطاوعُ رُبُوبُهَا ثُرَيَّا السما شَدَّتْ لتقبيله حَقْوَا

فافية روم الألف

لآلِ نعالِ المجد أهلاً بها أهلاً وشكراً لأن كُنَّا لتقبيلها أهلاً
لآلِ رسولٍ مَسَّها جلدُ رجله بها ورْدُ فخرٍ يَعْذُبُ العَلَّ والنَهْلَا
لآلِ دَمٍ هذا الفخرُ أيضا لأننا بذى النعل أنقذنا العواية والجهلا

لَأَقْسَمُ يَا مَنْ لَامَ فِيهَا عَلَيْكَ لَا تَعَذِّبْ بَتَعَذَّالِي^(١) ومهلا به مهلا
لَأَتَى غَرِيقٌ فِي هَوَى حُبِّهَا وَكَمْ مُحِبٍّ يَرَى التَّعْذِيبَ فِي حُبِّهَا سَهْلًا

قافية الباء

يُوَدُّ لِسَانِي أَنْ يُوَدِّيَ مَذْحَهَا نَعَالًا فَيُعِينَنِي عُلاَهَا وَحَرَفَ أَلْيَا
يُوَدِّي وَلَكِنْ لَا يُطِيقُ كَلَهَا وَلَوْ أَنَّهُ يُفْلِي بَيَانَ الْوَرَى فَلْيَا
يَمِينًا وَإِنِّي فِي يَمِينِي صَادِقٌ لَحَلِيَّتُهَا صِيغَتْ مِنَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا
يُوقِيتُ سِرَّ الْكُونِ وَالْجُودِ رُصَّةً بِهَا وَطَاءُ التَّقْدِيسِ فَانْتَظَمَتْ حَلْيَا
يُؤَارِي عُلا رَجُلٍ عَلَى مَنْ مَشَى بِهَا سَلَامٌ مَدَى مَا أُرْدَادَ مِنْ رَبِّهِ وَلْيَا

وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ :

هَذِي نَعَالُ أَحَدٍ مَوْلَى الْمَقَامِ الْأَحْمَدِ
فَاشْكُرْ أَخِي إِذِ شِمْتَ مِنْ بَرَقِ سَنَاهَا وَاحِدٍ
وَاسْكَنْتَ حِلْمًا بِتَرْبِهَا فَهُوَ شِفَاءُ الْأَرْمَدِ
وَارْشُفْ ثَرَاها إِنَّهُ يَجْلِي صَدَا الْقَلْبِ الصَّدَى
وَالْمِسْ بِهَاءِ طَرَسِهَا تَنْلُ كَمَالَ الْمَقْصِدِ
وَاقْبِسْ سَنَى مِنْ^(٢) نَوْرِهَا فَهِيَ سَرَّاجُ الْإِهْتِدَى
كَمْ مِنْ إِمَامٍ أَمَّهَا وَبَهْدَاهُمْ أَقْتَدِ
وَضَمَّهَا لَصَدْرِهِ ضَمَّةٌ ذِي تَوَدُّدِ
لَهَا خَصْمٌ أَلْجَمَةٌ تَرْبِي عَلَى التَّعَدُّدِ
مَنْ لَمْ تَزَلْ فِي بَيْتِهِ يَحْضَى بِعَيْشِ رَغَدِ

[٧٢٠]

(١) كَذَا فِي ط، ص. وَفِي هَامِشِ ص: «بَتَفْنِيدِي». وَفِي م: «بَتَفْنِيطِي».

(٢) فِي الْأَصُولِ: «سَنَا نَوْرَهَا». وَلَعَلَّهُ تَحْرِيفٌ عَمَّا أُثْبِتَنَاهُ.

يُضْحِي وَيُمْسِي آمِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ غَدٍ
لَا يَمْتَرِي فِي فَضْلِهَا سَوَى غَبِيٍّ أَوْ غَدٍ
أَوْ جَاهِلٍ بِقَدْرِهَا أَوْ جَاهِدٍ أَوْ مُلْجِدٍ
كَمْ أَبْرَأْتُ مِنْ عِلَّةٍ مِنْ كُلِّ دَاءٍ مُجْهِدٍ
وَكَمْ أَبَانْتُ مَنْ هُدَى بِنُورِهَا الْمُؤَيَّدِ
وَكَمْ أَبَادْتُ مَنْ عَدَى بِسَيْفِهَا الْمُهَنَّدِ
وَكَمْ أَجَارْتُ مَنْ حَمَى بِرُكْنِهَا الْمُشَيَّدِ
فَهِيَ أَمَانٌ خَائِفٍ وَهِيَ رَجَاءُ الْقُصْدِ
وَهِيَ عِمَادُ الْمُلتَجِي وَهِيَ سَمَادُ الرُّوْدِ
بَالِغٍ أَخِي فِي مَدْحِهَا وَاشْدُدْ بَأْزَرِي وَاعْضِدْ
وَانْسُبْ لَهَا مَا شِئْتَ مِنْ نَفَرٍ وَلَا تُفَقِّدْ
وَقِفْ هُنَا هُنَيْهَةً وَقِفَةَ صَبٍّ مُسْعِدِ
وَانْهَضْ إِلَى تَقْبِيلِهَا نَهْضَةَ خِلٍّ مُنْجِدِ
وَقُلْ إِذَا قَبَّلْتَهَا مَقَالَةَ الْمُسْتَنْجِدِ
يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ الَّذِي قَدْ حَازَ كُلَّ سَوْدُودِ
يَا مُصْطَفَى آثَارِهِ بِهَا الْأَنَامُ تَهْتَدِي
وَيَا مُجِيرَ خَائِفٍ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَعْتَدِي
وَيَا مُجِيبَ سَائِلٍ إِذَا أَتَاهُ يَحْتَئِدِي
عَبِيدُكُمْ بِبَابِكُمْ حَيْرَانٌ ذَا تَرَدُّدِ
وَإِنِّي عُيْلَاكَ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِهِ الْمَعْدَدِ

يَرْفَعُ مِنْ مَدِيحِهِ إِلَى عُلَاكَ الْأَمْجَادِ
عَقَائِلًا تُنَسِّقُ مِنْ دُرٍّ وَمِنْ زَبَرْجَدِ
تَحْكِي عُقُودَ جَوْهَرٍ أَقْسَامُهَا مِنْ عَسَجِدِ
فَامْنُنْ لَهُ بِعَظْفُفَةٍ مِنْ فَضْلِكَ الْمَجْدِ
وَهَلْ لَكَ مِنْ حَوْضِكَ الْعَذْبِ اللَّذِيذِ الْمُرْدِ
وَوَقْفَةٍ بِرَوْضِكَ الْعَفْصِ النَّدِيِّ الْمُرْدِ
وَزَوْرَةٍ لِقَبْرِكَ الْمَرْضِيِّ الزَّكِيِّ الْمَأْمَدِ
وَأَوْبَةٍ لَهُ عَسَى يَكُونُ ثَمَّ سَمَرٌ قَدِي
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا بَدَأَ ضِيَاءَ الْفَرْقَدِ
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ الْأَلَى فَازُوا بِكُلِّ الْأَسْمَدِ
وَمَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ كُلِّ حَبْرٍ أَوْحَدِ
وَمَنْ تَلَا جَمِيعَهُمْ مَا زُمَ رَكْبٌ أَوْحَدِي
وَرُدَّدَتْ مِنْ مُنْشِدٍ هَذِي نَعَالُ أَحْمَدِ

[٧٢١]

وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْغَرَضِ :

نَعَالٌ بِهَا يُشْفَى الْعَلِيلُ مِنَ الْجَوَى وَتُجَلَّى بِهَا عَنْهُ الْمَصَائِبُ وَالْبُلُوى
هِيَ الْبَرَّةُ إِلَّا أَنْ شَرِبَ دَوَائِمَهَا لَذَائِقُهُ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلَوى
هَلُمُّوا نَقَبْلَ تَرْبِهَا فَعَسَى بِهِ نُخَمِّدَ جَمْرًا مِنْ لَظَاهَا الْحَشَى تُكْوَى
فَرُبَّ عَلِيلٍ جَاءَهُ مِنْ طَبِيبِهِ بِشِيرِ نَخْفَتٍ عَنْهُ مِنْ حِينِهِ الشُّكْوَى

وله في ذلك أيضا

وله يضا

وأشدني أيضا نفسه في ذلك :

أنتَ شمس السماء تحطَّ رأسًا لهذي النعل من دون النعال^(١)
وتلثم تربها ذلًّا لتَحْطَى بما رامته من رُنب المعالي
فقال لها الهلالُ وقد رآها أنْخَضِعْ لا محالة للنعال؟
فنادته أبتَ—دِرْها لا تؤخر فيفتَحِ المَعَالِي إلى بالمعالي

[وخاطبني في هذا الغرض ، مشيرًا إلى إثبات هذه المنظومات التي سمحت بها قريحته ، في هذا الموضوع :

وله مخاطبا
المؤلف راغبا في
إثبات هذه
المنظومات في
أزهار الرياض

أُمُفَّتِي فاس زَنْدُ شَوْقِي قد وَرَى بخير الوَرَى فانقاد طَوَّعَ عِنان
وهَبَّتْ صَبَاً نَجْدٍ فَهَاجَتْ صَبَابِي وسَاعَدَ بَلْبَالِي بِيَانُ بِنَانِي
وصالتُ على أوصال فيسكرى فأقلعت عرائسُ غَرْسٍ من جِنَانِ جَنَانِي
وقد ذَوَّتِ الأغصان وانتثرتُ بها أزارهُرُها تَحْكِي نَمِيرُ جُحَانِي
وهذا أَوَانُ الغَرْسِ جودوا بنقلها لروضِكُم تَحْطَى بِنْيِيلُ أَمَانِ [

ولنُزجِع بعد هذا المقدار إلى ما كنا بصدده ، فإن مثل هذا الغرض لا سبيل لحصر عَدَدِهِ ، فنقول :

[بين القاضي عياض والزخشمري]

وممن استجازه القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله ولم يجزه :
الزخشمريُّ صاحب السكشاف ، سماحه الله .

عياض
والزخشمري

(١) في ط ، ص : « انتقال » ، وفي هامش ص : « استعمال » ، ولعلهما بحر فتان عما أبتناه .

وسمعت غير واحد ممن لقيته يُخْبِرُ أَنَّ الْقَاضِيَ عِيَاضًا لَمَّا بَلَغَهُ امْتِنَاعُ
الرَّخْمَشَرِيِّ مِنْ إِجَازَتِهِ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ عَلَى يَدِ الْمُبْتَدِعِ أَوْ فَاسِقٍ ،
أَوْ نَحْوِ هَذَا مِنَ الْعِبَارَاتِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

[٧٢٢] وإمامة الرَّخْمَشَرِيِّ فِي الْعُلُومِ مَعْرُوفَةٌ ، وَلَسْنَا أَعْنَةَ الْقُلُوبِ إِلَى مَنْ بِيَدِهِ
التَّوْفِيقُ رِضْدُهُ مَعْرُوفَةٌ . وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِلْمَامِ بِبَعْضِ أَحْوَالِ هَذَا الرَّجُلِ ، الَّذِي
اختلفت في أمره الآراء وآنس من جانب البيان والنحو نارا ، وأنكر الحقَّ
وقد وضح نهارا ، نوذكر بعضهم أنه تاب ويأبى ذلك تصريحه في كشفه بما
خالف السنة جهارا ، فإنه لو صحَّ ذلك لحماه ، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما
قصده فيه وانتحاه ؛ وكثير من الأئمة أغصى عن اعتزاله ، وانفع بكشافه مع
مع قطع النظر عن موضع التهمة واختزاله .

[بين الحافظ السلفي والرخمشري]

ومن استجازه^(١) فأجازه الإمام الحافظ أبو الطاهر السَّافِي الأصبهاني ،
المتقدم الذَّكَر ، رحمه الله ، فإنه خاطبه في ذلك بما نصَّه بعد البسملة :

إِنَّ رَأْيَ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْعَالِمِ الْعَلَّامَةِ أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَهُ ، أَنْ يُجِيزَ جَمِيعَ
سَمَاعَاتِهِ وَإِجَازَاتِهِ وَرِوَايَاتِهِ ، وَمَا أَلَّفَهُ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ ، وَأَنشَأَهُ مِنَ الْقَامَاتِ
وَالرِّسَائِلِ وَالشُّعْرِ ، لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ السَّلَفِيِّ الْأَصْبَهَانِيِّ ، وَيَذَكِّرُ مَوْلَدَهُ
وَنَسَبَهُ إِلَى أَعْلَى أَبِي يَعْرِفُهُ ، وَبُثِّتَ كُلُّ ذَلِكَ بِخَطِّهِ تَحْتَ هَذَا الْاِسْتِدْعَاءِ ،
مُضَافًا إِلَيْهِ ذِكْرُ مَا صَنَعَهُ ، وَذَكَرُ شَيْئُوخِهِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ ، وَمَا سَمِعَ عَلَيْهِمْ
مِنْ أَهْآتِ الْمَهْمَاتِ ، حَدِيثًا كَانَ أَوْ لُغَةً أَوْ نَحْوًا أَوْ بَيَانًا ، فَعَلَّ مُتَابًا ؛ وَإِنْ تَمَّ
إِنْعَامُهُ بِإِثْبَاتِ أُبْيَاتِ قِصَارٍ ، وَمَقْطُوعَاتٍ فِي الْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ وَالزَّهْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ،

(١) الضمير هنا يعود على الرخمشري .

من نظمهم ومما أنشده شيوخه من قَبْلِهِمْ أو من قَبْلِ شيوخهم ، بعد تسمية كلٍّ منهم ، وإضافة شعره إليه ؛ والشرط في كلِّ هذا أن يكون بالإسناد المتَّصِل إلى قائله ، كان له الفضل ؛ وكذلك إن صحبه أَصْحَابُهُ بِشَيْءٍ من رواياته ، أنعم بكتب أحاديث عاليه ، والله تعالى يوفقه ، ويحسن جزاءه ، ويطيّل لنشر العلم والإفادة بقاءه . [٧٢٣] ويعلم وفقه الله أنه قد وقع إلينا كتاب من يعقوب بن شرين الجندی رحمه الله ، وفيه قصيدة يرثي بها البرهان البخاري ، والحاجة داعية إلى معرفة اسمه ونسبه وضبطه ، هل هو ابن شرين « بالسَّين المهملة » ، أو المعجمة ، وكذلك الجندی « بفتح الجيم والنون » أو « ضم الجيم وإسكان النون بعدها » . والحمد لله حقَّ حمده ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وعبداه ، وعلى آله وصحبه أجمعين من بعده .

فكتب إليه الزَّخْمَشَرِيُّ بما نصَّه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أسأل الله أن يطيل بقاء الشيخ العالم ويُدِيَمَهُ لعلم يعُوص على جواهره ، ويفتق الأصداف عن ذخائره ، ويوفِّقهُ للعمل الصالح الذي هو مَرْمَى أغراض أولى العقل ، ومطلَحُ أبصار المرتكضين إلى غاية الفضل ؛ ولقد عَزَزْتُ من مَقَاطِرِ قلمه ، على جملة تنادى على غزارة بجره ؛ وتَطَبَّى القلوب إلى التزيُّن بِسُموطِ دُرِّهِ . وأما ما طَلَبَ عندي ، وخطب إليَّ من العلوم والدرابات ، والسَّماعات والروايات ، فبنات خَلَعْتُ على تربيتهن الشَّباب ، ثم دفنتهن وحشَوْتُ عليهن التُّراب ، وذلك حين آثَرْتُ الطَّريقة الأَوْسِيَّةَ ^(١) على بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ ^(٢) ، وأخذت نفسي برفض الحُجُب والعوائق ؛ ونفقت كتبها

رسالة
الزَّخْمَشَرِيُّ
لحافظ السَّافِي

(١) كذا في ط ، ص . وفي م : « الأوسيه » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « بنيات الطريق » وفي ص : « بنات الطريق » .

إلى مُشهد أبي حنيفة رحمه الله ، فوقفتها ، وأصفرتُ منها يدي ، إلا دفترًا واحدًا
قد تركته تيممة في عَضْدِي ؛ وهو كتاب الله المبين ، والحبلُ المتين ، والصراطُ
المستقيم ؛ لأَهَبَ لما قَعَدْتُ بصدده كُلِّي ، وأُلقي عليه وَحْدَه كُلِّي ، لا يَشْعُنِي عنه
بعضُ ما يجعلُ الرأيَ مشتركًا ، ويردُّ القلبَ ^(١) مُقْتَسِمًا ، وَلَذْتُ بحرم الله المعظم ،
[٢٢٦] وبيته المحرَّم ، وطلَّقتُ ما وَزَّرَنِي بَتًّا ، وكَفَّتُ ذيلي عنه كَفَّتًا ، ما بي هم
إلا خَوْبِصَتِي ، وما يلهيني إلا النظرُ في قِصَّتِي ، أنتظرُ داعيَ الله صَبَاحَ مَسَاءٍ ،
وكأني به وقد امتطيتُ الآلةَ الحَدْبَاءَ ؛ قد وَهَنَتِ العِظَامُ ، وَوَهَتِ القُوَى ، وَقَلَّتِ
الصَّحَّةُ ، وكَثُرَ الجَوَى ، وما أنا إلا ذِمَاءٌ يترددُ في جَسَدٍ ، هو هامةُ اليوم أو غد ،
فما لِلْمِثْلِي وليس ^(٢) له من الآخرة شيء . ولقد أُجِزْتُ له أَنْ يَرَوِي ^(٣) .

محمود الخوارزمي | ثم | الزمخشري ، منسوب إلى قرية منها ، هي مسقط
رأسي ، ولبعض أفاضل المشرق :

فلو وَاَزَنَ الدنيا ترابُ زَمَخْشَرٍ لَأَنكَ منها زاده الله رُجْجَانَا
وللشريف الأجل الإمام عَلِيُّ بن عيسى بن حمزة بن وهَّاس الحَسَنِي :

جميع قُرى الدنيا سِوَى القرية التي تَبَوَّأَهَا دارا فِدَاءَ زَمَخْشَرَا
وَأُخِرَ بَأْنُ تَرْهِي زَمَخْشَرُ بامرئ إِذَا عُدَّ فِي أُسْدِ الشَّرَى زَمَخَ الشَّرَى
فلولاه ما طَنَّ البَلَادُ بِذِكْرهَا ولا طَارَ فيها مُنْجِدَا وَمُعَوَّرَا
فليس ثَنَاهَا بِالْعَرَاقِ وَأَهْلِهِ بِأَعْرَفَ مِنْهُ فِي الْحِجَازِ وَأَشْهَرَا
ومن المقطوعات التي اخترعتها من قِبَلِي :

وسرُوعِي بِمَشِيبِ رَأْسِي أَقْبَلْتُ تَبْكِي فَقُلْتُ لَهَا وَدَمْعِي جَارِي

(١) هنا في ط ورقة بيضاء فيها صفحتا ٦٢٤، ٦٢٥ والكلام بعدها متصل بما قبلها .

(٢) في الأصول : « وما ليس » . ولعل لفظة « ما » زائدة من الناسخ .

(٣) انقطع الكلام هنا في الأصول . ثم استأنف بعد على هذا النحو .

هذا المشيب لهيبُ نارٍ أوقدتُ في القلب موقدها جذارَ النار
أخرى :

إليكِ إلهي المشتكى نفسَ مشتهٍ إلى الشرِّ تدعوني عن الخير تنهاني
وما يشتكي الشيطانَ إلا مُغفلٌ ألا إن نفس المشتبه ألفُ شيطان
أخرى :

شكوتُ إلى الأيام سوءَ صنيعها ومن عجبٍ بالكِ تشكّى إلى المبكى
فما زادتِ الأيامُ إلا شكَايةً وما زالتِ الأيامُ تشكّى ولا تُشكّى
[٧٢٧] أخرى :

مَسْرَةُ أَحْقَابٍ تَلَقَيْتُ بَعْدَهَا مَسَاةَ يَوْمٍ أَرِيهَا شَبَهُ الصَّابِ
وكيف بأن تَلَقَى مَسْرَةَ سَاعَةٍ وراءَ تَقْضِيهِمَا مَسَاءَةُ أَحْقَابِ
أخرى :

الْخَوْضُ فِي دَوْلِ الدُّنْيَا يَلِيحُ بِكُمْ^(١) كَأَنَّهَا لُجَجٌ خَوَّاضُهَا لُجَجُ
كَمْ خَلَصَتْ لُجَجُ الْبَحْرِ الرِّجَالُ وَمَا أَقَلَّ مِنْ خَلَصَتْ هَذِهِ اللَّجَجُ
أخرى :

مِبَالَاةٌ مِثْلِي بِالرِّزَايَا غَضَاةٌ أَبَاهَا وَثِيقُ الْعُمْدَتَيْنِ حَصِيفُ
إِذَا أَقْبَلَتْ يَوْمًا عَلَى صُرُوفِهَا لِأَنْيَابِهَا فِي مِسْمَعِي صَرِيفُ
عِتَابُهَا حَتَّى أَشُقَّ نَحْوَرَهَا أَسْنَةُ عَزَمَ حَدُّهَا رَهِيفُ
يُمَسِّحُنَ أَرْكَانِي وَهْنٌ قَوَافِلُ صَفَا صَارِدَاتُ النَّبْلِ عَنْهُ مُصِيفُ^(٢)

(١) في ط ، ص : « تلج » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

(٢) الصفا : الحجارة الملس . وصارِدَاتُ النَّبْلِ : السهام التي لم تنفذ . والمصيف : الذي صرف شره .

والقاضى أديب الملوك أبو إسماعيل يعقوب بن شرين الجندى ، أفضل
الفتيان فى عصره ، وأعقلهم وأذكاهم ، وكان كاتب سلطان خوارزم ،
فاستعفى ، وهو يكتب باللسانين العربية والفارسية ويحسن ، وهو ممن ربيت
وخرجت وبلغت تلك الذروة ، وهو أوثق سهم من كنانتي .
والحمد لله أولا وآخرا ، والصلاة على نبيه محمد وآله الطيبين .

ثم إن الشيخ السلفى عاوده الاستجازه فى السنة الثانية من إسكندرية ،
كانه ما وصلته إجازته ^(١) ، فقال :
استجازه الحافظ
السلفى الزمخشري
مرة ثانية

بسم الله الرحمن الرحيم . المسئول من كرم الشيخ الأجل العلامة ، أدام الله
بهجته ، وحرّس مہجته ، أن يجيز لأحمد بن محمد السلفى الأصهبانى ، جميع
مسموعاته ومجموعاته ، فى جميع الفنون ، ويثبت بخطه أساميها تحت هذا الخط ،
ويضيف إلى ذلك ذكر شيوخه الأعلام ، الذين أخذ عنهم الحديث واللغة ،
ويذكر جملا مما سمعه عليهم ، ويتم تفضله بإثبات ^(٢) أحاديث قصار ، من
[٢٢٨] رواياته عنهم ، وكتب شىء من شعر من رآه وأنشده من قبله ، بعد المباحة فى
التعريف به ، ولا يذكر من الأبيات إلا القصار ، التى تصلح لأصحاب الحديث ،
ويتموّر إخراجها فى الأمالى وأواخر الفوائد ؛ ويذكر مفضلا مؤلده ، والسنة
التي ولد فيها ، فالحاجة داعية إلى كل ذلك ، ويبين ذكر المؤلف والمختلف ،
الذى ألفه ، فى أى فن هو ، وعلى أى شىء يحوز ؟ أعلى ذكر الفقهاء أو الأدباء .

(١) صرح ابن خاسكان فى ترجمة الزمخشري بأنه أجاب الحافظ السلفى بما لا يشفى
الغليل ، فكتب إليه فى العام الثانى مع الحجاج استجازه أخرى من الإسكندرية ،
وكان الزمخشري مجاورا فى مكة .
(٢) فى الأصول : « بأبيات » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

أم أهل الحديث ؟ ولا يُحَوِّجُ أدام الله توفيقه ، إلى المراجعة ، فالمسافة بعيدة ، وقد كاتبه في السنة الماضية ، ولم يجبه بما يَشْفِي الغليل ، وله في ذلك الثواب الجزيل ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

فأجاب نحر خوارزم بما نصّه :

رد المخلص
على الحافظ السلفي
بالإجازة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

ما مثلي مع أعلام العلماء ، إلا كمثل الشَّهَبَا مع مصابيح السماء ، والجهام الصُّفْر والرَّهَام^(١) ، مع الغواصي الغامرة للقيعان والإكام ، والشُّكَايَتِ الخافِّ مَعَ خيل السَّباق ، والبُعَاثِ مع الطير العتاق ، وما التلقيب بالعلامة ، إلا شبه الرقم بالعلامة ، كما قال بعض العرب وقيل له لِمَ سُمِّيتَ نعامه : الأسماء عَلامه ، وليست بكرامة ، ولو كانت كرامة لاشترك الناس في اسم واحد . والعلم مدينه ، أحد بابيها الرّواية ، والثاني الدّراية ، وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مُزْجَاه ، ظَلِي فِيهِ أَقْلَصُ مِنْ ظِلِّ حَصَاةٍ ؛ أما الرّواية فحديثه الميلاذ ، قريبة الإسناد ، لم تَسْتَدِّ إِلَى عُلَمَاءِ نَحَارِيرِ ، ولا إلى أعلام مشاهير ؛ وأما الدّراية فَتَمَدُّ لَا يَبْلُغُ أَفْوَاهَا ، وَبَرَّضُ لَا يَبْلُ شِفَاهَا ، ولا يَغَرُّ نَكَمُ قول الوزير مُجِير الدولة :

وَجَوَلْتُ فِكْرِي فِي الْبِلَادِ فَلَمْ يَقْعَ عَلَى رَجُلٍ فِي عِلْمِهِ غَيْرِ رَاجِلٍ [٧٢٩]
إِلَى أَنْ جَرَى الطَّيْرُ السَّنِيحُ فَدَانِي عَلَى نَحْرِ خَوَارَزْمِ^(٢) ورأس الأفاضل
ولا قول المنتخب محمد بن أرسلان :

وما ناصر الإسلام إلا ابنُ بَجْدَةٍ يحيط بعلم لا يُحِيطُ بِهِ الْوَرَى

(١) كذا في معجم الأدباء لياقوت . والذي في الأصول : « والجهام الصفر من الرهام » .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان : « خوارزم : أوله بين الضمة والفتحة ، والألف مستترقة مخلاة ، ليست بألف صحيحة ، هكذا يتلفظون » .

أبو القاسم المحمود محمود الذي به تفخر الدنيا وناهيك مَفْخَرًا
ولا قول الشريف الأجل ذي المناقب ، أبي الحسن علي بن حمزة بن وهّاس
الحسنى المَدَنِيّ

— قال أحمد المقرئ وفقه الله :

هو عليّ « بضم أوله وفتح ثانيه » ابن عيسى ابن حمزة بن وهّاس الحسنى
العلوى ؛ وقيل إن الكشاف برسمه صنعه الزخشرى ، رحم الله الجميع — :

رُجِعَ إِلَى قول^(١) الزخشرى :

وكم للإمام الفرد عِنْدِي مِنْ يَدٍ	وهاتيك مما قد أطاب وأكثرا
أخى العزّة البَيضاء والهَمّة التي	أنافت به علامّة العصر والورى
جميع قُرى الدنيا سوى القرية التي	تبوّأها دارا فداء زخشرى
وأخبر بأن زعمى زخشرى بامرى	إذا عُدّ فى أسد الشرى زَمَنَ الشرى
فولاه ما طنّ البلاد بذكرها	ولا طارَ فيها مُنَجِّداً ومُعَوِّرا
فليس ثنائها بالِعِراق وأهله	بأعرف منه فى الحجاز وأشهرها
إمام فلينا مَنْ فلينا وكلّمنا ^(٢)	طبعناه سَبْكَما كان أنضرَ جوهرا
ومكة راووق الرجال فيها كه	مُصَنِّقٍ وخُذْ مَنْ شَتَّ منهم مَكْدَرا
رسا طودَ تَقوى فاض بحر فضائل	فكُم أَذَلْ أطوادا ^(٣) وغَيَضَ أَبْحُرَا
وتحت علاق الصدق سرّ مطهر	يُمَدِّان دينا كالمجرّة نيرا

(١) فى ص « كلام » . ويظهر أن الكلمة مقحمة من الناسخ ، فليست القصيدة الآتية

من كلام الزخشرى ، وإنما هى لابن وهّاس كما قال الزخشرى نفسه .

(٢) فى ط : « إمام قبلنا من قبلنا وكلّمنا » . وفى ص : « إمام قبلنا من قبلنا وكلّمنا » .
ولعله محرف عما أثبتناه .

(٣) فى ط : « ذل أطوادا » . وفى ص : « ذل أطواد » ، ولعلهما محرفان عما أثبتناه .

فلولا سماء أشمست ثم أقمرت كفى بعماليه شموسا وأقمرا
ولا قوله رحمه الله :

لقد شجني في أم رأسي عزُّهُ فأصبحتُ من عزم الإمام أميا
تمنيتُ لو لم ألقه وجهلته ولم يخش [قلبي] بالفراق كلوما
فدبت اسرا يحشو الفؤاد فراقه كلوما ولقياه حشته علوما
وكائن رأينا من أولى العلم والتقى رجالا أناخوا بالحجاز قروما
فأخذ أستاذ الزمان ضياءهم وكان وكانوا شارقا ونجوما

[٧٣٠]

ولا قوله رحمه الله :

أنى حرم الله العظيم مجاورا فله ما أدنت جمال وأينق
فمن حوضه عبت ظاء ذوى النهى فابت رواه وهو ملان يفهق
ولا قول العميد رحمه الله :

ولو وازن الدنيا تراب زخشر لأنك منها زاده الله رُجحانا
ولا قول بعض فتيانها المجيد :

دعوك بجمار الله والله عالم بأنك جار الله حقا كما وجب
أعمرى لقد فاضت وأنت مفيضها على حرم الله الصنائع والقرب
رقت ذمام الله في كل مؤمن وواسيتهم بالعلم طرا^(١) وبالنشب
وأنت الإمام الزاهد الورع الذى أبيت اغترارا باللجين وبالذهب
وإنك للعلامة الجامع الذى جمعت أفانين العلوم إلى الأدب
وما نصر الإسلام غيرك أهله وإن طار فى أعلى المنازل والرتب
ومن طالع التفسير أيقن أنه من الفلك الأعلى أنى ذلك اللقب

وإنك أستاذُ الزَّمانِ وكُلِّهم
وسَمَّتِكَ إذْ فَرَّقْتَ في كلِّ بلدةٍ
فما إِيخْوارِزَمَ التي أنتَ فخرها
ولا قول ابن القُرطبي :

قَسَمًا ^(١) بَلَغَ تَحْيِي—أتى إلى
ليس قُسٌّ عِنْدَهُ قُسًّا ولا
أَيُّ آدَابٍ وَع—لَمْ وَتُقَيِّ
قُلْ إِذَا ما الدهرُ أَمسى عابسا
لَوْ جَعَلْتَ اليَمَّ حَبْرًا وَالْفَلا
إِنْ مِنْ جَرَّاهُ لَوَلا المِصْطَفَى
كلُّ موجودٍ سِوَاهُ حَيْثُ لَمْ
ولا قول الخطيب الموفق :

[٧٣١] لِسَانُكَ غَوَّاصٌ وَلِفْظُكَ لُؤْلُؤٌ
لِسَانٌ يَوَدُّ الحَاسِدُونَ لَوْ أَنَّهُ

ولا قوله أيضا :
أَفْخَرَ خَوَارِزَمَ مَالِي عَنكَ مُنْحَرَفُ
أَلَسْتَ أَنْتَ الذِي خَوَّلْتَنِي نِعَمًا
أَلَسْتَ أَنْتَ الذِي أَوْلَيْتَنِي رُتَبًا
أَلَسْتَ أَنْتَ الذِي مِنْ وَرْدِ نِعْمَتِهِ
أَعْدَاؤُكَ اسْتَسْرَفُونِي مِنْ جَهَالَتِهِمْ
ما دَامَ يَخْتَلِفُ الْأَنْوَارُ وَالشَّدَفُ
تَطَوَّى وَتَنْشُرُ فِي تَعْدَادِهَا الصُّحُفُ
بِفَضْلِ رَفَعَتِهَا الْإِيوَابُ يَعْتَرِفُ
وَوَرْدِ حَكْمَتِهِ أَجْنِي وَأَعْتَرِفُ
فِي وَصْفِهَا وَفِي عِنْدِي فَوْقَ مَا أَصِفُ

(١) كذا في ط. وفي ص، م : «منعما» . (٢) كذا في ص، ط وفي م : «الشيخ» .

ولا قول أديب الملوك يعقوب بن شرين الجندی :

فتى سار في الآفاق رُكبانُ ذِكْرِهِ مغرّبة طَوْرًا وَطَوْرًا مُشْرِقَهُ
إذا حلّ في أرض أتاها فُجُوها تُقْمِدُ علوما حوله متحلّته
وإن خاض في شرح العلوم رأيتها لفرط احتشام من معاليه مُطْرِقَهُ
فليس له في كل شرقٍ ومغربٍ نظيرُ بنو الدنيا على ذاك مُطْبِقَهُ
ولا قول البديع الخوارزمي :

أمكّة هل تدرينَ ماذا تضمنت بمقدّم جارِ الله منك الأباطحُ
به وإليه العلمُ يَنْتَمِي وَيَنْتَمِي وفيه لأرباب العلوم المناجحُ
محطّ رحالِ الفاضلين فلم يزل يحطّ إليه الرّحلَ غادٍ ورائحُ
إذا انتابه صِفَرُ الوطاب رأيتَه تحوّل عنه وهو ملان طافحُ
نمتَه الكرام الغرّ من خير أسرة هم قدوة الدنيا السكّهول الجّاححُ
أدلاء ضلال البرايا جباهم مصابيح رُهبانٍ فدتها المصاحُ

فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر الممّوه ، وجَهْلُ بالباطن المشوّه .

ولعلّ الذي غرّهم منى ما رأوا من النّصح للمسلمين ، وبلغ الشفقة على
المستفيدين ، وقطع المطامع عنهم ، وإفاعة المبار والصنائع عليهم ^(١) ، وعزة النفس ،
والربّ بها عن الإسفاف للدّنيّات ^(٢) ، والإقبال على خوِصّتي ، والإعراض
عما لا يعنيني ، فجَلَلْتُ في عيونهم ، وغَلَطُوا فيّ ، ونسبوني إلى ما لستُ منه في [٧٣٢]
قبيل ولا دبّير .

(١) عبارة معجم الأدياء لياقوت : « وقطع المطامع ، وإفادة المبار والصنائع » .

(٢) عبارة لياقوت : « والربّ بها عن السّفاف » . ولفظ « السّفاف » مما
أنكره اللغويون .

وما أنا فيما أقول بهاضمٍ لنفسي ، كما قال الحسن رحمه الله في أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقوله « وَلَيْتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » : إن المؤمن ليهضم نفسه ؛ وإنما صدقت الفاحص عني ، وعن كُنهه رِوايتي ودرِايتي ، ومن لقيت وأخذت عنه ، وما مبلغ علمي وقصارى فضلي ، وأطلعتُه طلع أُمري ، وأفضيت إليه بخبيئة سرى ، وألقيت إليه عُجْرِي وبُجْرِي ، وأعلمته نَجْمِي وشَجْرِي .

وأما المولد فقريةٌ مجهولة من قري خُوَارَزْم ، تسمّى زَنْخَشَر ؛ وسمعت أبي رحمه الله يقول : اجتاز بها أعرابي ، فسأل عن أسمها وأسم كبيرها ؛ فقيل له زَنْخَشَر والرَّداد . فقال : لا خير في شرٍّ وردٍّ ، ولم يُلِمَّ بها .

ووقت الميلاد شهر الله الأصم في عام سبع وستين وأربع مئة .

والحمد لله الحمود ، والمصلّى عليه محمدٌ صلى الله عليه وسلم . انتهى .

قلت : وإنما أوردت ذلك مع ما في بعضه من العلوّ ، وعدم التأدب مع الشرع في بعض الألفاظ ، كي تعلم فضل أهل السنّة رضى الله عنهم ، حيث أنتصروا على مَنْ هذه صفته على زعمه ، بالحجج البالغة ، وكسروا أم رأسه ورأس شيعته بالحجارة الدامغة ؛ ولم يُغن عنه شيء من اعتقاد هؤلاء العُلّاء فيه ، ولم تنفعه ألستهم التي تأتى بالباطل في صورة الحق ، وتستقصي مطلوبها وتستوفيه ، اللهم إلا أن يكونوا غير عالمين باعتقاده ، فلهم عذر عند اعتراض المعارض وانتقاده ، وأيّاً ما كان فقد هدم أهل السنة رضى الله عنهم له ولأحزابه أساساً ، وكلما حمى حوزته البدعية كُتِب من شيعته قِيض الله له جَسَاساً ، فظهر الحق وأباه ، وارتفع غيُّ المبتدع وجهله .

من بديع نظم
الزخمرى

ومن بديع نظم الزخمرى المذكور قوله:

هو النَّفْسُ الصَّعَادُ عَنْ كَيْدِ حَرَى إلى أن أَرَى أُمَّ الْقُرَى مَرَّةً أُخْرَى [٧٣٣]
سَرَيْتُ بِشَخْصِي لَا بِنَفْسِي وَهَمَّتِي وهيأت ما للأخشبين والمسرَى
مُقيمان عند البيت ما ذَرَّ شَارِقُ مُنيخان بالبطحاء ما ذَكَتِ الشَّعْرَى
[وله من قصيدة :

مَلِيحٌ وَلَسَكُنْ عِنْدَهُ كُلُّ جَفْوَةٍ ولم أَر في الدنيا صفاءً بِلَا^(١) كَدَرٍ
وَلَمْ أُنَسْ إِذْ غَاظَلْتَهُ قَرَبَ رَوْضَةٍ إلى جنب حوضٍ فيه الماء مُنْجَدَرٍ
فَقُلْتُ لَهُ جِئْنِي بَوَرْدٍ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ بِهِ وَرْدَ الْخُدُودِ وَمَا شَعَرُ
فَقَالَ انْتَظِرْنِي رَجْعَ طَرَفٍ أَجِيَّ بِهِ فقلت له : هيأت ، ما لِي مُنْتَظَرُ !
فَقَالَ وَلَا وَرْدٌ سِوَى الْخَدِّ^(٢) حَاضِرُ فقلت له إني قَنَعْتُ بِمَا حَاضِرُ
وقوله :

إِذَا التَّصَقَّتْ بِالْبَحْثِ فِي الْعِلْمِ رُكْبَتِي بِرُكْبَةٍ نَحْرِيرٍ عَلَى الْجِدِّ دَابِ
فَإِنْ دَامَ لِي عَوْنُ الْإِلَهِ عَلَى الَّذِي أُعَانِيهِ مِنْ فَضْلِ وَرَرٍ وَأَدَابِ
وَأِنْ نَظَرْتُ عَيْنِي عَلَى الْوَدِّ وَالصَّفَا مَعَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى نَوَاطِرَ أَحْبَابِ
فَقُلْ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ يَلْهَوْا وَيَلْهَبُوا فَذَلِكَ أَهْوَى مَا حَيِّتُ وَتَأَعَالَى
وقوله أيضا :

أَرْبَعَةٌ لِلدِّينِ أَرْكَانُ حُبُّهُمْ يُمْنٌ وَإِيمَانُ
أَرْبَعَةٌ أَوَّلُ أَسْمَائِهِمْ عَيْنٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَعْيَانُ
عَتِيقُ وَالْفَارُوقُ وَالْمُجْتَبَى مِنْهُمْ وَذُو الثُّورَيْنِ عُثْمَانُ

(١) كذا في ابن خلكان ؛ وفي م : « ولا » وهو تحريف . ولم ترد المقطوعة في
طولا س . (٢) كذا في ابن خلكان ؛ وفي م : « مر » وهو تحريف .

ما ذكره عنه
السيوطي في
بغية الوعاة

قال السيوطي في الطبقات الصغرى ما نصّه :

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزنجشيري ، أبو القاسم ، جَارُ اللَّهِ ؛ كان واسع العلم ، كثير الفضل ، غاية في الذكاء وجودة القريحة ، متفننا في كل علم ، معتزليًا ، قويا في مذهبه ، مجاهرا به ، حنفيا .

ولد في رجب سنة سبع وستين وأربع مئة ، وورد بغداد غير مرة ، وأخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري ، وأبي مضر^(١) الأصهباني ، وسمع من أبي سعد الشقائي^(٢) ، وشيخ الإسلام أبي منصور الحارثي ، وجماعة ؛ وجاور بمكة ، وتلقب بجار الله ، ونفر خوارزم أيضا . وكتب إليه الحافظ السلتي يستجيزه . وأصابه خراج في رجله ، ففقطعها ، وصنع عوضها رجلا من خشب ، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال ، فيظن من يراه أنه أعرج .

[٧٣٤] وله من التصانيف : الكشف في التفسير ؛ الفائق في غريب الحديث ؛ المفصل في النحو ؛ المقامات ؛ المستقصى في الأمثال ؛ ربيع الأبرار ؛ أطواق الذهب ؛ صميم العربية ؛ شرح أبيات الكتاب ؛ الأنموذج في النحو ؛ الرائض في الفرائض ؛ شرح بعض مشكلات المفصل ؛ الكلم النوابع ؛ القسطاس في العروض ؛ الأحاجي النحوية ؛ وغير ذلك .

مات يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة .

أسندنا حديثه في الطبقات الكبرى ، وتكرر في جمع الجوامع .

(١) كذا في معجم الأدباء وهو الصحيح . أبو مضر ، محمود بن جرير الضبي الأصهباني .

وفي ابن خلكان : « أبو مضر منصور » . وفي الأصول : « أبي نصر » وكلاهما غلط .

(٢) كذا في معجم الأدباء . والشقائي (بفتح أوله وتشديد القاف) : نسبة إلى قرية من

قرى نيسابور . وفي الأصول : « الشقائي » . وفي بغية الوعاة : « الشفاني »

وكلاهما تحريف .

وله :

إن التفاسير في الدنيا بلا عددٍ وليس فيها لعمري مثلُ كَشَافِي
إن كنتَ تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي
انتهى كلام السيوطي .

وقال ابن خلكان فيه ما نصّه^(١) :

تعريف ابن
خلكان به

محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ، أبو القاسم الإمام ، له الكتب
في التفسير ، والحديث ، والنحو ، واللغة ، وعلم البيان . إمام عصره غير مُدافع ، تشدُّ
إليه الرِّحال في فنونه ، وصنّف التصانيف الشريفة ، منها الكشاف ، لم يصنّف
قبله مثله ؛ والمفصل في النحو ، وغير ذلك . وسافر إلى مكة ، وأقام بها مُجاورا
زمانا ، فصار يُقال له جارُ الله لذلك ، وكان هذا الاسم علما عليه ؛ وكانت إحدى
رجليه ساقطة ، وكان^(٢) يمشي في جارين خشب ؛ وسبب سقوطها أنه أصابه في بعض
أسفاره ببلاد خوارزم ثلج وبرْد شديد ، فسقطت رجله ، وكان بيده مُحضَر ، فيه
شهادة خلق كثير ممن أطلعوا على حقيقة ذلك ؛ خوفا من أن يُظنَّ [به] أنها قُطِعَتْ
لريبة ؛ وقيل إنه سئل عن قطع [سبب] رجله ، فقال : دُعاء الوالدة ؛ وذلك أني
في صباي أمسكت عُصفورا ، وربطت خيطا في رجله ، فأفلت من يدي ، فأدركته
وقد دخل في خرْق ، فجَذَبته ، فانقطعت رجله [في الخيط ، فتألمت والدتي لذلك ،
وقالت قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله] . فلما دخلت إلى بخارى لطَّاب
العلم ، سقطتُ عن الدابة ، وانكسرت الرِّجل ، وعَمِلْتُ على عملا أوجب قطعها .
وكان الزمخشري مُعْتَزِلِي الاعتقاد ، متظاهرا به ، وكان إذا قصد صاحبا

(١) بين ما نقله المؤلف هنا وما في نسخة ابن خلكان طبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠ هـ

خلاف في بعض العبارات .

(٢) في الأصول : « وإنه كان » ولفظة « إنه » زائدة هنا .

له ، واستأذن عليه في الدخول ، يقول له : أبو القاسم المعتزلى بالبواب .
وأول ما صنف الكشاف كتب استفتاح الخطبة : « الحمد لله الذى خلَقَ
القرآن » ، فقليل له : متى تركته على هذه الهيئة ، هجره الناس ، ولا يرغب أحد
فيه ؛ فغيره وقال : « الحمد لله الذى جعل القرآن » ، وجعل عندهم : بمعنى خالق .
ورُئى في كثير من النسخ : « الحمد لله الذى أنزل القرآن » ، وهذا إصلاح الناس ،
لا إصلاح المصنف .

ومن شعره يرثى شيخه أبا مضر محموداً^(١) :
وقائلة ما هـ ————— هذه الدررُ التى تساقط من عينيك سقاطين سقاطين
فقلت لها الدر الذى كان قد حشا أبو مضر أذننى تساقط من عيني
وأنشد في كتابه الكشاف لبعضهم^(٢) :

يا مَنْ يَرَى مَدَّ البَعُوضِ جَنَاحَهَا فى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَلِيلِ
وَيَرَى عُروْقَ نِياطِها فى نَحْرِها والمخَّ فى تلك العِظامِ النُّجَلِ
إِغْفِرْ لِعَبْدِ تاب من فَرَطاته ما كان منه فى الزمانِ الأوَّلِ
وَيُرَوِّى أن الزَّخْشَرى أوصى أن تُسَكَّبَ هذه الأبيات على لوح قبره .
وقال غيرُ ابن خَلَّكان فى البيت الأخير :

أُمنُّنْ علىَّ بتوبةٍ أمحو بها ما كان منى فى الزمانِ الأوَّلِ
وهذا لا يناسب الكتب على لوح القبر ، وإنما يناسبه ما روى ابن
خَلَّكان ، فتأمل .

(١) كذا فى معجم الأدباء لياقوت ، وهو الصواب . وفى الأصول تبعاً لابن خَلَّكان :
« منصوراً » وهو غلط من ابن خَلَّكان ، أو من النساخ . (انظر الحاشية رقم ٩
صفحة ٢٩٥ من هذا الجزء) .

(٢) نسب ابن كثير فى البداية والنهاية هذه الأبيات لأبى العلاء المعرى .

ثم قال ابن خلكان : وحدث بعض الأصحاب أنه رأى بجزيرة سواكن
تربة ملكها عزيز الدولة ریحان ، وعلى قبره مكتوب :

[٧٣٦] يَأْتِيهَا النَّاسُ كَانُوا لِي أَمَلُ قَصَرَ بِي عَنْ بُلُوغِهِ الْأَجَلُ
فَلْيَتَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ رَجُلٌ أَمَكْنَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ الْعَمَلُ
مَا أَنَا وَحْدِي نَقَلْتُ حَيْثُ تَرَى كُلُّهُ إِلَى مَا نَقَلْتُ يَنْتَقِلُ
تُوفَى الزُّخْمَشَرِيُّ لِيَالَةِ عَرَفَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ .
انتهى كلام ابن خلكان .

وقد تقدّم^(١) في التأليف الذي نقلناه عن [الشيخ] ابن غازي رحمه الله ،
بعض إمام بحال الزمخشريّ سامحه الله .

إمامة به لابن
غازي

ومن نظم الزمخشريّ قوله يمدح كتاب سيديوه رحمه الله :
أَلَا صَلَّيْ الْإِلَهَ صَلَاةَ حَقٍّ^(٢) عَلَى عَمْرُو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ قُنْبَرٍ
فَإِنَّ كِتَابَهُ لَمْ يَغْنِ عَنْهُ بَنُو قَلَمٍ وَلَا أَبْنَاءُ مِنْبَرٍ

للمزمخشري يمدح
كتاب سيديوه

[بين الزمخشريّ وأهل السنة]

وأنشد الزمخشريّ في كشافه لبعض العدلية ، يعرّض بأهل السنة والجماعة
المفليحين ، وَيَنْصُرُ مَذْهَبَهُ الْفَاسِدَ :

ما نشده في
الكشاف لبعض
المعتزلة في ذم
أهل السنة

أَجْمَاعُهُ سَمَوْا هَوَاهُمْ سُنَّةٌ وَجَمَاعَةُ حُمْرٍ لَعَمْرِي مُؤَكَّفَةٌ^(٣)

(١) في صفحتي (٧٧ ، ٧٨) من هذا الجزء .

(٢) في بنية الوعاة للسيوطي : « صدق » .

(٣) الإكاف والوكاف : برزعة الحمار ، يقال آكف الحمار ، فهو مؤكف بالهمز ،
وأوكفه فهو مؤكف ، بالواو بدل الهمز .

قد شبهوه بخلقِهِ وتخوَّفُوا شَنَّعَ الْوَرَى فَمَسَّتْهُمُ بِالْبَلْكَفَةِ^(١)

وقد تصدَّى للردِّ عليه من أهل السنة رضى الله عنهم جمٌّ وافرٌ ، وأبدؤا ما يؤيد مذهبهم الظافر ، وتركوا المبتدع يحكُّ رأسه بغير أظافر .

وانذركم الآن ما حضرنا من ذلك ، كقول صاحب « الانتصاف من الكشاف » ، وهو ناصر الدين بن المنير الإسكندراني ، رحمه الله تعالى :

وجماعة كفروا برؤية ربِّهم هذا ووعدُ الله ما أنْ يُخْلِفَهُ
وتلقَّبُوا عدْلِيَّةً قلنا أَجَلُ عدلوا برَبِّهم فخدَّسَهُمْ سَفَهُ
وتلقَّبُوا النّاسِجِينَ كَلَّا إِنَّهُمْ إنْ لم يَكُونُوا في لَظَى فعلى شَفَهُ

وكفوله أيضا ، أعنى صاحب الانتصاف :

عجبا لقوم ظالمين تلقَّبُوا بالعدل ما فيهم لعمري مَعْرِفَهُ
قد جاءهم من حيث لا يَدْرُونَهُ تعطيلُ ذاتِ الله مع نفى الصَّفَهُ

وكقول الشيخ الإمام أبى على عمر بن محمد بن خليل السَّكُونِي الْأَصُولِي رحمه الله :

سَمَّيْتَ جَهْلًا صَدَرَ أُمَّةٍ أَحْمَدُ وَذَوَى البصائر بالحمير المؤكِّفَهُ
ورميتهم عَنْ نَبْعَةٍ سَوَّيْتَهَا رَمَى الوليد غدا يمزق مُضْحَكَةً
وزَعَمْتَ أَنْ قَدْ شبهوه بخلقِهِ وَتَخَوَّفُوا فَمَسَّتْهُمُ بِالْبَلْكَفَهُ
نَطَقَ الْكِتَابُ وَأَنْتَ تنطق بالهوى فَهُوَ الْهَوَى بك في الهوى الْمُتَنَفِّهَهُ
وجب الخسارُ عليك فانظر مُنْصَفَا في آية الأعراف فَهِيَ الْمُنْصَفَهُ

[٧٣٧]

(١) البلكفة بوزن الفلسفة : مصدر مولى منحوت من قول المتكلمين : « بلا كيف » ، لقول أهل السنة في رؤية الباري تعالى : تجوز رؤيته بلا كيف ، أى لا تعلم حال تلك الرؤية ولا وسيلتها ، فرارا من القول بالنشبه والتجسيم .

ما رده عليه
أهل السنة

لابن المنير في
الرد على المعتزلة

وله أيضا في ذلك

ولشيخ عمر
السكوني في
ذلك الغرض

أَتَرَى السَّكِيمَ أَنَّى بِجَهْلٍ مَا أَتَى وَأَنَّى شَيْوُخُكَ مَا أَتَوْا عَنْ مَعْرِفَةٍ

وقول القاضي أبي علي عمر بن عبد الرفيع :

جَوْرِيَّةٌ وَتَلَقَّبَتْ عَدْلِيَّةً وَعَنِ الصَّوَابِ عَدُولُهَا لِلْسَّفْسَفَةِ

نَفَّوْا الصِّفَاتِ وَعَظَلُوا وَتَمَجَّسُوا وَيُكَايِرُونَ وَشَأْنُهُمْ جَانِبُ السَّفَةِ

هكذا وجد بخط الإمام أبي عبد الله بن مرزوق ؛ ورأيت بخط بعض

الأصحاب : « وشأنهم حال السفه » ، والأمر في ذلك قريب .

وقول الإمام القاضي أبي عبد الله محمد بن علي الأحمي التونسي ، قاضي

الأنسكة ، رحمه الله تعالى :

كَلَّوْا تَفْهُتْ هَتَفُوا وَظَنُّوا هَتَفَهُمْ عَدْلًا لَقَدْ بَلَغُوا النِّهَايَةَ فِي السَّفَةِ

زَعَمُوا أَنَّ الذَّاتَ قَامَ بِغَيْرِهَا صِفَةٌ وَفِيهَا أَوْجَبُوا حُكْمَ الصَّفَةِ

خَرَقُوا سِيَاجَا شَادَهُ سَلَفُ الْهُدَى وَتَمَذَّبُوا بِمَذَاهِبٍ مُسْتَنَكِفَةٍ

وَأَنَّى الْأَخِيرُ الْعُمَرُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ يَبْغِي الْحِجَاجَ مُعْرِضًا بِالْبَلْ كَفَةِ

أَعْنَى الْخَوَازِمِيِّ ذَا الصَّافِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ جَهْلِهِ بِالْمَعْرِفَةِ

بَلْ تَاهَ فِي بَيْدَا الْجَهَالَةِ مُعْرِضًا كَحَارٍ وَخَشٍ فِي مَهَامِهِ مُتْلِفَةٍ

وقول الفقيه أبي زكرياء يحيى بن منصور التونسي ، قال الشيخ ابن مرزوق

رحمه الله : وفي جوابه تعريض بجواب الأحمي فوقه :

عَجِبَا لِحَبْرٍ فِي الْبَلَاغَةِ ذَائِقٍ عِلْمَ الْفَصَاحَةِ فَرَدَهُ وَمُؤَلِّفَهُ

جَمَعَ الْمَعَانِيَ وَالْبَيَانَ مَكْشُفًا أَسْرَارَ قُرْآنٍ بِأَكْمَلِ مَعْرِفَةِ

وَأَضَلَّهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ فَرَاغَ عَنْ سَنَنِ الصَّوَابِ وَحَادَ عَنْهُ وَحَرَفَهُ

فَأَحَقَّ قُدْرَةَ حَادِثٍ وَأَحَالَ رُؤْيَا وَاجِبٍ أَوْ أَنْ تَكُونَ لَهُ صِفَةٍ

مَا ذَاكَ إِلَّا فَعْلٌ قَهَّارٌ بِهِ قَوْمٌ ذُوو رَشْدٍ وَقَوْمٌ فِي سَفَةِ

وللقاضي عمر
ابن عبد الرفيع
في ذلك

والأحمي في
ذلك الغرض

وليحي بن
منصور التونسي
في ذلك

والله أسألُ رحمةً لجميعنا ودخولنا فيمن حباه وشرّفه
متوسّلين بأحمدٍ خيرِ الوَرَى صلى عليه الله ما نطقت شفّه
وقول الفقيه أبي محمد عبد الواحد اليُفَرَنِيّ :

وليفرنى
في ذلك

قل للذي جمع النظام وخلفه من بعده لك موعدٌ لن يُخلفه
أثبتّ عدلَ جماعةٍ في جورهم والجورُ أثبتّه لهم نفى الصّفه
ستكون من تلك الجماعة يوم هم حمرٌ لغى أو لكى موقفه

ولابن عرفة
في ذلك

وقول شيخ الإسلام أبي عبد الله بن عرفة رحمه الله :
أحْثَالُهُ سَمَوْا هَوَاهُمْ مَعْدَلًا وَحُثَالُهُ^(١) حُمُرُ لَيْكِيٍّ مَوْقِفَهُ
قد شهوه بالمحال وعطلوا وتستروا بالذات عن نفى الصّفه
قوله : « قد شهوه بالحال » أى لقولهم : « عالم لا يعلم » ، ونفى العلم يستلزم
أن يكون محالاً . هكذا ألّفني في بعض المقيّدات ، والله أعلم .

ولابن مرزوق
التلمساني في ذلك

وقول خطيب الخطباء الرئيس الحاجب ، الفقيه المحدث الرّحال ، سيدي
أبي عبد الله بن مرزوق التلمساني ، رحمه الله تعالى :

وجماةٍ عُرِفَتْ لعمري بالسّفه وتبسّكت بضلال أهل الفلسفة
عدلت عن النهج القويم فلقبت عدليّة وعدّوها عن معرفه
ضلت وقالت ابن يربى ربّ الوَرَى يوم الجزاء فالزمت نفى الصّفه
هذا وكم من زلة زلت وكم من مذهب ذهب به في متلفه
[وكذلك أسلمت الأمور لنفسها هيهات تنقذ نفسها من متلفه]
كيف السبيل لصرفها عن غيرها والعدل يمنع صرفها والمعرفة

وقال سعد الدين التفتازانى رحمه الله ، عند ذكر البيتين اللذين أنشدهما

الزخشي [ما نصه] : ولقد عَورِض ما أَنشدَه وَأَنشأه من الهَذَيان . قال الإمام

ولسكامل الدين
المظفر في ذلك

الحقّق محي السنّة ، قامع البدعة ، كامل الدين المظفر ، ردّاً عليهم :

لَجَماعَة كَفَرُوا بِرُؤية رَبِّهِمْ وَلَقائِهِ مُحَرِّ لَعَمْرِي مُوكِّفَهُ
هُمْ عَطَّلُوهُ عَنِ الصَّغَاتِ وَعَطَّلُوا عَنْهُ الْفَعَالُ فَيَا لَهَا مِنْ مُنْكَفِهِ
هُمْ نازَعُوهُ الْخَلْقَ حَتَّى أَشْرَكُوا بِاللّهِ زُفْرَةً حَاكَةً وَأَسَاكِفَهُ
هُمْ غَلَقُوا أَبْوابَ رَحْمَتِهِ الَّتِي هِيَ لَا تَزَالُ عَلَى الْعُصاة مُوكِّفَهُ
وَلَهُمْ قَواعِدُ فِي الْعَقائِدِ رَذَلَةٌ وَمِذاهِبُ بِجَهولَةٍ مُسْتَنَكِفَهُ
يَبْكِي كِتابُ اللَّهِ مِنْ تَأْوِيلِهِمْ بِدُمُوعِهِ الْمَنهَلَةِ الْمُسْتَوَكِّفَهُ
وَكَذا أَحاديثُ النَّبِيِّ دُمُوعُهَا سَنَهِمْ عَلَى الْخَدَّيْنِ عَيْرَ مَكْفَكِفَهُ
فَاللّهُ أَمَطَرَ فِي سِجَابِ عَذابِهِ وَعِقابِهِ أَبْداً عَلَيْهِمْ أَوَكِّفَهُ
انْتَهَى كَلامُ السَّعْدِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

[٧٣٩]

وقال الطيّبي رحمه الله : وأجابه بعض أهل السنة بقوله :

ابن المنبر
الاسكندري من
أهل السنة

عجبا لقوم ظالمين تســــــــــــتروا بالعدل ما فيهم لعمري معرفة

... البيتين ؛ وقد تقدم أنهما لصاحب الانتصاف ، حَسْبُما صرح بذلك
الإمام ابن سرزوق ، فبان أنه المعنى بقول الطيّبي : أجابه بعض أهل السنة ،
والله أعلم .

قلت : وقد رأيت بَتِلْمِسان بخط الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحَدَّاد الوادِي
أَشْيى ثم الغَرناطِي ، نَزِيل تِلْمِسان رحمه الله ، جوابا بديعا جدّا ، للشيخ الإمام ابن
الجبير اليَحْصِي ، أحد أعلام المتأخرين بالأندلس ، ونقلته من خطه الحسن ، وهو :

لابن الجبير
اليحصي في ذلك

وَجَماعَةٍ مَشْنُوءَةٍ بِذُعيَةٍ مَصْرُوفَةٍ عَنْ رَشْدِها مَتَمَسِّقَةٌ
جَارُوا وَسَمَّوْا قَوْمَهُمْ عَدْلِيَّةً عَدَّلُوا وَلَسَكُنْ عَنْ طَرِيقِ الْمَعْرِفَةِ

قومٌ نفّوا عن ربهم أحكامه في خلقه لما نفّوا عنه الصّفة
 غطّوا على التّعطيل بالتنزيه إذ ضلّوا ضلال الأسرة المتفلسّفة
 فطريقهم أسّ الضلال وقولهم عينُ المحالِ ورأيهم محضُ السّفة
 الحقّ جبّ سنامَ جبّائهم وقناةُ نجلٍ عبّيدهم^(١) متقصّفة
 وتناثرت خرزاتُ نظامٍ لهم والكودنُ العلاف^(٢) بلّ المعلّفة
 والشيخُ محمودٌ هو الفيلُ الذي [كادوا به المعنى الذي في البلاكفة
 ما منهم إلا حمار صوتت] في فيه جحفلةٌ ويحسبها شفه
 قال وكتب بخطه الرائق تحت قوله « إلّا حمار » ما نصّه :

« البادى أظلم » انتهى .

[٧:٠]

ولا خفاء ببراعة هذا النظم وحسن مساقه ، وتوطئته للتورية البديعة التي
 هي قوله : « والشيخ محمود » ... الخ ، فإن هذا تلميح لقصة الفيل ، المذكورة
 في القرآن ، في قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ » ، وقد
 صرّح غير واحد من أهل التفسير والسّير ، أن اسم ذلك الفيل الذي جاء به
 أبرهة لهدم الكعبة « محمود » ، فخير بذلك ابنُ الجبير ما ضاع من الاتّفاق
 الغريب ، والله تعالى يجازيه أفضل جزائه ، وجميع أهل السنة ، بما أتوا به
 من العجّيج ، التي جدّعت أنف كلّ مستريب .

وبعد أن كتبت ما ذكرته من حفظي راجعت مقبّداتي ، فألفيت بها
 مما نقلته من خطّ الوادى آشى المذكور ما نصّه :

أنشدنا شيخنا وبرّكتنا العالم الجليل ، الخطيب المصنّع ، البليغ المفيد ، إمام

(١) نجل عبيد : هو عمرو بن عبيد ، من رؤوس المعتزلة .

(٢) الكودن : الفرس أو البغل أو البرذون . والعلاف : هو أبو الهذيل العلاف المعتزلى .

وقته في العلوم ، والتحصيل والفهم ، قاضى الجماعة ، سيدنا أبو عبد الله ، محمد بن علي بن الأزرق ، رضى الله عنه ، وأمتع [ببقائه] وإفادته ، ووصل أسباب سعادته . قال :

أنشدني شيخ الأدباء ، وخُججة البلغاء ، الكاتب المجيد الأبرع ، أبو عبد الله محمد بن الجبير اليمحُصبي ، معارضا للبيتين الشهيرين ، اللذين أنشدهما الزمخشري ، فعارضهما ابن الجبير بقوله :

وجماعة مشنوءة بدعيّة — مصروفة عن رُشدِها متعسّفة
... الأبيات . قال شيخنا : ولما أنشده الأبيات ناظهما ، كتبها له بخطه الحسن ، وكتب تحت قوله « الإحمار » : البادى أظلم . انتهى .

ومن نظم ابن الجبير ثم قال الوادى آشى المذكور : ولسيدى ابن الجبير المذكور ، ومن خطّه قيّدت :

كلّما رمتُ أن أقدمَ خيرا لمعادي ورمتُ ألى أوب
صرفتني بواعث النفس قسرا فتقاعستُ والذنوب ذنوب
رَبِّ قَلْبٍ قَلْبِي لِعِزْمَةٍ خَيْرٍ بِمَتَابٍ فِي يَدَيْكَ الْقُلُوبُ

[٧٤١]

وله أيضا وقد أشار عليه الرئيس الكاتب أبو عبد الله الشّرّان بإنشاء صدر
لمكاتبات سلطانية :
ومن نظم ابن الجبير أيضا مجيبا للشّرّان

ذَرَعِي وَصَدْرِي بِالصُّدُورِ هَذَا يَضِيقُ وَذَا يَدُورُ
أَنْتَ الْمَلِيءُ بِكُتُبِهِمَا مَا لِلصُّدُورِ سِوَى الصُّدُورِ

فأجابه الشّرّان بقوله :

تَجَرُّ اجْتِهَادِكَ لَنْ يَبُورَ فَدَعِ الْكَلَامَ وَكُنْ صَبُورَ

إن الصدور بك ازدهت بالدرّ تزدان العُـدورُ
نقلت هذا كله من خط الفقيه أبي عبد الله محمد الوادى آشى المذكور
آثفا رحمه الله تعالى .

ثم قال الوادى آشى المذكور :

المسلمون أعداء
لأهل السنة

سمعت شيخنا الإمام سيدى محمد بن الأزرق الأصبهى رحمه الله ، بمجلس
تدريسه من الجامع الأعظم بغرناطة يقول : كان أبو محمد عوف بن يوسف
الخزاعى من أهل القيروان يقول : الخلائق كلهم أعداء بنى آدم ، وبنو آدم
كلهم أعداء المسلمين ، وجميعهم أعداء أهل السنة . انتهى .

جند الله الغالبون
هم أهل السنة

وذكر الرُشاطى بسند مُتّصل إلى أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قول الله تعالى : «وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» ،
قال : هم أهل السنة والجماعة .

انتهى ما قيّدته من خط الوادى آشى المذكور ، رحمه الله .

بعض أخبار
الوادى آشى
وشعره

وكان رحمه الله من حلّ بتلمسان بعد أخذ غرناطة ، أعادها الله ، وحصلت
له بها مصاهرة مع أعيانها بنى مرزوق ، ثم آلت إلى مقاطعة ، حسماً ذكّر ذلك
فى بعض ما له من النظم ، وكان له نظم لا بأس به ؛ فمن ذلك قوله رحمه الله ، بعد
بيت سقط من حفظى ، مُضمّنه أن الناس لأموه عندما طلق بنت ابن مرزوق ،
وأظنه هكذا :

يَلُومُنِي الْأَقْوَامُ مِنْ بَعْدِ مَا سَطَا عَلَى ابْنِ مَرْزُوقٍ وَمَنْ بِإِنْفَاقِ

فقلت لهم كُفُّوا الْمَلَّامَ فَإِنِّي تركت ابن مرزوق وأُمَّمْتُ رَزَاقِي^(١)

رثاؤه أحمد بن يحيى الونشريسي ومن ذلك قوله يرثي الشيخ الإمام ، [الحافظ ، بل] حافظ الإسلام ، سيدي أحمد بن يحيى الونشريسي الأصل ، التلمساني ، نزيل فاس ، صاحب المعيار وغيره :

لقد أظلمت فاسٌ بل الغربُ كلهُ بموت الفقيه الونشريسي أحمد
رئيس ذوى الفتوى بغير منازعٍ وعارف أحكام النوازل الأواحد
له دُرْبَةٌ فيها ورأى مُسَدَّدَ بارشاده الأعلامُ في ذاك تهتدى^(٢)
وتالله ما في غربنا اليومَ مثله ولا من يدانيه بطول تردّد
عليه من الرحمن أفضل رحمة تروحُ على متواه فيضا وتعتدى
وقوله في رثائه أيضا :

أبعد ابن يحيى اليومَ في الغرب عالمٌ يطبّقُ بالفتيا المفاصلَ مثله
ويعرف من فقه النوازل غايةً يُوقّع منها ما به بانَ نُبله
وإن جئتَ للإنصاف لم يبقَ مثله وهذا الجليل ليس يُنكر فضلُه
فاذ^(٣) كان جاء الموتُ فالصبر والرضا على ما قضى الخلاقُ فالحوّل حوله
وقوله في ذلك :

رأيت نجومَ الدين تبكى حزيمةً على فقد حَبَرٍ كان قُطبَ أولى العلما
فقلت ومن هذا؟ فقالت محببةً على الونشريسي رئيس ذوى الفتيا
فصحنّا وقلنا: ويلنا ثم ويلنا على فقدِه مُذْ غابَ أظلمت الدنيا

(١) كذا في ط . وفي ص : « وجئت لرزاقى » .

(٢) كذا في ط وهامش ص . وفي ص : « أهدى » . (٣) في ط : « فإن » .

عليه من الرحمن أفضلُ رحمة تعاهدُ مشواه مع الجودِ والشُّقيا
وقوله وقد بدّل القافية :

رأيتُ نجومَ الدين تبكي حزينَةً على فقد من قد كان قُطْبَ زمانِه
فقلتُ ومن هذا فقالت مجيبةً على الونشريشيّ وحيدِ أوانِه
إليه انتهت في الفقه كلُّ رياسةٍ ومعرفة زينتُ بحسنِ بيانِه
ومذُ غابَ عنا أظلمُ السكونِ كلُّه وصار الضُّحى ليلاً لِفقدِ عيَانِه
وإنَّ عزائى فيه للخلق كلُّهم خصوصاً ذوى فقهٍ لعزِّ مكانِه

وكانت وفاة [الإمام] الونشريشيّ المذكور ، يوم الثلاثاء مؤقّى عشرين
من [صفر ، من] عام أربعة عشر وتسع مئة ، بمدينة فاس ، رحمه الله ، ونَجِبَ ولده
شيخ شيخنا ، القاضي سيدى عبد الواحد رحمه الله .

ومن نظمه ، أعنى الوادى آشىّ المذكور ، رحمه الله ، يمدح الفقيه أحمد
العبادى يقول :

ومَن مثله في العلم يُبدى فنونه مع الدين والتقوى على صِغَر السنِّ
فأثبتَه المولى وأثبتَ أمره وزكّى علوماً حاز في غير ما فنِّ

ومن نظم الوادى آشىّ المذكور قوله :

تَلِمَسَانُ أرضٌ لا تليقُ بحالنا ولكنَّ لطفَ الله نَسألُ في القضا
وكيف يحب المرء أرضاً يسوسُها يهودٌ وفُجَّارٌ ومن ليس يُرْتَضَى

وله فيه أيضا

وفاة الشيخ
الونشريشي

وللوادى آشى
في مدح الفقيه
أحمد العبادى

وله متبرما
بسكى تلمسان

وله أيضا في ذلك وقوله رحمه الله :

غريبٌ في تلمســــــــــــانٍ وحيدٌ من الأحاب ليس له مُشاكِلٌ
وكم فيها من الأصحاب لَكُنْ عَدِمْتُ بِهَا الْمُنَاسِبَ وَالْمُأَمِّلَ

وكان رحمه الله كثير النسخ والتقييد ، آية الله في ذلك ، حتى إنى رأيت في خزان أهل تلمسان بخطه نحو المئة سفر ، ورأيت بفاس نحو الثمان مئة ^(١) . وأخبرني مولانا شيخ الإسلام عثمان مفتي تلمسان ، سيدى سعيد بن أحمد المقرئ رحمه الله ، أنه نسخَ [بخطه] نحو العشرين نسخة من توضيح خليل ، وكان يحترف بالنسخ ، رحمه الله ، ونظمه نظم فقيه ، وربما يقع له النادر ، ولولا الإطالة جلبت أشياء من ذلك ، زيادة على ما سبق .

[٧٤٤]

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصّه :
ولسيدى محمد العربى أبقاه الله عند محاصرة النصارى للحضرة :

وبخطه شعر
لسيدى
محمد العربى

بالطُّبُل في كل يوم وبالنَّقِير نُرَاعُ
وليسَ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَاكَ إِلَّا الْقِرَاعُ
يَا رَبِّ جَبْرُكَ يَرْجُو مَنْ هِيضَ مِنْهُ الدَّرَاعُ
لَا تَسْلُبْنِي صَبْرًا بِهِ لِقَابِي أَدْرَاعُ

وله أيضا وقد ظفرَ ببعض المرتدّين ، ممن صار ، والعياذ بالله ، غمّياً ، يجرّهُ الناس بالحضرة حياء :

ولسيدى العربى
في رجل تنصر
واختلط عقله

أَلَا رَبِّ مَغْرُورٍ تَنْصَرُّ ضِلَّةً فُخَاقٍ بِهِ شُوْمُ الضَّلَالِ وَشَرُّهُ
فَإِنْ يَرْتَفِعُ عِنْدَ النَّصَارَى بِالْإِعْتِنَا فَكَمْ عِنْدَنَا مِنْ حَرْفٍ حَبِلٍ يَجْرُهُ

وله أيضا:

صَوَّرَ أَنْ كُنْتَ نَبِيْلًا صُوْرَةً دَامَ فِي تَصْوِيْرِهَا الْبَحْثُ وَطَالَا
زَوْجَةً إِنْ دَخَلْتَ بَيْتًا فَقَدْ حُرِّمْتَ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ حَالَا
[جوابه:]

هِيَ إِنْ [لَمْ] ^(١) تَلْبَسْ زَوْجَ امْرِئٍ بِنِسَاءِ بَيْتٍ قَدْ اعْجَزَ الرِّجَالَا
حَيْثُ قَدْ أَنْكَرْنَ طُرًّا عِصْمَةً مِنْهُ قَدْ ضُمِّنَ دَعَاؤُهَا الْمَقَالَا

وله أيضا ملفزا:

مَا رَجُلٌ يُعْجَبُ مِنْ أَمْرِهِ مَنْ لَمْ يُحَقِّقْ نَفْسُهُ أَمْرَهُ
حَلَّتْ لَهُ وَحُرِّمَتْ زَوْجَتُهُ فِي الْيَوْمِ ثِنْتَيَ عَشْرَةٍ مَرَّةً
انتهى.

قلت: وهذا أبو عبد الله العربي المذكور، هو صاحب الكتاب الذي بعث به سلطان الأندلس، أبو عبد الله الخلويع آخر ملوك الأندلس، إلى السلطان الشيخ الوطائي، صاحب فاس، وقد تقدم ذكره في أول هذا الموضوع ^(٢)، فراجعهم إن شئت.

وقد حَلَّاهُ الْوَادِي آشَى بِقَوْلِهِ:

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها المعنى والوزن. (٢) يريد الكتاب.

وله ملفزا
لفزا فقها

وله في الغرض
نفسه

بعض أخبار
أبي عبد الله العربي

« بليغ العصر ، بل الدنيا ؛ ومالك زماعي النظم والنثر ، بلا ثنيا ؛ سيدي محمد العربي ، أنسا الله أجله ، وبلغه أمله » . انتهى .

[٧٤٥]

ورأيت بخط الوادي آشي المذكور ما نصه :

بخط الوادي
آشي من الوثائق
المجموعة

من الوثائق المجموعة : إن ذكر الموصي في كتابه أن تُنفذ وصيته من سكة كانت تجرى [في حين الوصية ، ثم توفي الموصي وقد انقطعت تلك السكة] ، فإن وصيته إنما تُنفذ من تلك السكة ، التي كانت تجرى يوم الوصية ، إلا أن يكون نص في وصيته أن تكون وصيته من النقد الجاري يوم تُنفذ الوصية ، فيكون ما عهد ، فإن وقعت وصيته مُطلقة ، ولم يشترط صفة ، فإنما يكون ذلك مما يجري يوم التنفيذ ، وذلك بخلاف السكالي^(١) والذنون ، انتهى .

قال محمد الوادي آشي : قوله « إنما تخرج [مما يجري] يوم التنفيذ إن لم يشترط صفة » ، والذي في السكالي لأبي محمد خلافه ، وعلى ما في السكالي في ذلك العمل ، وبه شاهدت شيخنا المواق يفتي ، وشيخنا قاضي الجماعة ابن منظور رحمه الله يحكم . انتهى .

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصه : وَجَدَ بِخَطِ الرَّيْسِ الْقَاضِي أَبِي يَحْيَى بْنِ

عاصم رحمه الله تعالى :
الحمد لله .

ومن خطه
نقلا عن القاضي
أبي يحيى بن
عاصم في توثيق
العقود

إنما تستقلّ العقود الصحيحة ، وتتم الموجبات الصريحة ، بثبوتها لدى الحاكم ، المنعقدة ولايته عند تحصيل شروطها صحة وكالا ، وذلك بأداء نصاب

(١) السكالي : جمع السكالي ، وهو المتأخر من الصداق .

شهادتها العادلة استتماما واستكمالاً ، فإذا كان أحدُ شهدائها السلطان الأعظم ، أو من أقامه السلطان الأعظم مقامه ، وهو قَيُّوم الشريعة الذي ارتضاه الإمام لإِنفِاذِ أحكامها عِوضاً منه وأقامه ؛ فإنَّ العمل الجارى بهذه الحضرة عند أهل كَتَب الأحكام ، وهو اللّازم اقتفاؤه ، إذا أُريد ثبوتُ العقد الواقعة فيه هذه الشهادة واكتفاؤه ؛ أن يُشَهِد القاضى الذى تم به نصاب هذه الشهادة عليها اثنين [٧٤٦] من شهداء العدالة أنها شهادته ، ثم يُوَدِّى عنده هذان العدلان ، ويخاطب هذا الرسم على ما مرت به شهادته ، ويُعَلِّم للشهادة من شهد معه أداءً وقبولاً ، خطاباً عند غيره من القضاة مقبولاً ، فإذا كان الفقه هكذا مُقَرَّراً ، والعملُ على هذه السنة مُحَرَّراً ؛ فمن أشهدَه الآن قاضى الجماعة بحضرة غرناطة ، فلان بن فلان ، الأوّل من شهيدى الرسم فَوْقَه ، على أن الشهادة الموضوعة فيه أولاً هى شهادته التى بها أشهد ، وأنها مكتوبةٌ بخط يده الذى منه تعود ، وأنه تحملها مسئولة منه تحقيقاً ، ويؤدى عليها مطلقاً إيجاباً لها وتصديقاً ، فى كذا .

قال الوادى آشى ، ومن خطه أيضاً :

الحمد لله .

القول الظاهر الأدله ، الدارج على ارتكاب القضاة الأجله ؛ الجارى لدينا به العمل فيما تُقْبَل به العقود المستقلة ، قَبُولُ خطاب الحَكَم العَدْل مطلقاً ، وإنْ عُزِل أو تَوَفَّى ، وخطُ القاضى المعلوم العدالة إذا ثَبَت أنه خطّه يكفى . والقول الآخر هو الذى رجّحه غيرُ واحد ، وأكثرُوا عَلَى صِحَّتِهِ من الحجج والشواهد . وللخروج من الخلاف ، وصون مواعده من الاختلاف ؛ أشهد الآن قاضى الجماعة ، وقَيُّومُ أحكامها المُطاعه ، فلان بن فلان ، وصل الله توفيقه ، وكافأ

وما نقله الوادى
آشى عن ابن
عاصم فى الغرض
نفسه

تَثْبُتُهُ فِي النَّظَرِ وَتَحْقِيقَهُ ؛ بِثُبُوتِ الرَّسْمِ فَوْقَهُ لَدَيْهِ ، وَاسْتِقْلَالَهُ عِنْدَهُ الْإِسْتِقْلَالَ
الْكَافِيَ الْمُعْتَمَدَ عَلَيْهِ ، لِثُبُوتِ الرَّسْمِ فَوْقَهُ ، لِصَحَّةِ الشَّهَادَةِ الْأُولَى ، وَلِإِعْلَامِهِ
الْمُعْرَبِ عَنْ صَحَّةِ ثَانِيَةِ الشَّهَادَتَيْنِ هُنَالِكَ أَدَاءَ وَقَبُولًا ، فَمَا كَانَ كَذَلِكَ لِمَنْ يَرِدُ
عَلَيْهِ مِنَ الْقَضَاةِ أَنْ يَقْبَلَهُ عَلَى ثَانِي الْقَوْلَيْنِ اتِّفَاقًا ، هُوَ الَّذِي أَشْهَدُ بِهِ الْآنَ بَرَهَانًا [٧٤٧]
لِمَا ثَبَتَ لَدَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَمُصَدِّقًا ؛ تَسْجِيلًا بِإِشْهَادِهِ لَصَحَّةِ عَقْدِهِ ، وَذَخِيرَةً لِلْيَوْمِ
وَمَا يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَمْدَةً تَقِي الْحُكْمَ عَلَى أَوَّلِ الْإِحْتِمَالَيْنِ وَأَوَّلَاهَا مِنْ إِجَازَتِهِ
أَوْ رَدِّهِ ؛ شَهِدَ عَلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ الْمُسَمَّى بِمَا فِيهِ عَنْهُ مِنْ ثُبُوتٍ وَتَسْجِيلٍ ، وَقَبُولٍ
وَتَعْدِيلٍ ؛ وَهُوَ فِي مَجْلَسِ أَحْكَامِهِ ، وَمَظْهَرِ نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ ؛ فِي كَذَا . انْتَهَى .
قَالَ مُحَمَّدُ الْوَادِي آسَى رَحِمَهُ اللَّهُ :

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فَوْقَ هَذَا تَلِيهِ ، قَدْ صَنَفَ فِيهَا الشَّيْخُ الْفَقِيهَ الْقَاضِي الْجَلِيلُ سَيِّدِي
الْحَاجَّ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْجَلِيلِ اللَّخْمِيَّ — مِمَّنْ أَدْرَكْنَاهُ بِغَرْنَاطَةِ مَدْرَسَا وَنَائِبًا عَنْ قَاضِي
الْجَمَاعَةِ بِهَا ، وَأَدَّيْنَاهُ مَرَارًا شَهَادَاتٍ ، وَحَضَرْنَا جَنَازَتَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ — تَصْنِيفًا
مُفِيدًا ، لَخَّصَ فِيهِ الْمَسْأَلَةَ ، وَاسْتَظْهَرَ بِالنُّقُولِ ، وَلَمْ يُبْقِ لِأَحَدٍ مَا يَقُولُ .

وَأَمَّا مَنْ كَانَ شَاهِدًا فِي رَسْمٍ ثُمَّ صَادَفَ أَنْ صَارَ قَاضِيًا ، وَطُوْلَبَ بِخُطَابِهِ ،
فَقَدْ نَزَلَتْ بِي هَذِهِ بِالْمُنْكَبِ ، وَأَنَا أَنْوِبُ بِهَا لِمُضَرَّةِ بَعْضِ أَيَّامٍ ، لِمَغِيبِ قَاضِيهَا
إِذْ ذَاكَ بِالْحَضْرَةِ ، أَوْ آخِرِ شَعْبَانَ وَأَوَائِلِ رَمَضَانَ عَامَ سَبْعَةِ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ،
فَصَنَعْتُ طَرِيقَةً مُخْتَصِرَةً ، كُنْتُ تُتْلَقُ عَلَيْهَا مِنْ شَيْخِنَا ابْنِ مَنْظُورٍ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا
طَرِيقَةُ شَيْخِهِ الْبِدَوِيِّ :

حُكْمُ الشَّاهِدِ الَّذِي
يَعْبُرُ قَاضِيًا

أَشْهَدْتُ عُدْلَيْنِ عَلَى شَهَادَتِي ، وَأَدَّيَا لَدَيْ بَذَلِكَ ، فَقَبَلْتُهُمَا ، وَشَهِدَا ^(١) عَلَى خَطِّ

[٧٤٨] ثَبَّتْ بِوَاجِبِهِ ، وَأَعْلَمَ بِذَلِكَ فَلَانَ ، وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، مُسْلِمًا عَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ .
الْآخِرَ لِمَغْيِبِهِ بِالْحَضْرَةِ ، وَكَتَبْتُ عَلَى الْغَائِبِ : عَرَّفَ بِهَا عَدْلَانَ لِمَغْيِبِهِ ، وَعَلَى
شَهَادَتِي : أَشْهَدُ بِهَا عَدْلَيْنِ ، وَأَذِيًا لِدَيِّ ذَلِكَ فَقِيلَتْهُمَا ، وَكَتَبْتُ أَسْفَلَهُ :

وبخطه دعاء
لابن الجبير

ونقلت من خط الوادى آشى المذكور ما نصه :
وجدت بخط سيدى وشيخى السكاتب الإمام الأعراف ، سيدى محمد بن
الجبير ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنّه ، ما نصه :

دعاء مبارك لتفريج الأزمات

اللَّهُمَّ إِنِّي تَبَرَّأتُ مِنْ حَوْلِي وَقُوَّتِي ، وَاسْتَوْتَنْتُ بِمُحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، أَرِنِي
عَجَائِبَ لُطْفِكَ ، وَغَرَائِبَ حِكْمَتِكَ وَقُدْرَتِكَ ، وَأُنِّينِي بِفَرَجٍ مِنْ عِنْدِكَ ، كَمَا
فَرَجْتَ عَلَى يَوْسُفَ الصَّدِيقِ نَبِيِّكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

[هذا الدعاء] إِنْ ذَكَرَهُ أُسِيرَ أَوْ مَسْجُونٌ أَوْ مُكَرَّوبٌ ، تَسْعِينَ أَلْفَ مَرَّةً ،
يَقُولُ [آخِر] كُلِّ أَلْفٍ : يَا لَطِيفُ يَا لَطِيفُ ، بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ ، عَاجِلُهُ الْفَرَجُ
فِي الْحَيْنِ ، وَنَفْسُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عَنْهُ ، انْتَهَى .

ومن خطه أيضا رحمه الله ما نصّه : من كلام بعض العلماء ، وَيُنْسَبُ إِلَى
الْأَسْتَاذِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أُبَيٍّ ، رحمه الله :

قَدْ يَأْمُرُ بِمَا لَا يُرِيدُ فَلَا يَكُونُ ، وَقَدْ يَنْهَى عَمَّا أَرَادَ فَيَكُونُ ، كَلَّفَ
الْعِبَادَ وَأَرَادَ مِنْهُمْ مَا عِلْمُ أَنَّهُمْ بِهِ عَامِلُونَ ، كَلَّفَ بِمَا شَرَعَ ، وَجَعَلَ لَهُ عَاقِبَةً ،

وأراد ما وقع ، وقطع الارتباط بين المشروع والواقع ، فلا يقتضى أحدهما الآخر . انتهى .

ومن خطه أيضا [مانصه] : ومن شرح خليل لسيدى أبى القاسم بن سراج :
يحتاج إذا بيع الفدان وفيه زرع لم ينبت ، أن يقول عاقد الوثيقة : « وفي
الأرض زرع لم ينبت ، فهو المشتري بالعقد على مقتضى الشرع » ، لأنه إن
لم يذكر هذا [فقد] يتنازع المتبايعان بعد ذلك : هل كان الزرع قد نبت أو لم
ينبت ، فيؤدى إلى اختلاف المتبايعين ، انتهى .

وبخطه نقلا
عن شرح خليل
لابن سراج

ومن خطه أيضا : وفي شرح عقيدة النسفي للتفتازانى ما نصه :
وفي فتاوى [قاضى خان] : أجمعوا على أنه إذا ارتشى — يعنى القاضى —
لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى ، وأنه إذا أخذ القاضى القضاء بالرشوة لا يصير [٧٤٩]
قاضيا ، ولو قضى لا ينفذ قضاؤه ، انتهى .

وبخطه للتفتازانى
فى شرح عقيدة
النسفى

ومن خطه أيضا رحمه الله : ول بعضهم ، وكان شيخنا ابن منظور يستحسنهما
غاية ، هذان البيتان :

ومن خطه
ما كتب فى
طلسم بفرناطة

لما أسرَّ الماء فى أذن الحصى وقف النسيم لسمع الأخبارا
فوشى به غرد خفاف فضيحة فبكى الغمام فأضحك الأنهارا

ومن خطه أيضا رحمه الله : حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن بن القائد
الزعيم الأفاضل ، سيدى إبراهيم العراف ، أنه حضر مرة لإزالة الطلسم

[المعروف] بفروج الرواح ، من العليّة بالقصبة القديمة من غرناطة ، بسبب البناء والإصلاح ؛ وأنه عاينه من سبعة معادن ، مكتوبا فيه :

إِيوَانُ غَرْنَاطَةِ الْغُرَّاءِ مُعْتَبَرٌ طَلَّسُمُهُ بُولَاةُ الْحَالِ دَوَّارٌ
وَفَارِسٌ رُوحُهُ رِيحٌ تُدَبِّرُهُ مِنْ الْجِبَادِ وَلَكِنْ فِيهِ أَسْرَارُ
فَسَوْفَ يَبْقَى قَلِيلًا ثُمَّ تَطْرُقُهُ دَهَاءٌ يَخْرُبُ مِنْهَا الْمُلْكُ وَالْدَارُ

ومن خطّه أيضا رحمه الله : أَنشَدَنَا شَيْخُنَا الْقَاضِي ابْنُ مَنْظُورٍ بِمَجْلَسِ إِقْرَائِهِ
قَائِلًا : إِنْ فَقِيهًا مِنْ رُنْدَةٍ كَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَرَى الْكَسَادَ بَدَا فِي صَنْعَةِ الْكِتَابَةِ مَا إِنْ يُبَاعَ بِهَا شِقْصٌ وَلَا عَتَبَةٌ
تَبًا لَصَنْعَةِ قَوْمٍ رَأْسُ مَا لِهِمْ حَبْرٌ تَبَدَّدَ فِي صَفْحَةٍ قَصَبَةٍ

ومن خطّه أيضا رحمه الله مانصّه : أَلْفَيْتُ بِحُطِّ شَيْخِ شَيْوَحْنَا قَاضِي الْجَمَاعَةِ ،
الْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ سِرَاجٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، مَا نَصَّهُ :

تفهم

جاءت الرواية في الْمُتَنَبِّيَّةِ ، فِيمَنْ اشْتَرَى ثَمَرَةً عَلَى أَلَّا يَقُومَ بِالْجَائِحَةِ :
أَنْ الْبَيْعِ صَحِيحٍ ، وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ . فَلَمَّا نَزَلَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَجِيءِ النَّصَارَى
إِلَى فَحْصِ غَرْنَاطَةِ ، وَأَفْسَدُوا الزَّرْعَ ، غَرِمَ الْمُكْتَرُونَ الْكَرَاءَ ، لِأَنَّ الْجَيْشَ
لَيْسَ مِنَ الْجَوَائِحِ الَّتِي تَحُطُّ مِنَ الْكَرَاءِ ، فَامْتَنَعَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ اكْتِرَاءِ [٧٥٠]
الْأَرْضِ ، خَوْفًا مِنْ مَجِيءِ النَّصَارَى ، وَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى خَسَارَةِ عَلَى الْأَحْبَاسِ ،
فَرَأَيْتُ أَنَّ تُكْرَى الْأَرْضُ ، بِشَرَطِ أَنْهَ إِنْ جَاءَ النَّصَارَى وَأَفْسَدُوا ، أَنَّ يُحَطَّ
الْكَرَاءُ . فَاعْتَمَدْتُ فِي صِحَّةِ الْعَقْدِ عَلَى قِيَاسِ الْعَكْسِ ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا تَقْسَخُ

ومن خطّه
لبعضهم في
صنعة الكتابة

ومن خطّه بعض
ما يشترط في
البيوع

المعاملة بشرط القيام بالجائحة ، فيما لا يُشرع فيه القيام بالجائحة ، ويبقى النظر في الوفاء بالشرط في مسألة الكراء ، لما في ذلك من عموم المصلحة . انتهى .

ومن خط الوادى آشى المذكور أيضا ما نصّه : قال محمد بن الحّدّاد الوادى آشى ، رحمه الله : وقعت مسألة ، وهى : رجلٌ رهنٌ بيد آخر داراله ، وحوّزه إياها ، وشرط المرتّين المنفعة لنفسه ، ثم إن الراهن دخل الدار وسكنها ، وعادت بيده ، واتصل الأمر كذلك إلى تمام الأمد ، وحلول الدين ، فطلب المرتّين الراهن بكراء المثل ، فظهر لى بقصورى وتقصيرى ، وجهلى المركّب وعدم مقدورى ، أنه لا كراء له ، بدليل ظاهر الأقوال والروايات ، ومنها ما حكاه فى المقرّب عن ابن القاسم ، ونصه : ومن ارتهن داراً ثم أذن للراهن أن يسكنها ، أو يُسكّرَها ، فقد خرجت من الرهن ، وإن لم يسكن ولم يُسكّر . ومنها ما هو مقرر معلوم أن المرتّين إذا ترك كراء الدار ولها خطبٌ وقدر ، فذهب ابن الماجشون أنه يضمن كراء مثلها ، لأنه تعمّد إبطالها ، ما لم يكن الراهن عالماً ، فإنه لا يضمن حينئذ ، لأن سكوت الراهن عن ذلك رضا به .

ومن خطه بعض مسائل فى الرهن

وكان شيخنا وإمامنا قاضى الجماعة سيدي محمد بن الأزرق ، أبى الله

بركته ، وهو الذى وقعت النازلة بين يديه ؛ لا يوافق على ما ظهر لى ؛ وينازع [٧٥١] فى ذلك ، ويرى إلزام الكراء ؛ ونسيت الآن ما كان يستدلّ به ، واست على تحقيق بما حكم به فيها آخر الأمر ، وذلك فى عام تسعين وثمان مئة ، بيد أنه تكلم فيها مع طلبته بمجلس درسه ، وحضرت لذلك وأنا أعظّمهم وأقلّمهم علماً ، وأسوأهم فهماً ، وأقلّمهم تحصيلاً ونبلاً ، وهلمّ جرّاً ؛ فأجبت بما قيّدت

هَذَا ، مستدلاً بما نقلته ، فلم يوافقني هو ولا غيره ، وفضلُ الله يُؤْتيه من يشاء ، فقد
 قَدَّرَ اللهُ أَنْ بضاعتي في العلم مُزَجَّاةٌ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليُّ العظيم .
 انتهى ما حضرني الآن من كلام الوادي آشي ؛ ومُقَيَّدَاتُهُ وإفاداته
 وإنشاداته كثيرة جداً .

وشيخه ابن الأزرق ، المشار إليه في كلامه : هو الإمام العلامة الخطيب
 الحَجَّبةُ ، الأعرف المؤرخ ، الناظم النائر الراوية ، قاضي الجماعة بحضرة غرناطة ،
 أعادها الله دار إسلام ، سيدى أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد ، الشهير بأبن
 الأزرق الغرناطي .

قال السَّخاوى : لازم الأستاذ إبراهيم بن أحمد بن فتوح ، مفتى غرناطة ،
 في النحو والأصليين والمنطق ، بحيث إنه كان جُلَّ انتفاعه به ، وحضر مجالس
 أبي عبد الله محمد بن محمد السَّرَفُسطى ، العالم الزاهد مفتيها أيضاً في الفقه ، ومجالس
 الخطيب أبي الفَرَج عبد الله بن أحمد البَقَّي ، والشهاب قاضي الجماعة أحمد بن
 أبي يحيى الشَّرِيف التَّلَمَسَانِي . انتهى .

وله تآليف عظيمة النفع ، وقفت عليها بَتْلَمَسَان ، منها شرحه الحافل على
 مختصر خليل ، وسماه شفاء الغليل ، وقد توارد مع ابن غازي على هذه التسمية ،
 قاله أعلم بالسابق منهما إليها .

على أنى أعتقد أن كل واحد منهما لم يَسْمَعْ بتسمية الآخر . وقد كان مولانا
 العمُّ ، سَقَى الله نراه ، يقول : لعلَّ تسمية ابن الأزرق شفاء الغليل « بالعين » .
 قلت : ويُبَعِّده أنى رأيت الخطبة بخط تلميذه الوادي آشي ، السابق أنفاً :

[٧٥٢]

ترجمة
 ابن الأزرق

تأليفه

العليل « بالغين » ، ومثله بخط عم أبنينا الفقيه العلامة ، آية الله في معرفة الأحكام ، سيدى محمد المقرئ رحمه الله .

وهذا الشرح لم يؤلف على مختصر خليل مثله : إقناعا ونقلًا وفهما ، وقد رأيت منه نحو الثلاثة أسفار ^(١) ، ولا أدري هل ^(١) أنه أم لا ؟ وتامه يكون في نحو العشرين سفرًا ، وقد كتبت بتلمسان خطبته في كراسة ، وقد أتى فيها بالعجب العجائب ، وهي أدل دليل على غزارة علمه ، واتساعه في الفروع والأصول ، رحمه الله تعالى .

ومن جملة تأليفه : روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ؛ غاية في بابه ، سفر ضخيم ، فيه فوائد وحكايات . وكتاب بدائع السلك ، في طبائع الملوك ؛ كتاب بديع في موضوعه ، اختص فيه مقدمة تاريخ ابن خلدون ، المسمى بكتاب العبر ، وزاد عليه زيادات كثيرة نافعة ، وهو في سفر ضخيم ، وقد نقل عنه صاحب المعيار ، أعني عن ابن الأزرقي ، وأظن أنه نقل عنه في الجامع الذي ختم به المعيار .

وقد ارتحل رحمه الله إلى تلمسان ، عند غلبة العدو الكافر على [هضم ما بقي بيد المسلمين من] بلاد الأندلس ، ثم ارتحل منها إلى المشرق ، ولم أقف على وقت وفاته ، إلا أنه كان ارتحاله لتلمسان بعد التسعين وثمان مئة بلا شك ، وغالب ظني أن ذلك في أواخر العشرة التي كملت بها تسع مئة سنة للهجرة النبوية ، والله أعلم . ولم أتحقق الآن هل ^(١) دخلها ، أعني تلمسان ، بعد أخذ [٧٥٣] غرناطة أو قبله ، وقد قدّمنا أول هذا الموضوع وقت أخذها .

شعر له في
الاعتداد بالصبر
عند الشدائد

ومن شعره رحمه الله عند نزول طاغية النصارى دمرهم الله بمرج عَرَاطة ،
أعاده الله للإسلام ، بحاه النبي عليه الصلاة والسلام :

مَشُوقٌ بِخَيَاتِ الْأَحَبَّةِ مُوَلِّعٌ تَذَكَّرُهُ نَجْدٌ وَتُغْرِيه لَعْلَعٌ
مَوَاضِعُكُمْ يَا لَأَيِّمِينَ عَلَى الْهَوَى فَلَمْ يَبْقُ لِلشُّلُوانِ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعٌ
وَمَنْ لِي بِقَلْبٍ تَلْتَظِي فِيهِ زَفْرَةٌ وَمَنْ لِي بِجَفْنٍ تَهْمِي مِنْهُ أَدْمُعٌ
رُؤْيُكَ فَارْقُبْ لَلطَّائِفِ مَوْعَاً^(١) وَخَلَّ الذِي مِنْ شَرِّهِ يُتَوَقَّعُ
وَصَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ تَمِيمَةً^(٢) وَيَا فَوْزَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلصَّبْرِ يَرْجِعُ
وَبْتَ وَائْتِمَا بِاللُّطْفِ مِنْ خَيْرِ رَاحِمٍ فَالطَّافُهُ مِنْ لَمَحَةِ الْعَيْنِ أَسْرَعُ
وَإِنْ جَلَّ خُطْبٌ فَاتَنْظُرْ فَرَجًا لَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ فِي غَدٍ عَنْكَ يُرْفَعُ
وَكَنْ رَاجِعًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُ

وله عند وفاة
والدته

ومنه قوله عند وفاة والدته رحمه الله تعالى :

تَقُولُ لِي وَدُمُوعَ الْعَيْنِ وَكِفَةٌ مَا أَفْطَحَ الْبَيْنَ وَالتَّرْحَالَ يَا وَلَدِي
فَقُلْتُ أَيْنَ الشَّرِّى قَالَتْ لِرَحْمَةٍ مَنْ قَدْ عَزَّ فِي الْمَلِكِ لَمْ يُؤْلَدْ وَلَمْ يَلِدْ

وله في المحببات

ومن بارع نظمه ، رحمه الله ، قوله في المحببات :

وَرُبَّ مُحِبُّوبَةٍ تَبِيدَتْ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ فِي حِيَالِهَا
فَاعْجَبْ لِحَالِ الْأَنَامِ : مَنْ قَدْ أَحَبَّهَا مِنْهُمْ قَلَّاهَا

وله في مدح
شيخه أبي
يحيى بن عاصم

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة مدح بها شيخه الإمام العلامة الجليل

(١) كذا في ص . وفي ط ونفح الطيب : « موضعا » .

(٢) في ص : « غنيمة » .

أبا يحيى [بن عاصم] ، وهى من غرر النظام ، وحرّ الكلام ، وأثبتها لغرابتها :

خَضَعَتْ لِمَعْطِفِهِ الْغُصُونُ الْمَيْسُ وَرَنَا فَهَامَ بِمَقْلَتِيهِ الزَّرْجِسُ
ذُو مَبْسَمٍ زَهَرَ الرُّبَا فِي كَسْبِهِ مُتَنَافِسٌ عَنْ طِيبِهِ مُتَنَفِّسُ
وَمُورَدٍ مِنْ وَرْدِهِ أَوْ نَارِهِ يَتَنَمُّ الْقَلْبُ الْعَمِيدُ وَيَبْأَسُ
فَالْوَرْدُ فِيهِ مِنْ دُمُوعِي يَرْتَوِي وَالنَّارُ فِيهِ مِنْ ضُلُوعِي تَقْبَسُ
كَكَلَّتْ مُحَاسِنُهُ فَقَدْ نَاضِرُ وَلَوْ احْظَ نُجْلُ وَثَرُ الْعَسِ
صَعْبُ التَّعْطَفِ بِالْغَرَامِ حَبِيبُهُ فَالْحُبُّ يَحْيِي وَالتَّعْطَفُ يَحْبِسُ
غَرَسَ التَّشَوُّقَ ثُمَّ أَغْرَى الْوَجْدَ بِي فَالْوَجْدُ يُغْرِى وَالتَّشَوُّقُ يَغْرِسُ
مَا كُنْتُ أَشْقَى لَوْ حَلَبْتُ بِجَنَةِ مِنْ وَضْلِهِ تَحْيَا لَدَيْهَا الْأَنْفُسُ
الْحَاطِظُهُ وَرُضَابُهُ وَعِذَارُهُ حُورٌ بِهَا أَوْ كَوْرٌ أَوْ سُنْدُسُ
وَلِيَا إِلَى أَنْسٍ قَدْ أَمَنْتُ بِهِنَ مِنْ وَاشِ يَنْيَمُ وَمِنْ رَقِيبٍ يَخْرُسُ
أَطْلَعْتُ شَمْسَ الرَّاحِ فِيهَا فَاهْتَدَى عَاشَ إِلَيْنَا فِي الدُّجَى وَمُغْلَسُ
صَفَرَاءَ كَالْعَقِيَانِ فِي الْأَلْوَانِ لِلشُّ ذِمَانٍ كَالشَّهْبَانِ مِنْهَا أَكْوَسُ
صُبَّتْ شَقِيقًا فَاسْتَحَالَتْ زَرْجِسًا فِي مَرْجَهَا فَمُورَدٌ وَمُورَسُ
وَحَبَابُهَا يُقَنِّى بِأَسْنَى جَوْهَرٍ أَنْفَى لَعَمَّ الْمُعْدِمِينَ وَأَنْفَسُ
يَجْلِي بِهَا لِلْعَمِّ مِنْهَا حِنْدَسًا قَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الذُّؤَابَةِ حِنْدَسُ
حَتَّى إِذَا عَمِشَتْ مِرَاةُ الْبَدْرِ مِنْ صَبَحٍ بَدَا تَلْقَاءَهُ يَتَنَفَّسُ
نَادِيَتِهِ وَسَنَى الصَّبَاحُ مُحْصَحِصُ يَنْجَابُ عَنْهُ مِنَ الظَّلَامِ مُعْسِسُ (١)
يَا مُطْلِعَ الْأَنْوَارِ زَهْرًا يُجْتَنَى وَمُسْتَشْعِ الصَّهْبَاءِ نَارًا تُلْمَسُ
بِكَ مَجْلِسُ الْأَنْسِ اطمأن وابن عا صم اطمأن من الرياسة مجلس

بدرُ بأنوار الهدى مُتَطَلَّعٌ
 حامى فلم ترتعْ لخطبِ يَمْتَرِي
 شَيْمٌ مَهْدَبَةٌ وعلم راسخٌ
 لو كان شَخْصًا ذَكَرُهُ لَبَدَا عَلَى
 ذَاكُمُ أَبُو يَحْيَى بِهِ تَحْمَى الْعُلَا
 بَيْتٌ عَلَى عَمَدِ الْفَخَارِ مُطَنَّبٌ
 خِيمٌ وَعُرْسٌ فِي حِمَاهُ فَكَمْ حَوَى
 إِنَا لَنَعْدُو هَيْمًا فَيُنِيلُنَا
 حَتَّى أَقْمَنَا وَالْأَمَانِي مُنْهَضَا
 لَمْ نَدْرِ قَبْلَ يَرَاعِهِ وَبَنَانِهِ
 هُنَّ الْيَرَاعُ بِهَا يُؤْمَنُ خَائِفُ
 مَهْمَا انْزَبَتْ فَهِيَ السَّهَامُ يَرَى لَهَا
 تَشْفِي بِأَمَلِهِ التَّشَكُّي الْمَعْتَرِي
 فَتَقْصُ حِينَ تُشَقُّ مِنْهَا أَلْسِنُ
 مِنْ كُلِّ وَشَاءٍ بِأَسْرَارِ النَّهْيِ
 قَدْ جَمَعَ الْأَضْدَادَ فِي حَرَكَاتِهِ
 عَطْشَانُ ذُو رِيٍّ يَبِيسٌ مُثْمِرُ
 اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْيَرَاعِ جَوَادِبُ
 رُضْنَا شِمَاسَ الْقَوْلِ فِي أَوْصَافِهَا
 وَإِلَيْكُمَا حُلَا تَفَاسَبَ نَسْجُهَا
 وَاهْنَا بَعِيدَ بِاسْمٍ مَتَهَلِّلِ

[٧٥٥]

غَيْثٌ بِأَشْمَاتِ النَّدَى مُتَبَجِّسٌ
 وَوَفَى فَلَمْ نَحْفَلْ بِدَهْرِ يَنْحُسُ
 وَمَكَارِمُ هُتَنٍ وَمَجْدُ أَقْعَسِ
 أَعْطَافِهِ مِنْ كُلِّ حَمْدٍ مَلْبَسِ
 وَبِهِ خِلَالُ الْفَخْرِ طُرًّا تُحْرَسُ
 مَجْدٌ عَلَى مَتْنِ السَّمَاءِ مُؤَسَّسُ
 فِيهِ الْمَرَادُ الْمُخَيَّمُ وَمُعَرَّسُ
 رِيًّا وَيُوحِشُنَا النَّوَى فَيُؤَسُّ
 تٌ وَابْتَسَمْنَا وَالزَّمَانُ مُعْبَسُ
 أَنَّ الدَّوَابِلَ بِالْقَنَائِمِ تُجْبَسُ
 وَيُحَاطُ مَذْعُورٌ وَيَغْنَى مُفْلِسُ
 وَقَعَ لِأَغْرَاضِ الْبَيَانِ مُقَرَّطِسُ
 تُخَيِّ بِأَمْنِهِ الْحِمَامُ الْمُؤَيَّسُ
 وَتَسِيرُ حِينَ تُقَطُّ مِنْهَا أَرْوُسُ
 دَرْبٍ بِإِظْهَارِ السَّرَائِرِ يَهْجِسُ
 فَلِذَا أَطْرَادَ فَخَارَهُ لَا يُعْكَسُ
 غَضْبَانُ ذُو صَفْحٍ فَصِيحٌ أَخْرَسُ
 لِلسَّحَرِ مِنْكَ كَأَنَّهَا الْمَغْنِيطُ سُ
 فَهِيَ الَّتِي رَاضَتْ لَنَا مَا يَشْمُسُ
 مِثْلِي يَفْصَلُهَا وَمِثْلُكَ يَلْبَسُ
 وَافَاكَ يَجْهَرُ بِالسُّرُورِ وَيَهْمِسُ

واحبس لواء الفخر موقوفا فإب الحمد موقوف عليك مُحَبَّس

تعليق المؤلف

وبعد أن كتبت هذه القصيدة ، حدث لي شك : هل هي من نظم القاضي أبي عبد الله بن الأزرق [المذكور ، أو من نظم ابن الأزرق] الآخر ، الذي جرى ذكره في روضة الأعلام ، وأنشده مما يكتب في سيف قوله :

إِنْ عَمَّتِ الْأَفْقُ مِنْ نَقْعِ الْوَعَى سَحْبٌ فَشِمُّهَا بَارِقًا مِنْ لَمَعِ إِيْمَاضِ
وإن نوت حركات النصر أرض عدى فليس للفتح إلا فقه — إلى الماضي

قلت : ولقد صدق رحمه الله في كل ما وصف به قلم الرئيس أبي يحيى بن عاصم ، [الذي تحلت] بجواهره لدولة بني نصر بنحور ومعاصم ، فإنه كان آية الله في النظم والنثر ، وقد تقدم في هذا الموضوع بعض كلامه ، وهو قول من كثير ؛ ولولا أني أطلت الذئجة في هذا الباب ، لأتيت بما حصل عندي من كلامه الذي يسحر الأبواب ؛ وقد أخذ من الفقه ومعرفة الأحكام بحظٍّ بد فيه نظرائه ، وانفرد في عصره بطريق الأدب ، فكان كل أنداده لا يدركه بل يسير وراءه ، حتى قال [٧٥٦] الوادي آشي : إن ابن عاصم أبا يحيى ، هو ابن الخطيب الثاني ، [على] أن الدولة النصرية في زمانه وهت منها المباني ؛ ومع ذلك فكان رحمه الله يجبر [صدع] الواقع ، ثم اتسع بعده الخرق على الراقع ؛ وقد ألمنا فيما سلف من هذا الكتاب بالتعريف به ، وذكرنا جملة من كلامه ، فراجع ذلك فيما تقدم .

ومن بديع نظمه رحمه الله قوله قاصدا مخاطبة شيخه الحافظ ، قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج ، وقد طلب منه الاجتماع به زمان فتنة ، فظن أنه يستخبره عن سر من أسرار السلطان ، فباعده معتذرا ، ولم يصدق الظن :

وله يخاطب
شيخه ابن سراج

فديتك لا تسأل عن السرِّ كاتباً فتلقاه في حال من الرشد عاطل
وتضطره إمّا لحالة خان أمانته أو خائض في الأباطل
فلا فرق عندي بين قاض وكاتب وشي ذا بحق أو قضى ذا بباطل

[عود إلى الرد على بيتي الزمخشري]

ولنرجع إلى ما كنا فيه ، من ذكر الرد على البيتين اللذين أنشد الزمخشري ،
فنقول :

لابن ماصم

ومن ذلك قول الإمام ابن عاصم ، حسبنا نقله عنه العبدري رحمه الله :
قل للذي سمى الهداة أولى النهى محمراً لأن سلب الهدى والمعرفة
فعدا يرّجح الاعتزال جهالة ويروقه زور وشاه وزخرفة
الحق أبلغ واضح لكنّه يعشي عيون أولى الضلالة والسفه
إخساً فقولك طامح كهباءة طاحت بها هوج الرياح المعضفة
سوّغت ذمّ جماعة سنيّة قد أحرزوا من كل فضل أشرفه
قطفوا أزهار كل علم نافع وأثروا بكل بدية مستطرفة
قوم هم قمعوا الضلال وحزبه بمعاول حكّت المواضي المرهفة
هم شيعة الحق الذي ما بعده إلا مهاو في الضلالة مثله
آراؤهم يجلو البصائر نورها ويميط أدواء القلوب المدنفة
أفصر فإن شقاقهم كفر فلا تدع الرشاد لعصبة متعسفة
من شدّ عن سنن الجماعة قد غوى جاءت بذالك كتب الصحاح معروفة

[٧٥٧]

ولأبي حفص
ابن عمر

قال العبدريُّ وقد نَظَمَ في مثل هذا القاضي أبو حفص بن عُمر ، فقال :
أَجَعَلْتُمْ الْعُلَمَاءَ حُمْرًا مُوَكَّفَةً هذا لأنكم أولو تلك الصِّفَةِ
أَجْهَلْتُمْ صِيفَةَ الْإِلَهِ وَفَعَلَهُ ونسبتموه لغيره بالزُّخْرَفِ
وَأَرَدْتُمْ تَنْزِيهِهُ فَوَقَعْتُمْ في الشَّرِّكِ وَالْإِلْحَادِ وَالْأَمْرِ السَّقَةِ
خَالَقْتُمْ سُنَنَ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ وتبعتم في الزَّيْغِ أَهْلَ الْفَلَسَفَةِ
انتهى .

ولأبراهيم بن
هلال

ومن سَلَكَ هذا السَّبِيلَ في الرد على هذين البيتين الْمُتَقَلِّصِي الظلال ،
الشيخ الإمام النَّظَّارَ الْمُتَبَجِّرَ ، سیدی إبراهيم بن هلال ، فقال :
عَجِبًا لِقَوْمٍ عَادِلِينَ عَنِ الْهَدَى وَدَعَا أَوْلَى الْحَقِّ الْحَمِيرَ الْمُوَكَّفَةَ
وَتَلَقَّبُوا عَدْلِيَّةً لَمَّا رَأَوْا بِمَقَالَةٍ شَعَّاءَ رَأَى الْفَلَسَفَةَ
مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ عَمَى لِبَصِيرَةٍ وَهَوَى هَوَوْا مِنْ أَجْلِهِ فِي مَتَلَفَةٍ
وَأَتَوْا بِمَا دَانَ الْمَجُوسُ وَإِيَّاهُمْ حَقًّا مَجُوسُ الْأُمَةِ الْمُتَشَرَّفَةِ
هَذَا وَكَمْ مِنْ بَدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ مِنْ رَدِّ حَقِّ بِالْحَالِ وَالسَّقَةِ
رَدُّوا الْقُرْآنَ وَمَا تَوَاتَرَ نَقْلُهُ مِنْ رُؤْيَةِ الْبَارِي وَهُمْ نَفَوْا الصَّقَةَ
فَالْعَدْلُ مَعَ هَذِي الْحَازِي مُنْتَفِنٍ وَالْجَوْرُ مَعَهَا مُثَبَّتٌ وَالسَّقَةُ^(١)

ولقاضي الجماعة الفقيه العلامة المفسر ، الدَّرَاكَةِ الْبَيَانِيَّ ، سیدی الرئيس

(١) إلى هنا ينتهي الموجود من هذه الروضة الثالثة في نسخة ص . وقد سقطت بقيتها
وبعض من الروضة الرابعة ، وأول الموجود منها قوله :
« ومنه اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تنجيننا بها من
جميع الأهوال والآفات ... » الخ .

[٧٥٨] أبى القاسم بن أبى النعمان قاضى حضرة فاس المحوطة بالله ، فى هذا التاريخ ،
أبقى الله جلالة :

فيه مجوسية بشرك كفرت وصّاح إيجابٍ ونفىٍ للصفه
وبرؤية البارى تجلّى غيهم فى نفىها وتستروا بالفلسفه

وأشدنى الفقيه الأديب الحاج الرحال الحسيب الأصيل ، سيدى على بن أحمد
الشامى الخزرجى ، حفظه الله لنفسه ، سالكا سنن هؤلاء الأعلام ، ومتشبثا
بأذيال حزبهم ، ومتمسكا بوثقى عروتهم السنية وقربهم ، وكتب لى ذلك
بخطه أيضا ، حفظه الله تعالى آمين :

يا من أقام على الضلالة معكفه ولوى عن الحق الجلى واستنكفه
لابد من يوم به تنهل من ربّ العباد مواهب مستو كفه
ويرى به ربّ العلا رغما على أنف العداة العائين البلكفه
وتقول إذ تمسى طريدا لىنى أمسيت فيه مع الحمير الموكفه

وقد آن لنا أن نمسك عِنانَ القلم الذي جمع ، فقد طال بنا الكلام
في هذه الترجمة ، وَمَنْ نَظَرَ مَا أوردناه بعين الرضا ولمح ، التمس لنا
أحسن الأعدار وأغضى وسمَح ؛ والحديث ذو شجون ، كما قيل في
الأمثال ، وربما تكثر المناسبات وتنثال ؛ ومقصودنا الفائده ، وهذه
الأشياء المجلوبة بها غايه ؛ واللهُ يوفقنا إلى عمل يَرْضَى به عَنَّا ، ويدفع
كلَّ خَظَبٍ أتعِب وعسى يَقْبَلُ مِنَّا ، ويعاملنا بِمَحْضِ كَرَمِهِ تَطَوُّلاً
وَمَنًّا ؛ فليس لنا ربّ سواه ، لا إله إلا هو .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ؛
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا .

اتمهي الجزء الثالث من كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض

ويتلوه الجزء الرابع ، وأوله :

روضة المنتور

فيما له من منظوم ومنثور

فهرس الأعلام

(١)

٨٨، ٦٣، ٦٢، ٥٩، ١٧، ١٦
 ابن بقوة = أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام
 ابن بقوى = أبو الوليد هشام بن أحمد بن
 هشام الهلالي
 ابن البناء = أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي
 ابن جابر الوادي آشي : ١٢، ١٤، ١٨
 ابن جوشن = أبو محمد بن جوشن
 ابن الجباب : ١٩٦
 ابن الحاج = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
 خلف التجيبي
 ابن الحاجب : ٢٣
 ابن الحجام = أبو محمد عبد الله بن محمد بن
 أحمد الواعظ
 ابن حجر العسقلاني : ٥٧، ٥٥، ٥٢، ٤٨
 ابن حجر الهيثمي : ٥٧
 ابن حزم : ٧٧
 ابن الحصار = خلف بن إبراهيم بن خلف
 ابن سعيد
 ابن حمدين : ٨
 ابن الحموي : ٥١
 ابن حيون بن سكره = أبو علي الصدقي
 حسين بن محمد
 ابن خاتمه : ٨، ٢٠، ٥٤
 ابن خاقان، الفتح بن عبيد الله : ١٩، ٩٤،
 ١٠٣
 ابن الحجاز : ٤١، ٥١
 ابن الحجاز النحوي : ٧٦
 ابن الخطيب : ٦٨
 ابن الخطيب القسنطيني : ٣٨
 ابن خفيف : ٨٠

الآبلى : ٣٧
 الآبلى المصرى : ٦٦، ٧٨
 آدم عليه السلام : ٢٥١
 إبراهيم (الخليل عليه السلام) : ١٤٧، ٢٤٤
 إبراهيم بن أحمد بن فتوح : ٣١٧
 إبراهيم سلمه : ١٦٩
 إبراهيم الدراف : ٣١٤
 إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم : ٢٥٨
 إبراهيم بن يوسف بن تاشقين : ١١، ١٥٣
 ابن أزر = إبراهيم (الخليل عليه السلام)
 ابن الأبار = أبو عبد الله بن الأبار محمد بن
 عبد الله القضاعى
 ابن أبي أحد عشر = عبد الله بن أبي
 أحد عشر
 ابن أبي الحسين : ٢٠٦
 ابن أبي دواد : ٨٠، ٩٢
 ابن أبي الربيع : ٢٧
 ابن أبي رندقة = أبو بكر محمد بن الوليد
 الطرطوشى
 ابن أبي وقاص = سعد بن أبي وقاص
 ابن الأحمر : ١٩٥، ١٩٨
 ابن الأدرق : ١٠
 ابن الأزرق = أبو عبد الله محمد بن علي
 ابن محمد
 ابن الإمام التلعسانى = أبو موسى عيسى
 ابن أويس (صاحب بغداد) : ٤٢
 ابن البردعى = محمد بن البردعى
 ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك :

- ابن خلدون : ٢٥٠ ، ٢٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ،
٢٩٦ — ٢٩٨
ابن خلكان : ٧١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠
ابن داود الأندلسي : ٣٧ ، ٣٨
ابن دريد : ١٧٤
ابن دقيق العيد : ٥٧
ابن رزين : ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٨
ابن رشد = أبو الوليد محمد بن رشد
ابن رشيد الفهري : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ،
٢٩ ، ١٧٢
ابن رضوان = أبو القاسم بن رضوان
ابن الرومي على بن العباس : ٩١
ابن الزبير = أبو جعفر أحمد بن إبراهيم
ابن الزبير
ابن زيتون القاسم بن أبي بكر : ٢٦
ابن السمعاني : ١٥٩
ابن شبرين : ١٠ ، ١٥٨
ابن شريح : ٥٧
ابن شرين = يعقوب بن شرين الجندی
ابن سَعْدِي : ١٣٦
ابن الشقي = أبو عمر عثمان بن سفيان
ابن شماخ : ٩٧
ابن صارة الشنتريني : ٨٨
ابن الصباغ العقيلي : ١٩٤
ابن صوحان = صعصعة بن صوحان
ابن طاهر = عبد الله بن طاهر بن الحسين
ابن طلحة = أبو العباس العشاب أحمد بن
محمد المرادي
ابن عاصم = أبو يحيى بن عاصم
ابن عباس : ٧٢ ، ٧٣ ، ١٦٨ ، ١٩٦
ابن عبد الدائم : ٤١
ابن عبد السلام : ٢٦ ، ٢٨
ابن عتاب : ٨
ابن عثمان (صاحب التريكة) : ٥١
ابن عجيل : ٤٢
ابن عربي = محي الدين بن عربي
ابن العربي = أبو بكر بن العربي
ابن عرفة محمد بن محمد بن عرفة : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ،
٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٧٦
ابن عوف = عبد الرحمن بن عوف
ابن عمار (الوزير) : ١٠٩ ، ١٧٤
ابن غازي = أبو عبد الله بن غازي
ابن فارس : ٤
ابن فرحون : ٢٢
ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد : ١١ ،
١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠
ابن قطبة (الفقيه) : ١٩٦
ابن قنفذ : ١٧٠
ابن القيم : ٤١ ، ٥١
ابن لامك = نوح عليه السلام
ابن المأموني محمد بن حجاج : ١٥٤ ، ١٥٥
ابن المؤدب : ٧٨ ، ٧٩
ابن مجاهد = أبو بكر بن مجاهد
ابن المراتب : ٨٥ ، ١٧٣
ابن مردنيش : ٢٠٥
ابن مرزوق الخطيب : ٧٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥
ابن مسعود (رضي الله عنه) : ٣٨
ابن مسامة = أبو هشام محمد بن مسامة
ابن المسيب = أبو محمد سعيد بن المسيب
ابن نباتة : ٥٢
ابن منظور : ٢١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥
ابن النجار = محب الدين محمد بن محمود
ابن النجار
ابن النخاس = خلف بن إبراهيم بن خلف
ابن سعيد
ابن هاجر = اسماعيل عليه السلام
ابن هشام : ٤١

ابن يعقوب = يوسف بن يعقوب عليه السلام
 ابن يونس : ٢٩
 الأبهري = أبو بكر محمد بن عبد الله بن
 صالح الأبهري
 الأبي = أبو عبد الله الأبي .
 أبو أحمد الجاني : ١٦٣
 أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه : ١٥٧
 أبو إسحاق بن الحاج النميري : ١٩٥ ، ٢٠٢
 أبو إسحاق الجبال : ١٥٢
 أبو إسحاق الشيرازي : ٣٨ ، ٤٩
 أبو إسحاق بن الفاسي : ٨
 أبو إسحاق النصيبي : ٨١
 أبو إسماعيل يعقوب = يعقوب بن شرين الجندی
 أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي : ٨ ، ١٦٠
 أبو بكر = أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي
 أبو بكر = عبد الله بن طلحة اليابري
 أبو بكر = محي الدين بن عربي
 أبو بكر الشاشي : ٦٢ ، ١٥٢ ، ١٦٣
 أبو بكر الصديق : ٣٩ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ٢٥٢
 ٢٩٣
 أبو بكر بن طلحة اليابري = عبد الله بن
 طلحة اليابري
 أبو بكر بن الطيب الباقلائي = أبو بكر محمد
 ابن الطيب الباقلائي
 أبو بكر بن العربي : ١٥ ، ٢١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨
 ١٥٨ ، ١٥٤
 أبو بكر بن عطية : ٩٩
 أبو بكر بن عمر : ١٦١
 أبو بكر بن مجاهد : ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦
 أبو بكر محمد بن الحسن المرادي : ١٦١
 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي : ٥٧ ، ٧٨
 ٨٤ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤
 ٨٦ ، ٨٥
 أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري : ٢٧
 أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي : ٦٢ ،
 ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،
 ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨
 أبو بكر المرادي = أبو بكر محمد بن الحسن
 المرادي
 أبو بكر بن مسعود الحشني : ١٥
 أبو جعفر = ابن خاتمة
 أبو جعفر = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
 أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير : ١٤ ،
 ١٦ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧١
 أبو جعفر بن زرق : ٦٠ ، ٦١
 أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء
 اللخمي : ١٠ ، ٢٠
 أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد : ٢٦٢
 أبو جعفر بن الباذش : ٦٤ ، ١٥١ ، ١٥٣
 أبو جعفر بن بشتغير : ١٠
 أبو جعفر بن الزبير = أبو جعفر أحمد بن
 إبراهيم بن الزبير
 أبو جعفر العقيلي : ٧٣
 أبو جعفر بن المرخي = أحمد بن محمد بن
 عبد العزيز اللخمي
 أبو حامد الغزالي الطوسي : ٦٢ ، ٩١
 أبو الحجاج يوسف : ١٦١
 أبو الحسن = علي بن أبي طالب
 أبو الحسن = علي بن محمد بن عبد الحق
 الزرويني
 أبو الحسن بن أبي نصر : ٥٤
 أبو الحسن أحمد بن أحمد : ١٥
 أبو الحسن بن الأخضر : ١٤١
 أبو الحسن الأشعري : ٨٠ ، ٨٥
 أبو الحسن بن الباذش : ١٥
 أبو الحسن حازم بن محمد : ١٧١ ، ١٧٢ ،
 ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٠٤

ابن يعقوب = يوسف بن يعقوب عليه السلام
 ابن يونس : ٢٩
 الأبهري = أبو بكر محمد بن عبد الله بن
 صالح الأبهري
 الأبي = أبو عبد الله الأبي .
 أبو أحمد الجاني : ١٦٣
 أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه : ١٥٧
 أبو إسحاق بن الحاج النميري : ١٩٥ ، ٢٠٢
 أبو إسحاق الجبال : ١٥٢
 أبو إسحاق الشيرازي : ٣٨ ، ٤٩
 أبو إسحاق بن الفاسي : ٨
 أبو إسحاق النصيبي : ٨١
 أبو إسماعيل يعقوب = يعقوب بن شرين الجندی
 أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي : ٨ ، ١٦٠
 أبو بكر = أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي
 أبو بكر = عبد الله بن طلحة اليابري
 أبو بكر = محي الدين بن عربي
 أبو بكر الشاشي : ٦٢ ، ١٥٢ ، ١٦٣
 أبو بكر الصديق : ٣٩ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ٢٥٢
 ٢٩٣
 أبو بكر بن طلحة اليابري = عبد الله بن
 طلحة اليابري
 أبو بكر بن الطيب الباقلائي = أبو بكر محمد
 ابن الطيب الباقلائي
 أبو بكر بن العربي : ١٥ ، ٢١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨
 ١٥٨ ، ١٥٤
 أبو بكر بن عطية : ٩٩
 أبو بكر بن عمر : ١٦١
 أبو بكر بن مجاهد : ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦
 أبو بكر محمد بن الحسن المرادي : ١٦١
 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي : ٥٧ ، ٧٨
 ٨٤ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤
 ٨٦ ، ٨٥

أبو الحسن بن الحسن النباهى = أبو الحسن
على بن عبد الله بن الحسن الباهى
أبو الحسن بن درى : ١٥
أبو الحسن راشد بن عريب : ١١٣ ، ١٣٢
أبو الحسن الشامى : ٢٣٧
أبو الحسن الصغير : ٣٦
أبو الحسن على (السلطان) : ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢
أبو الحسن على بن الحسين الخلمى : ٢٥١
أبو الحسن على بن حمزة بن وهاس : ٢٨٩
أبو الحسن على بن السار : ١٦٧
أبو الحسن على بن عبد الله بن الحسن النباهى :
١٧ ، ٦٤
أبو الحسن على بن مشرف : ١٦٠
أبو الحسن على بن المظفر النيسابورى : ٢٩٥
أبو الحسن على الهراسى : ١٦٧
أبو الحسن عيسى بن حبيب : ١٥٦
أبو الحسن اللخمى : ١٦٦
أبو الحسن يونس بن مغيث : ٨ ، ١٥ ،
١٥٠
أبو الحسن بن موهب : ١٥
أبو الحسين سراج بن عبد الملك : ٨ ، ١٦
أبو الحسين بن عيسى : ٢١٩
أبو الحسين بن مبارك : ١٥٢
أبو حفص المستنصر = المستنصر بالله بن أبى
زكرياء الحفصى
أبو الحكم بن الحجاج : ٨٨
أبو الحكم مالك بن المرحل : ٢٦٣
أبو حنيفة رضى الله عنه : ٢١٩
أبو حيان : ٥٥ ، ٧٧ ، ١٧٢
أبو رافع (مولى الرسول) : ٧٢
أبو الربيع بن سالم الكلاعى : ٢٢٦
أبو الربيع سليمان بن حزم السبائى : ١٥٠
أبو زكرياء = يحيى بن عبد الواحد بن
أبى حفص

أبو زكريا يحيى بن على النبريزى : ١٦٧
أبو زيان محمد : ١٩٨
أبو زيد = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
أبو زيد بن أبى عبد الله بن حفص : ٢٠٥
أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولى : ٢٤
٢٩ ، ٣٦
أبو زيد عبد الرحمن الفرناطى = ابن القصير
عبد الرحمن بن أحمد
أبو زيد عبد الرحمن بن القصير = ابن القصير
عبد الرحمن بن أحمد
أبو زيد بن متالك : ١٠
أبو سعد الشقافى : ٢٩٥
أبو سعيد الحدرى : ٧١ ، ٣١٣
أبو سعيد بن لب : ٣٨
أبو شاكر القبرى : ١٤٩
أبو طالب بن عبد المطلب : ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥
أبو الطاهر السلفى أحمد بن محمد : ٥٤ ، ١٦٢
١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٨٣ ،
٢٨٧ ، ٢٩٥
أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى : ١٦٩
أبو العاصم بن محمد الجذامى : ١٤٩ ، ١٥٠
أبو عامر = عبد الرحمن بن عبيد الله بن
ذى النون .
أبو عامر محمد بن أحمد بن اسماعيل الطليطلى :
١٥٩
أبو العباس أحمد بن ابراهيم الرازى : ١٥٢
أبو العباس أحمد بن عثمان بن أحمد بن عجلان
القيسى : ٧٦
أبو العباس أحمد بن عمر العندرى : ٦٠ ،
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦
أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن
الأنصارى : ١٥٧
أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشرىشى : ٣٦
٣٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ،

أبو عبد الله بن عبد الرحيم : ١٥٣
 أبو عبد الله العربي : ٣٠٩
 أبو عبد الله بن عرفة = ابن عرفة محمد بن
 محمد بن عرفة
 أبو عبد الله العكرمي : ٨٥
 أبو عبد الله بن عياض : ٧
 أبو عبد الله بن غاري : ٧٥ ، ٧٢ ، ٧٠ ،
 ٢٩٨ ، ٩١ ، ٨٧ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٦
 ٣١٧
 أبو عبد الله الغوري : ٧٨
 أبو عبد الله بن الفرج : ١٥٣
 أبو عبد الله الكبير : ٧٦ ، ٨٥
 أبو عبد الله المازري محمد بن علي : ١٦٥ ،
 ١٦٦
 أبو عبد الله بن مجاهد الأشبيلي : ٧٩ ، ٦٣
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف التجيبي :
 ٢٦١ ، ١٥٨ ، ١٠٢ ، ٩٦ ، ٦١ ، ٨
 أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني :
 ٢٧ ، ٢٤
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي : ٦٥ ،
 ٦٦
 أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي :
 ٣١٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني =
 أبو عبد الله الأب
 أبو عبد الله محمد بن سعدون القروي :
 ١٥٥ ، ١٥١
 أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار : ١٦٧
 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعيد
 الأشقري : ١٥٩
 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شبرين :
 ١٥٥
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار : ٦٣
 أبو عبد الله محمد بن عتاب : ١٤٩

٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٣٠٦ ،
 ٣٠٧
 أبو العباس الجرجاني : ١٥١
 أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح : ٢٠٣
 أبو العباس العذري :
 أبو العباس العشاب أحمد بن محمد المرادي :
 ٦٦ ، ٧٥ ، ٧٦
 أبو العباس الغساني : ٢٠٥
 أبو العباس بن الغاز : ٧٦
 أبو العباس القباب : ٣٥ ، ٣٧
 أبو العباس المراكشي = أحمد بن محمد بن
 عثمان الأزدي
 أبو عبد الله (ابن أخي عياض) : ١٠
 أبو عبد الله = ابن رشيد الفهري
 أبو عبد الله = المستنصر بالله الخفصي
 أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي :
 ٢٢٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ١٥٤ ، ٥٥
 أبو عبد الله الأبي : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٥
 أبو عبد الله بن أبي أحد عشر : ٧٣
 أبو عبد الله بن أبي الخصال : ١٥ ، ١٣٣
 أبو عبد الله البغدادي : ٧٩
 أبو عبد الله التميمي محمد بن عيسى : ١٥٩
 أبو عبد الله الحسين بن علي الطبري : ١٥١
 أبو عبد الله بن حفص بن عبد المؤمن : ٢٠٥
 أبو عبد الله بن حمد بن التفلي : ٩٥ ، ١٥٨
 أبو عبد الله الحميدي : ١٥٢
 أبو عبد الله السطلي : ٢٨
 أبو عبد الله بن شبرين : ١٥٦
 أبو عبد الله الشران : ٣٠٤
 أبو عبد الله بن الشريف = أبو عبد محمد
 ابن أحمد الشريف التلمساني
 أبو عبد الله الصغير : ٩١
 أبو عبد الله الطائي = محمد بن أحمد بن محمد
 ابن يوب بن مجاهد

أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق :
٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٦
أبو عبد الله محمد بن علي بن حدين : ١٦
أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد ٣١٧
أبو عبد الله المخلوع : ٣٠٩
أبو عبد الله محمد بن عياض : ١٧٠
أبو عبد الله محمد بن فرج : ٦٠ ، ٦١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
أبو عبد الله محمد بن مرزوق : ٢٥ ، ٣٠٠
أبو عبد محمد بن محمد السرقسطي : ٣١٧
أبو عبد الله بن مدرك الغساني : ١٥٤
أبو عبد الله بن المرباط : ١٥١ ، ١٥٦
أبو عبد الله المستنصر : ١٧٣
أبو عبد الله المسكلاقي : ١٧٤
أبو عبد الملك بن عبد العزيز : ١٢٥
أبو عبيدة : ٢٥٥
أبو العرب = محمد بن أحمد بن تميم التميمي
أبو علي الأهوازي : ٨٥
أبو علي الجبائي حسين بن محمد : ٩ ، ١٤٩ ، ١٥٨
أبو علي الحسن بن محمد اللخمي : ٢٢
أبو علي حسين بن محمد الصدقي : ٨ ، ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٥١
أبو علي بن عبيد : ٧٦
أبو علي الغساني : ١٦ ، ٦٠ ، ٦١
أبو عمر بن الحنفاء القاضي : ١٤٩
أبو عمر الداني : ٨٦
أبو عمر بن عبد البر : ٨٥ ، ١٤٩
أبو عمر عثمان بن سفيان : ٧٦
أبو عمر يوسف بن عبد البر التمري : ٦٧
أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد : ١٥٩
أبو عمرو = عثمان بن عفان
أبو عمرو الحضرمي بن عبد الرحمن : ١٥٤

أبو عمرو الداني : ٨٥
أبو عنان فارس : ٢٧ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨
أبو عيسى الترمذي : ١٥٢
أبو عيسى بن لبون : ١٣٠ ، ١٤٦
أبو عيسى موسى : ٢٦ ، ٢٧
أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي : ١٥٣
أبو الفرج سهل بن بشر الاسفرائني : ١٥٢
أبو الفرج عبد الله بن أحمد البقي : ٣١٧
أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون : ١٥٢
أبو الفضل قاسم العقباني = قاسم بن سعيد ابن محمد
أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبي : ١٥٢
أبو القاسم = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
أبو القاسم = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
أبو القاسم (الخطيب) : ٨
أبو القاسم بن أبي الوليد الباجي : ١٥٦
أبو القاسم بن أبي الوليد بن رشد : ٦٠
أبو القاسم بن أحمد البرزلي : ٢٥
أبو القاسم بن بقي : ٨ ، ١٥
أبو القاسم بن البراء : ٧٦
أبو القاسم بن بشكوال : ١٥٠ ، ١٥٤
أبو القاسم حاتم بن محمد : ١٤٩
أبو القاسم الخرساني : ٤٤
أبو القاسم خلف بن أحمد الجراوي : ١٥٥
أبو القاسم الخوارزمي : ٧٨
أبو القاسم خلف بن عبد الملك = ابن بشكوال
أبو القاسم خلف بن عبد الملك
أبو القاسم بن رضوان : ١٩٦
أبو القاسم بن زيتون : ٧٦
أبو القاسم بن سراج : ٣١٥ ، ٣٢٢
أبو القاسم الشريف الحسني : ١٧٤
أبو القاسم بن شعبة : ١٥١
أبو القاسم شعيب بن سعد : ١٥٢

أبو محمد عبد الله بن محمد بن اسماعيل : ١٥١
 أبو محمد بن عتاب الجنداني : ١٦ ، ١٦٠
 أبو محمد بن الفرج : ١٤٥
 أبو محمد بن عوف بن يوسف الخزاعي :
 ٣٠٥

أبو محمد بن منصور : ٩
 أبو مروان الباجي : ١٥٦
 أبو مروان حيان بن حيان : ١٦٠
 أبو مروان الطنبلي : ١٤٩
 أبو مروان عبد الملك بن أحمد : ١٥
 أبو مروان عبد الملك بن سراج : ٦٠ ، ٦١ ،
 ١٤٩

أبو مروان عبد الملك بن مسرة : ٦٠
 أبو مضر محمود الأصبهاني : ٢٩٥ ، ٢٩٧
 أبو المطرف بن عميرة : ٢١٨
 أبو المعالي محمد بن عبيد السلام الأصبهاني :
 ١٥٢

أبو منصور الحارثي : ٢٩٥
 أبو موسى عيسى : ٢٤
 أبو نصر : ١٣٧
 أبو نصر الفتح بن عبيد = الفتح بن خاقان
 أبو نعيم الحافظ : ٧٢ ، ٦٨
 أبو هشام محمد بن مسامة : ٧١ ، ٧٢
 أبو الوليد الباجي : ٦٣ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ،
 ١٥٦ ، ١٦٢

أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي : ١٥١
 أبو الوليد محمد بن رشد : ٨ ، ١٥ ، ٥٩
 ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٥٨
 أبو الوليد هشام بن أحمد بن العواد : ٨ ، ١٦١
 أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالي :
 ١٥٤

أبو يحيى الباجي : ٧٣
 أبو يحيى الشريف = عبد الرحمن بن أحمد
 الشريف

أبو القاسم بن عساكر : ١٥٣
 أبو القاسم عبد الجليل الربيعي : ١٥٦
 أبو القاسم عبد الرحمن الأزدي = ابن القصير
 عبد الرحمن بن أحمد
 أبو القاسم القاسم بن أبي بكر = ابن زيتون
 القاسم بن أبي بكر
 أبو القاسم بن محرز القيرواني : ٢٢
 أبو القاسم بن الملقوم : ١٥
 أبو القاسم بن منظور : ١٥٦
 أبو القاسم مهدي بن يوسف الوراق : ١٥٢
 أبو القاسم بن النحاس : ٨

أبو القاسم بن ورد : ١٥ ، ١٥٠
 أبو محمد = عبد الله بن طلحة اليابري
 أبو محمد = عبد الواحد بن أبي حفص
 أبو محمد بن أبي زيد : ٨٥
 أبو محمد التيمي : ١٧
 أبو محمد جعفر بن السراج : ١٦٧
 أبو محمد بن جوشن : ١٣٩ ، ١٤٠
 أبو محمد حجاج بن قاسم بن محمد الرعيبي =
 ابن المأموني محمد بن حجاج
 أبو محمد بن حزم : ١٦٢
 أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التيمي :
 ١٥٢

أبو محمد بن سفيان : ١٤٢
 أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية : ١٥
 أبو محمد بن عبد الحميد القروي الصائغ : ١٦٦
 أبو محمد عبد الله بن الأبار : ٦٣
 أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر = عبد الله
 ابن محمد بن عبد الله الحشني
 أبو محمد عبد الله بن أحمد المدل : ١٦٠
 أبو محمد عبد الله بن السيد البطيوسي :
 ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٦٠
 أبو محمد عبد الله العبدوسي : ٧٤ ، ٨٦ ، ٩١
 أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ : ٧٦

٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

الأشعري : ٥٧

الأفضل بن أمير الجيوش : ١٦٤

أنس بن مالك : ٣٠٥

إياس بن معاوية : ٩٢

(ب)

الباقلائي = أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي

بايزيد خان بن عثمان : ٤٢

بايزيد بن السلطان مراد : ٣٩

برد (مولي سعيد بن المسيب) : ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣

البرزلي : ٣٢

برغوث : ٨٤

برهان الدين الحلبي : ٥٠

بروكلان : ١٠٣

بشر بن الحسين : ٧٩ ، ٨٠

بشر المريسي : ٧٨

بلال بن رباح (مولي أبي بكر) : ٧٢

البلقيني : ٥٧

بنت ابن مرزوق : ٣٠٥

البهاء بن عقيل : ٤١

الياني : ٤١ ، ٥١

(ت)

التقي الحراري : ٥٢

التقي السبكي : ٤١ ، ٥١

التقي القلقشندي : ٤١

التقي الكرماني : ٤٤

تقرلك : ٤٢ ، ٤٤

التونسي = أبو القاسم بن محرز القيرواني

تيمور : ٣٩

(ث)

الثعلبي : ٧٣

أبو يحيى بن عاصم : ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢

أبو يعلى المالسكي : ١٥١

أبو الين بن عساكر : ٢٦١

الأحذب : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤

أحمد = محمد النبي صلى الله عليه وسلم

أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني : ٣١٧

أحمد بن أويس (صاحب بغداد) : ٥١

أحمد بابا السوداني التنبكي : ٣٧ ، ٥٦ ، ٥٧

أحمد بن حنبل : ٧٩ ، ٨٠

أحمد بن سعيد بن يشتغير : ١٥٨

أحمد العبادي : ٣٠٧

أحمد بن عبد الجليل اللخمي : ٣١٢

أحمد بن عبد الرحمن المرداوي : ٤١ ، ٥١

أحمد بن محمد بن أحمد الأصهباني = أبو

الظاهر السلفي أحمد بن محمد

أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي : ١٥٧

أحمد بن محمد بن عبد الله بن غلبون : ١٥٧

أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي : ٢٣

أحمد بن محمد بن محمد بن مخلد : ١٥٧

أحمد بن محمد بن مكحول : ١٥٨

أحمد بن مطر النابلسي : ٥١

أحمد بن مظفر النابلسي : ٤١

أحمد بن موسى بن العباسي بن مجاهد =

أبو بكر بن مجاهد

أحمد الوائشيشي = أبو العباس أحمد بن

يحيى الوائشيشي

أحمد بن يحيى الوائشيشي = أبو العباس

أحمد بن يحيى الوائشيشي

ادريس عليه السلام : ٢٤٤

الاسفرائني : ٥٧

إسماعيل (عليه السلام) : ٢٤٤

إسماعيل الطوسي : ٩١

الأشرف (صاحب مصر) : ٤٢ ، ٥١

الأشرف إسماعيل (صاحب الين) : ٤٢ ،

(ج)

حسون بن الحاج : ١٠٢
 الحسين بن عبد الأعلى السفاقي : ١٥٨
 الحسين بن علي بن طريف : ١٥٨
 حسين بن محمد بن أحمد الغساني = أبو علي
 الجبائي حسين بن محمد
 الحسين بن محمد الصدفي = أبو علي حسين بن
 محمد الصدفي
 حسين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة
 = أبو علي حسين بن محمد الصدفي
 حفص الفرد : ٧٨
 حفصة أم المؤمنين : ٢٥٩
 حكم بن محمد = أبو العاص حكم بن محمد الجندابي
 حمران مولى عثمان بن عفان : ٧٢
 حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه : ٢١٣ ،
 ٢٥٦
 حمل بن بدر : ٩٧

(خ)

خالد بن صفوان : ١٠٦
 خالد بن الوليد رضى الله عنه : ٢١٩ ، ٢١٨
 خديجة أم المؤمنين : ٢٥٨
 الخزرجي : ٤٤
 الخضر رضى الله عنه : ١٢٠
 خلف بن إبراهيم أبو الناسم = خلف بن
 إبراهيم بن خلف بن سعيد
 خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد : ١٥٨
 خلف بن خلف الأنصاري بن الأقر : ١٥٨
 خلف بن يوسف بن فرتون : ١٥٨
 خليل المالكي : ٥٢
 الخونجي : ٢٣

(د)

دانشمند الأصغر = أبو حامد الفزالي الطوسي

جابر بن الأسود : ٧٠
 جبريل عليه السلام : ٨٣
 الجزولي = أبو زيد عبد الرحمن بن عفان
 الجزولي
 الجعبري : ٨٦
 الجعد بن درهم : ٢٠٣
 الجعدي = مروان بن محمد
 جعفر بن عبد المطلب : ٢٥٦ ، ٢٥٧
 جلال الدين السيوطي : ٥٦
 الجلال الأسنوي : ٤١
 جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن الصفراوي :
 ١٦٨ ، ١٦٩
 جمال الدين الريمى : ٤٢ ، ٤٩
 جميل بن معمر : ١٦٨
 الجبال موسى المراكشي : ٤١ ، ٥٢
 الجوهري : ٤٤ ، ٩١
 جوهرية أم المؤمنين : ٢٦٠

(ح)

حاتم الطائي : ١٣٦
 الحاتمى = محي الدين بن عربي
 الحارث بن أسد المحاسبي : ٧٩
 حازم بن محمد بن حسن = أبو الحسن حازم
 ابن محمد
 الحافظ السلفي = أبو الطاهر السلفي أحمد بن محمد
 حام بن نوح : ٢٥٧
 حذيفة بن بدر : ٩٧
 حزن بن أبي وهب الخرومي : ٦٩
 حسان بن الأسود = جابر بن الأسود
 حسان بن ثابت : ١٠٥
 حسن بن القائد : ٣١٤
 الحسن المغيلي : ٣٦

دانشمند الأكبر = إسماعيل الطوسي

داود : ٢١٤

داود عليه السلام : ٢٥٧

(ر)

راشد : ٣٣

الرافعي : ٥٧

رتن الهندي : ٥١

رحمون بن الحاج : ١٠٢

الرشيد : ٧٢ ، ٧٨ ، ١٧٣

الرشاطي : ٣٠٥

رضي الدين الصفاني : ٥١

رملة أم المؤمنين : ٢٥٩

الرملي : ٣٧

(ز)

الزبير بن العوام : ٢٥٥

زكي الدين أبو محمد عبد العظيم : ١٦٨

الزخشمري : ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ،

٢٨٢ — ٣٢٣ ، ٣٠٥

زيان : ٢٠٥

زيد بن حارثة (مولى الرسول) : ٧٢

زيد بن عمرو بن نفيل : ٢٥٦

زيد الدين العراقي : ٣٩

زينب أم المؤمنين : ٢٥٩

(س)

سام بن نوح : ٢٥٧

السبكي : ٥٢

سبحان بن وائل : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٤٢

سحنون = عبد الله بن سعيد

السخاوي : ٣١٧

سراج الدين البلقيني : ٣٩

سراج الدين بن الملقن : ٣٩

سراج بن عبد الله : ١٤٩

سراج بن عبد الملك بن سراج : ١٦٠

سعد بن أبي وقاص : ٢٥٦

سعد الدين التفتازاني : ٣٠١

سعيد : ٢٥٦

سعيد بن أحمد : ٤٧

سعيد بن أحمد المقرئ : ٣٠٨

سعيد بن محمد العقباتي : ٢٥

سعيد بن حكم القرشي : ٢١٥

سعيد بن المسيب بن حزن : ٦٦ ، ٦٧ ،

٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

السفاح = أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح

سفينة (مولى الرسول) : ٧٢

السلفي = أبو الطاهر السلفي أحمد بن محمد

سليمان : ١٢٢ ، ٢١٤

سليمان بن داود عليه السلام : ١٦٥

سليمان بن عبد الملك : ٦٨ ، ٧٠

سليمان النهم = سليمان بن عبد الملك

السمعاني : ٤٠

سهل : ٥٧

السهيلي : ٧٥

سير بن أبي بكر : ١٥٦

سودة أم المؤمنين : ٢٥٩

سيبويه : ٢٩١ ، ٢٩٨

السيوطي : ١٠٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦

(ش)

الشافعي محمد (الإمام) : ٥٧ ، ٧٨ ، ١٧١

الشيلي : ٨٥

شجاع (صاحب تبريز) : ٥١

الشرف الدمياطي : ٤١

شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي : ٨٤

شريح : ١٠

شريح بن محمد الرعيقي : ١٦١

طلحة : ٢٥٥

الطلمنكي : ١٥٦

(ظ)

الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون =
عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون
الظافر العبيدى : ١٦٧

(ع)

عائشة رضى الله عنها : ٣٧ ، ٢٥٩
العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : ٧٥ ،
٢١٣ ، ٢٥٧

عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا
الصدقي : ٧٦
عبد الرحمن بن أحمد = ابن القصير عبيد
الرحمن بن أحمد
عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون :
١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧

عبد الرحمن بن عوف : ٢٥٦
عبد الرحمن بن القصير = ابن القصير عبد
الرحمن بن أحمد
عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المصريف : ٢٥
عبد الرحمن بن محمد بن بقى : ١٦٠
عبد الرحمن بن محمد السبتي : ١٦٠
عبد الرحمن بن وعلة السبتي : ١٦٨
عبد الرحيم بن الحسين الزين العراقى : ٥٧
العندري : ٣٢٣

عبد السلام = محمد بن عبد السلام بن يوسف
ابن كثير

عبد العزيز بن أبي بكر القرشى المهدوى :
٥٤

عبد الغنى بن سعيد الأزدي : ٩

عبد الغنى القدسي : ١٦٩

عبد الله بن أبي أحد عشر : ٧٣

(٢٢ — ج ٣ — أزهار الرياض)

شقرا (مولى الرسول) : ٧٢

الشلوبين : ٢٧

شمس الدين الفناى : ٣٩

الشمس السعودى : ٤١

الشيخ ابن بقى = أحمد بن محمد بن محمد بن مخلد
الشيخ ابن غلبون = أحمد بن محمد بن عبد الله
ابن غلبون

الشيرازى : ٧٢

(ص)

الصاغاني : ٤٠ ، ١٥٩

صالح بن شريف : ٢٥٧

الصالحى = أبو بكر محمد بن عبد الله بن

صالح الأهمري

الصائغ = أبو محمد بن عبد الحميد القروى
الصائغ

الصرصرى الحافظ : ٢٧

صعصعة بن صوحان : ١٠٦

الصفدى : ٤١

الصفراوى = جمال الدين أبو القاسم عبد

الرحمن الصفراوى

صفية أم المؤمنين : ٢٥٩

الصالح الصفدى : ٤٧ ، ٥٢

(ض)

الضجضاح : ٧٣

(ط)

طاهر بن هشام الأزدي : ١٥٤

الطبرى = أبو الطيب طاهر بن عبد الله

الطبرى

الطرطوشى = أبو بكر محمد بن الوليد

الطرطوشى

عبد الله بن بكتاش : ٤١
عبد الله بن سعيد : ٢٥
عبد الله الشريف التلمساني : ١٩
عبد الله بن طاهر بن الحسين : ١٠٦
عبد الله بن طلحة اليابرى : ٧٧
عبد الله بن عيسى : ٨
عبد الله بن كلاب : ٧٩
عبد الله بن محمد بن أيوب الفهرى : ١٦٠
عبد الله محمد بن خيبة : ٦٠
عبد الله بن محمد بن عبد الله الحشى : ١٦٠
عبد الله بن محمود بن النجم : ٤٠
عبد الله هشام بن اسماعيل : ٧١
عبد المطلب بن هشام : ٧٥ ، ٧٤
عبد الملك بن رزين : ١٢٤
عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز : ٦٨
عبد الملك بن مروان : ٧٠
عبد الواحد بن أبي حفص : ٢١٢
عبد الواحد الوائشيشى : ٣٠٧ ، ٣٥
عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوى : ٥٥
عبد الوهاب الشعرائى = عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوى
عبيد الله بن ذى النون : ١١٨ ، ١١٩
عثمان بن حيان المرى : ٦٧
عثمان بن عفان : ٢٥٣
العرضى : ٥٢
العز بن جماعة : ٥٢
عزرون بن الحاج : ١٠٢
عزيز الدولة ريجان : ٢٩٨
عكرمة : ٧٣
عكرمة البربرى : ٧٢
العلائى : ٤١ ، ٥١
على بن أبي طالب : ١٠٦ ، ٢٥٤
على بن أحمد الأنصارى بن الباذش : ١٦٠
على بن عبد الرحمن التجيبى بن الأخضر : ١٦٠

(غ)

غالب بن عطية المحارى : ١٦٠
الغزالي : ٢٣ ، ٥٧

(ف)

الفارابى : ٨٤
الفخر بن البخارى : ٤١
فارس = أبو عنان فارس
الفارقى : ٥٢
الفاسى : ٤٦
فاطمة بنت الرسول : ٢٥٤
الفتح بن عبيد الله = ابن خاقان الفتح بن عبيد الله
الفخر : ٢٣
الفخر الرازى : ٢٦ ، ٨٥ ، ٥٧
فنا خسرو : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٦
الفيروز ابادى = مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى

(ق)

القادر بالله بن ذى النون : ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦
قاسم بن سعيد بن محمد : ٢٥
القباب = أبو العباس القباب
قس إباد : ١٠٤ ، ٢٩١

محمد بن الأبار = محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأبار

محمد بن إبراهيم المرادي = أبو العباس العشاب أحمد بن محمد المرادي

محمد أبو القاسم بن محمد : ٢٦٢

محمد بن أحمد بن تميم التميمي : ٧٠

محمد بن أحمد بن غازي = أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن غازي

محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد : ٨٥

محمد بن اسماعيل البخاري : ٨٦

محمد بن اسماعيل بن الحموي : ٤١

محمد بن البردعي : ١٢ ، ١٤

محمد بغيغ : ٥٧

محمد بن الجبير : ٣١٣

محمد بن جدار : ١٩٧

محمد بن سليمان النفري : ١٥٩

محمد الصدقي = مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي

محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير : ٢٤

محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأبار : ٢١٦ ، ٢١٧

محمد بن عبد الله التلمساني : ٢٤

محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي = أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي

محمد العربي : ٣١٠

محمد بن علي الشاطبي ابن الصيقل : ١٥٩

محمد بن علي بن عمر المازري = أبو عبد الله المازري محمد بن علي

محمد بن علي بن محمد الطائي بن عربي الصوفي = محي الدين بن عربي

محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد التغلبي = أبو عبد الله بن محمد بن التغلبي

محمد بن عيسى التجيبي القاضي : ١٥٩

القلانسي : ٥١

القلقشندي : ٩

قيس بن زهير العبسي : ٩٧

(ك)

كريب (مولى ابن عباس) : ٧٢

الكسائي : ٨٥

كليب : ٢٩٣

(ل)

اللاخمي = أبو علي الحسن بن محمد اللاخمي

(م)

المأمون : ٧٩ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، ١٢٠

المأمون بن ذي النون : ١٣٦ ، ١٣٨

الماحشون : ٣١٦

مارية زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ٢٦٠

المازري = أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي

مالك رضي الله عنه : ٢٧ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦

المتوكل على الله = أبو عنان فارس

مجاهد : ١٩٦

مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد

الشيرازي الفيروزآبادي : ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٦

محب الدين محمد بن محمود بن النجار : ١٦٩

محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) : ١٩ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٤٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣١ ، ٢٢٩

محمد بن فرج = أبو عبد الله محمد بن فرج

محمد بن محمد بن عرفه : ٢٤

محمد بن مسleme = أبو هشام محمد بن مسleme

محمد المقرئ : ٣١٨

محمد بن الوليد بن محمد بن خلف = أبو بكر

محمد بن الوليد الطرطوشي

محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم = محمد

الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي

محمد بن يوسف الزرندى : ٤٩ ، ٧١

محيي الدين بن عربي : ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥

المدايني : ٧١

المرادى = أبو بكر محمد بن الحسن المرادى

مروان بن محمد : ٢٠٣

مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) : ٦٧ ، ٧٢ ، ٦٨

المستنصر بالله بن أبي زكرياء الحفصى : ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤

المستعين بالله : ١٢١

المسعودى : ٦٦ ، ٧٥

مسلم (صاحب الصحيح) : ٣٧ ، ٧١

مسleme الكذاب : ٢٥٢

المصطفى = محمد النبي صلى الله عليه وسلم

مصعب بن عبد الله : ٦٧

مظفر الدين : ٥١

المعتمد : ٧٩ ، ٨٠

المعتمد بن عباد : ٩٢ ، ١٧٤

المغيرة : ٧٢

المكودى : ١٧٤

الملاحى : ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥

منصور بن شجاع (صاحب تبريز) : ٤٢

المهدى : ٢٠٨

المهلب : ٧١

موسى (عليه السلام) : ١٢٠

موسى بن نصير : ٧١

ميمون بن مهران : ٦٧ ، ٦٨

ميمونة أم المؤمنين : ٢٥٩

(ن)

الناشرى : ٥٠

الناصر : ٥٠

الناصر بن الأشرف : ٤٢

ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن جهبل : ٤٨

ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير

الاسكندرى : ٨٤

ناصر الدين التونسى : ٥٢

الناصر بن يعقوب : ٦٥

نافع (مولى ابن عمر) : ٧٢

النجيب الحرانى : ٤١

النصيبى : ٨٢ ، ٨٣

نظام الملك : ١٦٩ ، ١٧٠

النعمان : ١٠٤

نوح عليه السلام : ٢٤٤

نور الدين على بن محمد العفيف : ٤٦

(هـ)

هشام بن أحمد الهلالى الفرناطى : ١٦١

هشام بن اسماعيل الخزمى : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

(و)

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد الحداد

الوادى آشى

الواقدى : ٧١

الوانشرىشى = أبو العباس أحمد بن يحيى

الوانشرىشى

وجيه الدين منصور : ١٧١

الوطامى : ٣٠٩

ولى الدين بن خلدون : ٢٠٤

الوليد بن عبد الملك : ٧٠ ، ٧١

(ى)

يحيى بن ذى النون : ١٣٦

يحيى بن سعيد : ٧١

يحيى بن عاصم : ٣١٩

يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص : ١٧٣ ،

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢

يحيى بن على بن مجلى بن الحداد الحنفى : ٤١

٥١

يحيى بن مامين : ٧١

يحيى بن يحيى : ٢٧

يرفأ (مولى عمر بن الخطاب) : ٧٢

يعقوب : ٨٥

يعقوب عليه السلام : ١٣٢ ، ٢٢٦ ،

٢٤٣

يعقوب بن شريق الجندى : ٢٨٣ ، ٢٨٧ ،

٢٩٣

يوسف : ١٢٢

يوسف بن عبد العزيز بن عديس الطايطلى :

١٦٢

يوسف بن موسى السكلى : ١٦١

يوسف بن يعقوب : ١٣٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ،

٣١٣

يونس بن محمد بن مغيث : ١٦١

فهرس الشعراء

(١)

أبو عبد الله بن جزى : ١٩٤، ١٩٥،
٢٠٣، ٢٠٠، ١٩٦

أبو عبد الله بن الخطيب : ٢٠٢

أبو عبد الله بن رشيد الفهرى : ٢٦٦

أبو عبد الله بن عرفة : ٣٠١

أبو عبد الله القومى : ٤٧

أبو عبد الله محمد بن حار الوادى آشى :

٢٧٢، ٣٠٧

أبو عبد الله محمد بن الحبر المحصى : ٣٠٢،

٣٠٤

أبو عبد الله محمد بن علي الأحمى الته نسى :

٣٠٠

أبو عبد الله محمد بن ف ب : ٢٢٦، ٢٢٨،

٢٣٧

أبو عبد الله بن مرزوق التماسانى : ٣٠١

أبو العملاء المعرى : ٢٩٧

أبو علي حسين بن صالح بن أبي دلالة :

٢٠٢

أبو علي عمر بن عبد الرفيع : ٣٠٠

أبو علي عمر بن محمد بن خليل السكة فى

الأصولى : ٢٩٦

أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى : ٢٠١

أبو محمد عبد الواحد البقافى : ٣٠١

أبو القاسم بن أبي النعم : ٣٢٤

أبو المنين بن عساكر : ٢٦٢

(ب)

بثينة صاحبة جميل : ١٦٨

إبراهيم بن هلال : ٣٢٤

الأعشى : ١٤٤

ابن الجبير = أبو عبد الله محمد بن الجبير

اليحصى

ابن جزى = أبو عبد الله بن جزى

ابن طاعة : ٢٠٢

ابن عاصم : ٣٢٣

ابن عمار : ١٧٤

ابن القرطبي : ٢٩١

ابن قلافس الإسكندري : ١٧٦

أبو إسحاق بن الحاج : ٢٦٣

أبو بكر أحمد بن أحمد بن أبي محمد عبد الله

القرطبي : ٢٦٤

أبو بكر بن العربى : ٨٩

أبو تمام : ١٤٢

أبو الحسن راشد بن عريب : ١١٤، ١٣٢

أبو الحسن علي بن أحمد الشامى الخزرى :

٢٦٩، ٢٧٢، ٣٢٥

أبو حفص بن عمر : ٣٢٣

أبو حبة النميرى : ١٤٤

أبو الربيع بن سالم الكلاعى : ٢٢٦

أبو زكرياء يحيى بن منصور التونسى :

٣٠٠

أبو الطاهر السلفى : ١٧٠، ١٧١

أبو الطيب المتننى : ٩٠

أبو العباس العزفى : ٩٥

أبو عبد الله بن الأزرق : ٣٢٢

البديع الخوارزمي : ٢٩٢

(ت)

تقي الدين الواسطي : ٤٨

(ج)

جلال الدين السيوطي : ٥٦ ، ٥٧

(خ)

الخطيب الموفق : ٢٩١

(ر)

الرصافي : ٢٢٣

(ز)

الزحشمري : ٢٩٤ ، ٢٩٨

زهير بن أبي سلمى : ١٤٤

(س)

سراج الدين عمر الفاكهاني : ٢٦٥

(ش)

الشامي الفقيه = أبو الحسن علي بن أحمد
الشامي الخزرجي

الشران : ٣٠٤

(ط)

الطبيي : ٣٠٢

(ع)

عبد الرحمن بن معمر (الواسطي) : ٤٧
علي بن أحمد الشامي = أبو الحسن علي بن
أحمد الشامي الخزرجي
علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس : ٢٧٥
العميدى : ٢٩٠

(ك)

كامل الدين المظفر : ٣٠٢

(م)

محمد بن أرسلان : ٢٨٨
محمد العربي : ٣٠٨
محمد بن فرج = أبو عبد الله محمد بن فرج
محمد بن هانيء الأندلسي : ٢٧٥

(ن)

ناصر الدين بن المنير الإسكندراني : ٢٩٩
الشميري السلوي : ٧٤
نور الدين علي بن محمد العفيف : ٤٦

(و)

الوادي آشي = أبو عبد الله محمد بن جابر
الوادي آشي
وجيه الدين منصور : ١٧١

فهرس القبائل

(ح)	حمير : ١٥٩	(١)	أصحاب الرشيد بن أبي القاسم : ٤٩ الإفريقيون = أهل إفريقية الأنصار : ٢٥٧ ، ٢٢٥ أهل تلمسان : ٣٠٨ أهل تونس : ٢٠٦ أهل حمص : ٩٢ أهل السنة : ٦٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٣٠٥ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٨٥ أهل العراق : ٢٢ أهل إفريقية : ٢٥ ، ٢٦ أهل الأندلس : ٢٣ ، ٢٧ ، ٧٧ ، ٢٠٦ أهل فارس : ٨٦ أهل مصر : ١٦٩
(د)	الدولة الحفصية : ٢٠٤ الدولة العباسية : ٢٠٣	(ب)	البصريون : ٨١ البغداديون بنو أمية : ٦٨ بنو رغبوش : ٧٨ بنو العباس : ١٠٦ بنو عبد العزيز : ١٢٥ بنو مخزوم : ٧٢ بنو مرزوق : ٣٠٥ بنو نصر : ٣٢٢
(ر)	رعين : ١٥٩ الروم : ٢٠٧	(ج)	الجبيرة : ٨٤
(س)	سعد : ١٤٢		
(ش)	شيوخ مصر : ٦٣		
(ص)	الصوفية : ٨٠		
(ط)	طلبة فاس : ٣٥		
(ع)	العدلية : ٢٩٨ العرب : ٤٥ ، ٧٥ ، ١٠٨ ، ٢٨٨		

المثبتة = أهل السنة

المرتدون : ٣٠٨

المسلمون : ٣٠٥ ، ٢٥٢ ، ٦١

المعتزلة : ٨٦ ، ٨١ ، ٧٩ ، ٦٦

المغاربة : ٢٤

ملوك بني مرين : ٢٧

ملوك المغرب : ٣٦

الموحدون : ١١

(ن)

النصارى : ٣١٥ ، ٣٠٩ ، ٦١

(ى)

يهود : ٣٠٧

علماء شيراز : ٤١

(ف)

الفاسيين : ٢٧

الفرس : ٩١

فقهاء فاس : ٢٨

(ق)

القرويين : ٨٧ ، ٢٦

قريش : ٢٥٤

قضاة : ٩

(ل)

لواته : ١٥٨

فهرس الاماكن

(١)

بطليوس : ١٠٥ ، ١٤١
بعليك : ٤١
بغداد : ١٧ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٦٢ ، ٦٤ ،
٩٣ ، ٩٤ ، ١٢٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
١٦٧ ، ٢٩٥
بغدان = بغداد
بلاد الجريد : ١٥
بلاد الروم = الروم
بلاد اليمن = اليمن
بلقينة : ٥٧
بلنسية : ١٠٢ ، ١٥١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧
بنزرت : ٢٠٦
بيت المقدس : ٥١ ، ١٦٤
البيرة : ١٥٥
بيوت بني كعب بن سليم : ٨٩

(ت)

تازا : ٣٣
تدمير : ١٧٣
تستر : ١٢٧
تقيوس : ١٥
تلسان : ١٨ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٥٩ ،
٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
٣١٨
تنبكت : ٥٧
تهامة : ٤٢
توزر : ١٥
تونس : ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ١٧٣ ،
٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٣

(ب)

آبل : ٧٨
أبة : ٧٥
أحد : ٢٥٦
الإسكندرية : ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ،
١٦٧ ، ١٦٨
إشبيلية : ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٧ ،
٩٢ ، ١٥٦ ، ١٦٢
أصبهان : ١٦٨
أغلان : ٨٨
إفريقية : ١٥ ، ٢٨ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١٧٣ ،
الأندلس : ٨ ، ٩ ، ٢١ ، ٦١ ، ٦٤ ،
٣٠٢ ، ٣١٨
الأهواز : ١٢٧

الباب الأخضر : ١٦٨
باب الجيسة : ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
باب الفرج : ٤٨
باب المحروق : ٦٥ ، ٨٦
باب النصر : ٤٨
بحاية : ٢٠٦
بحر اليمن : ٤٤
بخارى : ٢٩٦
بدر : ٢٥٦
بسطة : ١٧
البصرة : ٧٩ ، ٩٢ ، ١٢٧ ، ١٥١ ،
١٦٣

(ث)

شهران : ١٢٢

(ج)

حاجو : ٥٧

الجامع الأعظم : ٣٠٥

جامع سبتة : ١٠

الجزيرة = الأندلس

جيرون : ٢٧٢

(ح)

حارة الخدمي : ٨٦ ، ٨٧

الحبشة : ٤٤

الحجاز : ٦٢ ، ٢٨٩

الحرمين (الشريفين) : ٥٠ ، ١٥١

حلب : ٤١

حماة : ٤١

حمص = إشبيلية

حمص : ٦٨

حمة بجاية : ١٥٠

(خ)

الخبرة : ٤٣

خراسان : ٧١ ، ١٠٦

خزانة الأندلسيين = خزانة جامع الأندلس

خزانة جامع الأندلس : ٣٦ ، ٧٧ ، ٨٥

خزانة جامع القرويين : ٣٦ ، ٨٦

خزانة القرويين = خزانة جامع القرويين

خزانة الجامع الأعظم بتلمسان : ١٨

خوارزم : ٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١

٢٩٣ ، ٢٩٥

الخوارق : ١٢١

خوزستان : ١٢٧

خير : ٢٥٣

الحيف : ١٢١

(د)

دار الحديث الأشرفية : ٢٦٦ ، ٢٧٢

دار السكت المصرية : ٥٦

دارين : ١١٨ ، ١٣٦

دمشق : ٤١ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ،

١٥٢ ، ٢٧٢

دهلك : ٤٤

دورقة : ١٥٣

الديار الشامية = الشام

دير سمعان : ٦٨

(ر)

رباط أبي سعد : ٩١

رضوى : ١٠١

رندة : ٣١٥

الروم : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤

(ز)

الزاب : ٧٨

زبيد : ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٥٢

زنجشتر : ٢٨٩ ، ٢٩٣

زمنم : ١٤٨

الزهراء : ١٤٩

زوراء العراق : ١٠٧

(س)

ساقية أبي شعرة : ٥٥

سبتة : ٨ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٥٤

السدير : ١٢١

سرقسطة : ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٥١ ،

١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٢

عدن : ٤٢

العراق : ٤١ ، ٩٤ ، ٢٨٩

عرفة : ٢٩٥

العقيق : ١١٢

عكاظ : ٦

(غ)

غرناطة : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ،

١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٣٠٥ ،

٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ،

٣١٨

(ف)

فاس : ١٥ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٤٠ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،

٨٨ ، ١٥٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٦ ،

٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٤ ،

(ق)

القاهرة : ٤١ ، ٤٩

القدس = بيت المقدس

قرطاجنة : ١٧٣

قرطبة : ٨ ، ١٦ ، ١٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ،

٦١ ، ٦٢ ، ١٠٢ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،

١٥٠ ، ١٥٨ ، ٢٠٧ ،

قرقوب : ١٢٧

القيروان : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠٥

(ك)

كارزين : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٩

كسكر : ١٢٧

الكعبة : ٤٦ ، ٤٨

سلا : ١١

السلامة : ٤٣

سلفة : ١٧٠

سواكن : ٢٩٨

(ش)

شاطبة : ٢١٨ ، ٢٣٩

الشام : ٤٩ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

٧٨ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ،

الشجر : ١١٨

المريرة القديمة : ١٥١

شلب : ١٥٥ ، ١٥٦

شنت مرية : ١٢٢ ، ١٢٥

شيراز : ٣٩ ، ٤٠ ، ٨٠ ، ٨٦ ،

(ص)

الصفا : ٤٦

صقلية : ١٦٥

صنعاء : ١٢٧

صور : ١٦٧

(ض)

ضريح النبي صلى الله عليه وسلم : ٢٢٥

(ط)

الطائف : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٣١٩

طر سوس : ٧٩

طرطوشة : ١٦٢

طليطلة : ١٠٧

طبية : ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،

٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،

(ع)

عبقر : ١٢٧

المغرب : ٢١ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٧١
 مقبرة الربض : ١٥١
 مكة : ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ،
 ٥٢ ، ٧٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
 مكتبة الاسكوريال : ١٠٣
 منى : ٤٦
 منورة : ٢١٥
 المنية : ١٠٧
 المهدية : ١٦٦

(ن)

نجد : ٣١٩
 نيسابور : ٢٩٥
 الهند : ٢١ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٢٥٥

(و)

وادي الحبيب : ٥٢
 واسط : ٤١ ، ١٢٧ ، ١٥٢
 وجرة : ١١٣
 وعلة : ١٦٨

(ي)

اليامة : ٢٥٢
 اليمن : ٤٢ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٧١

(م)

ماذر : ١٦٥
 مانقة : ١٧
 مجلس الناعورة : ١٠٧
 محراب الصحن : ١٨
 مدرسة الأشرف (بمكة) : ٤٦
 المدينة : ٤٢ ، ٤٦ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ،
 ٧٠ ، ٧١ ، ٢٦١
 مراکش : ١١ ، ١٧ ، ٦٤ ، ٨٧ ، ١٦١ ،
 ١٧٣
 مرج غرناطة : ٣١٩
 مرجيق : ١٥٥ ، ١٥٦
 مرسى تونس : ١٥
 مرسية : ٨ ، ١٥ ، ٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
 المرية : ١٠ ، ٢٠ ، ٥٤ ، ٧٣ ، ١٥٠ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٥ ،
 ١٩٦ ، ٢٦١
 المسجد الأقصى : ٢٣٤
 المسجد الجامع بقرطبة : ٦٠ ، ٦٢ ، ١٤٩ ،
 ٢١٣
 المسجد الحرام : ٢٥١
 مسجد النبي (بالطائف) : ٤٣
 مصر : ٤١ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٧ ،
 ٩٤ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨

فهرس الكتب

إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر : ٤٧ ،
٥٢ ، ٤٨

الاتصاف من الكشف لناصر الدين أحمد
ابن المنير الإسكندري : ٢٩٩ ، ٨٤
الإنصاف لابن العربي : ٩٥
الأنموذج في النحو : ٢٩٥
أنواء الغيث في أسماء الليث : ٤٤
أنوار الفجر لابن العربي : ٩٤
إيجاز البيان لابي عمرو الداني : ٨٥
إيضاح المحصول من برهان الأصول : ١٦٦

(ب)

بدائع السلك في طبائع الملك : ٣١٨
البداية والنهاية لابن كثير : ٢٩٧
البدر الطالع للشوكاني : ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٠ ،
٥٧

البستان : ٢٥ ، ٢٦
بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب
العزیز : ٤٢

بغية الراغب : ٧٣ ، ٧٩
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
للسيوطي : ١٠٢ ، ١٧٣ ، ٢٩٥ ،
٢٩٨

البلمة في تراجم أئمة النحو واللغة : ٤٣
البيان والتحصيل لما في المستخرجة من
التوجيه والتعليل لابن رشد : ٦٠

(ت)

تاج العروس : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ،
٤٧ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٩٤ ، ١٢١ ،
١٥٩ ، ١٤١

(١)

ابن خلسكان = وفیات الأعيان
إنارة الحجون لزيارة الحجون : ٤٣
الأحاجي النحوية للزمخشري : ٢٩٥
الأحاديث الضعيفة للفيروزابادي : ٤٣
أحسن اللطائف في محاسن الطائف : ٤٣
الإحاطة في أخبار غرناطة : ١٢
أحكام القرآن لابن العربي : ٩٤
الإحياء للغزالي : ١٦٦
اختصار المبسوط لابن رشد : ٦٠
اختصار مشكل الآثار لابن رشد : ٦٠
الإسرا إلى المقام الأسرى : ٥٤
الإسماعيل بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد :
٥٠ ، ٤٣

إسماء السراج في أسماء النكاح : ٤٤
الإشادة : ١٧٣
الإشارات الحسان المرفوعة إلى جبر فاس
وتلمسان ، لابن غازي : ٦٥
الإصابة لابن حجر : ٥١
الإصعاد إلى رتبة الاجتهاد = الإسماعيل
بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد
إصلاح الخلل ، الواقع في الجمل : ١٠٢
أطواق الذهب : ٢٩٥
إعتاب الكتاب لابن الأبار : ٢٠٦
الاغتياب بمعالجة ابن الخياط للفيروزابادي :
٥٣

إكمال الإكمال للأبي : ٧٥
الألفية للزين العراقي : ٥٧
الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته
العليا لابن العربي : ٩٤

التهذيب لأبي سعيد البراذعي : ٢٩ ، ٢٥ ،
٣٤ ، ٣٣
التوسط في المعرفة بصحة الاعتقاد ، والرد على
من خالف أهل السنة من ذوى البدع
والإلحاد ، لابن العربي . ٩٥
التيسير : ٧٦
تيسير فائحة الإهاب في تفسير فائحة الكتاب :
٤٣

(ج)

الجدوة المقتبسة والخطوة المختلصة : ٥٤
الجليس الأنيس في أسماء الخندريس : ٤٤
جمع الجوامع : ٢٩٥
جل الخونجي : ١٩ ، ٢٧

(ح)

حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة
الإخلاص : ٤٣
الحلل في شرح أبيات الجمل : ١٠٢
حلية الأولياء لأبي نعيم : ٦٨ ، ٧٢ ،
٧٨ ، ٧٣
الحيل لابن خاقان الأصبهاني : ١٥

(خ)

الخلافات لابن العربي : ٩٤

(د)

الدر الغالى في الأحاديث العوالى : ٤٣
الدر النظيم ، المرشد إلى مقاصد القرآن
العظيم : ٤٣
ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر : ٣٠٤

تاريخ بغداد للخطيب ٨٥ ، ٨٦
تاريخ الفيسى : ٢٨
تاريخ الثين : ٤٤
تحرير الموشين فيما يقال بالسين والشين : ٤٤
التبصرة للخمى : ٢٢
تبيين الصحيح في تعيين الذبيح لابن العربي :
٩٤

التجارب في فوائد متعلقة بأحاديث المصاحح
٤٣

التحفة الظرائف في النكت الشرائف : ٤٣
تحفة قهاغيل فيمن يسمى من الملائكة
والناس لإسماعيل : ٤٤
تحفة المجتهدين بأسماء المجددين : ٥٦
تذيل الديباج = الابتهاج بتذيل الديباج
ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك لابن
العربي : ٩٤

ترقيق الأسئل في تصفيق العسل : ٤٤
تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة
على جامع الأصول : ٤٣ ، ٥٠
تعليقة على أحاديث الجوزقى : ١٦٦
التعليقة على المدونة : ١٦٦
تعيين العرفات للمعين على عين عرفات : ٤٣
تفسير البخارى لابن المرباط : ٨٥
تفصيل التفصيل بين التعميد والتهيل لابن
العربي : ٩٤

تقييد المهمل وتقييد المشكل : ١٥٠
تقييد اليجمدى عن أبي الحسن : ٣٦
تكملة ابن عبد الملك : ٧٨
التنبية لأبي إسحاق الشيرازى : ٣٩ ، ٤٢ ،
٤٩

التنبية على الأسباب التى أوجبت الاختلاف
بين المسلمين في رأيهم واعتقاداتهم :
١٠٧ ، ١٠٢
تنوير المقباس في تفسير ابن عباس : ٤٢

سفن البيهقي : ٤١
سيف الاسلام لابن طلحة : ٧٧

(ش)

شرح أبيات الكتاب : ٢٩٥
شرح أدب الكتاب : ١٠٢ ، ١٠٧
شرح البخارى للفيروزابادى : ٣٩ ، ٥٠
شرح التلقين : ١٦٦
شرح التهذيب لابن مرزوق : ٢٥
شرح خطبة الكشاف : ٤٣
شرح خليل لسيدى أبى القاسم بن سراج :
٣١٤
شرح ديوان المتنبي : ١٠٢
شرح رقم الحلل : ٦٨
شرح سقط الزند : ١٠٢
شرح الشفا : ٨٨
شرح عقيدة النفسى للفتازانى : ٣١٤
شرح غريب الرسالة لابن العربى : ٩٥
شرح القاموس = تاج العروس
شرح مختصر ابن الحاجب لابن عبد السلام :
٢٤

شرح مسلم للأبى : ٣٣
شرح الموطأ لابن السيد البطليوسى : ١٠٢
الشفافى التعريف بحقوق المصطفى لعياض :
١٣ ، ١٤ ، ٧٦ ، ١٥٦

شفاء الغليل : ٣١٧
الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية : ٣٨
٥٦ ، ٤٠

الشهاب فى المواعظ والأدب للقضاى : ٩
شوارق الأسرار العلية فى شرح مشارق
الأنوار النبوية = شوارق الأسرار
فى شرح مشارق الأنوار
شوارق الأسرار فى شرح مشارق الأنوار :
٥١ ، ٤٣

الديباج المذهب لابن فرحون : ٦ ، ٧ ،
١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ،
٧٢ ، ٨٦ ، ١٦٧

(ذ)

الذيل : ١٥ ، ١٦
الذيل والتكملة لابن عبد الملك : ٧٧

(ر)

الرائض فى الفرائض : ٢٩٥
ربيع الأبرار : ٢٩٥
رحلة ابن بطوطة : ١٩٥
الرسالة لابن أبى زيد : ٢٩ ، ٣٥ ، ٢٦٥
رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة :
١٧٤
الروض المسلوب فيما له اسمان إلى الألوفا :
٤٤ ، ١٠
روضة الإعلام بمنزلة العريضة من علوم
الاسلام : ٣١٨
روضة الناظر فى ترجمة الشيخ عبد القادر :
٤٣

(ز)

زاد المعاد فى وزن بآنت سعاد : ٤٤
زهى الرياض المنفصح عن المقاصد والأغراض :
١٦٨

(س)

السباعيات لابن العربى : ٩٥
سراج البلغاء : ١٧٢
سراج المهتدين لابن العربى : ٩٤
سراج المريدين لابن العربى : ٩٤
سفر السعادة : ٤٣

العقد الأكبر للقلب الأصغر لابن العربي : ٩٤
العقد الفريد : ٦٨ ، ٩٧
العمدة : ٢٦٥
عنقاء مغرب في صفة ختم الأولياء وشمس
المغرب : ٥٤

(غ)

الغنية لعياض : ٥٩ ، ٨٦

(ف)

الفائق في غريب الحديث : ٢٩٥
فتح المتعال للعقري : ٢٦١
الفتوحات لابن عربي : ٥٠ ، ٥٣
فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب
لشرف الدين الحسن بن محمد : ٧٤ ،
٨٤
فصل الدرة من الخرزة في فضل السلامة على
الخبزة : ٤٣
الفصوص لابن عربي : ٥٣
الفضل الوفي في العدل الأشرفي : ٤٣
فهرسة عياض : ٥٩

(ق)

القاموس المحيط للفيروزابادي : ٣٩ ، ٤٤ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢
قانون التأويل لابن العربي : ٨٩ ، ٩٤
القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن
العربي : ٩٤ ، ١٠٧
قلائد العقيان لابن خاقان : ١٨ ، ١٩ ، ٩٦ ،
٩٧ ، ١٠٢ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢

(ك)

الكافي في أن لا دليل على النافي لابن العربي :
٩٥

(ص)

صبح الأعشى : ٩
صاح الجوهري : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ،
٦٨ ، ٧٣
صحيح ابن حبان : ٤١
صحيح البخاري : ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٩ ، ١٥٢
صحيح مسلم : ٥٤ ، ١٥٢
الصحيحين : ٩
صلوات والبقر في الصلاة على خير البشر :
٤٣
نصلة لابن بشكوال : ١٦ ، ١٧ ، ٦٠ ،
٦٢ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦١ ،
١٦٣
صلة الصلة لابن الزبير : ١٤ ، ١٥ ، ٦٣ ،
صميم العربية : ٢٩٥

(ض)

الضوء اللامع للسخاوي : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،
٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

(ط)

طبقات الحنفية لمحمد عبد الحى السكوني
الهندي : ٥٧
طبقات الصغرى = بغية الوعاة .
الطبقات الكبرى للسيوطي : ١٧٢ ، ١٧٣ ،
٢٩٥
طيرة لابن غازي : ٧٥

(ع)

عارضة الأحوذى على الترمذى لابن العربي :
٩٤
العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٣١٨
العتبية : ٣١٥

السكافي لأبي عمر : ٣١٠
 السكامل لأبي العباس المبرد : ١٤٤
 السكربت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر
 للشعراني : ٥٥
 كتاب الأسئلة الحاوي للنوازل والفتاوى :
 ٢٥
 كتاب سيبويه في النحو : ٧٦ ، ٢٧
 الكشف للزمخشري : ٨٤ ، ٢٨٢ ،
 ٢٩٥ ، ٢٩٧
 كشف الظنون : ٨٤ ، ١٠٢
 كشف الغطاء عن لمس الخطا : ١٦٦
 الكشف والإنباء عن المترجم بالإحياء :
 ١٦٦
 (ل)
 اللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعباب
 للفيروزابادي : ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٠
 اللسان : ١٤٤
 (م)
 المتفق وضعا المختلف صنعا : ٤٣
 المثلث الكبير : ٤٤ ، ١٠٢
 مجمع الأمثال للعبداني : ٦
 الجمل لابن فارس : ٤٤ ، ٥٠
 مختصر الفقه لابن عرفة : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧
 مختصر المدونة والمختلطة لابن أبي زيد
 القيرواني : ٢٥
 المدارك ليعاض : ٦٧ ، ٨٥
 المدخل لابن طلحة : ٧٧
 المدونة للزروبي : ١٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٣ ،
 ٣٥
 مراقب الزلف لابن العربي : ٩٤
 مرتقى الوصول إلى بناء الفروع على الأصول
 لأبي عبد الله الشريف : ٣٨

المراقبة الوفية في طبقات الحنفية : ٤٣
 المراقبة العليا في مسائل القضا والفتيا =
 المراقبة العليا في الأفضية والفتيا
 المراقبة العليا في الأفضية والفتيا للنباهي : ١٧
 مروج الذهب للمسعودي : ٦٨ ، ٧٥
 مزنة المربة : ٨
 المسائل المثورة في النحو : ١٠٢
 المسبع للجزولي : ٣٦
 المستقصى في الأمثال : ٢٩٥
 المسلسل : ٥٢
 المسلسلات لابن العربي : ٩٥
 مسند أحمد : ٤١
 المشارق ليعاض : ٢١
 مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار
 المصطفوية = شوارق الأسرار في
 شرح مشارق الأنوار
 مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار
 الالهية : ٥٤
 مشتهب النسبة لعبد الغني بن سعيد الأزدي : ٩
 مشكل حديث السبعات والحجاب لابن
 العربي : ٩٤
 المشكلين لابن العربي : ٩٤
 مصنف ابن أبي شيبة : ٤١
 مطمح الأنفس لابن خاقان : ١٨ ، ١٩ ،
 ٩٣ ، ٩٤
 المعارف الالهية : ٥٤
 المعارف لابن قتيبة : ٧٠ ، ٧٣ ، ١٠٦
 معجم الأدباء لياقوت : ٢٨٨ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٧
 معجم البلدان لياقوت : ١٢٧ ، ١٥٩ ،
 ٢٨٨
 المعلم بفوائد مسلم : ١٦٦
 المعيار : ٣١٨
 المغنم المطابة في معالم طابه : ٤٣

المغنى لابن هشام : ١٧٢

المفصل في النحو : ٢٩٥

المقامات : ٢٩٥

المقدمات لأوائل كتب المدونة لابن رشد : ٦٠

مقدمة ابن خلدون : ٢٢ ، ٢٥ ، ٣١٨

مقصود ذوي الألباب في علم الأعراب : ٤٤

المقصورة لحازم القرطاجني : ١٧٣ ، ١٧٤

مقصورة المسكودي : ١٧٤

ملاك التأويل في حقائق التنزيل : ٥٤

ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين

لابن العربي : ٩٥

منح الباري بالسيل الفسيح الجارى في شرح

صحيح البخارى : ٤٣

المنزعة النبيل في شرح مختصر خليل لابن

مرزوق : ٢٥

منية السؤل في دعوات الرسول : ٤٣

مهييج الغرام إلى البلد الحرام : ٤٣

مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم :

٥٤

المؤتلف والمختلف : ٩

موطأ مالك : ٦٧ ، ٧٦

الميزان للذهبي : ٥١

(ن)

الناسخ والمنسوخ لابن العربي : ٧٤ ، ٩٤

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى : ٨٥

نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان : ٤٣

نظم الدر والعقيان لأبى عبد الله التفسى :

١٦٦

نفع الطيب : ٥٣ ، ٩٣

النفحة العنبرية في مولد خير البرية : ٤٣

النكت القطعية في الرد على الحشوية : ١٦٦

نواهى الدواهى لابن العربي : ٩٤

نهاية الدراية في طبقات القراء لابن الأثير :

٨٥

النيرين في الصحيحين لابن العربي : ٩٤

نيل الابتهاج : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٧

(و)

الوصل والمنى في فضل منى : ٤٣

وفيات الأعيان لابن خلكان : ٦٢

فهرس القوافي

سريع ١٦٥ : واجب :
خفيف ٣٠٤ : أوب :
متدارك ٨٨ : وبتأنيها :

(ت)

طويل إذا - صمت : ١٠٠ :
» خليلى - ونسيت : ١٣١ :
» أبا - شتات : ١٩٥ :
» تلوت - وبالنعت : ٢٢٩ :
كامل نفسى - أضنانى : ١٣٤ :
رجز عاشر - الفتى : ٥٧ :
متقارب بماذا - حبانى : ١٣٣ :

(ث)

طويل يهز - عابت : ٨٩ :
» ثمار - البعث : ٢٢٩ :

(ج)

طويل جلالت - عارج : ٢٢٩ :
بسيط الخوض - لجج : ٢٨٦ :
كامل أدر - مدج : ١٨٤ :
» عرضت - الأدعج : ١٧٦ :
» وافد - وهاجا : ٢٣٧ :

(ح)

طويل طربت - جانحه : ١٣٢ :
» طربت - ورائحه : ١٣٢ :

(ع)

طويل أتمثال - كفء : ٢٢٨ :
وافر أرى - ذكاد : ١٣٥ :
كامل أهلا - الآلاء : ١٥٠ :

(ب)

طويل إذا - والكتب : ٩٠ :
» تأوبه - متقلبا : ١١٢ :
» أبا - حرب : ١٢٩ :
» حلفت - عضبا : ١٣٩ :
» نسيبي - المناسب : ١٤٢ :
» أخوف - كذوب : ١٦٤ :
» أناس - مركبا : ٢١٢ :
» بنفسى - والحب : ٢٢٨ :
» مسرة - الصواب : ٢٨٦ :
» دعوك - وجب : ٢٩٠ :
» إذا - دأب : ٢٩٤ :
بسيط نفسى - محبوب : ١٣٢ :
» أرى - عتبه : ٣١٥ :
مخلع البسيط قلبي - أجب : ١٠٩ :
وافر إليك - حسبي : ١٤٨ :
» أيا نعل - للبيب : ٢٦٩ :
كامل كيف - تعذيبا : ١٠١ :
» سل - كالذهب : ١٠٩ :
» يارب - كالسكوكب : ١١٠ :
» والشول - تحلب : ١٤٥ :
» ومعطر - ترتب : ٢٠٢ :
بجزوء السكامل لله - الحباب : ٢٢٣ :

(ذ)	طويل	نخدى — تصحيح : ١٩٨
طويل	»	حظيت — نشرح : ٢٣٠
ذر — بدا : ٢٣١	»	أمكة — الأباطح : ٢٩٢
(ر)	كامل	تلك — سلاح : ٢٠٣
طويل	خفيف	سدودها — صفاحا : ١٧٦
(خ)	(خ)	
ألا — بحر : ٤٨	طويل	خذيها — بنخ : ٢٣٠
أمك — الفخر : ٩٣		
لعلكم — ضر : ١١٧		
فؤادى — غزاره : ١٢٥		
ترى — بهار : ١٢٧		
لعمري — ومفخرا : ١٣٣	طويل	نقتم — مجد : ١١٠
إذا — صوره : ٣٤	»	إلهى — وجاهد : ١١٦
لك — بالنوادر : ٢٠١	»	ودادكم — عهد : ١٣٢
وظي — ماهر : ٢٠٢	»	عسى — بعيدها : ١٢٣
رأيت — أسرى : ٢٣١	»	دع — أهدا : ٢٣٠
زفير — عزاء : ٢٣١	»	تبدت — وجده : ٢٤٨
جميع — زحشرا : ٢٨٥	»	هنيئا — بمقصدي : ٣٦٦
وكم — وأكثرا : ٢٨٩	»	لقد — أحمد : ٣٠٦
وما — الورى : ٢٨٨	بسيط	سوق — الزادا : ٤٦
هو — أخرى : ٢٩٤	»	لله — خلد : ١٩٥
مليح — كدر : ٢٩٤	»	تقول — يا ولدى : ٣١٩
بسيط	كامل	شابت — رماد : ٨٨
قل — درر : ١٤٠	»	شابت — ميعاد : ٨٨
عامى — القدر : ١٦٢	»	إنى — السيد : ١٧١
إن — خطر : ١٩٥	»	لولا — موردى : ٢٠٤
أيوان — دوار : ٣١٥	»	نسب — عمودا : ٢١٢
وافر	كامل	ياناظرا — الوجود : ٢٦٨ مجزوء السكامل
ألا — قنبر : ٢٩٨	رمل	هنذى — الأحمد : ٢٧٩ مجزوء الرجز
لله — أزهر : ٤٧	سريع	كن — ففر : ٩٩
طيف — الوطر : ١٣٤	منسرح	ظي — العقد : ٢٠١
أهلا — بالكافور : ١٣٤	خفيف	يا منظرا — الخلد : ١٠٧
للمرء — كدر : ١٤٦	خفيف	لا يقوى — لا بمجدودى : ٩٨
أدر — السرى : ١٧٤	متقارب	أطاب — الخلود : ٢٠٥
هذا — والزوار : ١٩٦		إذا — واقصد : ٩١

تجوهر ك — الأقصى : ١٤٦ طويل
صبرت — وتستقصي : ٢٣٤ »

(ض)

أيا — براضي : ٢٠ طويل
أيا — البعضا : ١٣٤ »
ضلوعى — أرضى : ٢٣٤ »
تلمسان — القضا : ٣٠٧ »
إن — إجماض : ٢٢٢ بسيط
علت — مانس : ٢٢٢ وافر
نبه — بالانغماض : ١٤٥ خفيف

(ط)

أما — قسطا : ٢٢٢ طويل
طوت — لا تخطأ : ٢٣٢ »
أيا — ما تخطو : ٢٦٩ »
إلام — خبط : ٢٢٢ بسيط
مثال — خطا : ٢٧٥ وافر
قصي — البسوطه : ٢٠١ خفيف

(ظ)

ظالت — لظى : ٢٣٢ طويل

(ع)

وما — لموضع : ٤٧ طويل
أما — الأضالع : ١١١ »
على — أولعا : ٢٣٤ »
مشوق — لعلع : ٣١٩ »
جعت — ومررتبع : ٢١٤ بسيط
وما — الدموع : ١٩٧ وافر
من — تنويح : ١٩٧ كامل

نصب — مجرور : ٢٠٣ كامل
حاز — الأنوار : ٢٠٣ »
بشرى — المنصورا : ٢١١ »
لثال — تغفرا : ٢٢٤ »
لو — داري : ٢٢٥ »
وغدا — أذكره : ٢٦٥ »
ومروعة — جارى : ٢٨٥ »
لما — الأخبارا : ٣١٤ »
فكان — وفر : ٥٧ رجز
ومجلس — أزهرها : ١٢٧ »
لخازم — مادري : ١٧٤ »
خذه — حذى : ٢٤٥ مجزوء الرجز
تجر — صبور : ٣٠٤ »
ذرى — يدور : ٣٠٤ »
قم — السكر : ١٢٠ سريع
ما رجل — أمرك : ٣٠٩ »
الليالى — تستقر : ١٥٩ خفيف
ما — شهرا : ١٩٥ »

(س)

جفوت — باس : ١٠٠ طويل
رعى — بالناسى : ١٩٦ »
ورب — الناس : ١٩٧ »
سموت — والشمس : ٢٣٦ »
شمخت — مشى : ٢٣٦ »
أدر ك — درسا : ٢٠٧ بسيط
مذ — القاموسا : ٤٦ كامل
وسقى — تهمى : ٩٧ »
خضعت — الزجس : ٣٢٠ »
هذا — تلتبس : ١٦٦ مجزوء الرجز
قالوا — النفوس : ١٦٨ سريع

(ص)

الا — خالص : ٣٥ طويل

عجبا — الموكفه : ٣٢٤ كامل
 يا — واستنكفه : ٣٢٥ »
 يا — ألفا : ٢٦٩ مجزوء الكامل
 طغا — خليفه : ٢٠٦ بحت

(ق)

وأحلى — ويتقى : ٩٠ طويل
 نقي — تفهق : ١٤٤ »
 أثنى — مشرق : ١٧١ »
 أبا — شيق : ١٧١ »
 قلبي — العلق : ٢٣٥ »
 هي — أفقها : ٢٣٦ »
 أنى — وأينق : ٢٩٠ »
 كيلومنى — بانفاق : ٣٠٥ »
 يامن — الوثيق : ١٠١ مجزوء البسيط
 أهل — الخلق : ٩٥ كامل
 قالوا — مغلق : ١٩٤ »
 لا — وانتق : ٢٠٣ »
 عندى — عبق : ١١٣ رجز
 لييك — الغدق : ١١٤ »
 صاح — اغتبق : ١١٥ رمل

(ك)

كرمت — السلك : ٢٣٢ طويل
 شكوت — الميكي : ٢٨٦ »
 نثرت — سلكها : ٢٣٧ كامل

(ل)

وأدم — حجول : ١٠٨ طويل
 أمرت — أهل : ١٤٠ »
 فواعجبا — فاضل : ١٤٣ »
 صحا — ورواحله : ١٤٤ »
 سجام — مثال : ٢٢٤ »

يا — وبرع : ١٩٨ رمل
 بالاطبل — نراع : ٣٠٨ بحت

(غ)

غايلى — بمنبغى : ٢٣٥ طويل

(ف)

فؤادى — تشفى : ٢٣٥ طويل
 أيلتنا — شئنا : ٢٣٥ »
 طويل — رشفا : ٢٧٢ »
 مبالاة — حصيف : ٢٨٦ »
 مبالاة — خصيف : ٢٨٦ »
 فتى — مشرفه : ٢٩٢ »
 أشنى — مكثفه : ٢٤٢ بسيط
 أغر — والسدف : ٢٩١ »
 أن — كشافى : ٢٩٦ »
 كامل — المصطفى : ٢٧٢ كامل
 جماعة — موكفه : ٢٩٨ »
 عجبا — معرفه : ٢٩٩ »
 سميت — المؤكفه : ٢٩٩ »
 وجماعة — مخلفه : ٢٩٩ »
 هوانف — السقه : ٣٠٠ »
 جورية — للسفكه : ٣٠٠ »
 عجبا — ومؤلفه : ٣٠٠ »
 قل — تخلفه : ٣٠١ »
 لحالة — موفقه : ٣٠١ »
 وجماعة — الفلسفه : ٣٠١ »
 وجماعة — متصفه : ٣٠٢ »
 عجبا — معرفه : ٣٠٢ »
 جماعة — موكفه : ٣٠٢ »
 جماعة — متصفه : ٣٠٤ »
 قل — والمعرفه : ٣٢٣ »
 فيه — للصفه : ٣٢٤ »
 أجمعتم — الصفه : ٣٢٣ »

(م)	<p>لثلك — يا نعل : ٢٣٣ طویل</p> <p>أقول — حل : ٢٣٨ »</p> <p>ونعل — نعل : ٢١٤ »</p> <p>لآلى — أهلا : ٢٧٨ »</p> <p>وجوت — راجل : ٢٨٨ »</p> <p>أبعد — مثله : ٣٠٦ »</p> <p>فديتك — عاطل : ٣٢٢ »</p> <p>سفهي — عليل : ٢٠٢ مخرج البسيط</p> <p>أحبنا — وإلا : ٤٧ وافر</p> <p>أخلانا — وإلا : ٥٢ »</p> <p>وكنك — يزول : ١٠١ »</p> <p>بكيت — وله : ٢٤٨ »</p> <p>أمرغ — قبالا : ٢٦٥ »</p> <p>أتت — النعال : ٢٨٢ »</p> <p>وأقب — المتمثل : ١٠٨ كامل</p> <p>لولا — تغزى : ١٦٨ »</p> <p>من — أحواله : ٢٠١ »</p> <p>قل الأحوال : ٢٠٢ »</p> <p>سقىا — البلبلا : ٢٢٣ »</p> <p>يا مبصر — متوسلا : ٢٦٨ »</p> <p>يا سائلا — أشكاه : ٢٤٢ »</p> <p>يا — الأطلال : ٢٦٢ »</p> <p>يا مبصر — متدللا : ٢٦٨ »</p> <p>يا — الأليل : ٢٩٧ »</p> <p>صور — وطالا : ٣٠٩ رمل</p> <p>لسنا — تشك : ٩٨ سريع</p> <p>أيتها — قولا : ٢٠٤ »</p> <p>بشرف — المثال : ٢٦٩ »</p> <p>يأيها — الأجل : ٢٩٨ منسرح</p> <p>يا — مثله : ٢٤٦ بحث</p> <p>أنظر — جمالا : ٢٤٧ »</p> <p>مثال — القبول : ٢٦٥ »</p> <p>وقال — الأرجل : ١٤٣ متقارب</p>	<p>وما — الميم : ٤٨ طویل</p> <p>أخو — رميم : ١٠٣ »</p> <p>خليل — لازم : ١٣٠ »</p> <p>ضمان — حاتم : ١٣٥ طویل</p> <p>أيا — جعيم : ١٣٥ »</p> <p>عليهم — يترجما : ١٤٣ »</p> <p>أمكة — الغائم : ١٤٧ »</p> <p>ونهر — الأراقم : ٢٢٣ »</p> <p>مثالك — سما : ٢٣٣ »</p> <p>بوصف — راقه : ٢٦٣ »</p> <p>ألا — وشرة : ٣٠٩ »</p> <p>لقد — أميا : ٢٩٠ »</p> <p>لسانك — طامى : ٢٩١ »</p> <p>لو — الرمم : ٧٤ بسيط</p> <p>وكم — السقيم : ٣٥ وافر</p> <p>إذا — الامام : ٣٦ »</p> <p>قسما — العلم : ٢٩١ رمل</p> <p>إن — السكرم : ٢١٥ مجزوء الرجز</p> <p>يا — ارتسام : ٢٧١ بحث</p> <p>إذا — مفرم : ١٦٤ متقارب</p>
(ن)	<p>عينا — زينة : ٣٤ طویل</p> <p>هم — بان : ١٢١ »</p> <p>وما — الحيوان : ١٤٦ »</p> <p>وإن — حينها : ١٦٨ »</p> <p>بأى — الملوان : ٢١٨ »</p> <p>يعيرنى — أوطانى : ٢٢٢ »</p> <p>نظرت — خدنا : ٢٣٣ »</p> <p>أمفتى — عنان : ٢٨٢ »</p> <p>إليك — تنهاني : ٢٨٦ »</p> <p>ولو — رجحانا : ٢٨٥ ، ٢٩٠ »</p>	<p>عينا — زينة : ٣٤ طویل</p> <p>هم — بان : ١٢١ »</p> <p>وما — الحيوان : ١٤٦ »</p> <p>وإن — حينها : ١٦٨ »</p> <p>بأى — الملوان : ٢١٨ »</p> <p>يعيرنى — أوطانى : ٢٢٢ »</p> <p>نظرت — خدنا : ٢٣٣ »</p> <p>أمفتى — عنان : ٢٨٢ »</p> <p>إليك — تنهاني : ٢٨٦ »</p> <p>ولو — رجحانا : ٢٨٥ ، ٢٩٠ »</p>

(هـ)	وقائلة — سبطين : ٢٩٧ طويل
ولو — زواياها : ٢٦٥ طويل	ومن — السن : ٣٠٧ »
ماذا — الزاهي : ١٩٨ بسيط	رأيت — زمانه : ٣٠٧ »
ورب — حلاها : ٣١٩ مخلع البسيط	وما — عدوانا : ٥٣ بسيط
وعاشق — يهواه : ٢٠٣ سريع	أقول — الدين : ٦٨ »
من — الله : ١٧٢ منسرح	ليس — شاني : ١٧٠ مجزوء البسيط
(و)	ستعلم — أكون : ٧٨ واقر
خبال — ما نوى : ٢٢٦ طويل	ورثناهن — بنينا : ٩٨ »
وقفت — أقوى : ٢٧٨ »	وذات — ما تكون : ١٤١ »
نعال — البلوى : ٢٨١ »	تحيف — الأمانى : ٢٢١ »
لله — الجوى : ١٧٣ رجز	والله — وفيها : ٧٣ كامل
لم — الجوى : ١٧٣ »	لا تجعلن — فنونه : ١٠٠ »
(ي)	إن — الفتنا : ١٦٤ ومل
وان — المنية : ٧٤ طويل	الحمد — السنة : ٥٦ رجز
يود — اليكا : ٣٧٩ »	أربعة — وإيمان : ٢٩٤ منسرح

فهرس الموضوعات

صفحة

- المتأخرون من علماء المغرب ... ٢٣
موازنة بين التونسيين والفاستين ... ٢٤
ضعف العلوم النظرية بالمغرب ... ٢٦
بين السلطان أبي عنان والشيخ الفهرصرى ... ٢٧
بين علماء فاس وتونس ... ٢٨
تنشيط الشيخ تلامذته بالحكايات ... ٢٩
دفع القصور عن بعض علماء المغرب { ... ٢٩
وتلامذتهم ...
العجز عن التأليف لا يقدح فى علم العلماء ... ٣١
ملككة العلم فى أهل تونس ... ٣٢
منزلة الشيخ أبى الحسن فى العلم ... ٣٢
كلام فى قيمة التأليف ومزاياها ... ٣٣
المقصود بالتأليف ... ٣٤
تعليق للونشريفى على كلام الأبن ... ٣٥
ثناء الأبن على تأليف أستاذه ابن عرفة ... ٣٥
لهمهم يمدح مختصر ابن عرفة فى الفقه ... ٣٦
بين الفباب وابن عرفة ... ٣٧
يراد للسلطان أبى عنان على بعض { ... ٣٧
الفقهاء ...
إمامة الشيخ بن عرفة لا تتحدد ... ٣٨

ترجمة الفيروز ابادى

عن الشقائق النعمانية

- التعريف به ... ٣٨
نسبه ... ٣٨
رحلاته وبعض تواليفه وصفاته ... ٣٩
ميلاده ووفاته ... ٣٩
هو آخر من مات من الرؤساء ... ٣٩
استدركه ابن خلدون ... ٤٠

صفحة

روضة الألقوان ، فى ذكر حاله

فى المنشأ والعنفوان

- كلام لابن عاصم فى أبيه يتمثل به المؤلف { ... ٥
فى وصف عياض ...
للملاحى فى عياض ... ٧
لابنه أبى عبد الله فيه ... ٧
لابنه وابن خاتمة فى ذكر شيوخه ... ٨
لابن الفصير فى دخول عياض غرناطة ... ١١
إنصاف القاضي عياض ... ١٣
التعريف بابن الفصير ... ١٤
لابن بشكوال فى عياض ... ١٦
للمناهى فى عياض ... ١٧
لابن خاقان فى عياض ... ١٨
تعقيب لابن جابر على كلام ابن خاقان ... ١٨
تعقيب المؤلف على المصمخ ومؤلفه ... ١٨
حسن إلقاء عياض وبعض تلامذته ... ١٩
وقاره وسمته ... ٢٠
عنايته بالتقيد ... ٢٠
تعظيمه للسنة ... ٢١
ذكاؤه ومواهبه ... ٢١
حسن خطه ... ٢١
حسن عبارته ... ٢١

صناعة التأليف بالمغرب

- لتدريس المدونة اصطلاحان ... ٢٢
فضل عياض فى التأليف ... ٢٢
موازنة بين المشاركة والأندلسيين ... ٢٣

صفحة

- آراء في المراد بالمجدد ٥٦
 عود إلى نظم السيوطي في المجددين ٥٧

روضة البهار

في ذكر جملة من شيوخه الذين
 فضلهم أظهر من شمس النهار

- مقدمة ٥٩

شيوخ عياض

- أبو الوليد بن رشد (الجد) ٥٩
 شيوخه وعلمه ٦٠
 ورعه ومؤلفاته ومولده ووفاته ... ٦٠
 توجّهه إلى المغرب وعودته ... ٦١
 أبو عبد الله النجبي القرطبي ... ٦١
 أبو بكر بن العربي المعافري ... ٦٢
 من كلام ابن بشكوال عنه ... ٦٣
 شيء عنه من حياة ابن الزبير ... ٦٣
 وفاته وقبره ٦٤

استطراد وتحقيق

- رسالة الإشارات الحسان لـ بن غازي ٦٥
 مقدمة ٦٦
 سؤال الونشريسي لابن غازي عن {
 مسائل من العلم ٦٦
 قضية سعيد بن المسيب مع عمر بن {
 عبد العزيز ٦٧
 بحنة سعيد بن المسيب لصلاته في الدين ٦٩

تنبيهات

- ميلاد سعيد بن المسيب ووفاته ... ٧١
 بعض عمال عبد الملك ٧١

صفحة

ترجمة ثانية للفيروزابادي

عن الضوء اللامع للسخاوي

- كتبه ومؤلفاته ٤٢
 ثناء الكرماني عليه ٤٤
 ثناء الخزرجي عليه ٤٤
 رغبته في سكنى الحجاز ... ٤٥
 كتابه إلى الأشرف إسماعيل ... ٤٥
 ثناء الفاسي عليه ٤٦
 لنور الدين علي يمدح كتابه القاموس ٤٦
 من شيوخه لترجمة ٤٧
 تاريخ وفاته ٤٧
 للفيروزي يمدح القاموس ... ٤٧
 ولقبه اسطفي في رموز القاموس ... ٤٧
 وفاته يمدح القاموس ٤٧
 شعر المترجم وقد قرأ صحيح مسلم ٤٨

ترجمة ثالثة للفيروزابادي

عن إنباء الغمر

- مولده ورحلاته ٤٩
 كتب وإسرافه ٥٠
 بعض مؤلفاته ٥١
 شيوخه ٥١
 وفاته ٥٢
 مديح الفيروزابادي لابن عربي ... ٥٣
 التعريف بحبي الدين بن عربي ... ٥٤
 رأي ابن خاتمة في ابن عربي ... ٥٤
 التسليم المتصوفة خير من الطعن عليهم ٥٥

التجديد والمجدودون

- نظم للسيوطي في المجددين ... ٥٦

صفحة

٩٥	شعر للعزفي في ذلك
٩٥	أبو عبدالله بن حمد بن شيوخ عياض
٩٥	ميلاده ووفاته
٩٦	ما قاله ابن خاقان في حقه
٩٧	فصل من رسالة له راجع بها ابن شياخ
٩٨	فصل آخر منها
٩٦	أبو بكر بن عطية من شيوخ عياض
٩٩	أمثلة من شعره
١٠١	ابن السيد البطليوسي من أشياخ عياض
١٠٢	ذكره السيوطي في البقية
١٠٢	مصنفاته كما في البقية
١٠٣	مثال من شعره

ترجمة ابن السيد البطليوسي

١٠٣	تأليف خاص لابن خاقان في التعريف
١٠٣	باب السيد
١٠٣	مقدمة تأليف الفتح
١٠٥	ثناء ابن خاقان على ابن السيد
١٠٦	حظه من العلوم والمعارف
١٠٧	وصفه مجلس الفادر بن ذى النون
١٠٨	وله يصف فرسا
١٠٩	وله في وصف الراح
١٠٩	ولابن عمار في مثله
١١٠	والمترجم في وصف مجلس أنس
١١٠	وله يمدح بعض الأعيان
١١٢	وله يتغزل
١١٣	بينه وبين أبي الحسن راشد وقد دعاه إلى مجلس أنس
١١٥	وله يصف مجلس أنس
١١٦	وله في الزهد
١١٧	وله يمدح الظافر بن ذى النون
١٢٠	وله يمدح ابن لبون

صفحة

٧١	بعض آل مخزوم من أصحاب مالك
٧٢	المقرى في وفاة ابن المسبب
٧٢	يرد مولى بن المسبب
٧٣	القول في إيمان أبي طالب
٧٤	القول في إيمان أبوى النبي
٧٥	قول المسعودي في إيمان أبي طالب
٧٥	أبو العباس العشاب
٨٧	ابن طلحة اليابرى
٧٨	ابن طلحة آخر
٧٨	الأبلى المصرى
٧٨	أخبار أهل السنة والمعتزلة
٧٩	مناظرة الباقلاني للمعتزلة
٨٤	تسمية أهل السنة المثبتة والخبرة
٨٥	بعض من قال بالجبر وبالجهة
٨٥	أبو بكر بن مجاهد
٨٦	التصحيح في أسماء الرجال
٨٦	تتمة القول في أبي بكر بن العربى
٨٧	في حاشية كتاب ابن غازى
٨٧	نقى الاحتمال في أمر أبي بكر بن العربى
٨٨	مثال من صلابة ابن العربى في القضاء
٨٨	مثال من شعره
٨٨	أجازته بيتا لابن صاره
٨٩	ارتجاله الشعر في مجلس الدرس
٨٩	وصفه البحر نثرا
٨٩	بعض ما صادفه في رحلته من ثمرات الأدب
٩١	تفسير بعض الغريب
٩١	من لقي ابن العربى في رحلته من كبار العلماء
٩٢	تعريف ابن خاقان في المطمح بابن العربى
٩٣	مثال آخر من شعره
٩٤	بعض تأليف ابن العربى
٩٥	نضرة وجوه أهل الحديث

صفحة	صفحة
أبو على الصدفى من شيوخ عياض ١٥١	تعريف للفتح بابن ليون ومدح ابن ١٢٠
رحلته إلى الفرق ١٥١	السيد له ١٢٠
عودته إلى الأندلس ١٥٢	ولابن السيد يمدح ابن رزين ... ١٢٣
حديث ابن الأبار عنه ١٥٣	وله يرثى أبا عبد الملك بن عبد العزيز ١٢٥
توليه قضاء مرسية واستشهاده ١٥٣	وله في وصف طول الليل ١٢٧
في وقعة فتندة ١٥٣	وله في وصف مجلس الظافر ... ١٢٧
ابن بقوى من أشياخ عياض ... ١٥٤	وله في الغزل ١٢٩
ابن شبرين من أشياخ عياض ... ١٥٥	لابن عريب يستدعيه إلى معاظة قهوة ١٣٢
ابن بقى من شيوخ عياض ... ١٥٧	رده على ابن عريب ١٣٢
ابن المرخي من شيوخ عياض ... ١٥٧	وله في وصف كتاب من محبوب ١٣٢
ابن غليون من شيوخ عياض ... ١٥٧	كتب إليه بعض إخوانه تمثلا ... ١٣٢
أبو العباس الشارقي من شيوخ عياض ١٥٧	رده عليه ١٣٣
أبو إسحاق اللواتي من شيوخ عياض ١٥٧	وله في الرد على ابن أبي الحصال ... ١٣٣
ابن بشتغير وابن مكحول من شيوخ ١٥٨	ومما يستجاد له ١٣٤
عياض ١٥٨	قطعة له تنفك منها ست قطع ... ١٣٤
من شيوخ عياض المذكورين في ١٥٨	قطعة أخرى تنفك منها تسع قطع ... ١٣٤
حرف الحاء ١٥٨	وله في وصف تين ١٣٤
من شيوخ عياض المذكورين في ١٥٨	وله في وصف حمام ١٣٥
حرف الحاء ١٥٨	وله في الغزل ١٣٥
من شيوخ عياض المذكورين في ١٥٨	وله في مدح القادر ١٣٥
حرف الميم ١٥٨	ترجمة ابن السيد في الفلاذ ... ١٣٧
من شيوخ عياض المذكورين في ١٦٠	وله يراجع ابن جوشن ١٣٩
حرف العين ١٦٠	وله في الزهد ١٤٠
من شيوخ عياض المذكورين في ١٦٠	وله يجيب شاعرا مدحه ١٤٠
حرف الغين ١٦٠	وله في وصف زربطانه ١٤١
من شيوخ عياض المذكورين في ١٦٠	رسائله إلى ابن الأخضر ١٤١
حرف السين ١٦٠	وله في الرد على رسالة للوزير ابن ١٤٢
بعض شيوخ عياض المذكورين في ١٦١	سفیان ١٤٢
حرف الهاء ١٦١	وله يمدح ابن الفرج ١٤٥
بعض شيوخ عياض المذكورين في ١٦١	وله في الزهد ١٤٦
حرف الياء ١٦١	وله يعزى ابن ليون في أخيه ... ١٤٦
من شعر المرادى ١٦١	وله يخاطب مكة ١٤٧
من أجاز عياضا أبو بكر الطرطوشي ١٦٢	أبو على الغساني من شيوخ عياض ١٤٩

صفحة

- قصيدة له في مدح أبي عنان فارس ١٩٠
حسن تلخيصه في القصيدة ... ١٩٤
وله في وصف حال ... ١٩٤
وله في حفظ العهد ... ١٩٥
ألف رحلة ابن بطوطة ... ١٩٥
ومن شعر له في مرضه ... ١٩٥
ومن شعره يخاطب أبا إسحاق بن الحاج ... ١٩٥
وله مصحفا ... ١٩٦
ولابن الجباب مصحفا ... ١٩٦
ولابن جزى في المرية وأهلها ... ١٩٦
وله في زاوية أبي عنان ... ١٩٦
ومن بديع نظمه ... ١٩٧
تهنئته أبا عنان بإبلال ولده وتورثه ... ١٩٨
بأسماء الكتب ... ٢٠٠
من نظم ابن رجزى موريا بأسماء الكتب ... ٢٠٠
من نظم عبد المهيمن الحضرمي ... ٢٠١
لأبي علي حسين بن صالح موريا ... ٢٠٢
بأسماء الكتب ... ٢٠٢
للوزير لسان الدين بن الخطيب ... ٢٠٢
موريا بأسماء الكتب ... ٢٠٢
لابن خاتمة موريا بأسماء الكتب ... ٢٠٢
لبعض الشعراء موريا بأسماء الكتب ... ٢٠٣
ومن شعر ابن جزى ... ٢٠٣
كان حازم وابن الأبار فرسي رهان ... ٢٠٤
ترجمة ابن الأبار وطرف من أخباره ... ٢٠٤

الخبر عن مقتل ابن الأبار

وسمياقة أوليته

- سينيته التي يستصرخ بها أبا زكرياء ... ٢٠٧
الحفص ...

صفحة

- تعريف ابن خلكان بالطرطوشي ١٦٣
ممن أجاز عياضا أبو عبد الله المازري ١٦٥
ممن أجاز عياضا الحافظ السلفي ١٦٧
تحقيق ميلاد الحافظ السلفي ونسبته ١٦٨
تعليق للمؤلف ... ١٧٠
شيء من نظم الحافظ السلفي ... ١٧٠
الأجازة العلمية عند تعذر اللقاء ... ١٧١
ترجمة السيوطي لحازم القرطاجي ١٧١
تكملة المؤلف لترجمة حازم ... ١٧٣
جيمية التي يعارض بها رائية ابن عمار ١٧٤
جيمية ابن قلاقس ... ١٧٦
ولابن قلاقس أيضا ... ١٧٦
ولحازم في الوصف ... ١٧٧
وله يتغزل في صدر قصيدة مديحية ١٧٧
وله يصف وردة ... ١٧٨
تضمينه معلقة امرئ القيس ... ١٧٨
وله في مدح الرسول ... ١٨٢
تحقيق نسبة القصيدة السابقة ... ١٨٤
ترجمة أبي القاسم بن جزى ... ١٨٤
بعض شيوخه ... ١٨٥
توالياه ... ١٨٥
من شعره يبين غرضه في الحياة ... ١٨٥
وله بفخر بعفته ... ١٨٦
وله في جلال مقام النبوة ... ١٨٦
مولده ... ١٨٧
وفاته ... ١٨٧
وله في الرجوع إلى الله ... ١٨٧
ترجمة أبي بكر ابن جزى ... ١٨٧
شعر له في حب الناس للمال ... ١٨٨
تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس ... ١٨٨
بعض توالياه وأعماله ... ١٨٨
ترجمة أبي عبد الله بن جزى ... ١٨٩
قصيدة له في مدح أبي الحجاج يوسف ١٩٠

صفحة

- ما وقع للفاكهاني حين رأى تمثال { ٢٦٥
النعل
ما قاله ابن رشيد حين رأى تمثال { ٢٦٦
النعل في دمشق
تمثال النعل النبوية ٢٦٧
ما كتب في المثل الأيمن ٢٦٨
ما كتب في المثل الأيسر ٢٧٠
ولابن جابر الوادي آشي في مدح النعل ٢٧٢
وللشامى الخزرجي في ذلك ٢٧٢
وله في الغرض نفسه ٢٧٥
وللشامى أيضا في النعل مكملا ماسقط { ٢٧٨
من كلام ابن فرج السبكي
وله في ذلك أيضا ٢٧٩
وله في ذلك أيضا ٢٨١
وله أيضا ٢٨٢
وله مخاطبا المؤلف راغبا في إثبات { ٢٨٢
هذه المنظومات في أزهار الرياض

بين القاضي عياض

والزخمشري

- عياض والزخمشري ٢٨٢

بين الحافظ السلفي

والزخمشري

- استجازة الحافظ السلفي الزخمشري ٢٨٣
رسالة الزخمشري للحافظ السلفي ... ٢٨٤
استجازة الحافظ السلفي الزخمشري { ٢٨٧
مرة ثانية
رد الزخمشري على الحافظ السلفي { ٢٨٨
بالإجازة الثانية
تعليق للعولف على كلام الزخمشري ٢٩٣
من بديع نظم الزخمشري ٢٩٤
ما ذكره عنه السيوطي في بغية الوعاة ٢٩٥

صفحة

- ارتجاله بيتين في حضرة المستنصر ٢١١
رسائله المستنصر ٢١١
مخاضته رئيس منورقة سعيد بن حكم ٢١٥
وكتب إليه شافعا ومعتزيا ٢١٧
تهنئته أبا المطرف بن عميرة بقضاء { ٢١٨
شاطبة
وكتب شافعا في فك أسير ٢١٩
وكتب أيضا شافعا ٢٢٠
وله في المحببات ٢٢١
وله يشكو الزمان ٢٢١
وله في التسليم المقذور ٢٢٢
وله يمارض الرضا في وصف نهر ٢٢٣
وله في معناه أيضا ٢٢٣
وله في تمثال نعل النبي ٢٢٤
وله في التشوق إلى الضريح النبوي ٢٢٥
لمحمد بن فرج في نعل النبي محمدا { ٢٢٨
لأبيات أبي الربيع بن سالم
وله في مدح النعل على حروف المعجم ٢٢٨
وله مقاضيع في بمدح النعل أيضا ٢٣٧
وله في تشبيه نعل الرسول ٢٤٢
وله في وصف النعل أيضا ٢٤٢
وله أيضا في النعل الكريمة ٢٤٥
وله أيضا فيها ٢٤٦
وله أيضا في ذلك الغرض ٢٤٧
وله أيضا في ذلك ٢٤٨
وله في ذلك وقد نحي منحي رائية { ٢٤٨
أبي الربيع بن سالم
عناية الصالحين بالنعل الكريمة ... ٢٦١
بعض ما جرب من بركتها ٢٦٢
لأبي اليمن بن عساكر في مدحها ٢٦٢
ولللك بن المرحل في مدحها ٢٦٣
وللقرطبي في ذلك أيضا ٢٦٤
ما كتب في بعض تماثيل النعل ٢٦٥

صفحة

- وله متبرما بسكنى تلمسان ... ٣٠٧
 وله أيضا في ذلك ... ٣٠٨
 كان الوادى آشى مغرما بالنسخ والتقييد ٣٠٨
 ونخطه شعر لسيدى محمد العربى ... ٣٠٨
 ولسيدى العربى في رجل تنصر { ٣٠٨
 واختلط غفاه
 وله ملفزا لغزا فقهيا ... ٣٠٩
 وله في الغرض نفسه ... ٣٠٩
 بعض أخبار أبى عبد الله العربى ... ٣٠٩
 بخط الوادى آشى من الوثائق المجموعة ٣١٠
 ومن خطه نقلا عن الفاضى أبى يحيى { ٣١٠
 ابن عاصم في توثيق العقود ...
 ومما نقله الوادى آشى عن ابن عاصم { ٣١١
 في الغرض نفسه
 حكم الشاهد الذى يصير قاضيا ... ٣١٢
 ونخطه دعاء لابن جبير ... ٣١٣
 ونخطه من كلام بعض العلماء ... ٣١٣
 ونخطه نقلا عن شرح خليل لابن سراج ٣١٤
 ونخطه للتفتازانى في شرح عقيدة النسفى ٣١٤
 ومن خطه ما كتب في طلسم بفرناطة ٣١٤
 ومن خطه لبعضهم في صنعة السكتبة ٣١٥
 ومن خطه بعض ما يشترط في البيوع ٣١٥
 ومن خطه بعض مسائل في الرهن ٣١٦
 ترجمة ابن الأزرق ... ٣١٧
 تأليفه ... ٣١٧
 شعر له في الاعتداد بالصبر عند الشدائد ٣١٩
 وله عند وفاة والدته ... ٣١٩
 وله في الحبيبات ... ٣١٩
 وله في مدح شيخه يحيى بن عاصم ٣١٩
 تعليق للمؤلف ... ٣٢٢
 وله يخاطب شيخه ابن سراج ... ٣٢٢

عود إلى الرد على بيتى الزمخشري

- لابن عاصم ... ٣٢٣
 ولأبى حفص بن عمر ... ٣٢٤
 لأبراهيم بن هلال ... ٣٢٤
 ولعل بن أحمد الشامى ... ٣٢٥

صفحة

- تعريف ابن خلكان به ... ٢٩٦
 المسامة به لابن غازى ... ٢٩٨
 للزمخشري يمدح كتاب سيديويه ... ٢٩٨
 بين الزمخشري وأهل السنة
 ما أنشده في الكشف لبعض المعتزلة { ٢٩٨
 في ذم أهل السنة
 ما رد به عليه أهل السنة ... ٢٩٩
 لابن المنير في الرد على المعتزلة ... ٢٩٩
 وله أيضا في ذلك ... ٢٩٩
 وللشيخ عمر السكونى في ذلك الغرض ٢٩٩
 وللقاضى عمر بن عبد الرقيق في ذلك ٣٠٠
 وللأججى في ذلك الغرض ... ٣٠٠
 وليحيى بن منصور التونسي في ذلك ٣٠٠
 وللغيرنى في ذلك ... ٣٠١
 ولابن عرفة في ذلك ... ٣٠١
 ولابن مرزوق التلمسانى في ذلك ٣٠١
 ولكامل الدين المظفر في ذلك ... ٣٠٢
 ابن المنير الإسكندرى من أهل السنة ٣٠٢
 لابن الجبير اليحصي في ذلك ... ٣٠٢
 تعليق للمؤلف ... ٣٠٣
 كلام ابن الجبير من رواية الوادى آشى ٣٠٢
 ومن نظم ابن الجبير ... ٣٠٤
 ومن نظم ابن الجبير أيضا مجيبا للشران ٣٠٤
 ما أجابه به الشران ... ٣٠٤
 المسلمون أعداء لأهل السنة ... ٣٠٥
 جند الله الغالبون هم أهل السنة ... ٣٠٥
 بعض أخبار الوادى آشى وشعره ٣٠٥
 رثائه أحمد بن يحيى الونشريشى ٣٠٦
 وله في رثائه أيضا ... ٣٠٦
 وله فيه أيضا ... ٣٠٦
 وله فيه أيضا ... ٣٠٧
 وفاة الشيخ الونشريشى ... ٣٠٧
 والوادى آشى في مدح الفقيه أحمد { ٣٠٧
 العبادى